

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ذكر أخبار مصر

ومن ملكها من الملوك قبل الطوفان وبعده ، وما بنوه بها من المدن ، وما أقاموه من المنارات والأهرام والبرابي وغير ذلك من المباني ، وما وضعوه بها من العجائب والظلمات والحكم ، وما أناروا من المعادن وما دبروه من الصنعة ، وما شقوه وأنبطوه من الأنهار وغير ذلك من عجائبها وأخبارها

فأما ملوكها قبل الطوفان فقد ذكرهم إبراهيم بن القاسم الكاتب في مختصر كتاب العجائب الكبير الذي ألفه إبراهيم بن وصيف شاه . قال : أول من ملك مصر من الملوك قبل الطوفان ^(١) تَقْرَاوس ، ومعناه مَلِكُ قومه وعظيمهم . وذلك أن بنى آدم لما بنى بعضهم على بعض وتحاسدوا وتغلب عليهم بنو قابيل تحمل تَقْرَاوس الجبار ابن مصرام بن براكيل بن زراييل بن غرناب بن آدم في نيف وسبعين رجلا من بنى غرناب جبابرة ، كلهم يطلبون موضعا ينقطعون فيه من بنى آدم . فلما نزلوا على النيل ورأوا سعة البلد وحسنه أقاموا فيه وبنوا الأبنية ، وقالوا : هذا بلد زرع ؛ [وبنى تَقْرَاوس مصر] ^(٣) وسمّاها بأسم أبيه مصرام ثم تركها . وكان تَقْرَاوس

(١) ورد هذا الضبط بالقلم هكذا في نسخة ب .

(٢) اختلفت المراجع في ذكر هذه الأسماء فاكفينا بما ورد في الأصول .

(٣) التكملة من خطط المقرئى (ج ٣ ص ٦ طبعة فيت) .

(٤) كذا في خطط المقرئى . وفي الأصل : « تبركا به » .

جباراً له أيدٌ وبسطة، وكان مع ذلك كاهناً عالماً، له معاون من الجنّ، فلك
 بنى أبيه ولم يزل مطاعاً فيهم. وقد كان وقع إليه من العلوم التي كان زراييل علمها
 من آدم. قال: فهو وبنوه الجبابرة الذين بنوا الأعلام، وأقاموا الأساطين العظام،
 وعملوا المصانع، ووضعوا الطلسمات، وأستخرجوا المعادن، وقهروا من ناوأمهم
 من ملوك الأرض ولم يطمع طامع فيهم. وكل علم جليل في أيدي المصريين إنما هو
 من فضل علم أولئك القوم، كان مرهوزا على الحجارة. فيقال إن فليمون الكاهن
 الذي كان ركب مع نوح عليه السلام في السفينة هو الذي فسرها لهم وعلمهم كتابتها،
 وسندكر إن شاء الله تعالى خبر فليمون في موضعه.

قال: ثم أمرهم نقرأوس حين استقر أمرهم ببناء مدينة فقطعوا
 الصحور والأحجار من الجبال، وأثاروا معادن الرصاص وبنوا مدينة وسموها
 أمسوس^(١)، وأقاموا بها أعلاماً، طول كل علم مائة فراسخ، وعمروا الأرض،
 وأمرهم ببناء المدائن والقرى، وأسكن أهل كل بيت ناحية من أرض مصر. وهم
 الذين حفروا النيل حتى أجروا ماء الهم، ولم يكن معتدل الحفر إنما كان يتسطح
 ويتفزع في الأرض. قال: ووجه إلى بلد النوبة جماعة حتى هندسوه وشقوا منه
 أنهاراً إلى مواضع كثيرة من مدنهم التي بنوها، وشقوا نهراً عظيماً إلى مدينتهم
 أمسوس يجرى في وسطها وغرسوا عليه الفروس، فكثرت خيرهم وعزت أرضهم
 وتجبر ملكهم. قال: وبعد مائة وعشرين سنة من ملكه أمر بإقامة الأساطين
 العظام وزبر عليها ذكر دخولهم البلد، وكيف نزلوا به، وحرهم لمن حاربوه من

(١) أمسوس، وردت مضبوطة بالفلم هكذا في نسخة ب وهي أول مدينة بنيت بالديار المصرية قبل

الطوفان. وموضعها خارج الاسكندرية تحت البحر الرومي (البحر الأبيض المتوسط) كما ذكره بعض
 المؤرخين، وشق لها نهراً يتصل بها من النيل (راجع صبح الأعشى ج ٣ ص ٣١٩).

الأمم . ثم أمر ببناء قبة على أساطين مُثبتة في الرصاص ، طولها مائة ذراع ، وجعل على رأسها مرآة من زبرجد أخضر ، قُطرها سبعة أشبار ، ترى خُضرتها على أمد بعيد . قال : وفي مصاحف المصريين أنه سأل الذي كان معه أن يعترفه مخرج النيل ، فحمله حتى أجلسه على جبل القمر خلف خط الاستواء على البحر الأسود الزرقى ، وأراه النيل كيف يجري فوق ذلك البحر الأسود مثل الخيوط حتى يدخل تحت جبل القمر ، ثم يخرج الى بطائح هناك . ويقال : إنه عمل بيت التماثيل هناك ، وعمل فيه هيكلًا للشمس . ورجع الى أمسوس فقسم البلد بين بنيه ، فجعل لنقارس الجانب الغربي ، ولسورب الجانب الشرقي ، ولأبنة الصغير ، وهو مصرام مدينة سماها برسان وأسكنه فيها ، وأقام فيها أساطين وشق لها نهرًا وغرس بها غروسا . وعمل بأمسوس عجائب كثيرة ، منها صورة طائر على أسطوانة عالية ، يصير كل يوم مرتين عند طلوع الشمس وعند غروبها صغيرًا مختلفًا ، فيستدلون به على ما يكون من الحوادث فيتأهبون لها ، ويخزن لساء المقسوم على جناتهم مائة وعشرين قسما لا يقدر أحد أن يحوز ما ليس له . وعمل وسط المدينة صنيين من حجر أسود ، اذا تقدم السارق لم يقدر على الزوال عنها حتى يسلك بينهما ، [فإذا دخل بينهما أطبقا عليه فيؤخذ] .

١٠٥
١٢

(١) المراد بخلف هنا شمال خط الاستواء .

(٢) هذه التسمية وردت هكذا أيضا في خطط المقرئى (ج ٣ ص ٨ طبعة فييت) أثناء كلامه على نقراوس والسلة في هذا أن التورئى والمقرئى يتقلان عن مرجع واحد وهو ابن وصيف شاه . ولم نوفق الى تحقيقه في مرجع آخر .

(٣) كثر المؤلف هنا عبارة « البحر الأسود الزرقى » ولا معنى له واكتفينا بما ورد في خطط المقرئى .

(٤) المراد بالبطائح هنا منابع النيل .

(٥) ذكر القلقشندى في صبح الأمشى (ج ٣ ص ٣١٩) هذه المدينة على أنها القاعدة الثانية من

قواعد مصر قبل الطوفان ثم قال : « ولم أفد على مكانها » .

(٦) الزيادة من المقرئى (ج ٣ ص ٨ طبعة فييت) . وفي الأصلين مكانها : « يسقطان عليه » .

- وله أعمال كثيرة سوى هذه . قال : وعمل في برسان صورة [من نحاس مذهب على منار
حال لا تزال عليها سحب تظّلها ، من استمطرها أمطرت عليه ماء ، فهلكت في الطوفان .
وعمل على حدود بلادهم أصناما من نحاس مجوّف وملاها نارا وكبريتا وجلب إليها
روحانية [النار] ، فإن قصدهم قاصد بسوء أرسلت تلك الأصنام من أفواهاها نارا
أحرقته . وكان حدّ بلادهم الى داخل الغرب مسافة أيام كثيرة عامرا كلة
بالقصور والبساتين ، وكذلك في المشرق الى البحر ، ومن الصعيد الى بلاد علوة .
وعمل فوق جبال بطرس منارا ينفور بالماء يسقى ما تحته من المزارع . وملّكهم
مائة وثمانين سنة . فلما مات لطحوا جسده بالأدوية الممسّكة ، وجعلوه في تابوت
من ذهب ، وعملوا له ناووسا مسمّفا بالذهب ، وجعلوا معه كنوزا من أنواع
الجواهر وتماثيل الزبرجد ، وكثرا من الصنعة المعمولة ، وأواني الذهب ، والطلّسات
التي تدفع الهوام وغيرها ، وزبروا عليه تاريخ الوقت .

- ولما مات ملك بعده نقراس بن نقرأوس ، فتجبرّ وعلا أمره ، وبني
مدينة يقال لها خلجة ، وعمل فيها جنة صفح حيطانها بصفايح الذهب والحجارة
الملوّنة ، وغرس فيها أصناف الفواكه والفروس الحسنة ، وأجرى تحتها الأنهار ،
وأمر بإقامة الأساطين والأعلام ، وركّب عليها أصناف العقاقير والأدوية وجميع
العلوم . وكان معه شيطان يعمل له التماثيل العجيبة . وهو أول من بنى بمصر هيكلًا

(١) الزيادة من المقرئى . والعبارة فيه : « وكلها روحانية النار » .

(٢) بلاد علوة : هي من بلاد النوبة ، وتقع على ضفة النيل أسفل من مدينة دقّلة ، وبينها مسيرة
أيام في النيل (راجع المغرب وأرض السودان ص ١٩ طبع مدينة ليدن) .

(٣) في المقرئى (ج ٣ ص ١١ طبعة فييت) « خلجة » وأشير في الهامس الى أنها في السوطى « حلجة » .

(٤) لعله « وكتب » .

(١) وجعل فيه صور الكواكب السبعة، وزَّبر على رأس كل كوكب محارته وما يعمله من المنافع والمضار، وألَّسه الثياب الفاخرة وأقام له كاهنا وسَدَنَةً . وخرج مغرباً حتى بلغ البحر المحيط وعمل عليه أعلاما، وجعل على رأس كل علم أصناما تُسْرَج عيونها بالليل كأنها مصابيح، ورجع على بلاد السودان الى النيل، وأمر ببناء حائط على جانب النيل، وجعل له أبوابا يخرج الماء منها . وبني في صحراء الغرب وراء الواحات ثلاث مَدُن على أساطين، وجعل شرفها من الحجارة الملوَّنة التي تُسْف، وجعل في كل ناحية منها ثلاث خزائن للحكمة، وهي أول عجائب الأرض، جعل الدخول الى هذه المدائن من الأساطين التي بنيت عليها . ففي إحدى هذه الخزائن صنم الشمس الذي هو أعظم أصنامهم، وهي معلقة عليه في بيت شرفها، وصل رأسه لإكليل فيه كواكبها الثابتة . وفي إحداها صنم للشمس رأسه رأس طاووس في جسد إنسان من ذهب أزرق، وعيناه جوهرتان صفراوان، وهو جالس على سرير مغنطيس، وفي يده مصحف العلوم . وفي إحداها صنم رأسه رأس إنسان وجسده جسد طائر، وصوره امرأة جالسة من زئبق معقود، لها ذؤابتان، وفي يدها مرآة وعلى رأسها صورة كوكب، وهي رافعة بالمرآة الى وجهه، ومطهرة فيها سبعة ألوان، من الماء السائل لا يختلط بعضها ببعض ولا يوارى بعضها بعضا، وصوره شيخ من حجر الفيروزج، وبين يديه

(١) الحارة : المكان الذي يحور أربحار فيه (المدار) . والمحارتان : رأسا الورك المستديران اللذان يدور فيهما ربوس الفخذين . والمعروف أن لكل كوكب محور يدور فيه . وقيل له محور : للدوران، لأنه يرجع إلى المكان الذي زال عنه؛ فالمراد بالحارة هنا الدائرة التي يدور فيها الكوكب .

(٢) بيت شرفها : أى محل مزها وعلوها وسعادتها وحلوقها في الحمل وهو محل قوة الكوكب، فالشمس من أجل أنها إذا حلت الحمل تصاعدت في الشمال وظهرت قوتها وصار شرفها فيه (راجع شرح العلامة الخضرى على متن اللغة ورقة ٨٧ من النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٠٨ ميقات) .

(٣) كذا في المقرئى . وفي الأصل : « صورة أحدها » .

(٤) كذا في المقرئى . وفي الأصل : « والآثر » .

صَبِيَّةٌ يَعْلَمُهُمْ ، وهم من أصناف العقيق والجوهر . وفي الخزانة الثانية صورة هِرْمَسِ
 [بني عطار^(١)د] وهو مَكْبٌ ينظر الى مائدة بين يديه من نُوَشَادِرٍ على قوائم كبريت أحمر ،
 وفي وسطها مثل الصَّحْفَةِ من جوهر أحمر فيها دواء أخضر من الصنعة ، وضورة عَقَاب
 من زُرْمَدٍ أخضر عيناه من ياقوت أصفر ، وبين يديه حية من فضة قد لوت ذنبها
 على رجله ورفعت رأسها كأنها تريد أن تنفخ عليه ، وفي ناحية منها صورة المِزْيَجِ
 راجبا على فرس ويده سيف مسلول من حديد أخضر ، وعمود من جوهر أخضر ،
 عليه قبة من ذهب فيها صورة المُشْتَرِي ، وقبة [من أدرك^(٢)] على أربعة أعمدة من جَزَعِ
 أزرق في سقفها صورة الشمس والقمر متحاذين في صورة امرأة ورجل كأنهما يتحدان ،
 وقبة من كبريت أحمر فيها صورة الزُّهْرَةِ على صورة امرأة مُسَكَّةٍ بضميرتها وتحتها رجلٌ
 من زرجد أخضر ، في يده كتاب فيه علم من علومهم كأنه يقرأ فيه عليها .^(٣) وجعل في كل
 خزانة من بقية الخزائن من العجائب ما لا يحصى ، وعلى باب كل مدينة طَلْسَمَاتٍ تمنع
 من دخولها في صور مختلفة لا يشبه بعضها بعضا ، وفي كل مدينة من الجوهر
 النفيس والذهب والفضة والكبريت الأحمر والتربة الصنعية في البراني المألوفة ، وصنوف
 الأدوية النفيسة المؤلفة والسموم القاتلة . وعلم كل باب من الأساطين بعلامة
 يعرف بها يصعد إليها من مسارب تحت الأرض . قال : وجعل بين هذه المدائن^(٤)

١٠٦
١٢

(١) زيادة عن المقرئ (ج ٣ ص ١٠ طبعة فيت) .

(٢) زيادة من المقرئ (طبعة فيت) . والأدرك : الجرار الأحمر . وفي طبعة بلاق « من أنك »
 والآتك : القصدير .

(٣) كذا في المقرئ (ج ٣ ص ١٠ طبعة فيت) وفي الأصول : « ... وكانهم يقرءون عليه » .

(٤) يريد : وجعل بين أملى هذه المدائن وبين مدينة خلجة ، وهي التي عمل فيها الجنة ، سبعة أميال الى
 الغرب ، وبين مدينة خلجة وبين الثانية أربعة عشر ميلا ، وبينها وبين الأخيرة واحد وعشرون ميلا .
 ففي العبارة هنا قصور .

وبين مدينة خلجة، وهي التي عمل فيها الجنة، سبعة أميال إلى الغرب، وبينها وبين الأخرى أربعة عشر ميلا، وبين الأخرى واحد وعشرون ميلا. وكان له من مدينته إلى هذه المدائن أسراب تحت الأرض يصل منها إليها، وكذلك من بعضها إلى بعض. وعمل عجائب كثيرة أزالتها الطوفان، وركبت هذه الأرض الرمال فأزالت طليساتها. قال: وملك تقارس مائة سنة وسبع سنين ثم هلك فعُمل له ناووس، وجُعِل معه من الأشياء العجيبة ما يطول الأمر يذكره.

ثم ملك بعده أخوه مصرام بن نقر اوس، فبنى للشمس هيكلا من المرمر الأبيض ومؤهه بالذهب، وجعل وسط الهيكل كالعرش من جوهر أزرق عليه صورة الشمس من ذهب أحمر وأرخی عليها كلال الحرير الملون، وأمر أن يوقد عليها بطيب الأدهان، وجعل في الهيكل قنديلا من الزجاج الصافي، وجعل فيه حجرا مدبراً يضيء كما يضيء السراج وأكثر منه ضوءاً، وأقام له سدنة، وعمل له سبعة أعياد في السنة. وقيل: إن مصر سميت به. وتسمى به مصرام بن بيسر بن حام بن نوح بعد الطوفان لأنه وجد اسمه مزبوراً على الجارة. وكان فليمون الكاهن أخبرهم أخبار هؤلاء الملوك. وكان مصرام هذا قد ذل الأسد في وقته فكان يركبها. وصحبه الروحاني الذي كان مع أبيه لما رأى من حرصه على لوازم الهياكل والقيام بأمور الكواكب، وأمره أن يحتجب عن الناس. وألقى على وجهه بسحره نورا عظيماً لا يقدر أحد أن يتمكن من النظر إليه. فأدعى أنه إله، وغاب عن الناس ثلاثين سنة، وأستخلف عليهم رجلا من ولد غرنايب وكان كاهنا. ويقال: إن مصرام ركب في عرش وحملته الشياطين حتى انتهى إلى وسط البحر الأسود، فعمل فيه القلعة الفضة وجعل عليها صنين من النحاس وزير عليها: أنا مصرام الجبار، كاشف الأصرار، الغالب القهار، صنعت

(١) في القريري (ج ٣ ص ١١ طبعة فييت): « وفي وسطه فرس من جوهر » .

الطَّاسِمَاتِ الصَّادِقَةِ ، وَأَقَمْتُ الصُّورَ النَّاطِقَةَ ، وَنَصَبْتُ الْأَعْلَامَ الْهَائِلَةَ عَلَى الْبَحَارِ
السَّائِلَةِ ، لِيَعْلَمَ مَنْ بَعْدِي أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ أَحَدٌ مَلِكِي ، وَكُلَّ ذَلِكَ فِي أَوْقَاتِ السَّعَادَةِ .
وَكَانَ قَدْ عَمِلَ فِي جَنَّتِهِ شَجَرَةٌ مَوْلِدَةٌ يُؤْكَلُ مِنْهَا جَمِيعُ الْفَوَاكِهِ ، وَقَبَّةٌ مِنْ زَجَاجِ أَحْمَرَ
عَلَى رَأْسِهَا صَنْمٌ يَدُورُ مَعَ الشَّمْسِ ، وَوَكَّلَ بِهَا شَيَاطِينَ إِذَا أَخْلَطَ الظَّلَامُ نَادَوْا :
لَا يَخْرُجُ أَحَدٌ مِنْ مَنزِلِهِ حَتَّى يُصْبِحَ وَإِلَّا هَلَكَ ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ عَمِلَ لَهُ ذَلِكَ .
وَأَمْرُهُمْ أَنْ يَجْتَمِعُوا لَهُ ، وَجَلَسَ لَهُمْ فِي مَجْلِسِ عَالِ مَزِينٍ بِأَصْنَافِ الزَّيْتِ وَتَجَمَّلَ لَهُمْ
فِي صُورَةِ هَالَتِهِمْ وَمَلَأَتْ قُلُوبَهُمْ رَعْبًا ، نَخَزُوا عَلَى وُجُوهِهِمْ وَدَعَوْا لَهُ . فَأَمَرَ بِإِحْضَارِ
الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فَأَكَلُوا وَشَرَبُوا وَرَجَعُوا إِلَى مَوَاضِعِهِمْ ثُمَّ لَمْ يَرَوْهُ بَعْدَ . وَبَلَغَ بِكَهَانَتِهِ
مَا لَمْ يَبْلُغَهُ أَحَدٌ مِنْ آبَائِهِ .

- ١٠ ثم ملك بعده عَنقَامُ^(١) الكاهن ؛ فَعَمِلَ فِيهِمْ ، وَعَمِلَ مَدِينَةَ عَجِيْبَةَ قَرِبَ الْعَرِيشِ
جَعَلَهَا لَهُمْ حَرَمًا . وَقِيلَ : إِنْ إِدْرِيسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رُفِعَ فِي زَمَانِهِ . قَالَ : وَيَحْكِي عَنْهُ أَهْلُ
مِصْرَ حِكَايَاتٍ كَثِيرَةٌ تَخْرُجُ عَنِ الْعَقُولِ . وَكَانَ قَدْ رَأَى فِي عِلْمِهِ كَوْنَ الطُّوفَانِ ، فَأَمَرَ
الشَّيَاطِينَ الَّتِي تَصْحَبُهُ أَنْ تَبْنِيَ لَهُ مَكَانًا خَلْفَ خَطِّ الْأَسْتَوَاءِ بِمِثْلِ لَا يَلْحَقُهُ الْفَسَادُ ،
فَبُنِيَ لَهُ الْقَصْرَ الَّذِي فِي سَفْحِ جَبَلِ الْقَمَرِ ، وَهُوَ قَصْرُ النَّحَاسِ الَّذِي فِيهِ التَّمَائِيلُ ،
وَهِيَ نَحْمَسَةٌ وَتَمَانُونَ تَمْتَالًا ، يَخْرُجُ مَاءُ النَّيْلِ مِنْ حُلُوقِهَا وَيَنْصَبُ إِلَى بَطِيحَةٍ .
وَلَمَّا عَمِلَ لَهُ ذَلِكَ الْقَصْرَ أَحَبَّ أَنْ يَرَاهُ قَبْلَ أَنْ يَسْكُنَهُ ، فَجَلَسَ فِي قَبْتِهِ وَحَمَلْتَهُ
الشَّيَاطِينَ عَلَى أَعْنَاقِهَا إِلَيْهِ . فَلَمَّا رَأَى حِكْمَةَ بِنْيَانِهِ وَزُخْرَفَةَ حَيْطَانِهِ وَمَا فِيهِ مِنْ
النَّقُوشِ وَصُورِ الْأَفْلَاقِ وَالْكَوَاكِبِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ صُنُوفِ الْعَجَائِبِ — وَكَانَ
يُسْرَجُ بِغَيْرِ مَصَابِيحٍ ، وَتُنْصَبُ فِيهِ مَوَائِدُ يُوجَدُ عَلَيْهَا مِنْ كُلِّ الْأَطْعَمَةِ وَلَا يُدْرَى
مَنْ يَعْمَلُهَا ، وَكَذَلِكَ الْأَشْرَبَةُ فِي أَوَانٍ ، يُسْتَعْمَلُ مِنْهَا وَلَا تَنْقُصُ . وَفِي وَسْطِهِ [بَرَكَةٌ]^(٢)

(١) ضبط هكذا بالقلم في نسخة ب . (٢) زيادة عن المقرئ (ج ٣ ص ١٢ طبعه فينت) .

من ماء جامد الظاهر تُرى حركته من وراء ما جمد منه، وأشياء كثيرة من هذا النوع وإن كانت تنبو عن العقول - أعجبه مارأى، ورجع الى مصر فأستخاف أبته عِرْناق وأوصاه بما يريد وقده الملك، ورجع الى ذلك القصر فأقام به حتى هلك هناك .
 واليه تُعزى مصاحف القبط التي فيها تواريتهم وجميع ما يجري الى آخر الزمان .
 قالوا : ولم تطل مدة ملكه .

١٠٧
١٢

ثم ملك بعده ابنه عِرْناق بن عِنْقَام^(١) . ملك بعد أبيه وعمل عجائب كثيرة، منها شجرة صُفْر فيها أعصان حديد بخطاطيف حادة اذا تقرب منها الظالم والكاذب تقربت اليه تلك الخطاطيف فتعلقت به وشكت بدنه ولم تفارقه حتى يُحدث عن نفسه بالصدق ويعترف بظلمه ويخرج عن ظلامه خَصْمه . وعمل صنما من صَوَان أسود وسماه عبد قزويس، أى عبد زُحَل، فكانوا يحتكون اليه، فمن زاغ عن الحق ثبت في مكانه فلم يقدر على الخروج منه حتى يُنصف من نفسه ولو أقام سنة أو أكثر .
 ومن كانت له حاجة منهم أو طلب شيئا ببحر الصنم ليلا ونظر الى الكواكب وذكر اسم عِرْناق وتضرع فيصبح وقد وجد حاجته على باب منزله . قال : وكان عِرْناق ربما حملته أطيار عظام وتمتر به وهم يرونه . وكان ربما غضب على ناس بفعل ما هم مُرّا لا يُدّاق ، وسلط عليهم وحوش الأرض وسباعها وهوامها . قال :
 وتجزأ على صيد السباع والوحوش ، وعمل عجائب ، منها أنه عمل شجرة من حديد ذات أعصان لطحها بدواء مدبر، فكانت تجتلب كل صنم من الوحش . قال :
 وفي كتب المصريين أن هاروت وماروت كانا في وقته وعلما أهل مصر أصنافا من

(١) ضبطت هكذا بالقلم في نسخة ب .

(٢) في نسخة أ : « عبد فرديس »

السحر، وقبلا بعد الطوفان الى بابل. وكان عرناق يجتلب النساء بسحره ويفتصبهن، وكان يسكن الجنة التي عملها نقارس، فأحتالت عليه امرأة من المفصوبات فستمته فهلك وبقى مدة لا يعرف خبره. وكان من رسمه - إذا خلا بنسائه - لا يقربه أحد، فلما تأخر خبره عن الناس هجم عليه فتى من بنى تقراوس يقال له لوخيم ومعه نفر من أهله، فوجدوه ماتي في فراشه جيفة. فأمر أن توقد له نار فأحرقه فيها. وجمع النسوة اللواتي كنن في الجنة، فمن كانت من نسائه تركها، ومن كانت من المفصوبات سرحها الى أهلها، ففرح الناس بذلك وبما نزل به.

وملك بعده لوخيم وجلس على سرير الملك ولبس تاج أبيه، وأمر بجمع الناس وقام فيهم وتكلم وذكرا ما كان عليه عرناق الأثيم من سوء السيرة وأعتصاب النساء وسفك الدماء ورفض الهياكل والاستخفاف بالكهنة الى أن هلك، وأنه أحق بتراث أبيه وجده. وضمن للناس العدل والإحسان والقيام بأمرهم ودفع كل أذى عنهم. فرضى الناس به وأطاعوه وقالوا: أنت أحق بالملك، ولا زلت دائم السعادة طويل العمر قائما بتجويد الهياكل وتعظيمها. فركب الى هيكل الشمس فقرب له بقرا كثيرا، وسار في الناس بالعدل. قال: وكانت القرانيق قد كثرت في زمن عرناق فأهلكت زروع الناس. فعمل لوخيم أربع منارات من نحاس في أربعة جوانب أسوس، وجعل على كل منارة صورة غراب في فمه حية قد ألتوت عليه فلم يقربهم شيء من تلك الطيور، فكانت كذلك حتى أزالها الطوفان.

(١) في المقرئ (ج ٣ ص ١٤ طبة فيت): «لوخيم» بالميم المعجمة.

(٢) في ١: «أخيه».

(٣) القرانيق: الذكور من الطير واحداها غرنوق وغرنيق، وهو طائر مائي طويل القوائم والعنق

أسود وقيل أبيض (راجع شرح القاموس مادة غرق).

قال: ومن ملوكهم خصليم وهو أول من عمل مقياسا لزيادة الماء؛ وذلك أنه جمع أصحاب العلوم والهندسة فعملوا بيتا من رُخام على حافة النيل، وجعل في وسطه بركة من نحاس صغيرة فيها ماء موزون، وعلى حائتي البركة تماثل عقابين من نحاس ذكر وأنثى. فإذا كان في أول الشهر الذي يزيد فيه الماء فتح باب البيت وحضر الكهّان وأمناء الملك وتكلموا بكلام لهم حتى يصفر أحد العقابين، فإن صفر الذكر كان الماء زائدا، وإن صفرت الأنثى كان الماء ناقصا، ثم يعتبرون الماء فكل إصبع يكون في تلك البركة فهو ذراع من زيادة النيل، وكل إصبع ينقص فهو نقصان ذراع. فإذا علموا ذلك حفروا الترع وأصاحوا الجسور. وعمل على النيل الفنطرة التي هي ببلاد النوبة. وكان له ابن سماه هرصال،^(٢) أي خادم الزهرة، لرؤيا كانت رأتها أخت الملك أن الزهرة تخاطبها، وكفلت الغلام عمته، وأسماها خردافة، وأدبته أحسن التأديب، وزوجته عشرين امرأة من بنات الملوك والعظماء، وبنت له مدينة فيها عجائب كثيرة، احتفلت بها وزينتها بأحسن النقوش والزينة والعمارة، وعمات فيها حماما معلقا على أساطين يرتفع الماء إليها حازا من غير وقيد. ولما هلك خصليم دُفن في ناووس.

ثم ملك بعده ابنه هرصال بن خصليم فتحول إلى المشرق وسكنه، وبني مدينة هي إحدى المدائن ذوات العجائب، وعمل في وسطها صنما للشمس يدور بدورانها ويبيت مغربا ويصبح مشرقا. ويقال: إنه عمل من تحت النيل سربا، وهو أول

(١) كذا في الأصول. وفي المقرئ (ج ٣ ص ١٤ طبة فييت): « النيل »

(٢) ضبطت هكذا بالقلم في نسخة ب.

(٣) ضبطت هكذا (بكر الخاء المعجمة) بالقلم في نسخة ب.

(٤) في نسخة (ب): « وزوجته امرأة ... »

(٥) الوقيد: ما توقد به النار من الخشب ونحوه.

من عمل ذلك . وخرج متتراً يشقّ الأمم إلى أن بلغ بابل ، ورأى ما عمل الملوك من العجائب . وعلم حال ملكها في الوقت وسيرته ومجاري أموره . ويقال : إن نوحاً عليه السلام وُلد في وقته . قال : وُوُلِدَ لِهَرِصَالِ عَشْرُونَ وَلِداً ، جعل مع كل ولد منهم قاطراً ^(١) وهو رأس الكهنة . وترجم القبط أنه بعد مائة وسبع وعشرين سنة من ملكه لزم الهياكل وتعبد للكواكب فأخفته عن أعين الناس . وأقام بنوه على حالهم كل واحد منهم في قسمة الذي أعطاه إياه يدبره ولا يشركه فيه غيره . وأمور الناس جارية على سداد ، فأقاموا كذلك سبع سنين . ثم وقع بين الإخوة تشاجر ، وأجتمع رأى الكهنة على أن يجعلوا أحدهم ملكاً ، ويقم كل واحد منهم في قسمة . فأجتمعوا في ذلك اليوم في دار المملكة ، وقام رأس الكهنة فتكلم وذكر هَرِصَالَ وسعادة أيامه وما شملهم فيها من الخير ، وأخبر بما رأته الجماعة من تقليد أحدهم الملك . فإن كان هَرِصَالَ لم يمت ورجع إليهم لم ينكر ما فعلوه لأنهم أرادوا بذلك حفظ ملكه ، وإن لم يرجع كان الأمر قد جرى على ما سلف من قيام ملك بعدهم فاجتمع رأيهم على أكبر ولده وهو :

^(٢) نَدَسَانُ بن هَرِصَالِ . فلما وسار مسيرة أبيه وحدهم الناس أمره . وعمل قصراً من خشب وقشه بأحسن النقوش ، وصوّر فيه صور الكواكب ونجمه بالفرش وحمله على الماء وكان يتتره فيه . فبينما هو فيه إذ زاد النيل زيادة عظيمة وهبت ريح عاصف فأنكسر القصر وغيرق الملك . وكان قد قى إخوته إلى المدائن

(١) في المقرئى : « ناظراً » .

(٢) في المقرئى (ج ٣ ص ١٥ طبة فينت) وحسن المحاضرة للسيوطى (ج ١ ص ١٩) « قدرسان »

٢٠ . وهبارة المقرئى : « ... وكان اسمه قدرشان وقيل قدرسان » . وفي صبح الأعشى (ج ٣ ص ٤١١) :

« بدرسان » .

الداخلة في الغرب . وأقتصر على امرأة من بنات عمه ، وكانت ساحرة ، ففتزد بها وأستخلف بعض وزرائه على الملك وأقبل على لذته ولهو . فلما هلك كتتمت أمراته الساحرة موته ، وكان أمرها ونهيا يخرجان إلى الوزير عن الملك . وأقام الناس تحت طاعته سبع سنين لا يعلمون بأمره . فلما رأى إخوته طول غيبته جمعوا جموعا كثيرة وقدموا على أنفسهم أحدهم وهو شمرد الجبار وساروا إلى أمسوس . وبلغ ذلك امرأة نَدسان الساحرة فأمرت الوزير بالخروج إليهم ومُحاربتهم ، ففعل ذلك ولقيهم فزقوه وقتلوا كثيرا ممن كان معه ، ودخلوا مدينة أمسوس ، وأتوا دارالملكمة فلم يروا نَدسان وأهنا بهلاكة .

وملك شمرد بن هرصال فسُر الناس به ، ووعدهم بحسن السيرة فيهم وتغيير ما كانوا ينكروونه على أخيه . وأستولى على كنوزه ونزائنه ففترقا على إخوته ، وأقطعهم جميع ما كان في يد نَدسان . وطلب أمراته الساحرة وأبنا ليقتلها ، فأنتقلت إلى مدينة أهلها من الصعيد ، وكانوا كلهم كُهانًا سحرة ، فأمتعت بهم ، وأرسلت إلى الناس وعرفتهم أن أبنا الملك في وقته ؛ لأن أباه قلدَه الملك وأمرها أن تدبر أمره حتى يكبر ، فصَدقوها وأجابوها وقالوا : إن الغلام مغبوب على ملك أبيه ، وإن شمرد متغلب . فأجتمع في ناحيتها جماعة من أهل البلد وزحف ابن الساحرة وقد عمل له السحرة أصنافا من التخاييل المسائلة والنيران المحرقة ، فقامت الحرب بينهم أياما ؛ فأنهزم شمرد وإخوته وتعلقوا ببعض الجبال .

وملك توميدون بن نَدسان وهو ابن الساحرة . ودخل دار الملك وجلس على السرير ولبس التاج الذي كان لأبيه وأطاف به بطانة أبيه ، وهو يومئذ حدث السن ،

١٠٩
١٢

(١) في المقرئ (ج ٣ ص ١٦ طبعة فييت) «نمرد» وقال : ويقال له «شمرد» .
(٢) في المقرئ : «بوسيدون» وراجع تطيقاته عليه (ج ٣ ص ١٦ طبعة فييت) . وفي صحيح الأضنى (ج ٣ ص ٤١١) : «فرسيدون» .

وكانت أمه تدبر أمره، فقتل كل من كان مع شمروذ . وطلب شمروذ حتى ظفّر به ،
 واجتمع الناس لينظروا ما يصنع به ، فشُدَّ رأسه برأس أسطوانة قائمة ، ورجلاه برأس
 أسطوانة أخرى . وكان طوله فيما يذكر القبط عشرين ذراعاً ، ووكلت الساحرة به حرساً
 لتقتله يوم عيدها ، وكان قريباً ، فصاح بالليل صبيحة مات منها بعض الحرمس وهرب
 الياقون . فلما اتصل بها ذلك أوقدت ناراً وأمرت بإزاله وجعلت تقطع منه عضواً
 عضواً وترميه في النار ، قال : وخرج ابنها كاهناً متعباً ، وعملت له الشياطين قبسة^(١)
 الزجاج الكبيرة الدائرة على دوزان الفلك ، وصوّروا عليها صور الكواكب ، وكانوا^(١)
 يعرفون الطالع منها وما يحدث بطلوعه بعد ستين سنة . ثم ماتت أمه الساحرة
 وأوصت أن يجعل جسدها تحت صنم القمر فإنه يجبرهم بالعجائب وما يسألون عنه
 ففعلوا ذلك . وذل الناس لابنها وهابوه ، وكان يتصور لهم في صور كثيرة ، وملكهم
 مائة سنة وستين سنة . ولما حضره الموت أمرهم أن يعملوا له صنماً من زجاج
 على شقين ويُطبق على جسده بعد أن يُطلى بالأدوية المُسككة ويُحَمَّ ويقام في هيكل
 الأصنام ، ويُجعل له عيد في السنة ويقرب له قرباناً ، وتُدْفَنُ علومه وكنوزه تحته ،
 ففعلوا ذلك كله .

ولما مات ملك بعده ابنه شرناق^(٢) بن توميدون ، فعمل بسيرة أبيه وجدته ،
 واجتمع الناس عليه . وزحف رجل من بني صراييس بن إرم من ناحية العراق ، فغلب^(٣)

(١) عبارة القرظي (ج ٣ ص ١٦ طبعه فيت) : «... عوام بوسيدون بن قدرشان بالملك في مدينة
 أسوس ، وكان عالماً فاضلاً ، قوی بسحره وعملت له أعمالاً عجيبه ، منها قبة من زجاج على هيئة
 الكرة تدور بدوران الفلك ، وصورت فيها صور الكواكب ، فكانوا يعرفون بها أسرار الطابع وعلوم العالم .
 فلما ماتت أمه الساحرة بعد ستين سنة من ملكه طلى جسدها بما يدفع عنه التن والحشرات ، ودفن تحت صنم القمر .
 ويقال إنها كانت بعد موتها يسمع من عندها صوت بعض الأرواح فتخبرهم بسجائب وتجيّب عما سألهم » .

(٢) في القرظي : « شرناق ويقال فيه شرناق » . وقد أوردت هذا الاسم عدة مصادر بصور مختلفة .

(٣) في القرظي : « من بني فراشي بن آدم ، ويقال من بني صواشي بن آدم » وقد أوردت هذين
 الاسمين عدة مصادر بصور مختلفة .

على الشام، وأراد أن يزحف إلى مصر، فعرف أنه لا يصل إليها لسحر أهلها، فأراد أن يدخلها متنكراً ليقف على أحوالها، فخرج في نفر حتى بلغ الحصن الذي كانوا به من مصر. فسألم الحرم الموكلون به عن أمرهم، فعرفوهم أنهم قصدوا بلدهم ليسكنوه، فخبسوهم وطلعوها الملك بجزهم. وكان الملك قد رأى في منامه كأنه قائم على منار لهم عال، وكان طائراً عظيماً انقضَّ عليه ليختطفه، فحاد عنه حتى كاد يسقط عن المنارة بجاوزه ولم يضره، فأنبته مرعوباً، وبعث إلى رأس الكهنة فقصَّ عليه رؤياه، فعرفه أن ملكاً يطلب ملكه فلا يصل إليه. فنظر في علمه فرأى أنه قد دخل بلده. فلما وردت الرسل بذكر القوم علم أن الملك فيهم؛ فوجه جماعة من أصحابه فاستوتقوا منهم وحملوهم إليه، وقد كان أمرهم أن يطوفوا بهم في أعمال مصر كلها ليروا ما فيها من العظائم والأصنام المتحركات والعجائب المعجزات، فبلغوا بهم إلى الإسكندرية، ثم ساروا بهم إلى أمسوس وطيف بهم على عجائبها. ثم سار بهم إلى الجنة التي عملها مِصرام، وكان الملك مُقيماً بها وأمر السحرة بإظهار التهاويل والتخايل، فجعلوا يتعجبون مما رأوا إلى أن وصلوا إلى شرناق الملك والكهنة حوله وقد أظهروا صنوف العجائب، وجعلوا بين يدي الملك نارا عظيمة لا يصل إليه إلا من خاضها ولا تضر إلا من أضمر للملك غائلة، وأمر بدخولها، فشقوقها واحداً واحداً لم ينلهم منها أدنى، وكان الملك آخرهم، فلما دنا من النار أخذته فوئى هاربا. فأتى به شرناق فسأله عن أمره فأقر، فأمر بقتله على أسطوانة عند باب الحصن من ناحية الشام، فقتل وزُر عليه: هذا فلان المتقلب على الشام أضمر غائلة الملك، طلب ما لا يصل إليه فعوقب بهذا. وأمر بإخراج الباقين من بلاده فأخرجوا. وقيل لهم: قد وجب عليكم القتل لصحبكم من أراد الفساد في الأرض، ولكن الملك عفا عنكم. فكانوا لا يمزون على أحد إلا حدثوه بما رأوا من العجائب، فأقطعت أطماع الملوك عن

الوصول الى مصر والتعرض إليها . ومُحِلَّت في أيامه عجائب كثيرة ، منها أنه عمل على باب كل مدينة بطة نحاس قائمة على أسطوانة ، فإذا دخل الغريب من الباب صفقت يحناحيا وصرخت ، فيؤخذ ويكشف عن أمره . وشق الى مدائن الغرب نهرا من النيل ، وبني على عبّره منازل وأعلاما وغرس بينها غروسا ، وكان اذا خرج إليها سار في عمارة متصلة . وملكهم مائة سنة وثلاثين سنة ثم مات .

- وملك بعده ابنه سهلوق بن شرناق ، وكان كاهنا منجيا ، فأفاض العدل وقسم ماء النيل قسما موزونا ، صرف الى كل ناحية قسما ، ورتب المراتب وجعلها على سبعة أقسام : فالطبقة الأولى الملك وولده وأهل بيته ومن يلي عهده ورأس الكهّان والوزير الأكبر وقائد الجيش الأكبر وصاحب خاتم الملك وصاحب خزائنه . والطبقة الثانية مراتب العمال والمتولين جباية الأموال والإشراف على النفقات في أمر المملكة ومصالح البلد والعمارات وقسمة المياه . والطبقة الثالثة الكهّان وأصحاب الهياكل وخدمتها ومتولو القرابين والمشرفون على جميع ما يتقرب به من بواكير الفواكه والرياحين وفيّ البقر والفرايح الذكور ورموس خوابي الشراب . والطبقة الرابعة المتجمون والأطباء والفلاسفة . والطبقة الخامسة أصحاب عمارة الأرض ومتولّو أمر الزراعة . والطبقة السادسة أصحاب الصناعات والمهّن في كلّ فن ، والمشرفون على أعمالهم ونقل ما يستحسنون منها الى خزائنه الملك . والطبقة السابعة أصحاب الصيد من الوحش والسباع والطيور والهوام والخشاش ، والمشرفون على أخذ دماها ومرآتها وشحومها وحملها الى الأطباء لإصلاح العقاقير وتأليف الأدوية . وتقدّم الا يدخل أهل مهنة ولا صناعة في غيرهم ، ومن قصر في عمله عوقب ، ومن أحسن في عمله جوزى بقدره . وكانت رتبة الألمان والملاهي في قسمة الملك . وتقدّم في أستنباط المعادن وبناء المدائن ونصب الأعلام والمنارات وإبداع الصناعات وجرّ المياه وتوليد غرائب

الأشجار . وأقام على أعالي الجبال سحرة يقسمون الرياح ويمنعون من يقصدهم ويقصد بلادهم بأذى ، وكذلك كل مفسد من طائر وسبع ووحش وهوام ، وأجرى أمر البلاد والناس على سداد ، وجعل في كل صنف من الناس صنفا من الكهنة يعلمونهم الدين ، ودينهم يومئذ الصابئة الأولى . ويرفع كل صنف منهم ما يحرى من أمر ما يتولونه الى الملك في كل يوم . وعمل البيت ذا القباب النورية الثلاث ، وأوقد فيه النار الدائمة تعظيما للنور . والقبط تزعم أنه أول من وضع بيتا لتعظيم النار . وقيل : إن جم الفارسي إنما بنى بيت النار - وهو أول من عمل ذلك للفرس - اقتداءً بسهلوق مصر . وكان السبب في عمل سهلوق بيت النار أنه رأى أباه في نومه يقول له : انطلق الى جبل كذا من جبال مصر فإن فيه كوة من صفتها كذا وكذا ، وإنك واجد على باب الكوة أفعى لها رأسان ، وإنما اذا رأتك كشت في وجهك ، فليكن معك طيران صغيران ، فإذا رأيت الأفعى فأذبحهما لها وألقهما إليها ، فإنه يأخذ كل رأس من رأسها أحد الطيرين وتنحى الى سرب قريب من الكوة فتدخله ، فإذا غابت عنك فأدخل الكوة فإنك تنهى الى آخرها الى صورة امرأة جميلة الخلق ، وهى من نور حار يابس ، وسوف يقع عليك وهجها ويحس بجمرة شديدة ، فلا تقرب منها فتحترق ، وقف وسلم عليها فإنها تخاطبك فأسكن الى خطاياها ، وأنظر ما تقوله لك فأعمل به ، فإنك تشرف بذلك . وهى حافظة كنوز جدك مصرام التي رفعها الى مدائن المعجائب المعلقة وهى تدلك عليها . وتنال مع ذلك شرفا في بلدك وطاعة في قومك ، ثم مضى وتركه . فلما آتته سهلوق جعل يفكر فيما رأى ويتعجب منه ، ورأى أن ينفذ ما أخبره به أبوه ، فضى الى الجبل وحمل الطيرين معه وفعل جميع ما أمره أبوه الى أن وقف حذاء المرأة وسلم عليها ، فقالت له : أتعرفنى ؟ قال : لا ، لآتى ما رأيتك قبل وقتى هذا .

(١) كذا في الأصلين ، ولعله : « في آخرها » .

قالت : أنا صورة النار المعبودة في الأمم الخالية، وقد أردتُ أن تُحيي ذكري وتُتخذَ لي بيتا وتُوقد فيه نارا دائمة بقدر واحد، وتُتخذ لها عيدا في كل سنة تحضره أنت وقومك فإنك تتخذ بذلك عندي يداً وتنال به شرفا وملكا الى مُدّك ، وأمنع عنك وعن بلدك من يطلبك ويعمل الحيلة عليك ، وأدلك على كنوز جدك مصرام . فلما سمع ذلك منها ضمن لها أن يفعل، ودلته على الكنوز التي كانت لجدّه تحت المدائن المعلقة، وكيف يصير إليها ويمتنع من الأرواح الموكلة بها وما يتجرها به . فلما فرغ من ذلك قال لها : كيف لي بأن أراك في الأوقات وأسألك عما أريده ، أأصير اليك في هذا المكان أو غيره؟ قالت : أما هذا المكان فلا تقدر بعد وقتك هذا عليه ؛ لأنّ الأفعى التي رأيتها فيه قيمته لأن فيه آية تمنع أن يوقف عليها في وقتنا هذا، ولكن إن أحببت أن ترائي فدخني في البيت الذي تعمله لي بكذا وكذا : أشياء ذكرتها له ، منها : عظام ما يقربه له من القرابين والذبايح والصموغ، فإني أتحميل لك وأخبرك بكل حق وباطل مما يكون في بلدك . فلما سمع ذلك منها سرّ به وغابت عنه، وظهرت الأفعى وخرج هاربا وجعل على الكوة سدا، وعمل ما أمرته به وأخرج كنوز جدّه .

وعمل من العجائب بأمسوس وغيرها ما يطول شرحه . وعمل القبة المربعة على سبعة أركان، ولها سبعة أبواب، على كل باب صورةٌ معمولة، وكان يقال لها قبة القصر .
 وكان السبب في بنائها أن بعض الكهّان جار في قضية قضى بها؛ وذلك أن بعض العامة أتاه يشكو أمراته - وكان يحبها والمرأة تُبغضه - وسأله أن يقوم مهاله، وكانت المرأة من أهل بيت الكاهن، فالأها على زوجها، وأمره بتخليتها فلم يفعل، فحبسه وشدّد عليه، وكان من أهل الصناعات، فاجتمع جماعة من أهل صنّعتهم من كان قد عرف حال المرأة معه وأنها له ظالمةٌ وهو لها منصفٌ، فوقفوا على ظلم الكاهن فأستعدوا عليه عند خليفة الملك . فأحضر الكاهن وسأله، فذكر أنه لم يحكم إلا بواجب . فأحضر

رؤساء الكهنة والقوم الذين شهدوا للرجل ، فوقف على ظلم الكاهن فأخرج الرجل
وحبس الكاهن مكانه ، وأمر بعقوبة المرأة ورددّها إلى زوجها ورفع ذلك إلى الملك ،
فأمر بإخراج الكاهن من رسم الكهانة ، وأن يُعاقب ويحبس إلى أن يرى فيه رأيه .
وأهتم الملك لذلك وخشى أن يجرى من غير ذلك الكاهن في أمر الرعية مثل ما جرى
منه ، فبات مهموما . ثم فكّر في أمر النار ، فأتى إلى بيت النار ودخن بالدخنة التي
أمرته بها ، فأنته وخاطبته . فسألها أن تعمل له عملا يقف به على حقيقة أمر المظلوم من
الظالم ، فأمرته أن يعمل بيتا مرتجا على سبعة أركان ويجعل له سبعة أبواب في كل
ركن باب ، ويعمل في وسطه قبة من صُفر ، ويصوّر عليها صور الكواكب السبعة ،
ويعمل تحت القبة مطهرة من جوهر ملون ، ويجعل فيها سبعة أدهان من أشجار
مختلفة ؛ وتكون القبة معلقة على سبعة أساطين ، ويعمل على الباب الأول تمثال أسد
رابض ، وحذاءه من الجانب الآخر لبؤة رابضة من صُفر ويقرب لها جرو أسد
ويخترهما بشعره . وعلى الباب الثاني صورة ثور وبقرة ويذبح لها عجلا ويخترهما
بشعره . وعلى الباب الثالث صورة خنزير وحذاءه خنزيرة ويذبح لها خنوصا^(١) ويخترهما
بشعره . وعلى الباب الرابع صورة فرس وحجر ويذبح لها مهرا ويخترهما بشعره .
وعلى الباب الخامس صورة ثعلب وحذاءه أثناء ويذبح لها جرو ثعلب ويخترهما
بوبره . وعلى الباب السادس صورة حمار وحذاءه أتان ويذبح لها عيرا ويخترهما
بشعره . وعلى الباب السابع صورة ديك وحذاءه دجاجة ويذبح لها فروجا ويخترهما
بريشه . ويلطخ وجوهها جميعا بدم ما يذبح . ثم يحرق بقية الثربان ويجعل تحت عتب
أبوابها وتغلق الأبواب ، ويقام للبيت سدة يُوقدونه ليله ونهاره . فإذا فرغ ذلك

(١) الخنوص : ولد الخنزير . (٢) الحجر (بالكسر) : الأنثى من الخيل .

(٣) كذا في الأصلين ، ولعله : « فإذا فرغت من ذلك فتكلم ... الخ » .

- يتكلم على باب الكواكب السبعة ، فإني سوف ألقى روحانية الكواكب على تلك الصور فتنتطق . وإذا فرغت من ذلك فأجعل لكل مرتبة من المراتب التي قسمتها بابا من تلك الأبواب ، وليكن باب الأسد لأهل بيت المملكة ، وسائر الأبواب لسائر المراتب . فإذا تقدم الحصان إلى شيء من تلك الصور اتصلقت بالظالم وشدت عليه شدة عينا يؤلمه حتى يخرج لخصمه من حقه ، الذكركر ، والأثنى للأثنى ، فيعرف بذلك المظلوم من الظالم ، ومن كان له قبل أحد حق ودعاء إلى تلك الصور فلم ينجح معه فاتاه المظلوم ، وقد عرف الصورة ذلك ، أقعد الظالم من رجله ونحرس لسانه ولم يتحرك . فاستراح الملك إلى تلك الصورة . ولم تزل على ذلك حتى أزالها الطوفان مع ما أزال من أعمالهم وطلسماتهم وعجائبهم . وعملت في أيام سهلوق أعمال كثيرة ، وكتبت سيرته وما عمل من العجائب في مصحف . وعمل عقاير كثيرة وتمائيل ومحزكات وصنعة ، وأمر أن يُجمل ذلك كله إلى ناووس عمله لنفسه في الجبل الغربي ونقل إليه حكمه . وهلك بعد أن ملك تسعا وستين سنة وحمل إلى ناووسه ، وأقام أهل المملكة ووجوه المدينة ونساؤهم عند ناووسه شهرا يسكون عليه ويتوجهون عنده . وأغتموا عليه غمما لم يغموه على ملك قبله ، وأقاموا لناووسه سدة يخدمونه .
- ١٠ . وملك بعده ابنه سوريد بن سهلوق ، وكان أبوه قد قلده الملك قبل مهلكه ، فملك وأقضى سيرة أبيه في العارة ومصالح البلد والإنصاف بين الناس والأخذ لهم من نفسه وأهل بيته ، وعمل الهياكل وبني المنارات ، ونصب الأعلام والطلسمات فأحببه الناس . وبني بالصعيد ثلاث مدائن وعمل فيها عجائب كثيرة . وهو أول من جبي الخراج بمصر ، وألزم أهل الصناعات على أقدارهم ، وأول من أمر بالإفناق على الزماني والمرضى من خزائنه . وعمل مرآة من أخلاط كان ينظر منها جميع الأقاليم ما أخصب منها ، وما أجذب وما حدث فيها ، وكانت المرآة على منارة من النحاس وسط مدينة أمسوس ،

وكان يعلم من المرأة من يقصد مدينته من جميع النواحي فيتأهب له . وهو أول من عمل صحيفة في كل يوم يكتب فيها جميع ما يكون في يومه وما ي عمله ويرقع اليه ، ثم يُخلد في نحرانته يوما بيوم . وإذا مضى الشهر نُقلت إلى مصحف الملك وختمه بخاتمها ، وما صلح أن يُزبر على الحجارة زبره : وكذلك ما عمل من الصنائع وما أحدث منها . وكان يُعطى الرغائب على الصناعات العجيبة والحكم الغريبة . وعمل في المدائن صورة امرأة جالسة في حجرها صورة صبي كأنها تُرضعه ، فن أصابها علةً بجسمها مسحت ذلك الموضع من جسد تلك الصورة فيزول عنها ما تجسد ، وكذلك إن قل لبنها مسحت ثديها ، وإن أحببت أن يعطف عليها زوجها مسحت وجهها بدهن طيب وقالت افعلى كذا وكذا ، وإن قلت حيضتها مسحت فوق ركبها ، وإن كثرت دمها ونزفت مسحت تحت ركبها ، وإن أصاب ولدها شيء فعلت مثل ذلك بالصبي فيسبراً ، وإن عزت ولادتها ومسحت رأس الصبي سهلت ويسهل افتضاها ، وإذا نجرتة ومسحته بدهن طيب منع جميع التوابع . وإذا وضعت الزانية يدها عليها ارتعدت حتى تكف عن زناها . وما كان من أعمال الليل تجرت ليلا ، وما كان من أعمال النهار تجرت نهارا . وكانت تعمل أعمالا كثيرة إلى أن أزالها الطوفان . قال : وفي بعض كتب القبط أنها وجدت بعد الطوفان وأنهم استعملوها وعبدوها . وصورتها مصورة في جميع البرابي ، وأسماها نبيلوية ، والذي دلم عليها قرابة فليمون الكاهن . قال : وعمل سور يد عجائب كثيرة ، منها الصنم الذي يقال له نكرس^(٢) المعمول من عدة أخلاط كان يعمل أعمالا كثيرة في الطب ودفع الأسقام

(١) عبارة المقرئى (ج ٣ ص ٢١ طبعة فييت) : «وإن عسرت ولادة امرأة مسحت رأس

الصبي الذى فى حجر الصورة فضع حملها» .

(٢) فى المقرئى (طبعة فييت) : «فيلون» وفى معجم البلدان وبعض نسخ المقرئى : «فليمون»

بالقاف . (٣) فى ب «نكرس» بالثاء .

والعلل ، ويعرفون به من تُبرئته الأديوية فيعيش ، وإن كان يموت فله علامات فيُقصر عن علاجه ، وكانوا يغسلون المواضع التي بإزاء أعضاء العلل منه ويُسقى لصاحب الداء فيزول عنه . وهو أول من عمل الأفروثات^(١) وزبر فيها جميع العلوم . وهو الذي بنى الهرمين الكبيرين .

ذكر خبر بناء الأهرام وسبب بنائها وشيء من عجائبها

- قال : كان بناء الأهرام قبل الطوفان نحو ثلاثمائة سنة . وقد ذكرنا فيما سلف من كتابنا هذا نبذة من خبر الأهرام في الباب الثالث من القسم الخامس من الفن الأول ؛ وذلك في السفر الأول من هذه النسخة . ونحن الآن نذكر من خبرها خلاف ما قدمناه مما أورده إبراهيم بن القاسم الكاتب مما اختصره من كتاب العجائب الكبير لإبراهيم بن وصيف شاه . قال : كان سبب بنائها أن الملك سُوريد رأى رؤيا أفزعته ؛ رأى كأن الأرض أُنقلبت بأهلها ، وكان الناس يَحْزُونَ على رعوسهم ، وكان الكواكب تتساقط ويصدم بعضها بعضا بأصوات هائلة مفرعة ، فغمه ذلك ولم يذكره لأحد ، وعلم أنه سيحدث في العالم أمر عظيم . ثم رأى بعد ذلك [بايام]^(٢) كأن الكواكب الثابتة [نزلت إلى الأرض]^(٣) في صور طيور تنصب^(٤) ، وكأنها تتخطف الناس وتلقيهم بين جبلين عظيمين ، وكان الجبلين انطبعا عليهم ، وكان الكواكب النيرة مظلمة كاسفة ؛ فأنتبه أيضا مذعورا فزعا ، فدخل إلى هيكل الشمس وجعل يمرغ خديه ويسكى . ولما أصبح أمر

١١٣
١٢

(١) الأفروثات : لفظ يوناني معناه القبور . وفي معجم البلدان لياقوت (ج ٤ ص ٩٦٣ طبع

أوربا) : « الأفروثات » .

(٢) راجع (ج ١ ص ٣٨٨ من هذه الطبعة) .

(٣) التكلة من خطط القرظي (ج ٢ ص ١١٣ طبعة فيت) .

(٤) في خطط القرظي « ... طيور بيض » .

بجمع رؤساء الكهنة من جميع أعمال مصر فأجتمعوا، وكانوا مائة وثلاثين، فغلابهم وقص عليهم رؤياه، فأعظموه وأكبروه وأولوه على أمر عظيم يحدث في العالم. فقال لهم فليمون - وكان من كبارهم وكان لا يبرح من حضرة الملك لأنه رأس كهنة أمسوس - : إن في رؤيا الملك لعجبا وأمرأ كبيرا، والملوك رؤياهم لا تجرى على فساد ولا كذب لعظم أخطارهم، وكبر أقدارهم. وأنا أخبر الملك عن رؤيا رأيتها منذ سنة لم أذكرها لأحد من الناس. فقال له الملك : قُصها علينا. قال : رأيت كأني مع الملك على رأس المنار الذي في أمسوس، وكأني الفلك قد انحط من موضعه حتى قارب سُمّت رءوسنا، وكان علينا كالثقبة المحيطة بنا^(١)، وكأني [الملك قد رفع يديه نحو السماء وكواكبها] قد خالطتنا في صور مختلف، وكان الناس يستغيثون بالملك وقد انضموا إلى قصره، وكأني الملك رافع يديه ليدفع الفلك أن يبلغ رأسه، وأمرني أن أفعل فعله ونحن على وجل شديد، إذ رأينا منه نورا مضيئا طلعت علينا منه الشمس، فكأننا استغثنا بها، فخالطتنا بأن الفلك سيعود إلى موضعه إذا مضت ثلاثمائة دورة، وكأني الفلك لصق بالأرض ثم عاد إلى موضعه، ثم أنتهت فرعا. فعند ذلك قال لهم الملك : خذوا ارتفاع الكواكب فانظروا هل من حادثة تحدث. فنظروا فأخبروه بأمر الطوفان وبعده بذكر النار [التي تخرج من برج الأسد تحرق العالم]^(٢)، فذكروا له أن ذلك يكون في وقت عينوه له من مقارنات النجوم ونزولها في الأبراج على ما حرروه من الدقائق، وشرحه إبراهيم في كتابه مما لا فائدة لنا في ذكره. قال : فلما تبين ذلك له أمر بقطع الأساطين العظام ونشر البلاط

(١) كذا في المقرئ (ج ٢ ص ١١٤ طبعة فيت) وفي الأصلين : « كالثقب » .

(٢) الكلمة من خطط المقرئ . وفي الأصول : « وكان كواكب » .

(٣) الزيادة من خطط المقرئ .

- الكبير المصقح، وأستخراج الرصاص من أرض المغرب، وإحضار الصخور السود التي جعلها أساسا من ناحية أسوان، وكانت تُحْمَلُ على أطواف^(١). وقيل: كانت لهم فراقل من خوص لها عَدَبٌ وعليها كتابة منقوشة، فكانوا إذا ضربوا بها الحجارة عَدَّتْ على وجه الأرض وحدها مقدار رمية سهم حتى وضعت الأساسات.
- وأمر أن يُزَبَّرَ على البلاط المنشور المهندم جميع علومهم. ثم بنى الأهرام الثلاثة الأُول: الشرقى، والغربى، والملتون؛ فكانوا يجعلون في وسط البلاطة قلب حديد قائما ويركبون عليه بلاطة أخرى مثقوبة الوسط، ثم يدخل ذلك القلب الحديد في ثقب البلاطة التي تُطَبَّقُ عليه، ويذاب الرصاص ويصب حول البلاطة بعد أن تؤلف الكتابة التي عليها. وجعل أبوابها من تحت الأرض بأربعين ذراعا في آراج مبنية بالحجارة في الأرض، طول كل آراج مائة وخمسون ذراعا. قال: فأما باب الهرم الشرقى فإنه من الناحية الجنوبية على قياس مائة ذراع من وسط حائط الهرم الى الناحية الجنوبية، ويحف حتى ينزل الى باب الأراج ثم يدخل اليه منه. وأما باب الهرم الغربى فمن الناحية الغربية يُقاس أيضا من وسط الحائط الغربى الى الغرب مائة ذراع، ويحف حتى ينزل الى باب الأراج المبنى ويدخل منه اليه.
- وأما باب الهرم الملتون فمن الناحية البحرية يُقاس أيضا من وسط الحائط البحرى مائة ذراع، ويحف حتى ينزل الى باب الأراج. وجعل طول كل واحد منها أربع مائة

(١) الطوف: خشب يشد بعضه الى بعض ويركب عليه في الماء.

(٢) الأراج بالتحريك: بيت بيني طولاً، ويقال له بالفارسية: «أوسنان» وانظر الكلام عليه

في شرح القاموس واللسان والصاح والمصباح وكتاب الأنفاظ الفارسية المعربة لأذى شير.

(٣) في معجم البلدان لياقوت (ج ٤ ص ٩٦٤): «الناحية البحرية». وفي خطط المقرئى:

«الناحية الشرقية» ..

(٤) في معجم البلدان لياقوت: «الناحية القبلىة». وفي خطط المقرئى: «الناحية الجنوبية».

ذراع بالملكي، يكون خمسمائة بذراعتا . وجعل تربيع كل واحد أربعائة ذراع . وبنائها في الاستواء الى أربعين ذراعا ثم هزمتها ^(١) . وكان أول بنائهم لها في أوقات السعادة، فلما فرغ منها كساها ديباجا ملونا من أعلاها الى أسفلها، وعمل لها عيدا عظيما لم يبق في المملكة أحد إلا حضره . ثم أمر بعمل ^(٢) ثلاثين جرننا من حجارة الصوان ملونة فجعلت في الهرم الغربي، ونقل اليها من الكنوز والأموال والجواهر المعدنية، والجواهر المسبوكة الملونة، والآلات الزبرجد. والتماثيل المعمولة، والطلسمات، والحديد الفانجر، والسلاح الذي لا يصدأ، والزجاج الذي ينطوي ولا يتكسر، والنواميس والمولدات والدخن وأصناف العقاقير والمفردات والمؤلفات والسموم وغير ذلك شيئا كثيرا لا يدرك وصفه . ونقل الى الآخر وهو الشرقي أصنام الكواكب والقباب الفلكية، وما عمل أجداده من التماثيل والدخن التي يتقرب بها لها ومصاحفها، وما عمل لها من التواريخ والحوادث التي مضت، والحوادث التي تحدث، والأوقات التي تحدث فيها، ومن بلى مصر من الملوك الى آخر الزمان، وكون الكواكب الثابتة وما يحدث بكونها وقتا وقتا، وجعل فيها المطاهر التي فيها المياه المدبرة والبودقات الذهبية وما أشبه هذه الأشياء . وجعل في الهرم الآخر أجساد الكهنة في توأيت من الصوان الأسود، وعند كل كاهن منهم مصحف فيه عجائب صناعته وسيرته وما عمل في وقته . وكانوا سبع مراتب . فالمرتبة الأولى القاطرون، وهم الذين يعبدون الكواكب السبعة لكل كوكب

(١) يلاحظ أن هذا الوصف ينطبق عما كان في عصر المؤلف . وقد كشف العلم الحديث عن أشياء كثيرة تدل على عظمة بناء هذا الأثر الخالد .

(٢) عبارة المقرئ: « ثم عمل في الهرم الغربي ثلاثين مخزنا من حجارة صوان ملون وملئت بالأموال الجملة والآلات والتماثيل المعمولة من الجواهر النفيسة ... الخ » . (٣) كذا في خطط المقرئ . « الذي لا يطوى » . (٤) كذا في خطط المقرئ . وفي الأصلين « والمطاهر » .

- سبع سنين ، ومعنى القاطرون جامع العلوم . والمرتبة الثانية لمن يعبد ستة من الكواكب وهم اللاحقون بالدرجة الأولى . ثم يسمون صاحب الخمسة وما دونها كل واحد بأسم ، فجعل في كل ناحية من الهرم مرتبة من هذه المراتب ، فأجسادهم هناك وما عملوه من العجائب . وجعل في الحيطان من كل جانب مما يدور أصناما [تعمل]^(٢) بأيديها جميع الصنائع على مراتبها وأقدارها ، وصفة كل صنعة وعلاجها . وما يصلح لها ، وكذلك أصحاب النواميس ومن عاجل شيئا من الأشياء وجعل فيها أموال الكواكب التي أهديت إليها الكواكب وأموال الكهنة . وجعل لكل هرم منها خادما ؛ فخان الهرم الشرقي صنم من جزع أسود [مجزّع بأسود]^(٣) وأبيض له عينان مفتوحتان [برأتان ، وهو]^(٣) جالس على كرسي ، ومعه شبيه بالحربة ، إذا نظر إليه الناظر سمع من جهته صوتا كالرعد يكاد يفزع قلبه ، فيهيم على وجهه ويختلس عقله ، ولا يكاد يفارق الهرم حتى يموت فيه . وجعل خازن الهرم الآخر من حجر الصّوّان المجزّع ، معه شبيه بالحربة ، وعلى رأسه حية تطوق بها ، من قُرب منه وثبت عليه من ناحيته وتطوقت في عنقه فقتلته [ثم تعود إلى مكانها] . وجعل خازن الهرم الثالث صنما صغيرا من حجر البهتة على قاعدتيه ، من نظر إليه اجتذبه إليه حتى يلتصق به فلا يفارقه حتى يموت . فلما فرغ من ذلك حصنها بالأرواح وذبح لها

- (١) كذا في خطط المقرئى (ج ٢ ص ١١٧ طبعة فييت) وفي الأصلين : « في حيطان البرني بما يدور » .
 (٢) الزيادة عن خطط المقرئى (ج ٢ ص ١٠٧ طبعة فييت) .
 (٣) في خطط المقرئى كلمة « خادم » بدل « خازن » في هذا المقام .
 (٤) كذا في خطط المقرئى . وفي الأصلين « مطوقة » .
 (٥) حجر البهتة ، ويقال له البهت والباحت ، يوجد في المحيط الأطلنطي وكانت له شهرة في أفريقية الغربية حيث يباع بثن غال . وقد نسب إليه أهل الشرق خصائص عجبية . (من قاموس دوزى باختصار) .
 (٦) كذا في المقرئى . وفي الأصلين : « صدها » .

الذبايح ^(١) تمنع عن نفسها [من أرادها] إلا من قزب إليها وعمل لها أعمال الوصول فإنه يصل إليها . قال : وذكر القبط أنه كُتِبَ عليها اسم الملك والوقت الذي بناها فيه ، ويقول : إنا بنيناها في ست سنين فقل لمن يأتي بعدنا يهدمها في ستمائة سنة فإن الهدم أهون من البنيان . وإنا كسوناها الديباج المألون المذهب المرقوم بالذهب فقل لمن يأتي بعدنا يكسوها حصيرا . فنظروا فوجدوا أحدا لا يقوم بهدمها وكسوتها لأنه لا يستطيع ذلك ولا يقدر عليه .

قال : وحكى عن هذه الأهرام عجائب يطول الشرح بذكرها ؛ منها أن المأمون لما دخل إلى مصر أحب أن يهدم أحدها ليعلم ما فيها ، فقبل له : إنك لا تقدر على ذلك . فقال : لا بد من فتح شيء منه . فبولجت ^(٢) الثلمة المفتوحة منه فأنفق عليها ما لا كثيرا لنار توقد وقل يرش ومنجنيقات ترمى بها ، فوجد عرض الحائط قريبا من عشرين ذراعا . فلما آتوها إلى داخل الهرم وجدوا خلف الحائط عند الثقب مطهرة خضراء فيها ذهب مضروب دنانير ، وزن كل دينار أوقية ^(٤) من أواقينا ، وكان عددها ألف دينار ، فعجبوا من ذلك ولم يعرفوا ما معناه ، ثم أتى المأمون بالذهب والمطهرة فجعل يتعجب من الذهب وحسنه وجودته وحمرة ، فقال : ارفعوا لي حساب ما أنفقتموه على هذه الثلمة ففعلوا ، فوجده بإزاء المال الذي أصابوه لا يزيد ولا ينقص . فعجب المأمون من معرفتهم على طول المدد بأنهم سيفتحونه من ذلك الموضع بعينه ، ومعرفتهم بمقدار ما ينفق عليه وتركهم مقداره

(١) في الأصلين : « تمنع » والتصويب من خطط المقرئ .

(٢) في الأصلين : « في ستة أشهر » .

(٣) وكان ذلك في ستة ست عشرة ومائتين كما في صبح الأعشى ج ٣ ص ٣٢٥ .

(٤) بهامش نسخة ما نصه : « الأوقية هي سبعة مثاقيل زتها أربعون درهما فيما مضى . وأوقية

الطباق عشرة دراهم وخمسة أسباع درهم وهو أستار وثلاث أستار ، وأوقية بزرا القز اثنا عشر درهما » .

٥

١٠

١٥

٢٠

في موضعه ، فقال : كان هؤلاء القوم من العلوم بمنزلة لا ندركها نحن ولا أمثالنا .
وقيل : إن المطهرة التي وُجد فيها الذهب كانت من زَبْرَجَد ، فأمر المأمون بجمعها
إلى خزائنه ، وكانت أحد ما حمل من عجائب مصر .

- ومن عجائب أخبارها أن المأمون لما فتح الهرم أقام الناس سنين يقصدونه
ويدخلون فيه ويتزلون الزلافة التي فيه ، فمنهم من يسلم ومنهم من يهلك .
وأن جماعة من الأحداث آهتوا ، وكانوا عشرين رجلا ، على أن يدخلوا الهرم
ولا يبرحوا منه حتى يقفوا على منتهى أمره ، فأخذوا معهم من الطعام والشراب
ما يكفيهم لشهرين ، وأخذوا السكك والحبال والشمع والوقيد والفشوس والفِفاف
ودخلوا الهرم ، ونزل أكثرهم في الزلافة الأولى والثانية ، ومضوا في أرض الهرم فرأوا
فيه خفافيش بقدر العقبان تضرب وجوههم ، فاتهموا إلى لِصَب في حائط تخرج
منه ريح باردة لا تفتُر ، فذهبوا ليدخلوا فأنطقت سُرجهم ، فجعلوها في زجاج وذهبوا
ليدخلوا فكاد اللَّصَب ينطبق عليهم فهاأوه فقال أحدهم : اربطوا وسطي بجبل وأنا
أدخل ، فإذا كاد اللَّصَب ينطبق فجزوني إليكم ؛ وكان على باب اللَّصَب أجرنة فارغة
فعلما أن أجساد موتاهم داخل ذلك اللَّصَب ، فربطوه بالحبل ، فلما تقحم اللَّصَب
انطبق عليه فجتره أصحابه فلم يقدرُوا على تَزَعِه وسمعوا عظامه تتكسر ، وسمعوا صيحة
هائلة فسقطوا على وجوههم لا يعقلون . فلما أفاقوا طلبوا الخروج فأنخرجهم
أصحابهم بشدة ، وسقط بعضهم في وقت صعودهم من الزلافة فتزل ، وخرجوا من
الهرم بخلسوا في مَنفحة متعجِّين ، فإنهم كذلك إذ أخرجت لهم الأرض صاحبهم

١١٥
١٢

(١) اللَّصَب (بالكسر) : الثعب الصغير في الجبل .

(٢) أجرنة : الأجرنة جمع جرن بالضم وهو حجر مقور لال .

(٣) تقحم اللَّصَب : دخل فيه .

يَتَكَلَّمُ بِكَلَامِ كَاهِنِي فَسَمِعَهُ لَمْ بَعْضُ أَصْحَابِ الدِّيَارَاتِ بِالصَّعِيدِ : هَذَا جِزَاءٌ مِنْ يَطْلُبُ مَا لَيْسَ لَهُ ؛ ثُمَّ مَقَطَ مَيْتًا ، فَحَمَلُوهُ وَوَقِنَ بِهِمْ فَأَخَذُوا وَأَتَى بِهِمْ إِلَى الْوَالِي فَخَذَنُوهُ بِالْحَبْرِ .

وفي خبر آخر : أت قسوما دخلوا الهرم وأتتهوا إلى أسفله وطوفوه فعرض لهم مثل الطريق فساروا فيه فوجدوا قبة تحتها كالمطهرة يقطر فيها ماءً فينش ثم يغيض (١) ولم يدروا ما هو ، ووجدوا موضعا كالمجلس المربع حيطانه كلها بحجارة ملونة عجيبة ، فقلع أحدهم منها حجرا وجعله في كفه فأنسدت أذناه من الريح ، ولم تزل تُصر وهو معه ، ووجدوا مكانا كالقوارة العظيمة فيها ذهبٌ مضروبٌ كثير يكون الدينار منه زهاء مائة منقال ، فأخذوا منه شيئا فلم يستطيعوا أن يمشوا ولم يتحركوا حتى تركوه من بين أيديهم . ووجدوا في مكان آخر كالصفة فيها شيخٌ من حنم (٢) أخضر كأنه مشتمل بسملة ، وبين يديه تماثيل صغار في صور الصبيان وكأنه يعلمهم ، فأخذوا منه شيئا فلم يقدرُوا أن يتحركوا فردوه ، ومشوا أيضا في ذلك الطريق فوجدوا بيتا مسدودا فيه دوى هائل وزمزمة فلم يتعرضوا له ، ومضوا فوجدوا كالمجلس المربع فيه صورة ديك من جواهر معمولة ، قائم على أسطوانة خضراء ، وله عينان يسرج منهما المجلس ، فلما قربوا منه صوت بصوت مُفزع وخفق يجناحيه ، فتركوه ومضوا حتى بلغوا صنما من حجر أبيض في صورة امرأة منكسة على رأسها ومن جانبيها أسدان من حجارة كأنهما يريدان نهسها ، فجعلوا يتعوذون ويقرعون إلى أن جاوزوها . قال : وقيل إنهم مشوا حتى لاح لهم نور فأتبعوه فإذا بقوة مفتوحة فخرجوا منها فإذا هم

(١) ينش : يأخذ مازه في الضرب . (٢) يغيض : يتقص . (٣) تصر : تصوت

صوتا شديدا . (٤) الحنم : جرار خضر تضرب إلى الحمرة .

(٥) نهسها : يقال نهسه الكلب والذئب والسبع بالسين المهملة ، ونهشته الحية بالثين المعجمة .

في صحراء ، وإذا على باب تلك الفوهة تماثلان من حجر أسود معهما كالمزراقين فمجبوا من ذلك . ووجدوا أجرة منقورة وأسطوانات مخروطة ، فساروا منها بعدا فأتوها إلى ماء وجدوه في تِقَارِ حِذاء ^(١) تلك الفوهة ، وأخذوا نحو المشرق فساروا يوما حتى وصلوا إلى الأهرام من خارج فأخبروا وإلى مصر بخبرهم ، فوجه معهم من يدخل من تلك الفوهة ، فظافوا فلم يجدوها وأشكل عليهم أمرها . ووجد الأخذ للجر الحجر جوهرًا نفيسا فباعه بمال .

قال : وحكى أن قوما في زمن أحمد بن طولون ^(٢) دخلوا الهرم فوجدوا في طاق في أحد بيوته أستاذانة زجاجا ثخينة فأخذوها ونرجوا ، ففقدوا رجلا منهم فدخلوا في طلبه ، إذ خرج عليهم الرجل عُرِيَانَا يضحك ويقول : لا تتبعوا في طلبي ، ورجع هاربا إلى أن دخل ، فعلموا أن الجح استهوته وشاع أمرهم ، فأخذوا الأستاذانة منهم ومنع الناس من الدخول إلى الهرم ، ووزنت الأستاذانة فكانت أربعة أرتال زجاجا أبيض صافيا ، فأنتبه رجل من أهل المعرفة لها وقال : لم تعمل إلا لشيء ، وملاها ماء ووزنها فوجد وزنها وهي ملأى مثل وزنها فارغة لا تزيد ولا تنقص فكانت أعجوبة .

وحكى أن قوما دخلوا الهرم ومعهم من يريدون يعثون به ، فلما هموا بذلك نرج عليهم غلام أسود أمرد في يده عصا فأخذ في ضربهم ، فخرجوا هارين وتركوا ما كان معهم من طعام وشراب وبعض ثيابهم .

وحكى أن رجلا دخل بأمرأة ليفجر بها فصرعا جميعا ولم يزالا مجنونين مشهورين حتى ماتا .

(١) تقار : التقار جمع قرة بالضم ، الوهدة المستديرة في الأرض غير كبيرة .

(٢) في عقد الجمان للعيني : « طولون بضم الطاء اسم تركي معناه : البدر الكامل » .

قال : وفي بعض مصاحف القبط أن سُورِيدَ الملك لما أخبره كهنته بنحسب النار المحرقة وأنها تخرج من برج الأسد فتحرق العالم، عمِل في الأهرام مسارب موجهة الى أزاج ضيقة تجلب الرياح الى داخل بصوت هائل . وعمِل فيها مسارب يدخل منها ماء النيل الى مكان ينتهى الى موضع من أرض الغرب وأرض الصعيد، وملا تلك الأسراب عجائب وطلسمات وأصناما تنطق .

قال : وحكى بعض القبط أن سُورِيدَ لما أخبره منجموه قال : انظروا بلدنا هذا هل تلحقه آفة ؟ فنظروا فقالوا : يلحقه طوفان ويلحقه خراب يُقيم فيه عدّة سنين وتغلب عليها التنانين . قال : كيف يكون خرابها ؟ قالوا : يقصدها ملك فيقتل أهلها ويغنم مالها ويهدم مصانعها . قال : ثم ماذا ؟ قالوا : ثم تكون عمارتها من قبله . قال : ثم ماذا ؟ قالوا : ثم يقصدها قوم مشوهون من ناحية مصب النيل فيأتون على أكثرها . قال : ثم ماذا ؟ قالوا : ثم ينقطع نيلها ويجلو أهلها عنها ؛ فأمر أن يكتب جميع ذلك على الأهرام .

قال : وذ كر رجل من أهل الغرب ممن يختلف الى الواح ويحمل الشمار على جمل له أنه بات في بعض الليالي قرب الهرم فما زال يسمع الضوضاء والعطعة فهاله ذلك وتباعد عنه بجملة ، وكان يرى حول الهرم شبه النيران تأتلق ، فلم يزل مرعوبا الى أن سرقته عيناه فنام وأصبح وهو في الموضع الذي جمع منه الشمار وشماره موضوع بحاله ، فتعجب من ذلك وشدّ شماره على جملة ورجع الى القسطاط وآلى على نفسه ألا يقرب من الهرم بعد ذلك .

١١٦
١٢

١٥

(١) الشمار : هو الراز يانح تعريب راز يانه وهو الأيسون ، وأنواعه ثلاثة : بستاني وبري وشامى .

وهو نبات بزره حريف مرة .

٢٠

قال: والقبط يذكرون أن روحانية الهرم الغربي في صورة امرأة عُريانة مكشوفة الفرج حسناء لها ذؤابتان ، فإذا أرادت أن تستفز الإنسي - ضحكت اليه فاخيلسته الى نفسها فيدنونها منها قستهبويه ويزول عقله . قال : وقد رأى جماعة هذه المرأة تدور حول الهرم وقت القائلة وعند غروب الشمس . وروحانية الهرم الشرقى غلام أصرُد أصفر عُريان له ذؤابة . قال : وقد رأوه أيضا يطوف حوله . وروحانية الهرم الملون في صورة شيخ يرى عليه برطلة^(١) وفي يده نجمة من مجامر الكائنس وهو يخر كذلك في جميع الأفروثات .

وأما روحانيات البرابي: فيربا إنحيم روحانيتهما غلام أسود عُريان . وروحانية رِبْرِبَا قفط^(٢) في صورة جارية سوداء تحمل صبيا أسود صغيرا . وروحانية رِبْرِبَا دندرة في صورة إنسان رأسه رأس أسد وله قرنان . وروحانية رِبْرِبَا بُوَصِير في صورة شيخ

(١) برطلة ، البرطلة (بضم الباء ، وفتح اللام وتشدد) : المظلة الصيفية ، نبطية وقد استعملت في لفظ العرب .

(٢) راجع الحاشية رقم ٤ صفحة ٢٠ من هذا الجزء .

(٣) إنحيم : من البلاد المصرية القديمة واقعة على الشاطئ الشرقى نيل . وكانت إنحيم في عهد الفراعنة قاعدة قسم « نخينو » وفي عهد الرومان قاعدة قسم « بانوس » وفي عهد العرب قاعدة كورة الإنحيمية ، راسترت كذلك الى آخر حكم دولتي المناليك . وفي العهد العثماني ألغيت الإنحيمية وأضيفت بلادها الى ولاية برجوا وأضحت إنحيم إحدى بلاد مركز سوهاج . وفي سنة ١٩٠٣ م صدر قرار من الداخلية بفصل البلاد الواقعة شرق النيل من مركز سوهاج وجعلها مركزا باسم إنحيم وهي قاعدة المركز من تلك السنة الى اليوم . (راجع النجوم الزاهرة الحاشية رقم ٢ ص ٣١٣ من الجزء الخامس طبع دار الكتب المصرية) .

(٤) فقط : مدينة بالصعيد الأعلى ، اسمها القديم « قوبطى » ومنه اشتق اسم قبلى وأقباط للصريين . وهي وطن الوزير صاحب جمال الدين القفطى الملقب بالقاضى الأكرم وزير حلب المتوفى سنة ٥٦٤٦ هـ .

(٥) سيذكرها المؤلف فيما بعد أثناء كلامه على قفطريم بن قبطيم .

(٦) هي بوسير سمند ، وكانت قاعدة شهيرة قبل الاسلام .

أبيض عليه زى الرهبان ومعه مصحف يحمله . وروحانية يربا سمنود في صورة شيخ
 آدم طوال أشيب صغير الخلية . وروحانية يربا عدى في صورة رابع عليه كساء ومعه
 عصا . وهذه البربا في أعمال المُرْتاحِيَّة من عمل أشمون طُنَّاح بقرب تلبانة عدى .
 قال : ولكل من هذه الأهرام والبرابي قرابين وبتُجُورات تظهر كنوزها وتؤلف
 بين الناس والروحانيين الذين بها .

(١) سمنود : مدينة شهيرة بالوجه البحرى بمصر ، واسمها الفرعونى تينوتير واليونانى سنبطوس .
 (٢) المرتاحية : هو اسم أحد الأقاليم المصرية بالوجه البحرى فى العهد العربى ، وكان يقال لها :
 كورة المرتاحية ثم الأعمال المرتاحية . وكان إقليم المرتاحية واقعا فى المنطقة التى تشمل اليوم بلاد مركزى
 المنصورة وأجا بمديرية الدقهلية ، وكان يجاوره من الجهة البحرية إقليم الدقهلية . وكان إقليم الدقهلية فى ذلك
 الوقت واقعا فى المنطقة التى تشمل اليوم بلاد مراكز فارسكور ودكرنس والمنزلة بمديرية الدقهلية . وفى زمن
 حكم دولتى المماليك جعل هذان الإقليمان إقليما واحدا باسم إقليم الدقهلية والمرتاحية . وفى عهد الحكم
 العثمانى اختصر باسم الدقهلية ولم يزل يطلق لغاية اليوم على مديرية الدقهلية التى قاعدتها مدينة المنصورة .
 (راجع النجوم الزاهرة الحاشية رقم ٣ ص ٣١٢ من الجزء الخامس طبع دار الكتب المصرية) .

(٣) أشمون طنَّاح ، ويقال لها « أشموم طنَّاح » : وهى من المدن المصرية القديمة واقعة على الشاطئ
 الشرق للبحر الصغير الذى كان يسمى ببحر أشموم نسبة الى هذه المدينة ، وكان اسمها المصرى شمون أرمان ، والرومى
 بانيفوسوس ، وسمها العرب أشموم طنَّاح نسبة الى كورة طنَّاح التى كانت تقع أشموم فى دائرتها ، وتعرف
 اليوم باسم أشمون الرمان ، وهو اسمها القديم محرفا .

ولما تكلم عليها ابن دقاق فى كتاب الانتصار قال : « وتصرف بأشموم طنَّاح وأشموم الرمان ، وهى
 قسبة كورة الدقهلية ومدينة ذات حمامات وأسواق وجوامع وفنادق » وقد استمرت قاعدة لإقليم الدقهلية
 والمرتاحية الى آخر عهد المماليك . وفى أوائل الحكم العثمانى نقلت القاعدة الى مدينة المنصورة ومن ذلك
 الوقت اضطلعت أشمون الرمان وزال ما كان فيها من آثار المدينة والعمران ، وأصبحت اليوم قرية عادية
 من قرى مركز دكرنس بمديرية الدقهلية . (راجع النجوم الزاهرة الحاشية رقم ٢ ص ٣٢٨ من الجزء
 السادس طبع دار الكتب المصرية) .

(٤) تلبانة عدى : بلد بمركز المنصورة بمديرية الدقهلية . وقد ورد فى المشترك والتحفة السنية لابن
 الجيعان : أنها من أعمال الدقهلية والمرتاحية . وفى مساحة سنة ١٢٢٨ هـ وردت مختصرة باسمها الحالى .

ولترجع الى أخبار الملوك قال : وأقام سُورِيدُ في الملك مائة سنة وسميع سنين ، وقد كان منجموه عرّفوه الوقت الذي يموت فيه واليوم والساعة ، فأوصى الى ابنه هِرَجِيْبَ وعرّفه ما يعمل ، وأمره أن يُدخِل جسده الهرم ، وأن يجعله في الجُرْنُ الذي أعدّه لنفسه ويفشّيه بكافور ، ويحمل معه ما أعدّه من فاخر الثياب والسلاح والآلات ، فأمثل جميع ما أمره به .

(١)

ولما مات ملك بعده ابنه هِرَجِيْبُ بن سُورِيدِ فسار بسيرة أبيه في العدل والعمارة والرأفة بالناس ، فأحبوه . وبني الهرم الأول من أهرام دَهْشُور وحمل اليه من المال والجوهر . وكان غرضه بجمع المال وعمل الكيمياء واستخراج المعادن ودفن ما تهيأ له من الكنوز في كل سنة . وكانت له ابنة أفسدت مع بعض خدمه فنفاها الى ناحية الغرب ، وأمر أن تُبنى لها مدينة هناك ويقام عليها علم ويُزبر عليها أسمها ، وأسكن معها كل امرأة مسنة من أهل بيته . قال : وشيخ رجل رجلا فأمر بقطع أصابعه ، ووجد سارقا من العامة فلك رقّه الذي سرق منه ، وعمل منارات ومصانع وطلسمات ، وملكهم نيّفا وسبعين سنة .

١٥ وملك عليهم بعده ابنه منقاوش بن هِرَجِيْبِ وكان جبارا أنيا فأذى الناس وسفك الدماء وأغتصب النساء واستخرج كنوز آبائه ، وبني قصورا بالذهب والفضة [وأجرى] فيها الأنهار ، وجعل حصباءها من صنوف الجواهر ، وتخرق في الهبات وأغفل العبارات فأبغضه الناس ، وأباح أصحابه غصب نساء العامة . وأطاف به أهل الشر من كل ناحية ، وكان يفتري على النساء قبل أزواجهن ، وأمتنع عليه قوم

٢٠

(١) في خطط المقرئى : « هوجيت » .

(٢) التكلة من خطط المقرئى . (٣) تخرق في الهبات : توسع فيها .

(١) في شيء أمرهم به فأحرقهم بالنار، وسلط رجلا من الجبارين اسمه قرناس من ولد وراديس بن آدم على الناس ووجهه لمحاربة الأمم الغربية فقتل منهم أمما . وكان أشجع أهل زمانه ثم هلك، فأغتم عليه الملك وأمر أن يدفن مع الملوك في الهرم . ويقال : بل عمل له ناووسا وأقام عنده أعلاما وزبر عليها اسمه وما عمله في وقته . وملك منقاوش ثلاثا وسبعين سنة ومات ، فجعل في الهرم مع أجداده في حوض مرمر مصفح بالذهب والجوهر ، وحمل معه كثير من ذخائره وأمواله وسلاحه وعجائبه .

(٢) وملك بعد أبه أقروش بن منقاوش ، وكان عاقلا يخالف آثار أبيه وعدل في الناس ورد النساء اللاتي غصبت منقاوش الى أهلتهن . وعمل في وقته فؤارة قطرها مائة ذراع وطولها خمسون ذراعا ، وركب في جميع جوانبها أطيارا تصفر بأصناف اللغات المطربة لا تنقر . وعمل في وسط المدينة منارتين من صفر عليهما صورة رأس إنسان من صفر كما مضت ساعة من النهار صاح ذلك الرأس صياحا عاليا ، وكذلك الليل ، فيعلم به دخول الساعات ، وجعل فيه علامة لكل ساعة تضي تعرف بها عدتها . وعمل منارا آخر وجعل على رأسه قبة صفر مذهب ولطخها بلطوخات ، فإذا غربت الشمس اشتعلت تلك القبة نارا يضي بها أكثر المدينة لا تطفئها الأمطار ولا الرياح ، فإذا كان النهار قل ضوءها بضوء الشمس . ويقال : إنه أهدى الدرسميل [بن محويل] (٤) الملك بيابل مائدة من الزبرجد قطرها خمسة أشبار ، وكان استهدها ذلك ليجعلها في بيت القربان . ويقال إنها وجدت بعد الطوفان . ويقال أيضا : إنه عمل على الجبل

(١) في خطط المقریزی «قرماس» بالميم . (٢) في خطط المقریزی : «أفراوس

ابن مناوس» . (٣) في خطط المقریزی : «نورا» . (٤) التكلة من خطط المقریزی .

(٥) في خطط المقریزی : «مدها» .

- (١) الشرقى صنبا عظيما قائما على قاعدة [وهو] مصبوغ بلطوخ أصفر مصور بالذهب ووجهه الى الشمس يدور معها حتى تغرب، ثم يدور ليلا الى الناحية الجنوبية حتى يحاذى الشمس^(٢) مع الصبح، فلم يزل الى أن سقط في أيام فرغان^(٣) الملك فتهم. وكان نصبه تعظيما للشمس . ويقال : إن أقروش كان يطلب الولد فنكح ثلاثمائة امرأة يتنقى الولد منهن فلم يكن ذلك . وقيل : إن في عصره عَقَمَت الأرحام لما أراد الله عز وجل من هلاك العالم بالطوفان، وعَقَمَت أرحام البهائم ووقع الموت فيها . وقيل : إن الأُسْد كَثُرَت في وقته حتى كانت تتخَلل البيوت، فأَحْتالوا لها بالطَّلَسَمَات المانعة والحِيل المضرة لها، فكانت تَغيب وقتنا وتعود، فرفعوا ذلك الى الملك فقال: هذه علامة مكروهة ، وأمر أن تُعْمَل أخاديد وتُملأ نارا وأَجْرَتْوا إليها الأُسْد بالدُخْن التي تجلب رُوحانيتها وألقوها على تلك النيران، فأجتابتها تلك الدخن فتهاقت في تلك النيران فأحترقت . وبجى في وقته مدائن في ناحية الغرب تَلَفَت بالطوفان مع أكثر مدُنهم .

- قال : وأرتفعت الأمطار عنهم وقل الماء في النيل فأجدبوا ، وهلك الزرع بالنار والريح الحارزة وغيرها ، فأضر ذلك بهم ، فأحْتالوا لدفع النار بطَّلَسَمَاتهم فكانت تذهب وتعود . وقيل : إن الذى فعل بهم ذلك ساحر من سَحَرْتهم كان متقاوش غصبه أمر أنه فكان يعمل الحيلة قليلا قليلا في إفساد طَّلَسَمَاتهم؛ لأن لكل طلسم شىء تبطل به روحانيته . وبهذه العلة دخل بختنصر الفارسى مصر وقد كانت ممتنعة من جميع الملوك . فلما أفسد ذلك الساحر الطَّلَسَمَات ، سَلَط عليهم تلك الآفات وأفسد طَّلَسَمَات التماسيح فهاجت عليهم ومنعتهم الماء وعدبهم عذابا كبيرا الى أن

٢٠ (١) النكلة من خطط المقرئى . (٢) في خطط المقرئى : « حتى يحاذى المشرق مع الفجر » .

(٣) في خطط المقرئى : « فرغان » بالعين المهملة .

فطنوا به من قِبَل تلاميذه؛ وذلك أن أحدهم لأمه على فعله فآنتهره وتفق في وجهه فأظلم عليه بصره، فجاء الى وزير الملك وعرفه القصة فأنهاها الى الملك، فأمر الملك بإدخاله عليه فأدخل، فسأله عن الخبر فعترفه بفعل الساحر، فأنفذ اليه جيشا ليأتوه به، فلما نظر الساحر الى القوم وقد أقبلوا دخن دُخنة أعشت أبصارهم وأرتفعت منها عجاجة نارٍ أحرقت وحالت بينه وبينهم، فهالهم ذلك، فرجعوا الى الملك وعرفوه ماجرى فأمر بجمع السحرة، وكان من رَسَم السحرة أن يعاهدوا ملوكهم على أن يكونوا معهم ولا يخالفونهم ولا يناههم منهم مكروه ولا يغيثونهم الغوائل، فمن فعل ذلك سلب علمه، وكان للملك أن يسفك دمه ودم أهل بيته وولده، وكانوا مع الملوك على هذه الحال يُوفون بعهودهم. فلما اجتمع السحرة عند الملك أخبرهم خبر الساحر، وكان يقال له: أختاليس، وبما عمله وقال: تُحضرونه إلى وإلا أهلككم؛ فسأله النظر^(١) فأنظرهم، فأخذوا أولادهم ونساءهم وخرجوا هارين، فلما خرجوا عنه تكلموا بينهم وقالوا: إنكم لتعرفون كثرة علم أختاليس وشدة سحره، وما نرى لنا به طاقة، ومنتقواش الملك الذي تقض عهده وتعدي عليه وأخذ أمرته غضبا، فأحتالوا لخلاصكم منه؛ فأجمعوا أنهم يصدقون الملك عن أنفسهم، ويستأذنونه في الذهاب إليه ومداراته حتى يأتوه به بعد أن يأخذوا له أمانا منه ويحدد العهد بينه وبينه. فضوا الى الملك وصدقوه عن أنفسهم، فأجابهم الى ما سألوه من ذلك، ثم مضوا الى أختاليس فلطفوا به ووعظوه الى أن أجابهم الى ما أرادوا، فكتبوا الى الملك بذلك، فكتب للساحر أمانا وعهدا، فرجع ورُدت اليه أمرته، فأكرمها وردّها الى دار الملك، وعرفهم أنه لا يرى في ذمته أن يلبس امرأة لابسها الملك على حال من الأحوال لما كانوا يراعونه من حقوق الملك، فسّر الناس بذلك وعجبوا من عقله

١١٨
١٢

(١) النظرة: التأخير والإمهال في الأمر.

وحكمته ، وصلح أمر الناس ، وعمل أختاليس طلسمات وعجائب كثيرة . قال :
وملكهم أقروش أربعة وستين سنة ، وهلك وليس له ولد ولا أخ ، فدفن في الهرم
وجُمعت معه أمواله وذخائره وجواهره والصنائع التي عملت في وقته ، وأجتمع
الناس على تملك رجل من أهل بيت الملك .

- ٥ فلنكوا عليهم أرمالينوس ، فلما ملك أمر بجمع الناس وقال : أرى الأمم الغربية
قد تطرقت إليكم في نواحيكم ، ويوشك أن تسير إليكم ، وأنا مانع لبلادكم ودمائكم منهم
بغزوهم والخروج إليهم وتحويلكم إليهم ، وأحتاج إلى معونة من حكماكم بالأعمال
الهائلة والتخايل العجيبة ، فشكروه ودعوا له بالتوفيق . وقالت الحكماء : نحن نخرج
مع الملك إذا خرج ونبلغ له مجابهة أو يقيم ونحن نخرج مع الجيش مكانه ونبذل
أنفسنا دونه . فأمتنع من ذلك ونخرج في جيش عظيم وحارب تلك الأمم ونكأ فيها^(١)
أعظم نكابة ، ورجع غانما وخلف في وجوههم جيشا ، فأجمعت تلك الأمم فهزمت
جيشه ورجع أصحابه مغلوبين فعظم ذلك عليه . وكانت أصابته علة من تغير الهواء
فأنفذ ابن عم له يقال له فرعان بن مسور ، وكان أحد الجبابرة الذين لا يطاقون ،
وهو أول فرعون تسمى بهذا الاسم ومن سمي بعده سمي تشبيها به ؛ فأنفذه الملك^(٢)
أرمالينوس في جيش عظيم فأجلى تلك الأمم ونفاها إلى أطراف البحر ، وعاد ومعه
١٥ خلق كثير من الأسرى والرؤوس ، فأمر الملك بنصب تلك الرؤوس حول مدينته وقتل
جميع الأسرى . وكان منهم كاهن فأمر الملك أن يوشر^(٣) بمنشار ، وهو أول من فعل

(١) نكأ : قتل فيهم وجرح وأتخذ .

(٢) وكذا ورد في صبح الأعشى (ج ٣ ص ٤١٢) أنه أول من لقب بلقب الفراعة .

(٣) يوشر ، يقال : وشر الخشب بالمنشار إذا نشرها .

ذلك، فأعلم الملك فرعان وألبسه خلعاً منظومةً بالجواهر، وأمر بأن يطاق به
ويذكر فضله، وأمر له ببعض قصوره .

وأتفق أن امرأة من نساء الملك عشقته وراسلته فأمتنع فرعان من ذلك وفاءً
للك، ولأن التحظى الى نساء الملوك كان من الأمور العظيمة عندهم . فلما طال
ذلك عليها أحضرت ساحةً ولاطقتها وذكرت لها حالها ووجدتها بفرعان، فضمنت
لها بلوغ ما ربهها منه وسخرت لها، فأحتاج إليها وندم على ردّها وجعل يدس إليها الى
أن اجتمعت معه، وتمكّن حبّ كلّ واحد منهما من صاحبه، الى أن ذاكرته أمر
الملك وأنها لا تأمن أن يتصل به خبرهما وقالت : أنا أعمل الحيلة في قتله وتكون
أنت الملك وأكون لك ونأمن على أنفسنا . فن شدّة ما عنده من حبّها حسن لها
ذلك، فسّمت الملك في شرابه فمات لوقته وحمل الى الهرم .

وملك بعده فرعان بن مسور وجلس على سرير الملك فلم ينازعه أحد، وفرح
الناس بمكانته لشجاعته . وهو الذي كان الطوفان في وقته . قال : ولما ملك علا في
الأرض وتجبر وأغضب الناس أموالهم وأنفسهم ونساءهم، وعمل ما لم يعمله ملك قبله،
وأسرف في القتل وهابته الملوك وأقزوا له . وهو الذي كتب الى الدرسميل ملك بابل
يشير عليه بقتل نوح عليه السلام . وذلك أن الدرسميل بن محويل كتب الى الأقاليم
يسألهم : هل يعرفون آلهة غير الأصنام؟ ويذكر قصة نوح وأنه يريد تغيير ذلك،
وأن له إلهًا غيرها، فكلُّ أنكر ذلك . ولما أخذ نوح في بناء السفينة كتب فرعان
الى الدرسميل يشير عليه بإحراقها، وكان عند أهل مصر خبر الطوفان ولكنهم
لم يقيدوا كثرتهم وطول مقامه على الأرض، فآتخذوا السرايب تحت الأرض

وصفحوها بالزجاج وحبسوا فيها الرياح بتديريهم ، وأخذ فرعان منها عدّة له ولأهل بيته . وكان فرعان قد أقصى الكهان وابعدهم ، وكانوا مع الملوك على خلاف ذلك . ولنصل هذا الخبر بنجر الكهان وما كانوا عليه .

١١٩
١٣

ذكر خبر كهّان مصر وحالهم مع الملوك

- قال : وكهّان مصر أعظم الكهان علما ، وأجلهم في الكهانة حديثا . وكان حكاء اليونان يصفونهم بذلك ، ويشهدون لهم به ويقولون : أخبرنا حكاء مصر بذلك فأستفدناه منهم . وكانوا يتخون في كهاتهم نحو الكواكب ، ويزعمون أنها هي التي تُفِيض عليهم العلوم وتُخبرهم بالغيوب ، وهي التي علمتهم أسرار الطبائع ، ودلتهم على العلوم المكنونة ؛ فعملوا الطلسمات المشهورة ، والنواميس الجلييلة ، ووآدوا الولادات الناطقة ، والصوّر المتحرّكة ؛ وبنوا العالى من البنيان ، وزبّروا علومهم في الصلب من الصوّان ، وأنفردوا بعمل البرابي ، ومنعوا بها الأعداء من بلدهم . وعجائبهم ظاهرة . وكان الذي يتعبّد منهم الكواكب السبعة المدبّرة ، لكلّ كوكب سبع سنين ، فإذا بلغ هذه الرتبة سُمّي قاطرا^(١) ، وكان يجلس مع الملك في المرتبة ويصدّر الملك عن رأيه ، وإذا رآه قام له .

- وكان من رسمهم في كل يوم أن يدخل القاطر إلى الملك فيجلس إلى جانبه ، ويدخل الكهنة ومعهم أصحاب الصناعات فيقفوا حذاء القاطر ، وكلّ واحد من الكهنة منفرد بكوكب يخدمه لا يتعدّاه إلى سواه ، ويُسمّى عبد كوكب كذا ، كما كانت العرب تُسمّى عبد شمس ، فيقول القاطر للكاهن : أين صاحبك ؟ فيقول :

(١) القاطر: معناه جامع العلوم، وهو الذي يعبد الكواكب السبعة لكل كوكب سبع سنين، كما ذكره

المؤلف أيضا فيما سبق (ص ٢٣) من هذا الجزء .

في البُرج الفلاني في الدرجة الفلانية في دقفة كذا ، ويسأل الآخر حتى إذا عرف مستقر الكواكب قال لللك : ينبغي لك أن تعمل اليوم كذا ، وتضع ببيان كذا ، وتوجه جيشا إلى ناحية كذا ، وتُجماع في وقت كذا ، وتأكل في وقت كذا ، وجميع ما يراه صلاحا له في أموره كلها ؛ والكاتب قائم يكتب جميع ما يقوله القاطر ، ثم يلتفت إلى أهل الصناعات فيقول : انقش أنت صورة كذا على حجر كذا ، وأغرس أنت كذا ، وأصنع أنت كذا ، حتى يتر على أهل الصناعات ؛ فيخرجون إلى دار الحكمة ويقصون أيديهم في تلك الأعمال ، ويستعمل الملك جميع ما يأمره القاطر. ويُشرح ذلك اليوم في الصحيفة وتطوى وتودع في خزانة الملك ، فعلى ذلك كانت تجري أمورهم .

وكان الملك إذا نابهُ أمرٌ جمعهم وأصطف الناس لهم في شارع المدينة ، ثم يدخلون رُكباناً يقدم بعضهم بعضا ، ويضرب بين أيديهم بطبل الأجتاع ، فيدخل كل واحد منهم بأعجوبة : فمنهم من يعلو وجهه نور كنور الشمس فلا يقدر أحدٌ على النظر إليه ، ومنهم من يكون عليه بدنة^(١) جوهر أخضر أو أحمر أو من ذهب منسوج . ومنهم من يدخل راكبا أسدا متوشحا بجيات عظام . ومنهم من تكون عليه قبة من نور أو من جوهر في صنوف من العجائب كثيرة . ويصنع كل واحد منهم ما يدلّه عليه كوكبه الذي يعبده؛ فإذا دخلوا على الملك قالوا : أردانا الملك لأمر كذا وقد علمنا ، أو أضمر الملك كذا والصواب فيه كذا . فكانوا مع ملوكهم على هذه الحال حتى ملك فرعان فأبدهم . وكان فليمون^(٢) رئيس الكهان ، فرأى فيما يرى النائم كأن مدينة أمسوس قد أنقلبت بأهلها ، وكانت الأصنام

(١) بدنة : البدنة البقيرة ، وهي فيص لاكين له ، تلبسه النساء .

(٢) في خطط المقرزي : « فلبون » .

تهوى على رؤوسها ، وكانت ناسا ينزلون من السماء معهم مقامع فيضربون الناس بها ، وكأنه قد تعلق بأحدهم وقال له : ما لكم تفعلون بالخلق هذا ! أما ترجمونهم ؟ فقال : لأنهم كفروا باللهم . قال : أفألهم من خلاص ؟ قالوا : نعم ، من أراد الخلاص فليلق بصاحب السفينة ، فأنتبه وهو يخاطبه ، فبقي مرعوبا مما رآه . وكان له امرأة وولدان ذكر وأبني ومعه تلاميذه ، فأجمع على أن يلقى بنوح عليه السلام ، ثم نام أيضا فرأى كأنه في روضة خضراء ، وكانت فيها طيورا بيضاء تفوح منها رائحة طيبة ، وكأنه تعجب من حسنها إذ تكلم بعض الطيور فقال لأصحابه : سيروا بنا ننتج المؤمنين . قال له فليموت : ومن هؤلاء المؤمنون ؟ قال : أصحاب السفينة . فأنتبه مرعوبا وأخبر أهله وتلاميذه بذلك ثم نام .

- ١٠ فلما كان الغد أتى الملك فقال : إن رأى الملك أن يُفِذَنِي إلى درمسيل لأعرف حال هذا الرجل الذي عمل السفينة فأشاهده وأناظره على ما جاء به من هذا الدين الذي أظهره وأتينا حقيقة أمره فليفعل ؛ فإنى أرجو أن يكون ذلك سببا لهلاكه ودفعه عما يدعيه ، فأعجب الملك ذلك منه وأذن له في الخروج ، فسار بأهله وولده وتلاميذه حتى انتهوا إلى أرض بابل وقصد نوحا وسأله أن يشرح له دينه ففعل ذلك ، فأمن به وجميع من معه ، فقال نوح عليه السلام : من أراد الله عز وجل به الخير لم يصدفه أحد عنه . فلم يزل فليمون مع نوح عليه السلام يخدمه هو وولده وتلاميذه إلى أن ركبوا السفينة .

وأما فرعان الملك فإنه أقام منمكا في ضلاله وظلمه ، مقبلا على لهوه ، وأستخف بالكهنة والهياكل ، وضاعت الدنيا بأهلها ، وكثر الهرج والظلم ، وفسدت الزروع ،

٢٠ (١) مقامع : المقامع جمع المقمعة ، وهي خشبة يضرب بها الإنسان على رأسه ليدل ويهان .

وأجذبت النواحي ، وظلم الناس بعضهم بعضاً ، ولم يكن أحدٌ ينكر ذلك عليهم ،
وسُدَّت الهياكل والبرابي ، وطبَّئت أبوابها ، وجاءهم الطوفان وأقبل المطر عليهم ،
وكان قِرطان سكران فلم يَقم إلا ببحرير الماء ، فوثب مُبادراً يريد [الهرب إلى] الهرم^(١)
فتخلخت الأرض به ، وطلب الأبواب نفاثته رجلاه وسقط على وجهه وجعل
يُحور كما يُحور الثور ، إلى أن أهلكه الله تعالى بالطوفان ، ومن دخل الأسراب منهم
هلك بغمها ، ولحق الماء من الأرض والأهرام إلى آخر التبريع ، وهو ظاهر عليها
إلى الآن ، وأقرضت ملوك الدنيا أجمع بالطوفان ولم يسلم إلا أصحاب السفينة كما
تقدم . فعدت من سُمي لنا من ملوك مصر قبل الطوفان على هذا السِّياق تسعة عشر
ملكاً ، ثم ملكها بعد الطوفان من نذكره .

ذكر من ملك مصر بعد الطوفان من الملوك

قال إبراهيم بن القاسم الكاتب : قال إبراهيم بن وصيف شاه : أجمع أهل الأثر أن
أول من ملك مصر بعد الطوفان مصرم بن بصر بن حام بن نوح عليه السلام ،
وذلك بدعوة سبقت له من جدّه . وكان السبب في ذلك أن فليمون الكاهن سأل نوحاً
عليه السلام أن يخلطه بأهله وولده وقال : يا نبي الله ، إني قصدتك رغبةً في الإيمان بالله
سبحانه وتعالى وتصديقك يا نبي الله ، وتركت وطني وبلدي فأجعل لي رفعةً وقدرًا
أذكر بهما من بعدى ، فزوج نوح عليه السلام ببصر بن حام بنت فليمون الكاهن
فولدت له ولداً سماه فليمون مصرم باسم بلده ، فلما أراد نوح قسمة الأرض بين
بنيه قال له فليمون : ابعث معي يا نبي الله ابني حتى أمضي به إلى بلدي وأظهره
على كنوزه وأوقفه على علومه ورموزه ، فأنفذه معه في جماعة من أهل بيته ، وكان

(١) التكملة من خطط المقرئ (ج ٣ ص ٢٥ طبعه فيت) .

(٢) في خطط المقرئ (ج ١ ص ٧٣ طبعه فيت) : «مصرام» .

غلاما مرأهاقا ، فلما قُرب من مصر بنى له عَيْرِيشا من أغصان الشجر وستره بحشيش الأرض ، ثم بنى له بعد ذلك في الموضع مدينة وسمّاها دَرَسان ،^(١) أى باب الجنة ؛ فزرعوا وغرسوا الأشجار والأجّنة من درسان الى البحر . [فصارت هناك لزروع وأجّنة وعمارة وكان الذين مع مِصرِيم جبابرة ؛ فقطعوا الصخور وبنوا المعالم والمصانع وأقاموا في أرغد عَيْش .

ونكح مِصرِيم امرأة من بنات الكَهنة فولدت له ولدا سماه قِطِيم ، ونكح قِطِيم بعد سبعين سنة من عمره امرأة ولدت له أربعة نفر ، وهم : قُفْطَرِيم ، وأُشْمون ، وأَتريب ، وصا ، وكثروا وعمروا الأرض وبُورِك لهم فيها . وقيل : كان عدد من وصل مع مِصرِيم ثلاثين نفرا فبنوا مدينة سَمّوها مافه . ومعنى مافه ثلاثون بلفظهم ، وهى مَنْف ؛ وكشف أصحاب فليمون عن كنوز مصر وعلموهم خط البراني ، وأثاروا لهم المعادن من الذهب والزرّجد والقيروزج والأسباد شم وغير ذلك ، ووصفوا لهم عمل الصنعة ، فجعل الملك أمرها الى رجل من أهل بيته يقال له مقيطام ، فكان يعمل الكيمياء في الجبل الشرقى فسُمّي به المَقْطَم ، وعلموهم أيضا عمل الطلّسات . وكانت تخرج من البحر دواب تفسد زرعهم وأجنتهم وبنائهم فعملوا لها الطلّسات فغابت ولم تعد . وبنوا على عبّر البحر مدنا منها : رَقُودة مكان الإسكندرية ، وجعلوا في وسطها قبة على أساطين من نُحاس مُذهب والقبة مُذهبة ، و نصبوا فوقها مرآة من أخلاط شتى قُطرها خمسة أشبار ؛ وكان ارتفاع القبة مائة ذراع ؛ فكانوا اذا قصدهم قاصد من الأمم التى حولهم ، فإن كان مما يهتمهم أو من البحر عملوا لتلك المرأة عملا فألقت شعاعها على ذلك الشيء فأحرقته ؛ فلم تزل على حالها الى أن غلب عليها

(١) درسان : هى مدينة العريش . (٢) التكلة من خطط المقرئى (ج ١ ص ٧٣ طبعة فييت) .
 (٣) فى مروج الذهب للسعودى (ج ١ ص ١٨٠ طبع بلاق) : « الاشباد جشم » وذكر أنه نوع من الجواهر تتخذ منه النصول وغيرها .

البحر فنسفها . وقيل : إن الإسكندر إنما عمل المنارة تشبها بها . وقد ذكرنا خبر المنارة فيما تقدم من كتابنا هذا .

وقال : لما حضرت مصرم الوفاة عهد الى ابنه قُبْطِيم بن مصرم ؛ فقسم قبطيم مصرين بنيه الأربعة : فجعل لأبنيه قُفْطَرِيم من قِفْط الى أسوان الى التوبة ، ولأشْمُون من أشْمُون الى مَنَف ، ولأْتَرِيب الحُوف كَلَّه الى الشجرتين الى أيلة من الحجاز ، ولِصَا من ناحية صَا البحيرة الى قُرب بَرْقَة ؛ وقال لأخيه فارق : لك من برقة الى المغرب ، فهو صاحب إفريقية . وولده الأْفَارِق . وأمر كل واحد من بنيه أن يبنى لنفسه مدينة في موضعه . وأمر مصرم عند موته أن يحفروا له في الأرض سَرَبَا وأن يفرشوه بالمرمر الأبيض ويجعلوا فيه جسده ، ويدفونوا معه جميع ما في خزائنه من الذهب والجوهر ، ويذروا عليه أسماء الله تعالى المانعة من أخذه . وحفروا له سربا طوله مائة وخمسون ذراعا ، وجعلوا في وسطه مجلسا مصفحا بصفايح الذهب ، وجعلوا له أربعة أبواب ، على كل باب منها تمثال من ذهب عليه تاج مرصع بالجوهر ، جالس على كرسي من ذهب قوائمه من زَبْرَجَد ، وزبروا في صدر كل تمثال آيات عظاما مانعة ، وجعلوا جسده في جُرن من المرمر مُصَفَّح بالذهب وزَبَرُوا على مجلسه : مات مصرم بن بيصر بن حام بعد سبعمائة عام مضت من أيام الطوفان ، ومات ولم يعبد الأصنام ، إذ لا هَرَم ولا سَقَام ، ولا حُزْن ولا أهْتَام ، وحصنه بأسماء الله العظام ، لا يصل اليه إلا ملك ولدته سبعة ملوك يدين بدين الملك الديان ، ويؤمن بالبعث والفرقان ، الداعي الى الإيمان في آخر الزمان . وجعلوا معه في ذلك المجلس ألف قطعة من الزَبْرَجَد المخروط ، وألف تمثال من الجوهر النفيس ، وألف

١٢١
١٢

برنية [مملوءة] ^(١) من الدرّ الفاخر والصنعة الإلهية ، والعقاير البرية ، والطلسمات العجيبة ، وسبائك الذهب مكدسة بعضها على بعض ، وسقفوا ذلك بالصخور العظام وهالوا فوقها الرمال [بين جبلين] ^(١) .
وأستقلّ قبطيم بالملك بعد أبيه .

- ويقال : إن قبط مصر منسوبون إليه . وهو أول من عمِل العجايب وأثار المعادن ، وشقّ الأنهار . ويقال : إنه لحق البليلة ^(٢) ونخرج منهم بهذه اللغة القبطية ، وعمِل ما لم يعمله أبوه من نصب الأعلام والمنارات والعجايب والطلسمات . وملّكهم قبطيم [أربعائة و] ثمانين سنة ومات ؛ فأعتم عليه بنوه وأهله ودُفن في الشرق في سرب تحت الجبل الكبير الداخل ، وصَفحوه بالمرمر الملوّن وجعلت فيه منافذ للرياح ؛ فهي تتخزق فيه بدوى عظيم هائل ، وجعل فيه من الكبريت الأحمر وأكر من نحاس مطيبة بأدوية مُشعلة لا تطفأ ، ولطخوا جسده بالمرز والكافور والمؤميا ، وجملوه في جرن من ذهب في ثياب منسوجة بالمرجان والدرّ ، وكشفوا عن وجهه وجملوه تحت قبة ملوّنة ، في وسطها درة معلقة نضيء كالسراج ، والقبة على أعمدة بين كلّ عمودين تمثال في يده أعجوبة ، وجملوا حول الحُرْن توابت مملوءة جوهرًا وذهبًا وتمائيل وصنعة وغير ذلك ، وحول ذلك مصاحف القبط والحكمة ، وستوا عليه بالصخور والرصاص وزبروا عليه كما زبروا على ناووس أبيه .

- وملك بعده ابنه قفطريم بن قبطيم ؛ وكان أكبر ولد أبيه ؛ وكان جبارًا عظيم الخلق ، وهو الذي وضع أساسات الأهرام الشهورية وغيرها ليعمل منها كما عمل الأولون ، وهو الذي بنى دندرة ومدينة الأصنام . ودندرة : بلد من بلاد إقليم قوص ، وهي في البرّ الغربي مشهورة هناك . قال : وأثار من المعادن ما لم يثره غيره ،

(١) التكلة من خطط المقرئى (ج ١ ص ٧٥ طبعه فيت) . (٢) البليلة : اختلاط الألسن .

(٣) التكلة من خطط المقرئى (ج ٣ ص ٣٣ طبعه فيت) .

وكان يميز من الذهب مثل حجر الرحي، ومن الزبرجد كالأسطوانة، ومن الأسباد شم في صحراء الغرب كالقلة. وعمل من العجائب شيئا كثيرا. وبني منارا عاليا على جبل فقط يرى من البحر الشرقي، ووجد هناك معدن زئبق فعمل منه بركة كبيرة، فيقال إنها هناك الى الآن؛ وأما المنار فسقط. وعمل عجائب كثيرة. ويقال: إنه بني المدائن الداخلة وعمل فيها عجائب كثيرة، منها: الماء الملفوف القائم كالعمود لا ينحل ولا يذوب، والبركة التي تسمى فلسطين، أي صيادة الطير، إذا مر عليها الطير سقط فيها ولم يمكنه أن يبرح حتى يؤخذ. وعمل أيضا عمودا من نحاس عليه صورة طائر إذا قربت الأسد والحيات والأشياء المضرة من تلك المدينة صفر صفيرا عاليا فترجع تلك الدواب هاربة. وكان على أربعة أبواب هذه المدينة أربعة أصنام من نحاس لا يقرب منها غريب إلا ألقى عليه النوم والسبات، فينام عندها ولا يستيقظ حتى يأتيه أهل المدينة وينفخون في وجهه فيقوم، وإن لم يفعلوا ذلك لم يزل نائما عند الأصنام حتى يهلك. وعمل منارا لطيفا من زجاج ملون على قاعدة من نحاس، وعلى رأس المنارة صورة صنم من أخلاط كثيرة، وفي يده كالفوس كأنه يرمى عنها، فإن عاينه غريب وقف في موضعه لم يبرح حتى يُجِبه أهل المدينة. وكان ذلك الصنم يتوجه إلى مهب الرياح الأربع من نفسه.

قال وقيل: إن هذا الصنم على حاله إلى الآن، وإن الناس تحاموا تلك المدينة على كثرة ما فيها من الكنوز والعجائب الظاهرة خوفا من ذلك الصنم أن تقع عين الإنسان عليه فلا يزال قائما حتى يتلف. قال: وكان بعض الملوك عمِل على قلعه فأمكنه، وهلك لذلك خلق كثير. ويقال: إنه عمِل في بعض المدن الداخلة مرآة من أخلاط ترى جميع ما يسأل الإنسان عنه وهي غربي البلد. قال: وعمل خلف الواحات الداخلة مدنا عمِل فيها عجائب كثيرة

وكل بها الروحانيين الذين يمنعون منها ؛ فما يستطيع أحد أن يدنو منها ولا يدخلها أو يعمل قرابين أولئك الروحانيين فيصل إليها حينئذ وياخذ من كنوزها ما أحب من غير مشقة ولا ضرر . قال : وأقام قفطريم ملكا أربعائة سنة . وأكثر العجائب عملت في وقته ووقت ابنه البودسير . وكان الصعيد أكثر عجائب من أسفل الأرض . قال : وفي آخر أيام قفطريم هلكت عاد بالريح العقيم .

ولما حضرت قفطريم الوفاة عمل له ناووس من الجبل الغربي قرب مدينة الكهنة ، كان عمله لنفسه قبل موته في سرب في الجبل كهيئة الدار الواسعة وجعل دورها خزائن منقورة ، وجعل في سقوفها مسارب للرياح ، وبني ذلك بالمرمر ، وجعل في وسط الدار مجلسا على ثمانية أركان مصفحا بالزجاج الملون المسبوك ، وجعل في سقفه جواهر وحجارة تسرج ، وجعل في كل ركن من أركان المجلس تمثالا من الذهب بيده كالبوق ، وجعل تحت القبة دكة مصفحة بالذهب ، وجعل لها حوافي زبرجد ، وفرش فوق الدكة فرش الحرير ، وجعل عليها جسده بعد أن أطخ بالأدوية المسكة ، ومن جوانبه آلات الكافور المخروطة ، وسدلت عليه ثياب منسوجة بالذهب ، ووجهه مكشوف وعلى رأسه تاج ملكه ، وعن جوانب الدكة أربع تماثيل مجوفات من زجاج مسبوك مثل صور النساء والواهن ، بأيديهن كالمراوح من ذهب ، وعلى صدره من فوق الثياب سيف صاعق قائمه من الزبرجد ، وجعل في تلك الخزائن : من الزبرجد وسبائك الذهب والتيجان والجواهر وبراني الحكم وأصناف العقاقير والطلسمات ، ومن المصاحف الحاوية لجميع العلوم ، مالا يحصى قدره كثرة ، وجعل على باب المجلس ديك من ذهب على قاعدة من زجاج أخضر منشور الجناحين مزبور عليه آيات عظام مانعة ، وجعل على مدخل كل أزج صورتين من نحاس مشوهتين بأيديهما

(١) في خطط المقرئى : « البودشير » بالشين المعجمة .

سيفان كالبرق ، ووراءهما بلاطة تحتها لوالب فن وطئها ضربه بأسيافهما فقتلاه ،
 وفي سقف كل أزج كرة عليها أطوخ مدبر يُسْرَج ، وسُدَّ باب الأزج بالأساطين ورسوا
 على سقفه البلاط العظام ورددوا فوقها الرمال ، وزبروا على باب الأزج : هذا
 الداخل إلى جسد الملك العظيم المهيب الكريم الشديد قفطريم ذى الأيد والفخر ،
 والغلبة والقهر ، أفل نجمه وبقى ذكره وعلمه ، فلا يصل أحد إليه ، ولا يقدر بجيلة
 عليه ، وذلك بعد سبعمائة وسبعين ، ودورات مضت من السنين .

قال : ولما مات قفطريم ملك بعده أبه البودسير بن قفطريم ؛ فتجبر وتكبر
 وعمل بالسحر وأحتجب عن العيون ، وقد كان أعمامه أشمون وأتريب وصاملوكا على
 أحيازهم إلا أنه قهرهم بجبروته وقوته ، فكان الذكر له كما كان لأبيه . ويقال : إنه
 أرسل هرْمِس الكاهن المصرى إلى جبل القُمر الذى يخرج النيل من تحته حتى
 عمِل هناك هيكل التماثيل النحاس ، وعدل إلى البطيحة التى ينصب إليها ماء النيل .
 ويقال : إنه الذى عدل جانبي النيل وقد كانت يفيض [فى مواضع وينقطع
 فى مواضع ^(١)] ، وأمره البودسير أن يسير مقربا فينظر الى ما هناك ، فوقع على أرض
 واسعة متخزقة بالمياه والعيون كثيرة العُشب ، فبنى منائر ومنتزهات ، وحول إليها جماعة
 من أهل بيته فعمروا تلك النواحي وبنوا فيها حتى صارت أرض الغرب كلها عمارة ،
 وأقامت كذلك مدة كثيرة وخاطبهم البربر فتناحوا ؛ ثم إنهم تحاسدوا وبنى بعضهم
 على بعض ، وكانت بينهم حروب تغرب البلد وباد أهلها إلا بقية منازل تسمى
 الواحات هى موجودة الى وقتنا هذا .

ويقال : إنه عمل عجائب كثيرة فى وقته ، منها : قبة لها أربعة أركان
 وفى كل ركن منها كوة يخرج منها كالدخان الملتف فى ألوان شتى [يستدلون بكل

(١) التكلة من خطط القرزى (ج ٣ ص ٢٧ طبة فيت) .

لون على شيء] ^(١)؛ فما خرج منه أخضر دلّ على العمارة وحسن النبات والزرع
 وصلاحه ، وإن خرج الدخان أبيض دلّ على الجذب وقلة الزكاء ^(٢) ، وإن خرج
 أحمر دلّ على الدماء والحروب وقصد الأعداء ، وإن كان أسود دلّ على
 كثرة الأمطار والمياه وفساد بعض الأرض بذلك ، وإن كان أصفر دلّ على
 النيران وآفات تحدث في الفلك ، وما كان منها مختلطا دلّ على مظالم الناس وتعدي
 بعضهم على بعض وإهمال ملوكهم لهم ، وأشياء من هذا الضرب . وكانت هذه القبة
 على منار أقام زما طويلا ثم هدمه بعض الملوك البربر؛ لأنه أراد غزو قوم بتلك
 الناحية فعملوا بحاله فانتقلوا عن ذلك الموضع الى قُرب النيل فلما جاء ولم يجدهم هدمه .

ومما عُمل له في الصحراء التي تقرب منه — وكانت الوحش قد كثرت وأفسدت
 عليهم زرعهم وكذلك خنازير الماء — شجرةٌ من نحاس عليها أمثال تلك الوحوش
 ملجئة أفواهاها بجيوط من نحاس ، فما يجوز بها من الوحش لا يستطيع الحراك
 ولا البراح من عندها حتى يُؤخذ قبضا ويُقتل؛ فأشيع الناس في لحوم تلك الوحوش
 وانتفعوا بجلودها زمانا طويلا إلى أن اترعها بعض ملوك الغرب سرا من أهل مصر
 وقدر أن ينصبها في بلدهم فتعمل له مثل ذلك ، فلما عملها بطلت؛ لأنهم كانوا
 يعملون ما يعملون بطالع يأخذونه له ، فلا يزال عمله مستقيا إلى أن تغير عن مكانه
 فبطل عمله .

ومما عُمل في وقته أن غرابا نقر عين صبي من أولاد الكهنة فقلعها ،
 فعمل شجرة من نحاس عليها تمثال غراب من نحاس في متقاره حربة بادية الطرفين .
 منشور الجناحين ، وكتب على ظهره كتابا ؛ فكانت الغرابان تقع على تلك الشجرة

(١) التكلة من خطط المقرئ . (٢) الزكاء: النماء ، يقال زكا الشيء يزكو زكا وزكوا ، نما .

ولا تبرح حتى تؤخذ فتقتل، ففني أكثر الغربان وزالت عن تلك الناحية إلى ناحية الشام . ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن أصاب بعض ملوكهم علةٌ ووصف له فيها لحمُ غراب يطبخه ويأكله ويشرب من مرقه فلم يوجد، فوجه إلى آخر العمل الذي بمصر من ناحية الشام من يأتيه بتراب فأبطأ عليه، فأمر بتزج الشجرة فرجع الغراب وأخذ منها ما عولج به الملك قبل أن يرجع رسوله .

ومما عمل في وقته - وكانت الرمال قد كثرت عليهم من ناحية الغرب حتى ظهرت على زروعهم - فعمل لذلك صنفاً من صوان أسود على قاعدة منه وعلى كتفه شبه القفّة فيها كالمسحاة، وتقرش على جبهته وصدرة وذراعيه وساقيه حروفاً، وأقامه الكاهن بطالع أخذه له ووجهه إلى الغرب؛ فأنكشفت تلك الرمال ورجعت إلى ورائها . فتلك الأكداس العالية في صحراء الغرب منها . ولم تزل الرمال تندفع عنهم إلى أن زال ذلك الصنم عن موضعه . قال : وأقام البودسير مدةً وأحتجب عن الناس، وكان يتجلى لهم في صورة وجه عظيم، وربما خاطبهم ولا يرونه، ثم غبر مدةً وهم في طاعته إلى أن رآه ابنه عديم وهو يأمره بالجلوس على سرير الملك .

بجلس عديم بن البودسير على الملك وكان جباراً لا يطاق، عظيم الخلق، فأمر بقطع الصخور ليعمل هرماً كما عمل الأتولون . قال : وكان في وقته الملكان اللذان

(١) غبر : مكث وبق .

(٢) في خطط المقرزي (ج ٣ ص ٣٨ طبعة فييت) ما نصه : « فلما مات ملك بعده ابنه أرقليون، وكان كاهناً ساحراً، فعمل أعمالاً غريبة، منها : أنه كان يجلس في السحاب فيرونه في صورة إنسان عظيم، وأقام مدةً على ذلك، ثم إنه ذب عن أهله مصر وصاروا بغير ملك، ثم رأوا صورة بجاء جرم الشمس عند حلولها أتول برج الحمل، فأمرتهم أن يقلدوا الملك عديم بن قفطريم : وأعلمتهم أنه ما بق يعود إليهم . فولوا عليهم ملك مصر عديم بن قفطريم، وكان جباراً عظيماً ... الخ » .

هبط من السماء، وكانا في بئر يقال لها أفناوه، وكانا يعلمان أهل مصر السحر. ويقال: إن عديم استكثر من علمهما ثم نقلا إلى بابل .

قال : وأهل مصر من القبط يقولون إنهما شيطانان يقال لهما : مُهَلَّة ومَهَالَّة ، وليس هما المَلَكَيْن . والمَلَكَان ببابل في بئر هناك يغشاها السحرة إلى يوم الساعة .

ولنصل هذا الفصل بخبر هاروت وماروت وإن لم يكن منه ؛ وإنما الشيء بالشيء يذكر . والله أعلم .

ذكر خبر هاروت وماروت

قال الله تعالى : ﴿ وَاتَّبِعُوا مَا نَزَّلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مَلِكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينُ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ﴾^(١)

١٣٤
١٢

الآية . قال أبو إسحاق النخعي في تفسيره : وكانت قصتهما — على ما ذكره ابن عباس رضي الله عنه والمفسرون — أن الملائكة رأوا ما يصعد إلى السماء من أعمال بني آدم الخبيثة

وذنوبهم الكثيرة ؛ وذلك في زمن إدريس عليه السلام فيعيرونهم بذلك ، ودعت عليهم

الملائكة وقالوا : هؤلاء الذين جعلتهم في الأرض وأخترتهم فهم يعصونك ؛ فقال الله

عز وجل لهم : لو أنزلتكم إلى الأرض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لركبتم ما أرتكبوا ؛

فقالوا : سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نعصيك ؛ قال الله تعالى : فأخاروا ملكين

من خياركم أهبطهما إلى الأرض ، فأخاروا هاروت وماروت ، وكانا من أصلح

الملائكة وأعبدهم . قال : وقال الكلبي : قال الله لهم : اختاروا ثلاثة فأخاروا

عزرا وهو هاروت ، وعزرايا وهو ماروت ، وغير أسمهما لما قارفا الذنب ، وعزرايل ؛

فركب الله فيهم الشهوة التي ركبها في بني آدم وأهبطهم إلى الأرض ، وأمرهم أن يحكوا

(١) سورة البقرة آية ١٠٢

بين الناس بالحق ، ونهاهم عن الشرك والقتل بغير حق ، ونهاهم عن الزنا وشرب الخمر . فأما عزراييل فإنه لما وقعت الشهوة في قلبه استقال ربه وسأله أن يرفعه إلى السماء فأقاله ورفعه ، فسجد أربعين سنة ثم رفع رأسه . ولم يزل بعد ذلك مطاطك رأسه حياءً من الله تعالى . وأما الآخران فإنهما بقيا على ذلك ، وكانا يقضيان بين الناس يومئذ إذا أمسيا ذكرا أسم الله الأعظم وصعدا إلى السماء . قال قتادة : فما مرة عليهما أشهر حتى افتتنا .

قال الثعلبي : قالوا جميعا : وذلك أنه اختص اليهما ذات يوم الزهرة ، وكانت من أجل النساء . قال علي رضي الله عنه : كانت من أهل فارس ، وكانت ملكة في بلدها ، فلما رأياها أخذت بقلوبهما ، فراوداها عن نفسها فأبت وأنصرفت ، ثم عادت في اليوم الثاني فعلا مثل ذلك ، فأبت وقالت : لا ! إلا تعبدوا ما أعبد ، وتصلبوا لهذا الصنم ، وتقتلوا النفس ، وتشربوا الخمر . فقالا : لا سبيل إلى هذه الأشياء ، فإن الله عز وجل نهانا عنها ، فأنصرفت ، ثم عادت في اليوم الثالث ومعها قدح من نمر وفي أنفسهم من الميل إليها ما فيها ، فراوداها عن نفسها فعرضت عليهما ما قالت بالأمس فقالا : الصلاة لغير الله عظيم ، وقتل النفس عظيم ، وأهون الثلاثة شرب الخمر ، فشربا فانتشيا ووقعا بالمرأة وزنيا ، فلما فرضا رأهما إنسان فقتلاه . قال الربيع بن أنس : وسجدا للصنم فمسخ الله عز وجل الزهرة كوكبا .

وقال علي بن أبي طالب والسدي والكلبي رضي الله عنهم : إنها قالت لها : لن تدركاني حتى تحبراني بالذي تصعدان به إلى السماء . فقالا : بأسم الله الأكبر . قالت : فما أنتما بمدركاني حتى تعلمانيه . فقال أحدهما لصاحبه : علمها ! قال : إني أخاف الله . قال الآخر : فإن رحمة الله ! فعلمها ذلك . فتكلمت به وصعدت

إلى السماء . فسسخها الله تعالى كوكبا . فعلى قول هؤلاء هي الزهرة بعينها ، وقيدوها فقالوا : هي هذه الكوكبة الحمراء واسمها بالفارسية «ناهيد» ، وبالنبطية «بيدخت» .
قال : ويدل على صحة هذا القول ما رواه الثعلبي بسنده إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأى سُهَيْلا قال : " لعن الله سُهَيْلا إنه كان عشارا باليمن ولعن الله الزهرة فإنها فتنت ملكين " .^(١)

وقال مجاهد : كنت مع ابن عمر رضي الله عنهما ذات ليلة فقال لي : ارمق الكوكبة فإذا طلعت فأيقظني ، فلما طلعت أيقظته ، فجعل ينظر إليها ويسبها سباً شديداً ، فقالت : رحمك الله تسب نجما سامعا مطيعا لله ؟ ما له يسب ! فقال : إن هذه كانت بغياً فليق الملكان منها ما ليقيا . وقال نافع : كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا رأى الزهرة قال : لا مرحباً بها ولا أهلاً . وروى أبو عثمان النهدي عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن المرأة التي قُتِن بها الملكان مُسِحَّت ، فهي هذه الكوكبة الحمراء ، يعني الزهرة .

قال الثعلبي : وأنكر الآخرون هذا القول وقالوا : إن الزهرة من الكواكب السبعة السيارة التي جعلها الله قواما للعالم ، وإنما كانت هذه التي قتنت هاروت وماروت امرأة ، كانت تسمى زهرة من جماتها ، فلما بغت جعلها الله تعالى شهابا ،

(١) العشار : الذي يقبض عشر الأموال .

(٢) ويؤيد هذا ما قاله الإمام القرطبي في تفسيره هذه الآية الكريمة (ج ٢ ص ٥٢) : «هذا كله ضعيف وبعيد عن ابن عمر وغيره ، لا يصح منه شيء ، فإنه قول تدفعه الأصول في الملائكة الذين هم أمثال الله على وجهه ، وسفراؤه إلى رسله (لا يعضون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) ، (بل عباد مكرمون . لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون) ، (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) . وأما العقل فلا ينكر وقوع المعصية من الملائكة ويوجد منهم خلاف ما كلفوه ، ويخلق فيهم الشهوات ؛ إذ في قدرة الله تعالى كل موهوم ؛ ومن هذا خوف الأنبياء والأولياء الفضلاء العلماء ، لكن وقوع هذا الجائز لا يدرك إلا بالسمع ولم يصح . وما يدل على عدم صحته أن الله تعالى خلق النجوم وهذه الكواكب حين خلق السماء ؛ ففي الخبر : =

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزهرة ذكر هذه المرأة لموافقة الأسمين فلعنهما، وكذلك سهيل العشار . والله أعلم .

قالوا : فلما أمسى هاروت وماروت بعد ما قارفا الذنب هما بالصعود إلى السماء

١٢٥

١٢

فلم تطاوعهما أجنحتهما ، فعلمتا ما حلّ بهما فقصدتا إدريس عليه السلام فأخبراه بأمرهما وسألاه أن يشفع لهما إلى الله عز وجل ففعل ذلك ، فخيرهما الله تعالى بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ، فأختارا عذاب الدنيا إذ علما أنه يتقطع ، فهما ببابل يعذبان . واختلف العلماء في كيفية عذابهما فقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه :

هما معلقان بشعورهما إلى قيام الساعة . وقال قتادة : كُجِّلَا من أقدامهما إلى أصول أخفاهما . وقال مجاهد : إن جِبَاً مَلُئَ نَارًا بَجُفَلَا فِيهِ . . قال حُصَيْف : معلقان منكسان في السلاسل . وقال عمير بن سعد : منكوسان يُضْرَبَان بِسِيَاطِ الْحَدِيدِ .

وروى أن رجلا أراد تعلم السحر فقصد هاروت وماروت فوجدهما معلقين بأرجلهما ، مُزْرَقَةً أَعْيُنُهُمَا ، مُسَوِّدَةً جُلُودَهُمَا ، ليس بين ألسنتهما وبين الماء إلا قدرُ أربع أصابع ، وهما يعذبان بالعطش ، فلما رأى ذلك حاله مكانهما فقال : لا إله إلا الله ، وقد نُهِىَ عن ذكر الله هناك . فلما سمعا كلامه قالا : مَنْ أَنْتَ ؟ قال : رجل من

الناس . قالا : من أىّ أمة أنت ؟ قال : من أمة محمد صلى الله عليه وسلم . قالا : وقد بُعِثَ ؟ قال نعم . قالا : الحمد لله ! وقد أظهرنا الاستبشار . فقال الرجل : وممّ استبشاركما ؟ قالا : إنه نبي الساعة ، وقد دنا آتقضاء عذابنا .

= "أن السماء لما خلقت خلق فيها سبعة دوائر زحل والمشتري وبهرام وعطارد والزهرة والشمس والقمر" . وهذا معنى قول الله تعالى : (وكل في فلك يسبحون) . فثبت بهذا أن الزهرة وسهيل قد كانا قبل خلق آدم ، ثم إن قول الملائكة : ما كان ينبغي لنا عوده ، لا تقدر على قتنا ، وهذا كفر نموذ بالله منه ومن نسبه إلى الملائكة الكرام صلوات الله عليهم أجمعين ؛ وقد زهناهم وهم المنزهون عن كل ما ذكره وقسله المفسرون ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون .

- قال: وأما كيفية تعلم السحر، فقد روي فيه خبر جامع، وهو ما رواه أبو إسحاق بسنده عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: قدمت على امرأة من أهل كومة الجندل جاءت تبني رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته تسأله عن شيء دخلت فيه من أمر السحر ولم تعمل به؛ قالت عائشة رضي الله عنها لعروة: يا بن أختي، فرأيتها تبكي حين لم تجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانت تبكي حتى إني لأرحمها! تقول: إني أخاف أن أكون قد هلكت؛ قالت: كان لي زوج فغاب عني فدخلت على عجوز فشكوت ذلك إليها فقالت: إن فعلت ما أمرك به فلعله يأتيك، فلما كان الليل جاءني بكبشين أسودين فركبت أحدهما وركبت الآخر، فلم يكن كثير حتى وقفنا ببابل، فإذا برجلين معلقين بأرجلهما فقالا: ما جاء بك؟ فقلت: أتعلم السحر، قالوا: إنما نحن فتنة فلا تكفري وأرجعي، فأبيت فقلت: لا، فقالوا: إذهبي إلى ذلك الثور فبولي فيه، فذهبت ففزعتم فلم أفعل، فرجعت إليهما فقالا: فعلت؟ قلت نعم، قالوا: هل رأيت شيئا؟ قلت: لم أر شيئا، فقالوا: لم تفعل، إرجعي إلى بلادك فلا تكفري، قالت: فأبيت، فقالوا: إذهبي إلى ذلك الثور فبولي فيه، فذهبت فأقشعرت جلدي فرجعت إليهما فقلت: قد فعلت، فقالوا: هل رأيت شيئا؟ فقلت: لم أر شيئا، فقالوا: كذبت لم تفعل، إرجعي إلى بلادك فلا تكفري فإنك على رأس أمرك؛ قالت: فأبيت، فقالوا: إذهبي إلى ذلك الثور فبولي فيه، فذهبت إليه فبلت فראيت فارسا مقنعا بحديد خرج مني حتى ذهب في السماء وغاب عني حتى ما أراه، فبختهما فقلت: قد فعلت؛ قالوا: فما رأيت؟ قلت: رأيت فارسا مقنعا بالحديد خرج مني حتى ذهب في السماء حتى ما أراه، قالوا: صدقت، ذلك إيمانك خرج منك؛ اذهبي. فقلت للمرأة: والله ما أعلم شيئا، وما قال لي شيئا. فقالت: لن تریدی شيئا إلا كان؛ خذي هذا القمح فأبذري،

فبَدَرْتُ ، قلت : أطلُّي ، فأطلمت ، فقلت ، أحقلي ، فأحقت ، ثم قلت : أفركي ،^(١)
فأفركت ، ثم قلت : أطحني ، فأطحنت ، ثم قلت : أخبزني ، فأخبزت . فلما رأيت
أنى لا أريد شيئا إلا كان ، سَقِطَ في يدي وندمت . والله يا أم المؤمنين ما فعلتُ
شيئا قط ، ولا أفعله أبدا .

قال : وقال بعضهم : إنهما لا يتعمدان تعليم السحر ولكنهما يصفانه ويذكران
بطلانه ويأمران بأجتنابه ، فيتعلم الشقيّ منهما في خلال صفتهما ويترك موعظتهما
ونصيحتهما ، فلا يكون على هذا التأويل كفرا وإنما يكون العمل به كفرا . وقد أنكر
بعضهم أن يكونا ملكين قال : وإنما كانا ملكين . وقرئ في الشواذ : ﴿ وَمَا أَنْزَلَ
عَلَى الْمَلِكَيْنِ ﴾ (بكسر اللام) . وقيل : كانا عليّين ببابل .^(٤) حكاه القاضي عياض
في كتاب الشفا . والله تعالى أعلم .

ولنرجع إلى أخبار عديم بن السودسير الملك . قال : وعديم أول من صلب ؛
وذلك أن امرأة زنت برجل من أهل الصناعات ، وكان لها زوج من أصحابه ، فأمر

١٢٦
١٢

(١) أطلعت : أطلع الزرع ، بدا . (٢) أحقت : أحقت الزرع - تشعب ورقه قبل
أن تفلظ سوقه . (٣) أفركي : يقال أفرك الزرع إذا بلغ أن يفرك باليد .

(٤) ورد بهامش نسخة ب هذه الحاشية ونصها : « والصحيح الذي ذكره القاضي عياض ، وأما
الذي ذكر أولا ليس بصحيح ، فإن صاحب العقل الراجح الصحيح هو الذي يقول بقول العلماء الأقدمين
الذين درسوا العلوم الإلهية الحقيقية والمعارف العقلية ، وهم الفلاسفة العظام الذين هم في مراتب الأنبياء
العظام مثل آدم ونوح وإبراهيم وموسى وهارون ويوشع وعيسى ومجد صلوات الله عليهم أجمعين ، لأن
الملائكة خلقهم الله تعالى خلقة غير خلقة ابن آدم وجعل فيهم من القوة والثلون ، يتصورون بكل صورة
أرادوا ، وهم شباب لم يموتوا ولم يتفسروا ولم يتجبروا ولم يهرم بشر إلا إن أرادوا ذلك . والصحيح أن
هاروت وماروت ليسا ملكين وإنما كانا عليّين ظالمين فأهلكهما الله سبحانه وضرِبَ بهما المثل » .

(٥) راجع صفحة ١٧٢ طبع الآسنة . (٦) يعني لأجل الزنا .

بصلبهما على منارتين، وجعل ظهر كل منهما إلى ظهر صاحبه، وزبر على المنارتين
 أسمهما وما فعلاه وتاريخ الوقت الذي عمِل ذلك بهما فيه، فأتى الناس عن الزنا.
 قال: وبني أربع مدائن وأودعها صنوفاً كثيرة من عجائب الأعمال والطلسمات
 وغير ذلك، وكثر فيها كنوزاً كثيرة. وعمِل في الشرق منارة وأقام على رأسه صنماً^(١)
 موجهاً إلى الشرق، ماذا يديه يمنع دواب البحر والرمال أن تتجاوز حذوه، وزبر
 في صدره تاريخ الوقت الذي نصبه فيه؛ ويقال: إن هذا المنار قائم إلى وقتنا هذا؛
 ولولاه لغلِب الماء المالح من البحر الشرق على أرض مصر. وعمل قنطرة على النيل
 في أول بلاد النوبة ونصب عليها أربعة أصنام موجهة [إلى أربع جهات الدنيا]^(٢)
 في يدي كل صنم جرسٌ يضرب به إذا أتاهم آت من تلك الناحية؛ فلم تزل بحالها
 إلى أن هدبها فرعون موسى. وهو الذي عمل البربا على باب النوبة، ويقال: ١٠
 إنه عمِل في إحدى المدائن الأربع التي ذكرناها حوضاً من صَوَان أسود مملوء ماء
 لا ينقص على طول الدهر ولا يتغير؛ وكان أهل تلك الناحية يشربون منه ولا
 ينقص ماؤه؛ وإنما عمل ذلك لبعدهم عن النيل وقربهم من البحر المالح. وقد
 ذكر بعض كهنة القبط أن ذلك لقربهم من البحر المالح، لأن الشمس فيما ذكروا
 ترفع بحرها بخاراً فيحصل من ذلك البخار حرٌّ بالهندسة، وقيل بالسحر. وملكهم ١٥
 عديم مائة سنة وأربعين سنة، ومات وهو ابن سبعائة سنة وثلاثين سنة. وقيل:
 إنه دُفن في إحدى المدائن ذات العجائب في أزج من رخام ملون بزرقه، مبطن
 برخام أصفر، وطلى جسده بما يُمسكه، وجعل حوله كثير من ذخائره، وذلك
 وسط المدينة، فهي محروسة بما يمنع منها من الروحانيين.

(١) كذا في المقرئى. وفي الأصل: «منارة عليه صنم».

(٢) الكلمة من خطط المقرئى.

قال : وذكر بعض القبط أن عديمًا هذا عمل لنفسه في صحراء قفط على وجه الأرض قبة عظيمة من زجاج أخضر براق، معقودة على ثمانية آراج من صنفها، على رأسها أكرة من ذهب، عليها طائر من ذهب، متوشح بجوهر، منشور الجناحين، يمنع من الدخول إليها، وقطرها مائة ذراع في مثلها، وجعل جسده في وسطها على سرير من ذهب مشبك وهو مكشوف الوجه، وعليه ثياب منسوجة بذهب مفروزة بجوهر منظوم، والآراج مفتحة، طول كل آراج ثمانية أذرع، وأرتفاع القبة أربعون ذراعًا تُلقي الشعاع على ما حولها من الأرض، وجعل حوله في القبة مائة وسبعون مصحفًا من مصاحف الحكمة، وسبع موائد عليها وأنيابها، منها : مائدة من أدرك رمانى-أحمر وآنيابها منها. ومائدة من ذهب فيلمونى يخطف البصر، وهو من الذهب الذى تعمل منه تيجان الحكماء، وآنيابها منها. ومائدة من حجر الشمس المضئ بآنيابها. ومائدة من الزبرجد المخروط الذى يخالطه شعاع أصفر بآنيابها، قال : وهذا الزبرجد إذا نظرت إليه الأفاعي سالت عيونها. ومائدة من كبريت أحمر مدبر بآنيابها. ومائدة من ملح مدبر براق يكاد نوره يخطف الأبصار بآنيابها. ومائدة من زئبق معقود وقوائمه وحافاتهما من زئبق أصفر معقود مضى، وعليها آنية من زئبق أحمر معقود. وجعل في القبة جواهر كثيرة ملونة وبرانق صنعة مدبرة، وجعل حوله سبعة أسياف صاعقية وكاهنية وأتراس من حديد أبيض مدبر، وجعل معه تماثيل أفراس من ذهب، [عليها سروج من ذهب] وسبعة توابيت من الدنانير التى ضربها وصور عليها صورته، وجعل معه من أصناف العقاقير والسمومات والأدوية فى برانق الحنتم، ومن أصناف الأحجار شىء كثير.

(١) كذا فى خطط المقرئى، وفى الأصول «فلزق»، وفى هامش خطط المقرئى طبعة فييت «فلونى» . (٢) الكلمة من المقرئى . (٣) الحنتم : جوارخضرتضرب إلى الحمرة

قال : وقد ذكر من رأى تلك القبة وأقاموا عليها أياما فما قدروا على الوصول إليها، وأنهم إذا قصدوها وكانوا منها على مقدار ثمانية أذرع دارت القبة عن أيانهم وشمالهم وقد عاينوا ما فيها . ومن أعجب ما ذكروا أنهم كانوا يحاذون آراجها أزجا أزجا فلا يرون غير الصورة التي يرونها من الأزج الآخر على معنى واحد . وذكروا أنهم رأوا وجهه في قدر ذراع ونصف بالذراع الكبير، ولحيتيه كبيرة مكشوفة ، وقدروا طول بدنه عشرة أذرع وزيادة، وأنهم لما تها أن يصلوا إليها فتي مأوهم وخافوا على أنفسهم فرجعوا ليمتاروا ما يكفيهم من الزاد ففعلوا ، ثم رجعوا فأقاموا أياما يطوفون تلك الصحراء ، ثم أخبروا أنهم رأوا بها عجائب كثيرة وصنوا من الوحش لم يروا مثلها .

قال : وفي كتبهم أنهم لا يصلون إليها إلا بأن يُذبح لها ديك أفرق ويخبر بريشه من بعد، ثم يسأل من المريخ الوصول حتى يصل ، وتكون الكواكب النيرة على مثل ما كانت عليه وقت نصحها من اجتماعها في البروج : يكون زحل والمشتري والمريخ في برج واحد، والشمس والقمر في برج واحد ، والزهرة وعطارد في برج واحد، ويتكلم عليها بصلاة الكهنة سبع مرات ، فإذا وصل إليها لطخ حانطها بدم الديك الذي قزبه لها ويأخذ ما شاء من المسال والتماثيل ولا يكثر المقام فيها ولا يقيم غير ساعة واحدة .

قال : وذكر هؤلاء الذين رأوها أنهم لم يكونوا من تلك الناحية وإنما خرجوا يطلبون غيرها ؛ فإنهم سألوا أهل فقط عنها فلم يجدوا من يعرفها ولا رآها غير رجل شيخ منهم ، فإنه ذكر أن أبنا له خرج في بعض الأمور ومعه جمل له فرأها ولم يصل إليها ، وبحث عن أمرها فعرف أن قوما من الشرق جاءوا في طلبها وأنهم أقاموا يطوفون فقط أياما وخرجوا إليها فما رجع أحد منهم ولا عرف لهم خبر .

قال : وكان عديم قد أوصى إلى ابنه شدّات عند موته أن ينصبّ في كل
 حيز من أحياز عمومته منارا ويزر عليه اسمه ، فأتحدّ إلى الأشمونين فعمل منارا
 وزر عليه اسمه وعمل بها ملاعب ، وعمل في صحرائها منارا وأقام عليه صنما
 ذا رأسين بأسم كوكبين كانا مقترنين في الوقت .^(١) وخرج إلى أريب وبنى فيها قبة
 عظيمة مرتفعة على عمّد وأساطين بعضها فوق بعض ، وجعل على رأسها صنما
 صغيرا من ذهب ، وعمل هيكلًا للكواكب . وكان أبوه البودسير أول من أقام
 للكواكب فأخذ ذلك عنه . ومضى إلى حيز صا فعمل فيه منارا على رأسه مرآة من
 أخلاط توري الأقاليم ، ورجع إلى أبيه فعهد له بالملك .

فلك شدّات بن عديم وهو الذي بنى الأهرام الدهشورية من الحجارة التي
 قُطعت في زمان أبيه . قال : من أنكر أن يكون العاديّة دخلوا مصر إنما غلطوا بأسم
 شدّات بن عديم فقالوا شدّاد بن عاد لأنه أكثر ما يجري على ألسنتهم ، وقلة ما يجري
 على ألسنتهم شدّات بن عديم ؛ وإلا فما قدر أحد من الملوك يدخل مصر ولا قوى
 على أهلها غير بجمت نصر . وشدّات الذي عمل مصاحف التارنجيات ،^(٤) وعمل هيكل
 أرمنت وأقام فيه أصناما بأسماء الكواكب من ذهب وفضة وحديد أبيض ونحاس^(٥)

(١) عبارة المقرئى : « كانا مقترنين في الوقت الذى خرج فيه الى أريب ، وبنى فيها ... الخ » .

(٢) كذا فى المقرئى . وفى الأصول : « مربعة » .

(٣) كذا فى الأصل وكتاب الانتصار لابن دقاق (ج ٥ ص ٣٨) . وفى المقرئى (ج ٣ ص ٣٩)

طبعة فيت) وصحج الأعى (ج ٣ ص ٤١٣) : « شدّات » بالشين المعجمة والشاء المثناة .

(٤) كذا فى الأصل . والذى فى القاموس « النيرج » قال شارح القاموس : « هكذا

فى سائر النسخ ، والمنقول عن نص كلام الليث « النيرج » بإسقاط النون الثانية . وكذا ورد

فى لسان العرب لابن منظور . وهو أخذ كالسحر وليس به ، إنما هو تشبيه وتليس . » (٥) أرمنت :

بلدة بصعيد مصر الأعلى ، بينها وبين الأقصر فى سمت الجنوب بعض مرحلة ، وبينها وبين أسوان مرحلتان

(راجع معجم البلدان والانتصار لابن دقاق) . (٦) كذا فى المقرئى . وفى الأصل : « أصنام

الكواكب » .

مذهب ورمصاص مُصنّى وزئبق معقود. وهذه الأجساد المعدنية في طباع الكواكب
 وفي قسمتها . فلما فرغ منه زينته بأحسن زينة ونقشه بأحسن النقوش من الجواهر
 الملونة والزجاج المعمول الملون وكساه الوشى والديباج ولم يترك شيئا من التحف إلا
 عمله ، وكذلك عمل في المدن الداخلة من أنصنا هيكلا ، والقبة التي أقامها بأتريب^(٢)
 وهيكل شرق الإسكندرية ، وأقام لزل صنما من صوّان أسود على عبر النيل من
 الجانب الغربي . وبني شدّات من الجانب الشرقي مدائن وجعل فيها صورة صنم
 قائم له إحليل إذا أتاه المعقود والمسحور ومن لا ينتشر فسّه بكتلتا يديه أزال عنه
 ذلك وانتشر وقوي على الباء ، وجعل في إحداها بقرة لها ضرعان كبيران إذا مسحتهما
 المرأة التي آمنقد لبنها دتر وصلح أمرها .

١٠ وفي أيامه بُنيت قُوص العالية ، بناها لأبن له كان سَخِط على أمه فحوّلها إليها^(٣)
 وأسكن معها قوما من أهل الحكمة وأهل الصناعات . وقيل : إن شُطب بُنيت^(٤)
 في أيامه ، وعمل الصورتين المتصقتين لكثرة النسل . وكانت الحبش والسودان
 عانوا في بلده فأخرج لهم أبنه متقاوش في جيش عظيم فقتل منهم وسبي وأستعبد
 الذين سباهم وصار ذلك سنة لهم ، واقتطع معدن الذهب من أرضهم وأقام ذلك

١٥ (١) أنصنا : بلدة بالصعيد الأوسط ، رها آثار عظيمة أتزية ، وهي على شط النيل من البر الشرق قبالة
 الأشمونين من البر الآخر ، ولها مزدوع كبير ، وهي المدينة المشهورة بمدينة السحرة ومنها جدهم فرعون (راجع
 تقويم البلدان) . (٢) أتريب : كورة في شرق مصر ، بناها أتريب بن قبطيم بن مصر ، وقد
 وصفها المقرئى وشرح ما فيها من آثار وعجائب (راجع ج ١ ص ١٧٥ طبع بلاق) .

(٣) قُوص : أعظم مدائن الصعيد وهي على ضفة النيل الشرقية ، سميت باسم قُوص بن فقط بن أحميم ،
 وهي باب مكة واليمن وسواكن ، وقد وصفها المقرئى في خطه (ج ١ ص ٢٣٦) وأبن دقاق في كتاب
 الانتصار (ج ٥ ص ٣٨) ووصفها الأدنوى كذلك في كتابه الطالع السعيد (ص ٨) وصفا بدعيا وذكر كثيرا
 من الأشعار التي قبلت فيها . (٤) شطب : مدينة من المدن التي أنجزها بخت نصر وأحرقها ،
 وهي بالقرب من أسيوط . (راجع كتاب الانتصار ج ٥ ص ٢٤ ومعجم البلدان لياقوت) .

السبي يعملون فيه ويحملون الذهب إليه ؛ وهو أول من أحب الصيد وأخذ
الجوارح ، وولد الكلاب السلوقية من الذئاب والكلاب الأهلية ، وعمل البيطرة
وما تعالج به الدواب ، وعمل من العجائب والطلسمات لكل فن ما لا يحصى كثرة ،
وجمع التماسيح ، بطلم عمله لها ، إلى بركة بناحية أسيوط فكانت تنصب إليها من
النيل انصبابا فتقتلها ، وتستعمل جلودها في السفن وغيرها ، وتستعمل لحومها
في الأدوية والعقاقير المؤلفة . قال : وبعض القبط يحكى أنه عمل بمصر اثنتي عشرة
ألف عجوبة وطلسمًا ، ولم يعمل في بلد كما عمل فيها ولا تهيأ لأهله ما تهيأ لهم من ذلك .
قال : وأقام شدات في الملك تسعين سنة وخرج يطرد ^(١) فأكب فرسه في وهدة
فقتله ، وفي بعض كتبهم : أنه أخذ بعض خدمه ، وقد خالفه في أمر من الأمور ،
فأمر بطرحه من أعلى الجبل إلى أسفل فطرح فتقطع جسده ، وندم على فعله
ذلك فرأى في منامه أنه سيصيبه مثل ذلك فكان يتوقاه ، وآلى على نفسه ألا يعلو
جبلًا ، وأوصى إن أصابه شيء أن يجعل ناووسه في الموضع الذي يلحقه فيه ما يلحقه ،
ويُر عليه : ليس ينبغى لذي القدرة أن يخرج عن الواجب ويفعل ما لا يجوز له
فعله ، وهذا ناووس شدات بن عديم بن قفطريم الملك ، عمل ما لا يحل له فكوفي
عليه بمثله .

قال : ولما هلك عمل له سرب في سفح الجبل فيه قبة على مجلس قد صُفح
بالفضة وجعل فيه على سرير ملكه ، وجعل معه من الأموال والجواهر والتماثيل
وأصناف الحكم والمصاحف شيء كثير . وكان له أربعائة وأربعون سنة .

وملك بعده آبنه منقاوش ^(٢) بن شدات ؛ فلك مجزم وحُنكة وأظهر مصاحف
الحكم وأمر بالنظر فيها ، وأن ينسخ منها لهم بخط العامة ليفهموها ، ورد الكهنة إلى

(١) يطرد : بصطاد . (٢) في المقرئى : « منقاوس » بالسین المهملة .

مراتبهم . وهو أول من عمل له الحمام من ملوك مصر . وكان كثير النكاح ؛ تزوج عدة نساء من بنات عمه وبنات الكهنة ، وجعل لكل امرأة منهن مكانا بجميع ما يصلحها من البنيان العجيب والصور المتقنة والفروس الحسنة والآلات العجيبة ، وأسكنهن فيها . وقد قال بعض أهل الأثر : إنه الذي بنى منف لبناته وكنن ثلاثين بنتا ونقلهن إليها ، وعمل مدنا غيرها ومصانع ، وعمل هيكلًا لصور الكواكب وأصنامها على ثمانية فراعخ من منف ، وعمل بتلك الناحية طلسمات كثيرة وعجائب أغرب فيها بفضل حكمة أبيه وجدته ، وعمل في السنة اثني عشر عيدًا لكل شهر عيدًا يعمل فيه من الأعمال ما كان موافقًا لبرج ذلك الشهر ؛ وكان يطعم الناس في تلك الأعياد ويوسع عليهم ، ففرح الناس به ورأوا معه مالم يروه مع غيره ، وفتح عليه من المعادن مالم يفتح على أحد ، وألزم أصحاب الكيمياء العمل فكانوا لا يفترون ليلًا ولا نهارًا ؛ فاجتمع عنده أموال عظيمة وجوهر كثير وزجاج نفيس مسبوك وغير ذلك ، فأحب كثرة فداها أخاله فقال له : قد ترى كثرة هذا الذهب والجوهر ، وما عمل من هذه التماثيل الكثيرة ، ولست آمن أن يتسامع بنا الملوك فيغزونا من أجله ، فأمن في أرض الغرب ثم انظر مكانا حريزًا خفيًا الأثر ثم أحرزه فيه ثم أستره بعلامات وأكتب صفة المكان وطريقه وعلامته . قال : ويقول أهل الأثر : إنه حمل معه اثنتي عشرة ألف عجلة ، منها من الجوهر ثلاثمائة عجلة ، وسائرها من الذهب الإبريز الصفايح والمضروب ، ومن آلات الملوك وطرائفهم وسلاحهم وأوانيهم ؛ فسار في الجنوب يوما ثم أخذ مغزبا اليوم الثاني وبعض الثالث ، فأتتهى إلى جبل أسود متيف ليس له مصعد بين جبال مستديرة حوله ، فعمل تحت ذلك الجبل أسرابا ومغاوير ودفن فيها ما كان معه ورددما وزر عليها ورجع ؛ فكث أربع سنين يبعث كل سنة عجلة عظيمة تدفن في نواح شتى .

وهو الذي عمل في أنديمس المدينة يتأدور به تماثيل لجميع العِلل ، وكتب
على رأس كل تمثال ما يصلح له من العلاج ، فانتفع الناس بها زمانا إلى أن
أفسدها بعض الملوك ضنا بالحكمة . وعمل في هذه المدينة صورة امرأة مبتسمة
لا يراها مهموم إلا زال همه ونسيه ؛ وكان الناس يأتونها ويطوفون حولها
ثم عبدوها من بعد . وعمل تماثلا روحانيا من صُفر مُذهب بجناحين لا يمتز به زانٍ
ولا زانية إلا كشف عورته بيده ، وكان الناس يمتحنون به فامتنعوا من الزنا قرآقا
منه ، وأستمر كذلك إلى زمن كلنكن الملك ؛ وذلك أن بعض نساته ، وكانت حظية
عنده ، عشقت رجلا من خدم الملك وخافت أن ينتهي إليه خبرها فيمتحنها بذلك
الصنم فيقتلها ، فأحالت لذلك نغلا بها الملك في بعض الليالي ، وهما يشربان ،
فأخذت في ذكر الزواني وجعلت تسبهن وتذمهن ، فذكر الملك ذلك الصنم وما فيه
من المنافع للناس ، وما يستحق من عمله من الثناء والذكر الجميل ؛ فقالت المرأة :
إنه كذلك وقد صدق الملك ، غير أن متقاروش لم يُصب الرأي في أمره ؛ قال الملك :
وكيف قلت ذلك ؟ قالت : لأنه أتعب نفسه وحكاهه فيما جعله لصلاح العامة
دون نفسه ، وهذا أكبر العجز ؛ وإنما كان حُكم هذا التمثال أن يُنصب في دار
الملك حيث تكون نساؤه وجواريه ، فإن أقترفت إحداهن ذنبا علم بها فيكون رادعا
لهن متى عرض بقلوبهن شيء من الشهوة ؛ لأن شهواتهن أغلب وأكثر من شهوات
الرجال ؛ ولو حدث - وأعوذ بسعد الله الأعلى - في دار الملك شيء من هذا فأحب
امتحانه فضع نفسه وشاع في الخاص والعام أمره ، وإن عاقب بغير أمر يتحققه كان
معتديا آثما ، وإن لم يمتحنه صبر على المكروه . قال الملك : صدقت ، فكيف الوجه
في هذا الأمر ؟ قالت : يأمر الملك بتزع هذا الصنم من مكانه ونقله إلى داره ففعل
فبطل عمله ، وأمتحن فلم يصنع شيئا ، فعملت المرأة ما كانت همت به وأنهمكت فيه .

قال : ويقال : إن متقاوش بنى هيكلا للسحرة على جبل القصير وقدم عليه رجلا منهم يقال له مسيس ، فكانوا لا يطلقون الرياح للراكب المقلعة الأبخريبة يأخذونها منهم للملك . وكان الملك إذا ركب عملوا بين يديه التخائيل العجيبة ، فيجتمع الناس إليهم ويعجبون من أعمالهم ، وأمر أن يُبنى لهم هيكل للعبادة يكون لهم خصوصا ، وجعل فيه قبة فيها صورة الشمس والكواكب ، وجعل حولها أصناما وعجائب ، وكان الملك يركب إليه ويقم سبعة أيام ، وجعل فيه عمودين زبرعليهما تاريخ الوقت الذي عمل فيه ، وهما بعين شمس ، ونقل متقاوش إلى عين شمس كنوزا وجواهر وطلسمات وعقاقير وعجائب ودفنها بها وبنواحيها .

قال : وكان متقاوش قسم خراج البلاد أرباعا : فربع منه للملك خاصة يعمل منه ما يريد ، وربع لأرزاق خدمه ، وربع ينفق في مصالح الأرض وما يحتاج إليه من حفر ترعها وعمل جسورها وتقوية أهلها على العمارة ، وربع يدفن لحادثة تحدث وحاجة تنزل . وكان خراج البلد في ذلك الوقت مائة ألف ألف وثلاثة آلاف دينار . وهو مقسوم على مائة وثلاث كور بمدة الآلاف . وأقام ملكا إحدى وسبعين سنة ، ومات من طاعون أصابه ، وقيل : من سم جعل له في طعامه ، وعمل له ناووس في صحراء المغرب ، وقيل : في غربى قوص ؛ ودفن معه من مصاحف الحكمة والصنعة المعمولة وتمائيل الذهب والجوهر ، ومن الذهب المضروب شيء كثير ، ودفن معه روحاني الشمس من ذهب يلعب ، وله جناحان من زبرجد ، وصنم على صورة أمراته التي كانت أحظى نساته عنده وكان يحبها ، فأمر أن تُعمل صورتها

(١) التخائيل : هي التقوية بالخيال ، وهو أن يفعل الساحر أشياء ومعاني ، فيخيل للناظر أنها

بجلاف ما هي به ، كالذي يرى السراب من بعيد فيخيل إليه أنه ماء ، وكراكب السفينة السائرة سيرا حقيقيا يخيل إليه أن ما يرى من الأشجار والجبال سائرة معه .

في هياكلهم جميعا، فعمل له تماثلا من ذهب بذؤابتين من ذهب أسود، وألبست حلة من جواهر منظومة وجعلت جالسة على كرسى، فكانت تجمل بين يديه في موضع تجلس فيه يتسلى بذلك عنها، فدفنت معه عند رجليه .

وملك بعده ابنه مناوش بن منقاوش، ملك بوصية من أبيه، فطلب الحكمة على عادة أبيه وأستخرج كتبها وأكرم أهلها، وبذل فيهم الجوائز وطلب الإغراب في عمل العجائب، وكان كل واحد من ملوكهم يجهد جهده في أن تعمل له غريبة من الأعمال لم تعمل لمن كان قبله وثبتت في كتبهم وتزبر على الحجارة في توارينهم . قال : ومناوش هذا أول من عبد البقر من أهل مصر، وكان السبب في ذلك أنه اعتل علة يئس منه فيها، وأنه رأى في منامه صورة روحاني عظيم يحاطبه ويقول له : إنك لا يخرجك من علتك إلا عبادة البقر لأن الطالع كان وقت حلولها بك في صورة نور بقرنين، ففعل ذلك، وأمر بأخذ ثور أبلق حسن الصورة، وعمل له مجلسا في قصره وسقفه بقبة مذهبة، فكان يجزوه ويطيب موضعه، ووكل به سادانا يقوم به ويكنس تحته، وكان يتعبد له سرا من أهل مملكته، فبرا من علته وعاد إلى أحسن أحواله .

ويقال : إنه أول من عمل العجل وضبيها بالذهب، وعمل فيها قبابا من الخشب المذهبة وفُرشت بأحسن الفرش، وكان يركب عليها مع من أحب . وقيل : إنه عمل له ذلك في علته لأنه كان لا يقدر على الركوب، وكانت البقر تجزه فإذا مر بالمكان التره أقام فيه، وإن مر بالمكان الخراب أمر بمارته . وقيل : إنه نظر إلى نور أبلق من البقر الذي يميز عجلته فأعجبه حسن بشرته فأمر بترفيبه وسوقه بين يديه إلى كل موضع يسلكه إعجابا به، وجعل عليه جلا من الديباج المنسوج بالذهب، فلما كان في بعض الأيام - وقد خلا في موضع منفرد عن أتباعه والثور قائم بين يديه -

إذ خاطبه الثور وقال: لو رفهني الملك عن السير معه وجعلني في الهيكل وعبدي وأمر أهل مملكته بعبادتي كقيته جميع ما يريد ، وعاونته على أمره ، وقوته في ملكه ، وأزلت عنه جميع علة ؛ فأرتاع لذلك وأمر بالثور أن يُغسل ويطيب وينظف ويدخل الهيكل ، وأمر بعبادته . وعُبد ذلك الثور مدة وصارت فيه آية أنه لا يبول ولا يروث ولا يأكل إلا أطراف ورق القصب الأخضر في كل شهر مرتين ، فأفتن الناس به وصار ذلك أصلا لعبادة البقر .

١٣٠
١٢

قال : وابتنى مناوش مواضع وكثر فيها كنوزا وأقام أعلاما . وبني في صحراء الغرب مدينة يقال لها ديماس وأقام فيها منارا ودفن حولها كنوزا . قال : ويقال : إن هذه المدينة قائمة ، وإن قوما جازوا بها من نواحي الغرب وقد أضلوا الطريق فسمعوا بها عزيف الجن وراوا أضواء نيرانهم . قال : وفي بعض كتبهم أن ذلك الثور ، بعد مدة من عبادتهم له ، أمرهم أن يعملوا صورته من ذهب أجوف ، ويُؤخذ من رأسه هو شعرات ، ومن ذنبه ومن نحاعة قرونيه وأظلافه ، ويُجعل ذلك في التمثال ، وعرفهم أنه يُلحق بعالمه وأمرهم أن يجعلوا جسده في جرن من حجر [أحمر] ويدفن في الهيكل ويُصَب تمثاله عليه ، ويكون ذلك وزحل في شرفه والشمس مسعودة تنظر إليه من تليث والقمر في الزيادة ، ويُنقش على التمثال علامات الكواكب السبعة فعملوا ذلك ، وعملت الصورة من ذهب ملتح على شبه الثور ، وجعل له قرنان من ذهب وكُلًّا بأصناف الجواهر ، وجعلوا عينيه جرتين سوادا في بياض ، ودفن جسد الثور في الجرن الأحمر .

قال : وجعل في المدينة شجرة تُطلع كل لون من الفاكهة ، ومنارا في وسطها طولها ثمانون ذراعا ، وعلى رأسه قبة ثنائون في كل يوم لونا حتى تمضي سبعة أيام

(١) كذا في المقرئ (ج ١ ص ٢٣٨ طبع بلاذ) . وفي الأصل : « وعرفه » .

(٢) كذا في المقرئ . وفي الأصل : « بعاله فيجعلوا » . (٣) التكلة من المقرئ .

ثم تعود إلى اللون الأول فيكسو المدينة من تلك الألوان، وجعل حول المنار ماء شقّه إليه من النيل ، وجعل في ذلك الماء سمكا من ذلك اللون ، وجعل حول المدينة طلّسمات رهوسها رهوس قردة وأبدانها أبدان الناس ، كل واحد منها لدفع مضرة أو اجتلاب منفعة ، وعمل على أبواب المدينة ، وهى أربعة أبواب ، على كل باب صنما ، ودفن تحت كلّ صنم كتزا من الكنوز ؛ وباب كل واحد منها على قياس مائة ذراع منه إلى الجهة التى وجهه منصرف إليهما ، وكتب على كل واحد منها قُرْبانه وبخوره والوصول إليه ، وأسكنها السحرة فكانت تعرف بمدينة السحرة ، ومنها كانت أصناف السحرة تخرج .

قال : وأقام مناوش في الملك سبعا وثلاثين سنة وملك ، وعمل له ناووس تحت الجبل الغربى ، وجعل وصيته إلى ابنه من بعده هيرميس بن متقاوش ، فملك إحدى عشرة سنة لم يبن بناانا ولا نصب منارا ولا عمل في أيامه أعجوبة حتى إنه لم يكن يذكر في عداد ملوكهم . فهذا ما أورده في أخبار قفطريم بن قبطيم وبنيه على توالٍ وأنساق فلنذكر أخبار أشمون .

ذكر أخبار أشمون ومَن ملك من بنيه

هو أشمون بن قبطيم بن مضرّيم بن بصر بن حام بن نوح عليه السلام ، وهو أخو قفطريم أبى الملوك الذين قدمنا ذكرهم . كان ملكه من أشمونين إلى منف ، ومن الشرق إلى البحر المسالج ، ومن الغرب إلى حدود برقة ، وهو آخر حد مصر ،

(١) وفى المقرئى (ج ١ ص ١٣٨ طبع بلاق) فى كلامه على أشمون بن قبطيم : أنها مدينة فى سفح الجبل لها أربعة أبواب من كل ناحية باب ، فعلى الباب الشرق صورة عقاب ، وعلى الباب الغربى صورة نور ، وعلى الباب الشمال صورة أسد ، وعلى الباب الجنوبى صورة كلب ، وفى هذه الصور روحانيات تنطق ، فإذا قدم غريب لا يقدر على الدخول إليها إلا بإذن الموكلين بها ودفن تحت ... الخ .

ومن الصعيد إلى حد أنحيم . وكان ينزل مدينة الأشمونين وله بُنيت وبأسمه
سُميت ، وكان طولها اثني عشر ميلا في مثلها . قال إبراهيم : وأشمون أول من اتخذ
الملاعب بأنصنا والبهنسا وغيرها ، وبني القصور وغرس الغروس ، وبني مدينة تُعرف
بِقَمَنْطَر ذات العجائب ، وهي بالقرب من مدينة السحرة التي تقدم ذكرها في أخبار
منقاوش . قال : وفي وسط هذه المدينة قبة تُمطر شتاء وصيفا مطرا خفيفا ، وتحت
القبة مطهرة فيها ماء أخضر يُتداوى به من كل داء فيبرئه ، وفي شرقها سرب لطيف
له أربعة أبواب ، لكل باب منها عضادة صورة وجه يخاطب كل واحد منها صاحبه
بما يحدث في قومه ، ومن دخل تلك البربا على غير طهارة ففخوا عليه فأصابته علة
فظيعة لا تفارقه إلى أن يموت . وكانوا يقولون إن في وسطه مهبط النور وهو
في صورة العمود ، من اعتنقه لم يحتج عن نظره شيء من الروحانيات ، ويسمع
كلامهم ويرى ما يعملون ، وعلى كل باب من أبواب هذه المدينة صورة راهب
في يده مصحف فيه علوم الكهنة ، فمن أحب ذلك العلم أتى تلك الصورة فمسحها
بيديه وأمرهما على صدره ، فيثبت ذلك العلم في صدره . ويقال : إن هاتين
المدينتين قمنطر ومدينة السحرة بُنيتا على اسم هيرمس وهو عطارد ، وأنهما بحالهما .

قال : وحكى عن رجل أنه أتى عبد العزيز بن مروان ، وهو على مصر ، فعترفه
أنه تاه في صحراء الشرق وأنه وقع على مدينة خراب ، وأنه وجد فيها شجرة تحمل من
كل فاكهة ، وأنه أكل منها وتزود ؛ فقال له رجل من القبط : هذه إحدى مدينتي
هيرمس وفيها كنوز كثيرة ؛ فوجه عبد العزيز معه جماعة وحمل معهم زادا وماء ،
فأقاموا يطوفون شهرا في تلك الصحارى فلم يلقوا لها على أثر . ويقال : إن أشمون
عمل في وقته على باب الأشمونين لإوزة من نحاس ، فكان الغريب إذا دخل المدينة
صاحت الإوزة وخفقت بجناحيها فيعلم به ، فإن أحبوا منعه ، وإن أحبوا تركوه .

قال : وفي أيامه كثرت الحيات فكانوا يصيدونها ويعملون من لحومها الأدوية والدرياقات ، ثم ساقوها بسحرهم إلى وادى الحيات في جبال لوبية ومراقبة فسجنوها هناك . قال : وهو أول من عمل النوروز بمصر ورتبه سبعة أيام يدمنون فيها الأكل والشرب واللهو . وفي زمانه بُنيت البهنسا وأقام بها أسطوانات ، وجعل فيها مجلسا ^(١) من زجاج أصفر وعليه قبة مذهبة ، فكانت الشمس إذا طلعت على القبة ألفت شعاعها على المدينة . وعمل فيها عجائب كثيرة يطول الشرح بذكرها .

قال : ويقال إن أشمون كان أول إخوته ملكا ، وكان أعدل بنى أبيه وأرغبهم في صنعة تبيق وبيق ذكرها . وهو الذى بنى المجالس المصفحة بالزجاج الملون في وسط النيل . وتزعم القبط أنه بنى سربا تحت الأرض من الأشمين إلى أنصنا تحت النيل . وقيل : إنه عمله لبناته لأنهن كن يمشين إلى هيكل الشمس . وكان هذا السرب مبلط الأرض والحيطان والسقف بالزجاج التخين الملون . وقيل : إنه كان أطول إخوته ملكا . وقال أهل الأثر : إنه ملك ثمانمائة سنة ، وإن قوم عاد انزعوا منه الملك بعد ستمائة سنة من ملكه وأقاموا تسعين سنة وأستوبتوا البلد فانتقلوا [إلى الدمينية من طريق الحجاز إلى وادى القرى فعمروها] واتخذوا [بها] المنازل ^(٢) والمصانع فسأط الله عليهم الذر فأهلكهم ، وعاد ملك مصر إلى أشمون بعد خروجهم من البلد . ويقال : إنه ملكهم ثمانمائة سنة وثلاثين سنة ، ودُفن في أحد الأهرام الصغار القبليّة . وقيل : بل عُمل له ناووس في غربى الأشمين ودُفن معه فيه من الأموال والعجائب شيء كثير ، وأصنام الكواكب السبعة التى كانت فى هيكل المرأة التى تُرى منها الأقاليم ، ودُفن معه ألف سرج من ذهب وفضة ، وعشرة آلاف

(١) فى المقرئى (ج ١ ص ٢٣٨ طبع بلاق) : « فيها فورها » .

(٢) التكلة من المقرئى (ج ١ ص ٢٣٩) . والدنية : ناحية بين الجند وعدن .

خابية صغار من ذهب وفضة وزجاج ، وألف عَقَّار مدبرة لفنون الأعمال وزُبر عليه اسمه ومدَّة مُلكه والوقت الذي مات فيه .

وأستخلف ابنه مناقيوس بن أشمون . وكان جَلْدًا محنَّكًا فاستأنف العبارة وبني القرى ونصَّب الأعلام ، وجمع الحكمة ومصاحف الملوك والحكماء وعمل العجائب ، وبني لنفسه مدينة وأتفرَّد بها ، وعمل عليها حصنًا ونصب عليه أربعة أعلام ، في كل ركن من أركانه علم ، وبين تلك الأعلام ثمانون صنمًا من نحاس وأخلاق ، في أيديها آلات السلاح وزبر على صدرها آياتها .

قال : وكان بمنف رجل من أولاد الكهنة من أعلم الناس بالسحر وأبصرهم بأخذ التماسيح والسباع ، وكان يعلم الغلمان السحر فإذا حدقوا علم غيرهم ، فأمر الملك أن تُبنى له مدينة ويحوَّل إليها فُبنيت ، وهي إجميم . وملك مناقيوس تيفًا وأربعين سنة ومات فُدْفِن في الهرم المحاذي لإطفيح ، وتُقل معه شيء كثير من المال والجواهر والآنية والتماثيل ، وزُبر عليه اسمه والوقت الذي مات فيه .

وملك بعده ابنه — ولم يُسمَّه إبراهيم^(١) — فكان أحزم من أبيه ، فعظُم في عيون أهل مصر . وهو أوَّل من عمل الميِّدان وأمر أصحابه برياضة أنفسهم فيه . وأوَّل من عمل البيمارستانات لعلاج المرضى والزمنى وأودعها العقاقير ورثب فيها الأطباء وأجرى عليهم ما يسعهم ، وأقام الأمانة على ذلك ، وصنع لنفسه عيدًا وسمَّاه عيد الملك ؛ فكان الناس يجتمعون إليه في يوم من السنة ، فيأكلون ويشربون

(١) هو إبراهيم بن القاسم الكاتب مختصر كتاب العجائب الكبير الذي ألفه إبراهيم بن وصيف شاه وهو الذي اعتمد عليه المؤلف في النقل في كلامه على ملوك مصر كما أشار الى ذلك في أوَّل هذا الجزء . وقد رجعنا الى بعض المصادر التاريخية التي بأيدينا فلم نوفق الى معرفة اسم هذا الملك ، بل رأينا بعض المؤرخين ينكروه (راجع الهامش رقم ٢ ص ٤٤ ج ٣ من مخطوط المقرئى طبعة فييت) .

سبعة أيام وهو يُشرف عليهم في مجلس قد بُني له على عمد قد طُوِّقت ذهباً وألبست
فانحر الذهب المنسوج، وعليه قبة مصفحة من داخلها وخارجها بالذهب والزجاج
المسبوك، وكان يعطى كل قوم قسطهم من النظر ثم يُكثرون الدعاء له وينصرفون الى
مواضعهم .

وفي أيامه بنيت سِتْرِيَّةٌ^(١) في صحراء الواحات ، عملها من حجارة بيض
مربعة على تقدير واحد، وجعل في كل حائط من حيطانها بابا في وسطه شارع
يتنهي الى الحائط المجاور له من الجهة الأخرى، وجعل في كل شارع أبواباً يميناً
ويُسرة تنهى طرفاتها الى داخل المدينة، وجعل في وسط هذه المدينة ملعباً يدور
به من كل ناحية سبع درج ، وعمل عليه قبة من خشب مدهون على عمد عظيمة^(٢)
من رخام ، وفي وسطه منار من رخام عليه صنم من سِوَانٍ أسود يدور مع الشمس
بدورانها ، وبساتير نواحي القبة صور معلقة تصفر وتصبح بلغات مختلفة . وكان
الملك يجلس على الدرجة العالية من الملعب وحوله بنوه وأقاربه وأبناء الملوك، وعلى
الدرجة الثانية رؤساء الكهنة [والوزراء] ، وعلى الثالثة رؤساء الجيش ، وعلى الرابعة
أصحاب الفلاسفة والمنجمون والأطباء وأصحاب العلوم ، وعلى الخامسة أصحاب
العمارات ، وعلى السادسة أصحاب المهن ، وعلى السابعة العامة؛ فيقال لكل طائفة
منهم : انظروا من دونكم ولا تنظروا من فوقكم، فإنكم لا تلتحقونهم . فكان في هذا
ضربٌ من التأديب .

قال : وكان للملك عدة نسوة ، وكان يحبّ منهنّ امرأتين ويتخطأهما ويجمع
بينهما في مجلس واحد ، فيقال لإحديهما في بعض الأيام دون الأخرى ، ففارت

(١) ستريّة، مدينة في غربي القيوم دون فران السودان وهي آخر أعمال مصر .

(٢) كذا في المقرئ . وفي الأصل : «على خشب عظيمة من زجاج» وهو تحريف .

(٣) التكلة من المقرئ .

وَعَرَبَ عقلها وتناولت سكيناً ودخلت الى الملك وهو مغتر وتلك المرأة جالسة الى جنبه فضربتها بالسكين ، وقام الملك دُونها ليمنعها منها فضربته على فؤاده فخر صريعاً ، وَقُبِضَ على المرأة وحُبِسَتْ ، ومات الملك . وقد أوصى بقتل المرأة ووضع رأسها على ناووسه . ومدة مُلْكِه ستون سنة .

- ٥ . وملك بعده أبنه مرقورة الملك ؛ فدخل عليه العظماة وهنشوه ودَعَوْا له بدوام المُلْك والنعمة ، وكان حازماً عاقلاً ، فأخذ في حُسْن التديير وتقويم العجالة وترتيب المراتب ، وجعل لرأس الكهّان الحكومة في أمر الدِّين . قال : وفي كتبهم أنه أول مَنْ ذَلَّ السباع بمصر وركبها . قال : وبني [المدن وعمر^(١)] الهياكل وأقام الأصنام التي غربي منف ، وكان مُلْكُه نيفاً وثلاثين سنة ، وعَمَل له ناووس على طريق الغرب على مسافة يومين .

- ١٠ . وَقَدَ أَبنه بلاطس بن مرقورة ، فملك وهو صبيّ ، وكانت أمه تدبّر الملك مع الوزراء والكهنة ، وكانت حازمة مجتربة ، فأجرت الأمور على ما كانت في حياة أبيه ، وأحسنّت الى الأولياء ، وعدلت في الرعية ، ووضعت عنهم بعض الخراج فأحبّوها . وعَمَلت في وقته البركة العظيمة في صحراء العَرَب ، وجُعِل في وسطها عمود طوله ثلاثون ذراعاً ، في أعلاه قصعة من حجارة يفور منها الماء فهي لا تنقص أبداً ، وجُعِل حولها أصنام حجارة ملقونة من كل صنف على صور الحيوان والوحش والطير ، وكان كل جنس يأتي الى صورته ويألفها فيؤخذ ولا يدري .

قال : ولما ترعرع الملك أحب الصيد ولهج به ، فعمِلت له أمه متزها فيه مجالس مرتبة على أساطين من المرمر مصقحة بالذهب ، عليها قباب مرصعة بالتصاوير

العجيبة والنقوش المؤلفة، يطلع من تحتها الماء في فوارات وتنصب الى أنهار مصفحة
 بالفضة تُفَضَّى الى حدائق فيها بدائع الغروس، عليها تماثيل تصفر بأصناف اللغات،
 ونُضِّدَتْ بأنواع الفواكه، وأرخت عليها ستور الدِّيَاج المنسوجة بالذهب، وأختارت
 له من بنات الملوك الحسان وأزوجته منهن، وبنّت حول تلك الجنة مجالس يجلس
 فيها الوزراء والكهنة وأشراف أهل الصناعات يرفعون اليه ما يعملونه، فكان أكثر
 مقام الملك في تلك الجنة، فإذا فرغوا من أعمالهم نُقِل اليهم الطعام والشراب من
 مطبخه، ولا يزالون في أكل وشرب بقية يومهم وليتهم، وأقاموا على ذلك والأمور
 جارية على السداد .

وكانت أيامه سعيدة كثيرة الحُصْب والسعة للناس والعهد فيهم والإحسان
 اليهم . وكان له يوم يخرج فيه الى الصيد ويرجع الى جنته يأمر لمن معه بالجوائز
 والأطعمة والأشربة، ويجلس يوما للناس فينظر في أمورهم ومصالحهم ويقضى
 حوائجهم، ويجلس يوما للخلوة بنسائه، ثم جُدر فئات، وعُمل له ناووس في جنته
 وجعل فيه من الأموال والجواهر والصنعة والتماثيل كما كان يجعل لآبائه . وكان
 ملكه ثلاث عشرة سنة، وانتقل الملك إلى أعمامه .

ذكر أخبار أتريب الملك

هو أتريب بن قبْطيم بن مصرم بن بئصر بن حام بن نوح عليه السلام . قال:
 وكان أتريب قد انتقل إلى حيزه بعد وفاة أبيه قبْطيم، وهي المدينة التي كان أبوه
 بناها له، وكان طولها اثني عشر ميلا، ولها اثنا عشر بابا، وفي شارعها الأعظم
 ثلاثُ قِباب عالية على عمد بعضها فوق بعض، منها قبة في وسط المدينة، وقبتان
 في طرفيها، وجعل على كل ركن منها مرقبا كبيرا يُوقَد ليلا، وعلى كل باب من أبوابها

حرسا كثيرا، وجعل في كل جانب منها ملعبا ومجالس ومنتزهات تشرف من تلك المجالس عليها، وشق في عرضها نهرا وعمل عليه قناطر معقودة، وبني فوقها مجالس يتصل بعضها ببعض، وجعل حوله منازل تدور بالخليج متصلة بالقناطر على رياض مزروعة وخلفها الأجنّة والبساتين؛ وعلى كل باب من أبوابها أعجوبة من تماثيل وأصنام متحركة وأصنام ينبع الماء من آذانها، ومن داخل كل باب صورة شيطانين من صُفر، فكان إذا قصدها أحد من أهل الخير فهقه الشيطان الذي عن يمينه الباب، وإن كان من أهل الريب بكى الشيطان الذي عن يسرة الباب، وجعل في كل منتزه منها من الوحوش الآلفة والطيور المغزدة كل مستحسن، وجعل فوق قباب المدينة صوراً تصفر إذا هبت الرياح، ونصب له فيها مرايا ترى البلدان البعيدة والعجائب الغريبة، وبني حذاءها في الشرق مدينة وجعل فيها ملاعب وأصناما بارزة كثيرة في خلق مختلفة، وجعل في وسطها بركة إذا مر بها الطير سقط عليها فلا يبرح حتى يؤخذ، وجعل لها حصنا [بأشئ عشر بابا] وجعل على كل باب من أبوابها تماثلا يعمل أعجوبة وعمل حولها أجنّة، وجعل ما يقرب منها من ناحية الشرق مجلسا منقوشا على ثمانى أساطين، وفوق المجلس قبة عليها طائر منشور الجناحين يصفر كل يوم ثلاث صَفَرَات : بكرة، ونصف النهار، وعند الغروب؛ وأقام فيها أصناما وعجائب كثيرة، وبني مدنا كثيرة وأكثر من العمارات، وأقام رجلا يقال له برسان يعمل الكيمياء، وضرب منها دنانير، في كل دينار سبعة مثاقيل عليها صورته، وعمل منها تماثيل كثيرة. وعاش أتريب في الملك ثلاثمائة سنة وستين سنة،

(١) في المقرئى (ج ١ ص ١٧٥ طبع بلاق) : « غربيا » .

(٢) في المقرئى : « الشر » .

(٣) التكملة من المقرئى (ج ١ ص ١٧٦ طبع بلاق) .

وكانت سنّة خمسمائة سنة . وعُمل له ناووس في جبل بالشرق حُفِر [له] تحته سَرَب ^(١)
بُطْن بالزجاج [والمرص] ^(١) وجعل على سرير من ذهب [مرصع] ^(١) وحملت إليه ذخائره ،
وجعل على بابه صورة تين لا يدنو منه أحد إلا أهلكه ، وزبر عليه اسمه وتاريخ
وقته ، وسقوا عليه الرمال .

وملكت بعده أبنته [تدرورة] ^(٢) فدبرت الملك وساسته بأيد وقوة خمسا وثلاثين
سنة ثم ماتت .

فقام بالملك بعدها أخوها فليمون بن أتريب ؛ فردّ الوزراء إلى مراتبهم ،
وأقام الكهان [على مواضعهم] ^(٣) ولم يخرج الأمر عن رأيهم ، وجد في العمارات وطلب ^(٥)
الحكم وعمل بها . وفي أيامه بُنيت تيس الأولى التي غزقها البحر ، وكان بينها وبين
البحر شئ كثير ، وحولها الزروع والأشجار والكروم والقري ومعاصر الخمر وغيرها
وعمارة لم يكن أحسن منها ، فأمر الملك أن يُبنى له [في] ^(٥) وسطها مجالس ، ويُصَب
له عليها قباب ، وتزين بأحسن الزينة والنقوش ، وأمر بفرشها وإصلاحها ، وكان
إذا بدأ النيل في الزيادة انتقل الملك إليها فأقام بها إلى التوروز ورجع . وكان للملك
بها أمناء يقسمون المياه ويعطون كل قرية قسطها ، وكان على تلك القرى حصن
يدور بقناطر ، وكان كل ملك يأتي يأمر بعمارتها والزيادة فيها ويجعلها له متزها .

(١) التكملة من المقرئزي (ج ١ ص ١٧٦) . (٢) التكملة من المقرئزي (ج ١ ص ١٣٨) ،
ورصف هذه الملكة بقوله : « وكانت كاهنة ساهرة ، فساست الملك أحسن سياسة ، ودبرت الملك أجود
تدير ؛ وعملت طلسمات عجيبة ، منها طلسم منع الوحش والطيور أن يشرب من النيل حتى مات أكثرها عطشا ،
ورفعت في زمانها صيحة ارتجت لها الأرض فهلكت » . (٣) في المقرئزي (ج ١ ص ١٧٦) :
« ابن أختها » . (٤) في المقرئزي : « فليمون » بالقاف . (٥) التكملة من المقرئزي
(ج ١ ص ١٧٦) .

ويقال: إن الجحشيتين اللتين ذكرهما الله تعالى في كتابه كانتا لأخوين من أهل بيت الملك أقطمهما الملك ذلك الموضوع . وقد تقدم ذكر خبرهما عند ذكرنا لبحيرة تَنيس^(١)، وهو في الباب السادس من القسم الرابع من الفن الأول في ذكر البحار والجزائر وهو في السفر الأول من كتابنا هذا .

- قال : وفي زمان فيليون^٥ بُنيت دمياط على أسم غلام له كانت أمه ساحرة لفليمون . قال : وملك فليمون تسعين سنة، وعمل لنفسه ناووسا في لجبل الشرق^{١٠}، وحول إليه من الأموال والجواهر وسائر الذخائر شيئا كثيرا، وجعل من داخله تماثيل تدور بلوالب في أيديها سيوف فمن دخلها قطعته بسيفونها . وجعل عن يمينه ويساره أسدين من نحاس مذهب بلوالب أيضا فمن دنا منهما حطّاه، وزبر على الناووس : هذا قبر فليمون بن أتريب بن قبطيم بن مصريم ، عمر عمرا ، وبقي دهرا . وأناه الموت فما أستطاع له دفعا ، فمن وصل إليه فلا يسلبه ما عليه ، وليأخذ مما بين يديه .

- وصار الملك بعده إلى ابنه قرسون بن فليمون؛ وجلس على سرير الملك ، ودخل إليه عظام أهل البلد والخاص والعام فهشّوه بالملك ، فتقدم في أمر الهياكل والكهنة وطلب الحكمة ؛ وكان حدّثا جميلا فعشقتة إحدى نساء أبيه ، وكانت تتولى طيبة^(٢) وتزعم أن أباه أمرها بذلك ، ثم بعثت إلى ساحرة من أعلم السحرة بمنف^(٣)

(١) راجع (ج ١ ص ٢٥٢ من هذه الطبعة) .

(٢) طيبة : هي نية عاصمة الصعيد في أيام الفراعنة وذات المائة باب . وفي بعض مكانها الآن مدينة الأقصر أو قصر أبي الحجاج (راجع قاموس الجغرافية القديمة للرحوم أحمد زكي باشا) .

(٣) منف : هو الاسم العربي لعاصمة مصر في أيام الفراعنة ، وتسمى عند اليونان منفيس ، وعند قدماء المصريين مانوفرى ، وفي بعض محلها الآن قرية ميت رهبة بالجيزة . (راجع قاموس الجغرافية القديمة) .

١٣٤
١٢

فسألتها أن تسحره لها وبذات لها على ذلك أمولا ، وإذا الساحرة قد عشقته أشد من عشقها ، فسعت بامرأة أبيه وعزفته ما بذلت لها على ذلك ، فأبعدها عن مجلسه ومنعها من الدخول إليه .

وبلغ ملكا من ملوك حمير أن ملك مصر صار إلى غلام حدث غرّ قطع فيه وسار إليه في جموع عظيمة ، فخرج قرسون نحوه فالتقوا بأيلة^(١) وأقتلوا قتالا شديدا حتى تفانى الفريقان ، فأتت تلك الساحرة إلى الملك فقالت : مات جعل لي إن أعتك على عدوك حتى تقض جموعه وتظفر به ؟ قال حُكك ؛ فأخذت عليه بذلك المهود والمواثيق ، وأصبحوا للحرب فدخلت الساحرة بدخن عجيبة وأظهرت تحاييل هائلة ، فهرب الحميري في نفر يسير من ثقاته ، وقتل بقية أصحابه ، وحاز جميع ما كان في خزائهم ، وعاد الملك إلى منف بالظفر والغنيمة ، فأنته الساحرة فسألته الوفاء بالشرط فقال : احتكى ما أحببت ، فهذه الأموال والخزائن بين يديك ؛ فقالت : ما أريد غير الملك ؛ فقال : ويحك ! إنك لست من أهل بيت الملك ، وقد علمت ما في هذا على الملك ؛ فقالت : قد كان الملوك قبلك يفتصبون نساء الناس ويلدن منهم ولا يسألون عن ولاداتهم ، وأنا أبنسة فلان رئيس الكهنة ، ويوشك أن يحتاج الملك إلى بعد هذا . ولم تزل به حتى انصرف قلبه إليها ، فتروجها وأحبها وحظيت عنده . فضافت الأرض بامرأة أبيه فأخذت في أعمال الحيلة عليها ؛ فدمست جارية لها عاقلة لطيفة على ساقى الملك الذى يتولى شرابه ، فاختلفت بجواريه حتى

(١) أيلة : فرضه على خليج العقبة ، سميت باسم أيلة بن مدين بن إبراهيم عليه السلام ، كانت مدينة شهيرة في الأزمان الخالية ، وفيها قلعة شيدها أحمد بن طولون صاحب مصر ، وفي جنوبها على ساحل بلاد العرب كانت مدينة أز يونجاير القديمة . وخليج أيلة ، أو العقبة ، يعرف في كتب اليونان باسم : « إلاتينيك » . (راجع معجم الخريطة التاريخية الإسلامية للرحوم أمين واصف بك) .

تمكنت من إثناء كان فيه شراباً للملك فألقت فيه سماً وعادت في الوقت إلى مولاتها وأخبرتها ، فدخلت إلى الملك فسجدت له وقالت : قد كنتُ للملك ناصحة ، وعليه مشفقة ، فأقصاني وأختص هذه الساحرة الفاجرة ، وقد ستمت شرابه في إثناء من صفته كذا وكذا ، فلبسها الملك منه ليعلم صدق ؛ فدعا الملك بالإثناء فوجده على ما ذكرت ، فأحضر الساحرة وأمرها بشرب قدح منه فشربته ولم تعلم ما فيه فسقط لجمها عن عظمها ، فأمر بدفنها في ناووس وزبر عليه أسمها وما همت به وما صار أمرها إليه ، وعاد إلى امرأة أبيه وتزوج بها وحسنت حالها عنده .

قال : وفي أيامه عمل المنار على بحر القلزم وجعلت على رأسه امرأة من أخلاط تجتذب المراكب على شاطئ البحر ، فلا يمكنها أن تبحر أو تعتمر ، فإذا عثرت سترت المرأة فتجوز المراكب .

قال : وأقام فرسون ملكا مائتين وستين سنة ؛ وقد كان عمل لنفسه ناووسا خلف الجبل الأسود الشرقي . وجعل في وسطه قبة فيها أنثى عشر بيتا ، في كل بيت أعجوبة لا تشبه الأخرى ، وزبر عليها اسمه ومدة ملكه . قال : وملك بعده ثلاثة وأربعة . فهؤلاء الذين سبأهم من أولاد أتريب ممن ملك منهم . والله أعلم .

(١) هو الآن البحر الأحمر .

(٢) هنا ينتهي السفر الثاني عشر من هذا الكتاب من تجزئة الأصل من النسخين المأخوذتين بالتصوير الشسمى المحفوظتين بدار الكتب المصرية تحت رقمي ٥٤٧ ، ٥٥١ معارف عامة . وصورة ما جاء في آخر هذا السفر من النسخة الأولى : « كل الجزء الثاني عشر من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للتوريري في أواسط شهر ربيع الأول من شهر سنة سبع وستين وقسمائة على يد كاتبه أفسر الخلق الى رحمة الحق نور الدين بن شرف الدين العاملي بلدا الشافعي مذهب غفر الله له ولو الله له ولن يقرأ له الفاتحة ويهدى للنبي ثم له آمين » . وصورة ما ورد في النسخة الثانية : « كل الجزء الثاني عشر من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب على يد مؤلفه فقير رحمة ربه أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدايم البكري التيمي القرشي المعروف بالتوريري عفا الله عنهم . يتلوه إن شاء الله تعالى في أول الجزء الثالث عشر منه ذكر أخبار صا بن قبطيم بن مصرم بن يهيم ابن حام بن نوح عليه السلام .

والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا وحسبنا الله ونعم الوكيل » .

ذكر أخبار صا بن قبطيم بن مصر يم بن بصر بن حام^(١)

أبن نوح عليه السلام

قال: ولما قسم قبطيم الأرض بين بنيه الأربعة كما تقدم وانتقل كل واحد منهم إلى حيزه، خرج صا بأهله وولده وحشمه إلى حيزه، وهو بلد البحيرة وما يليها إلى برقة، ونزل مدينة صا، وذلك قبل أن تُبنى الإسكندرية. وكان صا أصغر ولد أبيه وأحبهم إليه، فلما ملك حيزه أمر بالنظر في العمارة، وبني المدائن والبلدان والهياكل، وعمل في إظهار العجائب كما صنع إخوته، وطلب الزيادة في ذلك. وكان مرهون الهندي صاحب بنائه، فبنى له من حد صا إلى حد لوبية ومراقبة على عبر البحر أعلاما، وجعل على رؤوس تلك الأعلام مرايا من أخلاط شتى: فكان منها ما يمنع من دواب البحر وأذاهم، ومنها ما إذا قصدهم عدو من الجزائر الداخلة وأصابها الشمس ألفت شعاعها على مراكبهم فأحرقتها، ومنها ما يرى المدائن التي تجاورهم من عدوة البحر وما يعملها أهلها، ومنها ما ينظر منها إلى إقليم مصر فيعلم ما ينحصب وما يجذب منه في كل سنة. وجعل فيها حمامات تُوقد من نفسها ومستشرفات. وكان كل يوم في موضع منها بمن يختصه من حشمه وخدمه، وجعل حولها بساين وسرح فيها الطيور المغتردة والوحش المستوحش والمستأنس والأنهار المطردة والرياض الموقنة،

(١) أول الجزء الثالث عشر من تجزئة الأصل. وكتب المرحوم أحمد زكي باشا في أول هذا الجزء من نسخة ب ما نصه: « يظهر لي أن هذا الجزء كتب في أيام المؤلف، وفي آخره عبارة هذا نصها: "بلغ مؤلفه مقابلته بأهله والحمد لله" وهي بخط المؤلف كما يظهر من مضاهاتها بالأجزاء الأخرى المكتوبة بخطه.»

(٢) كذا في المقرئ (ج ١ ص ١٨٢ طبع بلاق) ونسخة (ب) وفي نسخة (١): «مرهوب».

(٣) كذا في الأصل والمقرئ وفي تعليقات المقرئ (ج ٣ ص ٢١٨ طبعة فييت): «المهندس».

(٤) في المقرئ طبعة فييت: «صاحب باب».

وجعل شرف القصر من حجارة ملونة تلعب إذا أصابتها الشمس فتنتشر شعاعها على ما حولها ؛ ولم يدع شيئا من آلة النعمة والرفاهية إلا استعمله . فكانت العمارة ممتدة إلى برقة في رمال من رشيد إلى الإسكندرية إلى برقة . وكان الرجل يسافر في أرض مصر لا يحتاج إلى زاد لكثرة الفواكه والخيرات ، ولا يسير إلا في ظلال تستره من الشمس . وعمل في تلك الصحارى قصورا وغرس فيها غروسا ، وساق إليها من النيل أنهارا . وكان يسلك من الجانب الغربى إلى حد الغرب في عمارة متصلة .

قال : فلما أنقرض أولئك القوم بقيت آثارهم في تلك الصحارى وخربت تلك المنازل وباد أهلها . قال : ولا يزال من دخل تلك الصحارى يحكى ما رأى فيها من الآثار والعجائب .

١٠

قال : ومن ملوكهم مرقونس ؛ وكان [فاضلا] ^(١) حكيمًا ، محبا للنجوم والحكمة ، فعمل في أيامه درهم إذا ابتاع به صاحبه شيئا اشترط أن يزن له ما يبتاعه منه بوزن الدرهم ولا يطلب عليه زيادة ، فيغتر البائع بذلك ويقبل الشرط ، فإذا تم ذلك بينهما وقع في وزن الدرهم أرتال كثيرة تساوى عشرة أضعافه ، وإن أحب أن يدخل في وزنه أضعاف تلك الأرتال دخل . قال : وقد وجد هذا الدرهم في كنوزهم في أيام بنى أمية ، فكان الناس يتعجبون منه . وقد كانوا وجدوا درهما آخر قيل إنه عمل في وقته أيضا يكون في ميزان الرجل ، فإذا أراد أن يبتاع حاجة أخذ الدرهم من ميزانه وقلبه وقال : اذكر العهد ، ومضى فأبتاع به ما أراد ، فإذا أخذ السلعة ومضى إلى بيته

١٥

$$\frac{2}{13}$$

(١) الكلمة من المقرئى (ج ١ ص ١٣٩ طبع بلاق) .

(٢) فى المقرئى (ج ١ ص ٣٤) « وقيلة » .

٢٠

وجد الدرهم قد سبقه إلى منزله ، ووجد البائع حيث وضعه ورقة آس أو قرطاس أو مثل ذلك بدور الدرهم ^(١) .

وقيل : إن في وقته عُملت الآنية الزجاج التي توزن ، فإذا مُلئت ^(٢) [ثم] وُزنت لم تزد على وزنها الأول شيئا ، وهي تحمل من الماء بوزنها . وعُمل أيضا في وقته الآنية التي إذا جُعِل الماء فيها صار نحرا في لونه ورائحته وسكره . قال : وقد وُجد من هذه الآنية بإطفيح ^(٣) في إمارة هارون بن نُعمارويه بن أحمد ابن طولون شربة جَزَع ^(٤) بعُروة زرقاء بياض . وكان الذي وجدها أبو الحسن [الصائغ] ^(٥) الخراساني هو ونفر معه ، بجلسوا لياكلوا على عَبر النيل وشربوا الماء بها فوجدوه نحرا فسكروا منه ورقصوا ، فوقعت الشربة فأُكسرت على عِدَّة قطع ، فاعتمَّ الرجل وجاء بها إلى هارون مكسورة ، فأسف عليها وقال : لو كانت صحيحة لآشتريتها ببعض مُلكي .

وفي أيامه عُملت الصورة الحتمية من الضفادع والخنافس والذباب والعقارب وسائر الحشرات ، فكانت إذا جُعِلت في موضع من المواضع آتجمع إليها ذلك الجلس بعينه ولا يقدر أن يفارقها حتى يُقتل . وعمل في صحراء القرب ملعبا من زجاج ملون ، وجعل في وسطه قبة من الزجاج خضراء صافية اللون ؛ وكانت إذا طلعت عليها الشمس ألقَّت شعاعها على المواضع البعيدة . وعمل من أربع جهاته أربعة مواضع عالية من الزجاج ، كل مجلس منها بلون ، ونقش كل مجلس منها بما

(١) كذا في الأصل والمقرئ . وفي تعليقات المقرئ (ج ١ ص ١٥٠ طبعة فييت) : « بدون » .
 (٢) التكلة من المقرئ . (٣) إطفيح : هي الآن إحدى بلاد مركز الصف بمديرية الجيزة .
 وهارون بن نُعمارويه ولي مصر في اليوم العاشر من جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانين ومائتين .
 (٤) سمي جزعا لأنه مقطوع بالأوان مختلفة ، أي قطع سواده بياضه وصفرتة . (٥) التكلة من المقرئ (ج ١ ص ٣٤ طبع بلاق) . (٦) كذا في المقرئ . وفي الأصل : « الدبابات » .

يخالف لونه من الطلسمات العجيبة والنقوش الغريبة والصور البديعة ؛ كل ذلك من زجاج مطابق يَشْف . وكان يقصد هذا الملعب ويُقيم فيه الأيام الكثيرة . وعمل له ثلاثة أعياد في كل سنة ، فكانوا يحجّون إليه ويدبحون له ويقيمون فيه سبعة أيام ؛ فلم يزل ذلك الملعب بحاله تقصده الأمم لتنظر إليه لأنه لم يكن له نظير ولا شكل ، ولا عمَل [في العالم ^(١)] مثله إلى أن هدمه بعض الملوك لأنه تعاطى مثله . فلم يقدر على ذلك .

وكانت أم مرقونس أبنة ملك النوبة ، وكان أبوها يعبد نجما يقال له السماء ، ويسميه إلهًا ، فسالت أبنها أن يعمل لها هيكلًا ويفردها به ، فعمل لها وصفحة بالذهب والفضة [وأقام فيه صنما ^(١)] وأرخت عليه ستور الحرير ، فكانت تدخل إليه مع جوارها وحشيمها وتسجد له كل يوم ثلاث مرّات . وعمِلت في كل شهر عيدًا تقرب له فيه القرابين وتبخّره ليله ونهاره ، ونصبت له كاهنًا من النوبة فكان يقوم به ويتبخّر [ه] ويقرب [له] ^(١) ، ولم تزل أبنا حتى سجد له ودعا الناس إلى عبادته .

قال : ولمّا رأى الكاهن أن الأمر قد أحكم له من جهة الملك في عبادة الكواكب ، أحبّ أن يكون له مثالا في الأرض على صورة شيء من الحيوان يتعبده له ليكون حذاء عينيه ؛ فأقام يعمل الحيلة في ذلك إلى أن أتفق بمصر كثرة العقبان حتى أضرت بالناس ، فأحضره الملك وسأله عن كثرتها فقال : إن إلهك أرسلها لتعمل له نظيرا يُسجد له . فقال الملك : إن كان ذلك يرضيه فأفعله ، فعمل تمثال عُقاب طوله ذراعان في عرض ذراع من ذهب مسبوك ، وعمل عينيه من ياقوتتين ،

(١) التكلفة من المقرئى (ج ١ ص ٣٥ ضبع بلاق)

(٢) كذا فى المقرئى . وفى الأصل : « ورفده » .

وعمل له وشاحين من لؤلؤ منظوم على أنابيب جوهر ^(١) ، وجعل في منقاره
 كرة معلقة ^(٢) وسروله بأدرك أحمر ، وأقامه على قاعدة ^(١) [من] فضة منقوشة ، وركبها
 على قائمة زجاج أزرق ، وجعله في أزج عن يمين الهيكل ، وألقى عليه ستور الحرير ،
 وجعل [له] دُخنة معمولة من جميع الأفاويه والصبغ ، وقرب له بعجل أسود وبكارة
 الفراريج وبوا كبير الفواكه والرياحين . فلما تمت له سبعة أيام دعاهم إلى السجود له
 فاجابوه . ولم يزل [الكاهن ^(١)] يُجهد نفسه في عبادته ، وعَمِل له عيدا دعاهم فيه إلى
 أن يتخرله في أنصاف الشهور بالمدل وترش الهياكل بالبخمر العتيقة [التي تؤخذ ^(١)]
 من رءوس الجوابي ، ونطق لهم العقاب وعرفهم أنه أزال عنهم العقاب وضررها ؛
 وكذلك يفعل في غيرها مما يخافون ؛ فسُر الكاهن بذلك ووجهه إلى أم الملك فعرفها
 ذلك فصارت إلى الهيكل ، فلما سمعت كلام العقاب سرها ذلك وأعظمته ، وبلغ
 الملك خبره فركب إلى الهيكل حتى خاطبه وأمره ونهاه ، فسجد له وأقام له سدنة
 وأمر أن يزين بأصناف الزينة ، وكان الملك يقوم بذلك الهيكل ويسجد لتلك
 الصورة ويسألها عما يريد فتحبره . ^(٤)

وعمل من الكيمياء والذهب ما لم يعمله أحد من الملوك . فيقال : إنه دَقَن
 في صحراء الغرب خمسمائة دَفين . ويقال : إنه عمل على باب صا عمودا وجعل
 عليه صنما في صورة امرأة جالسة وفي يدها مرآة ينظر فيها العليل [أو ينظر له ^(١)]
 أحد فيها [فإن كان يموت رآه ميتا ، وإن كان يعيش رآه حيا ؛ والمسافر ، فإن كان
 مقبلا بوجهه علموا أنه راجع ، وإن رآه موليا علموا أنه متباد ، وإن كان مريضا
 أو ميتا رآه كذلك . وعمل بالإسكندرية صورة راهب جانس على قاعدة وعلى

٢٠ (١) التكملة من المقرئ (ج ١ ص ٣٥) . (٢) في المقرئ : « درة » . (٣) كذا في المقرئ .
 وفي الأصل : « الجوابي » . (٤) كذا في المقرئ . وفي الأصل : « أحب » .

(١) رأسه كالبرنس وفي يده كالعكاز إذا مرّ به رجل تاجر جعل بين يديه شيئا من الذهب على قدر بضاعته، وإن حاذاه عن بُعد ولم يفعل ذلك لم يقدر على الجواز وببيت قائما مكانه ، فكان يجتمع من ذلك مالٌ عظيم يفترق في الزمنى والفقراء .

وعمل في وقته كل أعجوبة طريفة ، وأمر أن يُزبر اسمه عليها وعلى كل علم وكل

- ٥ طَّسَم وصنم . وعمل لنفسه ناووسا في داخل أرض الغرب عند جبل يقال له سدّام ، وعمل تحته رحى طولها مائة ذراع في ارتفاع ثلاثين ذراعا في عرض عشرين ذراعا ، وصفّحه بالمرمر والزجاج الملون المسبوك وسقفه بالمحجارة الصافية ، وعمل فيما دار به مصاطب لطافا مبلطة بالزجاج ، وعمل على كل مصطبة فيها أعجوبة وتمثالا مما عمل في وقته ، وعمل في وسط الأزج دكة من زجاج ملون ، على كل ركن من أركانها صورة تمنع من الدتو إليها ، وبين كل صورتين كالمئارة عليها حجر مضيء ، وجعل في وسط الدكة حوضا من ذهب يكون جسده فيه بعد تضميده بالأدوية المسككة ، ونقل إليه ذخائره من الجواهر والذهب وغير ذلك ، وأمر أن يُسَدّ باب الأزج بالصحور والرصاص وتُحال عليه الرمال . وكان مُلكه ثلاثا وسبعين سنة ، وعمره مائتين وأربعين سنة ، وكان جميلا ذا وفرة حسنة فنسكت عاقمة نسائه بعده ولزمن الهيكل .

١٥

وعهد بالملك إلى ابنه أنساد بن مرقونس ؛ فملك بعد أبيه وهو غلام ابن خمس وأربعين سنة ، وكان مُعجبا جبارا طمّاح العين ، فنكح امرأة من نساء أبيه وأنكشف أمره معها ، وكان أكبرهمه اللهو واللعب ، فجمع كل مله كان في مملكته وقصده كل من هذه سبيله ، وجعل تدير الملك إلى وزيره يقال له

٢٠

(١) كذا في المقرئى . وفي الأصل : « كارئى » .

(٢) في المقرئى : « تجارزه » .

مسرور ، ورفض العلوم والهياكل والكهنة والنظر في أمور الناس . وعمل
 قصورا من خشب عليها قباب من خشب منقوشة مموهة وجعلها على أطواف
 في النيل ، فكان يشرب عليها مع من يجبه من نسائه وخدمه ومن يلهيه .
 وعمل تجلا في البر وحمل عليها الأروقة المذهبة وفرشها بفاخر الفرش ، فكان يتزّه
 عليها ويحزها البقر ويقيم في نزهته شهورا لا يتر بموضع نزه إلا أقام فيه أياما . وولد
 من الشجر توليدا كثيرا . وأستفد أكثر ما في خزائن أبيه لجوائز الملهين والتفقات
 في غير وجه . فلما أسرف في ذلك اجتمع الناس إلى وزيره فأنكروا عليه حاله وسألوه
 مسألته والمشورة عليه أن يقع عما هو عليه فضمن لهم ذلك ، وفاوضه فيه فلم ينته
 عنه ، وسلط أصحابه على الناس فأساءوا إليهم وأضروا بهم . وخرج في بعض الأيام
 إلى منزله كان له قد صفع مجالسه بصفايح الذهب والفضة ، وغريب الزجاج الملون ،
 والجواهر المخروطة ، والصهاريج المرحة الملونة ، وأمال إليه المياه ، وغرس فيه
 الرياحين والثمار ، وفرش مجالسه بأصناف الفرش ؛ وكان إذا أحب أن يخلو بأمرأة
 من نسائه خلا بها هناك ؛ فإنه في ذلك المكان ، وقد أقام به أياما ، إذ خرج غلام
 لبعض حرمه فأتى بعض التجار في حاجة أراد أخذها بغير ثمن ، فتنعه التجار منها ،
 فوثب بهم فضربوه حتى أسالوا دمه وحمل ، وأتصل الخبر بالوزير وصاحب الجيش
 فركبا إلى الموضع وأنكرا على الناس فأغلظوا لها ، فأنصرفا وعرفا الملك الخبر ،
 فأراهما أنه لم يحفل بذلك ، وأمر بالنداء في الناس من تعترض لكم من خدام الملك
 وأصحابه بأذى فاقتلوه ، فشكره الناس وحمدوا فعله على ذلك ، وتواصوا بالوثوب
 على أصحابه ، حتى إذا مضى لذلك أسبوع وجه الملك إلى الوزير وصاحب الجيش
 فعرّفهما أنه قد عزم على الركوب إلى صحراء القرب يتصيد هناك . وأمر أن يركب
 معه الجيش ويتروّدوا لثلاثة أيام ففعلوا ، وخرج إلى البرية فسار حتى إذا اختلط

٥

١٠

١٥

٢٠

الظلام رجع الجيش حتى وافی باب المدينة ، وأمر أصحابه أن يضعوا السيف في الناس فقتلوا خلقا كثيرا ، ثم أمر أن ينادى : هذا جزاء من أقدم على الملوك من رعاياهم وأصحاب مهنهم ، وأخرب الموضع الذي ضرب فيه الغلام ، فاستغاث به الناس ، فتقدم إلى وزيره أن يطرح نفسه بين يديه ويسأله فيهم ، ففعل وأمنهم وقال : من عاد إلى مثل ما كان فقد حل لنا دمه ، فدعوا له وأنصرفوا . ثم أحتجب عن الناس وأستخف بالكهنة والهياكل فأبفضته العامة والخاصة وبعوا الغوائل فأحتال عليه خاصته بطباخه وساقيه فسماه وهو ابن مائة وعشرين سنة مات .

وصار الملك من بعده إلى ابنه صا بن أنساد بن مرقونس ؛ قال : وأكثر القبط تزعم أن صا بن مرقونس أخو أنساد . فملك وهدأه الناس ، فوعدهم بالعدل فيهم ، والإحسان إليهم ، وحسن النظر لهم ، وسكن منف وحكم الأحيار كلها ، وعمل بها عجائب وطلسمات ، وزد الكهنة إلى مراتبهم ، ونفى الملهين وأهل الشر ممن كان يصحب أخاه ، ونصب العقاب الذي كان أبوه عمله ، وشرف هيكله ودعا إليه . وعمل في منف امرأة كان يرى منها ما ينجذب من بلده وما يجذب . وبني بداخل الواحات مدينة غرس حولها نخلا كثيرا . ونصب قُرب البحر أعلاما كثيرة . وعمل خانف المقطم صنما يقال له صنم الحيلة ، فكان كل من تعذر عليه أمر يأتيه فيبخره فيتيسر عليه ذلك الأمر . وجعل على أطراف مصر أصحاب أخبار يرفعون إليه ما يجري في حدودهم . وعمل على غربى النيل منائر يوقد عنها إذا قصدهم قاصد أو ناهم أمر . ويقال : إنه بنى أكثر منف وكل بنيان عظيم بالإسكندرية . قال : وكان لما ملك البلد بأسره جمع الحكماء إليه ونظر في النجوم — وكان بها حاذقا — فرأى أن بلده لا بد أن تفرق بالطوفان من نيلها ، ورأى أنها تخرب على

٢٠

(١) ورود في المقرئى (ج ١ ص ١٥٥ طبعة فييت) بعد هذا ما نصه : «وجع بحافة البحر الملح منارا يعلم منه أمر البحر وما يحدث فيه من أقصى ما يصل إليه البصر على مسيرة أيام وهو وزن من اتخذها» .

يدرجل [يَأْتِي ^(١)] من ناحية الشام ، بجمع كل فاعل بمصر وبني في الواح الأقصى مدينة جعل طول حصنها في الأرتفاع خمسين ذراعا وأودعها جميع الحِكم والأموال .

وبني المدينة التي وقع عليها موسى بن نُصَيْر في زمن بني أمية ، وكان قد أخذ على الواح الأقصى ، وكان عنده علم منها ، وأقام سبعة أيام يسير في رمال وصحارى سمّت الغرب والجنوب إلى أن ظهرت له مدينة عليها حصن وأبواب حديد ، فأصعد إليها الرجال ليَقِفُوا على ما فيها لما لم يمكنه فتح أبوابها ، ولغلبة الرمال على ما حولها ؛ فكانوا إذا علّوا الحصن وأشرفوا عليها وثبوا إليها ؛ وعرض حصنها عشرون ذراعا ؛ فلما أعياه أمرها تركها ومضى ، فهلك في تلك الطريق جماعة من أصحابه . فلم يُسَمِعْ بأحد بعد موسى بن نُصَيْر ولا قبله وقع عليها .

قال : وفي تلك الصحارى أكثر متزهاتهم ومدائنهم العجيبة ؛ إلا أن الرمال غلبت عليها . ولم يبق بمصر ملك إلا وقد عمل للرمال دفعا ثم تفسد طلسماتهم على تقادم الأيام .

(١) الكلمة من المقرئى (ج ٣ ص ٨ ؛ ضعة فييت) .

(٢) هذه المدينة تسمى « مدينة النحاس » ويقال لها « مدينة الصفر » وتقع في بعض مفاوز الأندلس . قال ياقوت في معجمه : « ولها قصة بعيدة من الصحة لمفارقتها العادة وأنا برى . من عهدتها ، إنما أكتب ما وجدته في الكتب المشهورة التي دوتها العتسلا . ومع ذلك فهى مدينة مشهورة الذكر فلذلك ذكرتها » ثم ذكر عن ابن الفقيه أن ذا القرنين بناها وأودعها كنوزه وعلومه وطاسم بابها فلا يقف عليه أحد ، وبني داخلها بمحجر الهبة وهو مغناطيس الناس ، وذلك أن الإنسان إذا نظر إليها لم يملك أن يضحك و يلقى نفسه عليها فلا يزالها أبدا حتى يموت . وبنا بلغ عبد الملك بن مروان خبرها وخبر ما فيها من الكنوز والعلوم وأن الى جانبها بحيرة بها كنوز عظيمة كتب الى موسى بن نصير عامله على المغرب يأمره بالمسير إليها والحرس على دخولها وأن يعرفه ما فيها ، ودفع الكتاب الى طالب بن مدرك فحمله وسار حتى انتهى الى موسى بن نصير وكان بالقيروان ، فلما أوصله به تجهز وسار في ألف فارس نحوها فلما رجع كتب الى عبد الملك بن مروان ... وساق الكتاب الذى وصف فيه رحلته الى هذه المدينة وما صادفه فيها (راجع معجم البلدان فى كلامه على مدينة النحاس) .

وقال : وحكى قوم من التَّناء في ضياع الغرب : أت عاملا من عمالمهم عَنف بهم
 فهربوا ودخلوا في صحراء الغرب وحملوا معهم زادا إلى أن يصلح أمرهم ويرجعوا
 إلى بلادهم ، وكانوا على يوم وبعض آخر قد مَجَّجُوا في سفح الجبل ، فوجدوا عَيِّرا
 أهليا قد خرج من بعض شِعباه ، فتبعه نفر منهم ، فأخرجهم إلى مساكن وأشجار
 ونخل ومياه تَطَرَّدُ وقوم يسكنون هناك ويزرعون ، فحاطبهم وعجبوا منهم وسألوهم
 عن حالهم فمزفوهم أنهم منذ كانوا يسكنون تلك الناحية ويتناسلون ويزرعون
 ولا يطالبهم أحدٌ بمخراج ولا يُؤذِيهم ، وأنهم لم يدخلوا إلى ضياع الغرب قط ، وقالوا
 لهم آتقلوا إلينا ؛ فخرج القوم بعد أن صلحت أمورهم واجتمعوا على الرجوع إلى
 ذلك الموضع والسكنى فيه بأهلهم ومواشيهم ، فخرجوا يطالبون الطريق مدة فما
 عرفوا الطريق ولا تأتي لهم الوصول إليه بعد ذلك فأسفوا على ما فاتهم منه .

وحكى أيضا عن آخرين ضلُّوا الطريق في الغرب ، فوقفوا على مدينة عامرة ،
 كثيرة الناس والمواشى والنخيل والشجر ، فأضافوهم وأكلوا عندهم وشربوا ، وباتوا
 في طاحونة يعمل فيها الخبز ، فسكروا من الشراب وناموا ، فلم ينتبهوا إلا عند طلوع
 الشمس ، فوجدوا أنفسهم في مدينة كبيرة خراب ليس فيها أحدٌ ، فأرتاعوا لذلك
 وخرجوا على وجوههم كالحارين ، وساروا يومهم على غير سمت حتى قرب المساء ،
 فظهرت لهم مدينة أخرى عظيمة أكبر من الأولى وأعمر ، وأكثر أهلا ودواب
 ومواشى وشجرا ونخلا ، فأنسوا بهم وأخبروهم بخبر المدينة ، فبغفوا يعجبون منهم
 ويضحكون ؛ وإذا لبعض أهل المدينة وليمةً فأطلقوا بهم معهم ، فأكلوا وشربوا

(١) التناء : المقيدون ؛ يقال : تنأ بالبلد يتنوتونها أقام به وقطنه . ويقال : هو من بناء تلك

الكورة ، أى أصله منها . (٢) لُجج بالمكان : لزمه . (٣) تطرد : تبحر .

(٤) كذا في نسخة ب وفي نسخة أ : « الخمر » .

وغنّوهم بأصناف الملاحى ، وسألوهم عن حالهم فحدّثوهم أنهم ضلّوا عن الطريق في هذه الصحارى، فقالوا لهم : الطريق بين أيديكم واضح مستقيم لا يمكن أن تغلطوا فيه ، فإن أحببتم المسير وجهنا معكم من يوقفكم على سنن الطريق الكبير الذى يوصلكم إلى منازلكم، وإن أحببتم أن تقيموا عندنا رقدناكم وكنتم إخواننا وأحبابنا .

قالوا : فسّرنا بذلك من قولهم ، وأجمع بعضنا على المقام معهم ، وأجمع من كان له منا أهلٌ وولدٌ على أن يسير إلى منزله ويحمل أهله وولده ويعود إليهم . قال : وبتنا عندهم في خير مبيت ، فرحين بما ساق الله إلينا . فلما كان من الغد انتبهنا فوجدنا أنفسنا في مدينة عظيمة ليس فيها أحدٌ من الناس وقد تشعب بعض حصنها، إلا أن حولها نخلا قد تساقط ثمره وتكدس حوله ، فلحقتنا من الخوف لذلك والارتياح ما استوحشنا له ، وخرجنا على وجوهنا هارين مفكرين فيما عايناه من أهلها، وإنا لنجد روائح الشراب متنا ومعانى الخمار ظاهرة ، فلم نزل نسير يومنا أجمع وليس بنا جوع ولا عطش ، حتى إذا كان المساء رأينا راعيا يرعى غنما فسألناه عن العمارة وعن الطريق فدلتنا على الطريق وقال : إن العمارة حذاؤكم ، وإذا بقار من ماء المطر فشربتنا منه وبتنا عليها ، ثم أصبحنا فإذا نحن في خلاف موضعنا الذى تكنا فيه ، وإذا آثار العمارة والناس فما سرنا إلا بعض يوم حتى دخلنا مدينة الأشمونين بالصعيد ، فكنا نحدث الناس ولا يقبلون منا .

قال : وهذه مدائن القوم القديمة قد غلب عليها الجحاث ، ومنها ما قد سترته عن العيون فلا ينظر إليها أحد .

قال : وذكر بعض القبط أن رجلا من بني الكهنة الذين قتلهم أنساد سار إلى ملك الإفرنجية فذكر له كنوز مصر ومعجزاتها وخيرها ، وضمن له أن يوصله إلى ملكها

(١) القار : جمع نقرة (بالضم) ، وهى الوحدة المستديرة فى الأرض .

- وأموالها، ويدفع عنه أذى طَلْسَمَاتِهَا حتى يبلغ جميع ما يريد ويَعْرِفُه مواضع الكنوز.
- فلَمَّا أَتَصَلَ بِصَا الْمَلِكِ أَنَّ صَاحِبَ الْإِفْرَنْجِيَّةِ يَتَجَهَّزُ إِلَيْهِ، عَمِدَ إِلَى جَبَلٍ بَيْنَ الْبَحْرِ الْمَالِحِ وَشَرْقِ النَّيْلِ فَأَصْعَدَ إِلَيْهِ أَكْثَرَ كَنْزُوهِ وَمَا فِي خَزَائِنِهِ، وَبَنَى عَلَيْهَا قِيَابًا وَصَفَّحَهَا بِالرَّصَاصِ، وَأَمَرَ فَفَتَحُوا جَوَانِبَ الْجَبَلِ إِلَى مَنْتَهَى نَحْمَسِينَ ذِرَاعًا، وَجَعَلُوا فِي آتِنَاءِ الْمُنْحَوْتِ مِنْهُ شِبْهَ الطَّرْرِ الْبَارِزَةِ خَارِجَةً مِنَ النَّحْتِ بِقَدْرِ مِائَةِ ذِرَاعٍ وَهُوَ بَيْنَ جِبَالِ وَعْرَةَ، فَخَصَّنَ أَمْوَالَهُ هُنَاكَ. وَتَجَهَّزَ إِلَيْهِ صَاحِبُ الْإِفْرَنْجِيَّةِ فِي أَلْفِ مَرَكَبٍ، فَكَانَ لَا يَمْتَرُ بِشَيْءٍ مِنَ أَعْلَامِ مِصْرَ وَمَنَارَاتِهَا وَأَصْنَامِهَا إِلَّا هَدَمَهُ وَكَسَرَهُ بِمَعُونَةِ الْكَاهِنِ لَهُ.
- حَتَّى أَتَى الْإِسْكَانْدَرِيَّةَ الْأُولَى فَعَاتَ فِيهَا وَهَدَمَ كَثِيرًا مِنْ مَعَالِمِهَا إِلَى أَنْ دَخَلَ النَّيْلَ مِنْ نَاحِيَةِ رَشِيدٍ وَصَعِدَ إِلَى مَنْفٍ فَخَارِبَهُ أَهْلُ النَّوَاحِي، وَجَعَلَ يَنْهَبُ مَا مَرَّ بِهِ وَيَقْتُلُ مَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ إِلَى أَنْ طَلَبَ الْمَدَائِنَ الدَّاخِلَةَ لِأَخْذِ كَنْزُهَا فَوَجَدَهَا مَمْتَنَعَةً بِالطَّلْسِمَاتِ الشَّدَادِ وَالْمِيَادِ الْعَمِيقَةِ وَالخَنَادِقِ الشَّدَاخَاتِ، فَأَقَامَ عَلَيْهَا أَيَّامًا كَثِيرَةً يَبَالِغُ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهَا، فَلَمَّا لَمْ يُمْكِنَنَّ ذَلِكَ قَتَلَ الْكَاهِنَ، وَهَلَكَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَاجْتَمَعَ أَهْلُ النَّوَاحِي عَلَى مَرَآكِبِهِ وَأَصْحَابِهِ فَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا وَأَحْرَقُوا بَعْضَ الْمَرَآكِبِ. وَلَمَّا تَيَقَّنَ أَهْلُ مِصْرَ تَلَفَ الْكَاهِنَ الَّذِي كَانَ مَعَهُ أَرْسَلُوا إِلَيْهِ سَحْرَهُمْ وَتَهَاوَيْلَهُمْ، وَأَتَتْ مَعَ ذَلِكَ رِيَّاحٌ غَرَقَتْ كَثِيرًا مِنْ مَرَآكِبِهِ، وَكَانَ جَلَّ مَرَامُهُ أَنْ يَنْجُو بِنَفْسِهِ فَمَا عَادَ إِلَى الْإِفْرَنْجِيَّةِ إِلَّا وَقِيدًا بِجِرَاحَاتٍ أَصَابَتْهُ، وَرَجَعَ النَّاسُ إِلَى مَنَازِلِهِمْ وَقُرَاهِمَ، وَرَجَعَ صَا إِلَى مَنْفٍ فَأَقَامَ بِهَا وَتَرَكَ مَا كَنَزَهُ عَلَى حَالِهِ.
- قال : ولم يزل بعد ذلك يغزو بلاد الروم وأهل الجزائر ويخربها فهابته الملوك، وتبع الكهنة فقتل منهم خلقا، وأقام سبعا وستين سنة، وكانت سنة مائة وسبعين سنة وهلك، فدفن بمنف في ناووس عمله وسط المدينة من تحت الأرض، وجعل

(١) الوقيذ : الشديد المرض المشرف .

المدخل إليه من خارج المدينة من الجهة الغربية ، وحمل إليه أموالا عظيمة وجواهر كثيرة ، وتمائيل وطلسمات وغير ذلك كما فعل أجداده . وكان فيه أربعة آلاف تمثال ذهب على صور شتى برية وبحرية ، وتمثال عقاب من جوهر أخضر جعل عند رأسه ، وتمثال تين من ذهب مشبك عند رجله وزبر عليه اسمه وسيرته وغلبته للولك .

وعهد إلى ابنه تدارس بن صبا ، فلك الأحياء كلها بعد أبيه وصفا له ملك مصر . وكان محنكا مجزبا ذا أيدٍ وقوة ومعرفة بالأمر ؛ فأظهر العدل ، وأقام الهياكل وأهلها قياما حسنا . وبني غربى منف بيتا عظيما للزهرة وزبر جميع الأخبار — وكان صنم الزهرة من لازورد مذهب متوجا بذهب — وسوره بسوارين من الزبرجد الأخضر ؛ وكان في صورة امرأة لها ضفيرتان من ذهب أسود مدبر ، وفي رجلها خلخالان من حجر أحمر شفاف ونعلان من ذهب ، وفي يدها قضيب مرجان وهي تشير بسبابتها كالمسامة على من في الهيكل ، وجعل حذاءها من الجانب الآخر تمثال بقرة ذات قرنين وضرعين من نحاس أحمر مموه بذهب موشحة بمحجر اللازورد ، ووجه البقرة محاذيا لوجه الزهرة ، وجعل بينهما مطهرة من أخلاط للأجساد على عمود رخام مجرّع فيها ماء مدبر يستشفى به من كل داء ، وفرش الهيكل بحشيشة الزهرة بيدلونها في كل سبعة أيام ، وجعل فيه كراسي للكهنة مصفحة بذهب ونفضة ، وقرب له ألف رأس من الضأن والمعز والوحش والطيور ، وكان يحضر يوم الزهرة ويطوف به . وكانت فرش الهيكل وستوره عن يمين تمثال الزهرة ويساره . وكان في قبة صورة رجل راكب على فرس له جناحان وله حربة في سنانها رأس إنسان معاق ، ويقع هذا إلى زمان بُنيت نصر

وهو الذى هدمه . ويقال : إن تدارُس الملك هذا هو الذى حفر خليج سخا ، وأرتفع مال البلد فى أيامه مائة ألف ألف [دينار^(١)] وخمسين ألف [ألف^(١)] دينار . وقصده بعض عمالقة الشام نخرج إليه وأستباحه ودخل إلى فلسطين فقتل منها خلقا كثيرا . وسبى بعض حكامها وأسكنهم مصر وهابته الملوك .

- قال : وعلى رأس ثلاثين سنة من مُلكه طمع السودان من الزنج والثوبة فى أرضه فعاثوا وأفسدوا ، فأمر بجمع الجيوش وأعد المراكب ووجه قائدا من قواده يقال له : بلوطس فى ثلاثمائة ألف ، وقائدا آخر فى مثلها ، ووجه فى البحر ثلاثمائة سفينة فى كل سفينة كاهن يعمل عجوبة من العجائب [ثم خرج فى جيوش كثيرة ، فلقى جموع السودان] وكانوا فى زهاء ألف ألف فهزمهم ، وقتلوا أكثرهم أبحر قتل ، وأسر منهم خلقا كثيرا ، وتبعهم حتى وصل إلى أرض الفيلة من بلاد الزنج فأخذ منها عدة من التمور والوحش وذللها وساقها معه إلى مصر . وعمل على حدود بلده منارات وزبر عليها مسيره وظفره والوقت الذى سار فيه . ولما وصل إلى مصر أعتل ورأى رؤيا تدل على موته ، فعمل لنفسه ناووسا ونقل إليه شيئا كثيرا من أصنام الكواكب والذهب والجوهر والصنعة والتماثيل وهلك ؛ فحمل إليه وزُبر عليه اسمه وتاريخ الوقت الذى هلك فيه ، وجعل عليه طلسما تمنع منه .

وعهد إلى ابنه ماليق بن تدارس ؛ فملك بعد أبيه . وكان غلاما كريما حسن الوجه ، مجتريا ، مخالفا لأبيه وأهل بلده فى عبادة الكواكب والبقر .

(١) التكلة من المقرزى (ج ١ ص ٢٨٨ طبعة فييت) .

(٢) فى المقرزى : « فى النيل » .

(٣) التكلة من المقرزى . وفى الأصل : « وتوجه هو » .

(٤) بلاد النج هى الآن بلاد الصومال والحبشة وبلاد زنجبار (راجع معجم الخريصة التاريخية) .

ويقال : إنه كان موحدًا على دين أجداده قبطيم ومصريم ، وكانت القبط تذمه لذلك . وكان سبب إيمانه فيما حكى أنه رأى في منامه أن رجلين لهما أجنحة أتياه فأخطفاه وحلاه إلى الفلك ، فأوقفاه بين يدي شيخ أسود أبيض الرأس والحية ، فقال : هل عرفتنى ؟ فدخاته فزعة الحدائة ، وكانت سنه نيفًا وثلاثين سنة ، فقال له : ما أعرفك ! فقال : أنا قرويس ، يعنى زحل ، فقال : قد عرفتك ، أنت إلهى ، فقال : إنك وإن كنت تدعونى إلهًا فإنى مربوب مثلك ، وإلهى الذى خلق السموات والأرض وخلقنى وخلقك ، فقال : وأين هو ؟ فقال : هو فى العلو لا تراه العيون ، ولا تلحقه الأوهام ، وهو الذى جعلنا سببا لتدبير العالم الأسفل . قال له ماليق الملك : فكيف أعمل ؟ قال : تُضمِر فى نفسك ربوبيته علينا . وتُخلص فى وحدانيته وتعرف بأزليته . ثم إنه أمر الرجلين فأنزلاه ؛ فأنبه وهو مذعور ، فدعا رأس الكهنة فقص عليه رؤياه فقال : قد نهاك عن عبادة الأوثان فإنها لا تُضر ولا تنفع ، فقال له : من أعبد ؟ قال : الله الذى خلق السموات والكواكب التى فيها والأرض ومن عليها . فكان الملك يحضر الهيكل فإذا سجد انحرف عن الصنم وأضمر السجود لخالق السموات والأرض دون غيره ، ثم أخذ فى الغزو والغيبة عن أهل مصر ورجال فى البلدان .

قال : وقال بعض أهل مصر : إنا الله تعالى أيده بملك من الملائكة يعضده ويرشده ، وربما أتاه فى نومه ، فأمره أن يأمر الناس باتخاذ كل فاره من الخيل ، واتخاذ السلاح وما يصلح للأسفار ، وإعداد الزاد ، واتخذ فى بحر الغرب مائتى سفينة ، وخرج فى جيش عظيم فى البر والبحر ، فلقىه جموع البربرى فى جموع لا تُحصى فوزهم وآستأصل أكثرهم ، وبلغ إلى إفريقية وسار منها ، وكان لا يمر بأمة إلا أبادها إلى أن عدى من ناحية الأندلس يريد الإفريقية ، وكان بها ملك عظيم يقال له : أرقبوس ، فأقام يحاربه شهرًا ثم طلب صلحه وأهدى له هدايا كثيرة فسار عنه ، ودوخ الأمم المتصلة

بالبحر الأخضر وأطاعه أكثرها . ومرةً بأمة عُرارة لهم حوافر في أرجهم ، وقرون صغار ، وشعور كشعور الدواب ، ولهم أنياب بارزة من أفواههم ، فقاتلهم قتالا شديدا حتى أئخنهم ، فنَفَرُوا منه إلى غَيْرَانٍ لهم مظلمة عظام .

والقبط تذكر أنه رأى سبعين عجوبة ، وعمل أعلاما على البحر وزبر عليها أسماء ومسيره ، وخرّب مدن البربر حيث كانت ، وألجأهم إلى قرون الجبال ورجع ، فتلقاه أهل مصر بأصناف اللهو والطيب والرياحين ، وفُرشت له الطرقات ولقوه بأبنه بلهقانس وكان وُلد بعد مسيره فُسِّرَ به . واتصل خبره بالملوك فهابوه وحملوا إليه الهدايا من كل وجه ومكان .

قال : وبلغه أن قوما من البربر سحرته لهم تخايل عجيبة ونجورات يدلون بها ، وأنهم في مدينة لهم يقال لها : قرميدة ، في الغرب من مصر ، قد ملكو عليهم امرأة ساحرة يقال لها : اسطافا ، فاتصل به كثرة أذاهم للناس فغزاهم : فبما قرب منهم ستروا عنه مدينتهم بسحرهم فلم يرها ، وطمّوا مياههم فلم يعرفها ، فهلك أكثر أصحابه عطشا . فلما ستروا عنه البلد صعّد إلى ناحية الجنوب ، ثم رجع على غير الطريق التي سار إليهم فيها ، فمز بهيكل كان لهم يحضرونه في أعيادهم ، فهدم بعضه وسقط منه موضع على جماعة ممن تولى هدمه فأهلكهم ، فلما رأى ذلك تركهم وأنصرف ، وخرجوا إلى هيكلهم فبتوا ما سقط منه وحرسوه بطلسّات محكمة ، ونصبوا فوق قبتة طلسّما من نحاس مذهب ، وكان إذا قصده أحد صاح صياحا منكرا يرعد منه من سمعه ويهت فيخرجون إليه ويصطامون . وكانت ملكتهم أحذق منهم بالسحر فقالت :

$$\frac{8}{13}$$

(١) البحر الأخضر ، ويقال له بحر الظلمات : هو المحيط الأطلسي ، ويسمى أيضا : بحر الظلمة أو بحر أقيانس أو البحر الأعظم ، ويقرأ في بعض الكتب « بحر أقيانس » وهو تصحيف ظاهر (راجع معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية لأرحوم أمين واصف بك) . (٢) ميران : جمع غار ، وهو ما ينحّ في الجبل شبه المغارة فاذا اتسع قيل كهف . (٣) بصطلوته : بتصلونه .

إني أعمل الحيلة في إفساد مصر وأضرّ وأذى أهلها، فعمت أشياء وأرسلتها مع من ألفاها في النيل، ففاض النيل على مزارعهم وغلاتهم، وكثرت فيه التماسيح والضفادع، وكثرت العلال في الناس، وأنبتت فيهم النعابين والعقارب، فأحضر مالىق الكهنة والحكماء وقال: أخبروني عن هذه الحوادث التي حدثت في بلادنا ما هي؟ ولم لم تشرحوها في طالع السنة؟ فأجتمعوا في دار حكمتهم ونظروا حتى علموا أنه من ناحية الغرب، وأن امرأة عملمته وألقته في النيل، فعلم أنه من فعل تلك الساحرة، فقال لهم: اجهدوا أنفسكم في هلاكها فقد بلغت فيكم مرادها، فأجتمعوا للهيكل الذى فيه صور الكواكب وأصنامها، وسألوا الملك الحضور معهم فلم يمكنه الخلاف عليهم. فلما أمسى ابس مسطحا واقترش رمادا وأستقبل مصلاه وأقبل على الأبهال إلى الله والتضرّع وقال: يارب يا الله، أنت إله الآلهة، وخالق الخلق، ولا يكون شيء إلا بقضائك، أسألك أن تكفينى أمر هؤلاء القوم، وغلبه السهر فأغنى في مصلاه، فرأى آتيا يقول له: قد رحم الله تضرّعك، وأجاب دعائك، وهو مهلك هؤلاء القوم ومدمر عليهم، وصارف عنك الماء المفسد والدواب المضرة. فلما أصبح الكهنة غدّوا عليه وسألوه حضور هيكلمهم، فقال لهم: قد كفيتكم أمر عدوكم وأهلكتمهم، وأزلت الماء الفاسد والدواب المضرة عنكم، ولن ترّوا بعدها شيئا تكرهونه، فنظر بعضهم إلى بعض كالمتكرين لقوله وقالوا: قد سررنا بما ذكره الملك، وهم يضمرون الأستهزاء به والتكذيب له، ومضّوا إلى دار الحكمة فقال بعضهم: الرأى ألا تقولوا في هذا شيئا، فإن كان حقا وقفتم عليه، وإن كان باطلا اتسع لكم اللفظ في لومه، وسيتبين لكم أمره.

٢٠ فلما كان بعد يومين انكشف ذلك الماء الفاسد، وهلكت تلك الدواب المضرة، فعلموا أن الذى أخبرهم به حق، وأمر قائدا من قواده ورجالا من الكهنة أن يمضوا

- حتى يعلموا علم هؤلاء القوم ، فأتوا المدينة فوجدوا حصنها قد سقط وقد هلكوا بأجمعهم واحترقوا وأسودت وجوههم ؛ ووجدوا الأصنام منكسة على وجوهها ، وأموالهم ظاهرة بين أيديهم ، فطرقوا المدينة فلم يجدوا فيها غير رجل واحد كان مخالفا لهم بسبب رؤيا رآها ؛ ووجدوا من الأموال والجواهر وأصنام الذهب والتمائيل ما لا يُحصى ولا تعرف له قيمة ، ووجدوا صورة كاهن لهم من زبرجد أخضر على قائمة من حجر الأسباد شم ؛ ووجدوا صورة روحاني من ذهب ، ورأسه من جوهر أحمر ، وله جناحان من دُرّ ، وفي يده مصحف فيه كثير من علومهم في دفتين مرصعتين بجوهر ملون ؛ ووجدوا مطهرة من ياقوت أزرق على قاعدة من زجاج أخضر مسبوك ، وفيها فضلة من الماء الدافع لأسقامهم ، وفرسا من فضة من عزم عليه بعزائمهم ودخنه بُدخنة وركبه طار به فيما يزعمون ، وغير ذلك من العجائب والأصنام ؛ فحملوا من ذلك ما قدروا عليه من الأموال والجواهر ، وسأل الملك ذلك الرجل : ما أعجب ما رأيت من أعمالهم ؟ فقال : نعم أخبرك أيها الملك ؛ إنه قصدهم بعض ملوك البربر ، وكان جبارا من أهل بيت سحر ، بجاء بالجموع الكثيرة وتخييل هائلة ، فأغلق أهل مدينتنا حصنهم ولجأوا إلى أصنامهم يخضعون لها ويتضرعون إليها ، وكان لهم كاهن عظيم الشأن ، فسار إليه رؤسائهم وشكروا إليه ما دهمهم من عدوهم ، فأتى إلى بركة عظيمة بعيدة القعر كانوا يشربون منها ، بفاس على حاقها وأحاط رؤساء الكهنة بها وزمزم على ماء البركة ، فلم يزل كذلك حتى فار الماء وفاض ، وخرجت من وسطه نار نتأجج ، وظهر من وسطها وجه كدارة الشمس وعلى صورتها وضوئها ، نخر الجماعة وسجدوا لذلك الوجه ، وتجللهم نور ؛ وجعل يعظم حتى ملأ البركة ، وصعد حتى حرق سقف القبة ، ثم ارتفع إلى رأسها وسمعتة يقول : قد كفيتمكم شر عدوكم ، وأمرهم أن يأخذوا دوابهم ففعلوا

ذلك ، وهَلَكَ الملك الذي قصدهم وجميعٌ من كان معه ، وأنصرفوا ؛ فأقبلوا يأكلون ويشربون ، فقلت لبعض الكهنة : لقد رأيت عجبا من ذلك الوجه فما هو ؟ فقال : تلك الشمس تبدت لنا في صورتها وأهلكت عدونا ، صاحت بهم صيحة أحرقتهم فأصبحوا خامدين .

قال : وكان هذا الرجل عاقلا فاتخذه ماليق وزيرا . ولم يزل ماليق على التوحيد ، وهو مع ذلك يسائر أهل البلد خوفا من اضطراب مُلكه ، وأمر أن يُعمل له ناووس ، فكان يقصده ويتعبد فيه ، وأمر ألا يُدفن معه ذهب ولا جواهر ، فلم يُدفن معه شيء سوى الطيب وصحيفة مكتوبة بخطه فيها : هذا ناووس ملك مصر ماليق ، مات مؤمنا بالله العظيم لا يعبد معه غيره ، بريثا من الأصنام وعبادتها ، مؤمنا بالبعث والحساب والمجازاة على الأعمال ، عاش كذا وكذا سنة ، ملك فيها كذا وكذا ، فمن أحب النجاة من عذاب الآخرة فليدين بما دان به . وأوصى ألا يُدفن معه في ناووسه أحد من أهله ، وكان قد كثر كنوزا عظيمة وزر عليها أن تخرجها أمة النبي المبعوث في آخر الزمان .

وأستخلف ابنه حرما بن ماليق . قال : وكان لينا سهل الخلق ، لم يمت أبوه حتى شرح له التوحيد ، وأمره أن يدين به ، ونهاه عن عبادة الأصنام ؛ وكان معه على ذلك في حياته ، ثم رجع عنه بعد وفاته الى دينهم . وكان سبب رجوعه الى عبادة الأصنام أن أمه كانت من بنات كبار الكهّان ، فنقلته بعد موت أبيه الى دينها وغلبنه على رأيه ، وأمرت بتجديد الهياكل وتشددت في عبادة الأصنام . وتزوج حرما امرأة من بنى عمه فأحبها حبا شديدا وهام بها ، فأفسدته على جميع نساته ،

(١) في المقرئى (ج ٣ ص ٩ : طبة فييت) : « خرينا » .

فاشتد ذلك على أمه ، وكانت له قهرمانة من أهل سيوط ساحرة لا تطاق ، وكانت تميل الى هذه المرأة لأنها كانت تعشق أباها ، فزادت في محورها لتلك المرأة فأوحشت ما بين الملك وأمّه حتى رفضها وأستخف بأمرها ، وزاد الأمر حتى حلف ألا يجاورها ، وأنه يفزرو وينصرف فلا يرجع الى مصر أو يتصل به موتها ، ففعل ذلك وغزا بلد الهند وأرض السودان .

- وكان سبب خروجه الى الهند أن ملكا من ملوكها يقال له مسور خرج في عدد كثير وسأيرته مراكبه في البحر ففتح بلدانا وجزائر ، وأكثرت القتل والسبي ، وذُكرت له مصر فقصدتها وأعتل فرجع من طريقه ، فأمر حرما الملك بعمل مائة سفينة على شكل سفن الهند ، وتجهز وركب وحمل معه المرأة ووجوه أصحابه وقواده ، وأستخلف أبنه كلكن على مصر وكان صبياً ، وجعل معه وزيرا يقال له لاون ، وكاهنا يقال له ويسموس ، وخرج فمزر على ساحل اليمن وعاث في مدائنه . وكان لا يمر بمدينة إلا أقام صنما وزبر عليه اسمه ومسيره ووقته ، وبلغ سرنديب فأوقع بأهالها ، وغنم منها مالا وجوهرا كثيرا ، وحمل معه حكما لهم ، وبلغ جزيرة بين الهند والصين بها قوم سمّ طوال يجتزون شعورهم ، ورأى لهم الدواب والطيور وشجر الطيب والتارجيل والفواكه التي لا تكون إلا عندهم ، فأذعنوا له بالطاعة وحملوا اليه أموالا وهدايا فقبلها وسار عنهم . وأقبل يتنقل في تلك الجزائر عدة سنين ؛ فقيل : إنه أقام في سفره سبع عشرة سنة ، ورجع إلى مصر بالظفر والغنيمة ، ووجد أمه قد هلكت ، ووجد أبنه على الملك كما أستخلفه ؛ فسر بذلك وهابه من حوله من الملوك . وبني عدة هياكل وأقام فيها أصنام الكواكب ؛ لأنها - فيما زعم - هي التي أيدته في سفره حتى ظفر بما ظفر به وغنم ما غنمه . وقد كان حمل

(١) سرنديب : هي جزيرة سيلان الآن .

$\frac{10}{13}$

معه من الهند حكيا وطيبيا ، وكان معهما من كتبهم وحكهم ما أظهرها به في مصر عجائب مشهورة ، وحمل معه صنما من أصنام الهند من الذهب مقرطا بالجواهر ، فنصبه على بعض الهياكل التي عملها . وكان حكيم الهند يقوم به ويخديمه ويقرب له . وكان يخبرهم بما يريدون منه .

قال : وأقام حرما بعد مُنصَرَفِه من الهند مدّة ثم غزا نواحي الشام فأطاعه أهلها وهادّوه ورجع إلى مصر . ثم غزا نواحي النوبة والسودان فصالحوه على خراج يحملونه له ، ورفع أقدار الكهنة وزاد في تعظيم دينهم ؛ فصوّروه في هياكلهم ومضاجعهم ، وملكهم نحسا وسبعين سنة . وعمل لنفسه في صحراء الغرب ناووسا ، وعمل برقودة مصانع وعجائب ، وأقام بها إلى أن مات وأبنته كلكن بمنف ، فضمد جسده بالموميا والكافور والمتر ، وجعل في تابوت من ذهب ، وجعل معه مال كثير ، وجوهر نفيس ، وسلاح عجيب ، وتمائيل وصنعة وعقاقير ، ومصحف الحكمة . وصوّر في جانب الناووس صورا وزبر عليها ذكر السفن التي سار فيها ، والبلدان التي فتحها ، وسدّ باب الناووس وزبر عليه اسمه ومدّته وتاريخ الوقت الذي هلك فيه ، وقتل جماعة من نسائه أنفسهنّ عليه . وكان جميلا سمح الأخلاق ، وأغمّ عليه الكهنة لإكرامه لهم ، وأهل المملكة لاتباعه لهم .

وملك بعده أبنته كلكن بن حرما ، وعقد التاج على رأسه بالإسكندرية بعد موت أبيه وأقام بها شهرا ورجع إلى منف . وكان أصناميا على دين أبيه وأستبشر به أهل مصر . وكان يحب الحكمة وإظهار العجائب ويقرب أهلها ويكثر جوائزهم . ولم يزل يعمل الكيمياء في مدّة ملكه ؛ فغزن أموالا عظيمة بصحارى الغرب . وهو أول من أظهر علم الكيمياء بمصر وكان مكتوما . وكان الملوك قبله

- أمروا بترك صنعتهما لئلا تجتمع ملوك الأمم على غزوهم ، فعملها ولكن وملا دور الحكمة منها حتى لم يكن الذهبُ بمصر أكثر منه في وقته ولا الخراجُ ؛ لأنه كان في وقته - فيما حكاه القبط - مائة ألف ألف وبضعة عشر ألف ألف مثقال . قال : وكان المنقال الواحد من الصنعة يطرح على القناطير الكثيرة فيصبغها ، فاستغنوا عن إثارة المعادن لقلّة حاجتهم إليها . وعمل من الحجارة المسبوكة الملوّنة الصمّ التي تسيّف شيئا كثيرا لم يعمل مثله أحدٌ من تقدّمه . وعمل من الأدرك الملوّن والفيروزج أشياء تخرج عن العقول ، حتى كان يسمّى حكيمَ الملوك . وغلب جميع الكهنة في علومهم ، وكان يخبرهم بما يغيب عنهم ، فهابوه واحتاجوا إلى علمه . وكان نمرود بن كنعان الذي أهلكه الله تعالى على يد إبراهيم الخليل عليه السلام في وقته ، فيقال : إنه لما اتصل بنمرود خبر حكيمته استتراره فوجه إليه أن يلقاه منفردا من أهله وحشمه بموضع كذا ، ففعل النمرود ذلك وسار إلى الموضع الذي ذكره ، وأقبل كلكن على أربعة أفراس تجمله ذوات أجنحة ، وقد أحاط به نور كالنار ، وحوله صور هائلة قد خيل بها ، وهو متوشّح بشعبان محترما ببعضه ، والشعبان فاغر فاه ، ومعه قضيب آس أخضر كلما حرك الشعبان رأسه ضربه بالقضيب . فلما رآه النمرود هاله أمره وخاطبه ، فاعترف له بجليل الملك والحكمة ، وسأله أن يكون ظهيرا له .

- وتقول القبط : إن كلكن الملك كان يرتفع ويجلس على الهرم الغربي في قبة تلوح على رأسه . وكان أهل البلد إذا دهمهم أمر اجتمعوا حول الهرم . ويقولون : إنه ربما أقام على رأس الهرم أياما لا يأكل ولا يشرب ، ثم استتر عنهم مدة حتى توهّموا أنه هلّك . وكان يجول في الأرض وحده حتى طمعت الملوك التي حوله

(١) أنظر الحاشية رقم ٢ ص ٥ من هذا الجزء .

في ملكه؛ فقصده ملك من ملوك الغرب يقال له «سادوم» في جيش عظيم، وأقبل من ناحية المغرب من نحو وادي هيب ليكبس البلد، فأقبل حتى وافاهم، ثم جملهم بشيء من سحره كالغمام شديد الحرارة، فأقاموا تحته أياما لا يدرون أين يتوجهون، فطار إلى مصر فاستأنس الناس لمقدمه، فعزفهم ما جرى وأمرهم بالخروج إليهم ليعرفوا خبرهم، فوجدوهم ودواهم أمواتا فعجبوا لذلك، وهابه الكهنة هيبة لم يهايوها أحدا قبله، وصوروه في جميع الهياكل، وملكهم زمانا .

١١
١٣

وبنى في آخر عمره هيكلًا لزحل من صَوَانِ أسود في ناحية الغرب، وجعل له عيدا، وجعل في وسطه ناووسا، وحمل إليه ما أراد من ذهب وجوهر، وحكم وعقاقير، وعرفهم بموته، وجعل على باب الناووس طائسات تمنع منه، وغاب عنهم فلم يقفوا على موته .

وكان قد أوصى إلى ابنه ماليا بن كلكن فملك بعد أبيه . وكان شَرِهًا كثير الأكل والشرب، منفردا بالفاهة، غير ناظر في شيء من الحكمة، وجعل أمر البلد إلى وزيره . وكان معجبا بالنساء؛ وكان له ثمانون امرأة، ثم اتخذ امرأة من بنات الملوك التي بمنف وكانت عاقلة سديدة الرأي، وكان بها مُعْجَبًا فحتمه النساء . وكان له بنون وبنات، وكان أكبر بنه يقال له : طوطيس، فكان يستجمل أباه فأعمل الحيلة في قتله، وإنما حملته على ذلك أمه وجماعة نسائه وبعض وزراء أبيه؛ فهجم عليه في وزرائه وهو سكران وتلك المرأة عنده فقتله وقتل المرأة وصلبها .

(١) وادي هيب : هذا الوادي بالجانب الغربي من أرض مصر فيا بين مريوط والنيوم، يجلب منه الملح والظرون . عرف بهيب بن محمد الفقاري أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . شهد فتح مصر (راجع خطط المقرئ ج ١ ص ١٨٦ طبع بلاق) .

وملك بعده آبنه طوطيس بن ماليا وجلس على سرير الملك . وكان جبارا جريئا شديد البأس مهيبا ؛ فدخل عليه الأشراف وهنئوه ودعوا له ، وأمرهم بالإقبال على مصالحتهم وما يعينهم ، ووعدهم بالإحسان .

والقبط تزعم أنه أول الفراعنة بمصر ، وهو فرعون إبراهيم الخليل عليه السلام .

- ويقولون إن الفراعنة سبعة هو أوقم . قال : ثم تذاكر الناس ما فعله بأبيه وأنكروه وأستقبحو صلبه المرأة فأنزلها ودفنها ، وأستخف بالكهنة والهياكل .

ولنذكر خبره مع إبراهيم الخليل عليه السلام في أمر سارة^(١) ، ونورد من ذلك

ما أورده أهل الأثر وما ورد في الحديث الصحيح النبوي من هذه القصة . قال

إبراهيم بن القاسم الكاتب في سياقه أخباره : لما فارق إبراهيم عليه السلام قومه

- والتروذ بن كنعان ونزل الشام ثم خرج إلى مصر ومعه سارة امرأته وخلف ابن

أخيه لوطا بالشام وسار إلى مصر ، وكانت سارة أحسن نساء العالمين في وقتها ،

ويقال إن يوسف الصديق ورث جزءا من حسننا لأنها جدّة أبيه . قال : فلما

سار إبراهيم إلى مصر وأتى الحرم المقيمون على أبواب المدينة فرأوا سارة وعجبوا

من حسننا ورفعوا خبرها إلى طوطيس^(٢) . وقد روينا في ذلك حديثا بسندنا الذي

- قدمناه إلى أبي عبد الله البخاري رحمه الله قال : حدثنا أبو الهيثم قال : أخبرنا شعيب

قال : حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي

صلى الله عليه وسلم : " هاجر إبراهيم عليه السلام بسارة فدخل بها قرية فيها ملك

(١) سارة : بتخفيف الراء ، وقيل بتشديد الراء .

(٢) في شرح البخاري للقسطلاني (ج ٤ ص ١٢٢ طبع بلاق سنة ١٢٩٣ هـ) أن اسم هذا الملك

٢٠ صاروق ، وقيل سنان بن علوان ، وقيل عمرو بن امرئ القيس بن سبأ ، وكان على مصر .

(٣) في شرح البخاري للقسطلاني : « هي مصر . وقال ابن تيمية : الأردن » .

من الملوك أو جبار من الجبارة فقيل : دخل إبراهيم بأمرأة هي من أحسن النساء؛ فأرسل إليه أن يا إبراهيم من هذه التي معك؟ قال: أختي. ثم رجع إليها فقال: لا تكذبي حديثي فإني أخبرتهم أنك أختي؛ والله إن على الأرض من مؤمن غيري وغيرك؛ فأرسل بها إليه فقام إليها فقامت تَوْضاً وتصلى، فقالت: اللهم إن كنتُ أمنتُ بك وبرسولك وأحصنت فرجى إلا على زوجى فلا تسلط على هذا الكافر، ففظ حتى ركض برجله .

قال الأعرج: قال أبو سلمة بن عبدالرحمن: إن أبا هريرة قال: قالت: اللهم إن يمت يقال هي قتلتها فأرسل، ثم قام إليها فقامت تَوْضاً وتصلى وتقول: اللهم إن كنتُ أمنتُ بك وبرسولك وأحصنت فرجى إلا على زوجى فلا تسلط على هذا الكافر،

ففظ حتى ركض برجله. قال عبد الرحمن: قال أبو سلمة: قال أبو هريرة: فقالت: اللهم إن يمت يقال هي قتلتها فأرسل في الثانية أو في الثالثة. فقال: والله ما أرسلتم إلى إلا شيطاناً! إرجعوها إلى إبراهيم وأعطوها أجر، فرجعت إلى إبراهيم عليه السلام

فقالت: أشعرت أن الله كبت الكافر وأخدم وليدة. هذا ما روينا من صحيح البخارى. وقد ورد في أخبار طوطيس زيادات نذكرها؛ وهو أن الملك لما أطلقته

في المرة الثالثة قال لها: إن لك رباً عظيماً لا يُضِيعُك، وأعظم قدرها وسألها عن إبراهيم فقالت: هو قريبي وزوجي. قال: فإنه ذكر أنك أخته. قالت: صدق أنا أخته

في الدين، وكل من كان على ديننا فهو أخ لنا. قال: نعم الدين دينكم! ووجهها إلى ابنته حوريا، وكانت من العقل والكمال بمكان كبير، فألقى الله تعالى محبة سارة في قلبها فعظمتها حوريا وأضاعتها أحسن ضيافة، ووهبت لها جوهرًا ومالا، فأنت

(١) إن بكسر الهمزة وسكون النون نافية بمعنى « ما » . (٢) غط : بضم الغين المعجمة وتشديد الطاء المهملة، أى أخذ يجارى نفسه حتى سمع له غطيظ . (٣) يقال هي قتلتها : بإببات الألف في « يقال » على أن جواب الشرط المحزوم محذوف تقديره « ... أعذب ويقال ... » . (٤) هي هاجر أم اسماعيل كما سيأتى بعد . (٥) راجع (ج) ص ٣ ط ٣٥ بلاق سنة ١٢٩٠ .

- به إبراهيم عليه السلام فقال لها : رُدِّيهِ فلا حاجة لنا به فردته؛ فذكرت حوريا ذلك لأبيها فعجب منها وقال : هؤلاء من قوم كرام ومن أهل بيت طهارة فتحلى في برّها بكل حيلة ، فوهبت لها جاريةً قبطيةً من أحسن الجوارى يقال لها آجر، وهى هاجر أم إسماعيل عليه السلام، وعملت لها سِلّالا من الحلوى وقالت : يكون معك هذا للزاد. وجعلت تحت الحلوى جوهرًا نفيسًا وحليًا مصبوغًا مكلّلا. فقالت :
- أشاور صاحبي ؛ فأتت إبراهيم عليه السلام فشاورته فقال : إذا كان ما كولا نخذه ، فقبلته منها وخرج إبراهيم عليه السلام . فلما أمعنوا في السير أخرجت سارة بعض تلك السلال فأصابت الجوهر والحلى ، فعزفت إبراهيم ذلك ، فباع بعضه وحفر من ثمنه البئر التي جعلها للسبيل وفزق بعضه في وجوه البرّ، وكان يضيف كل من مرّ به .
- قال : وعاش طوطيس إلى أن وجهت إليه هاجر من مكة تعزفه أنها بمكان جذب وتستغيثه ، فأمر بحفر نهر في شرق مصر يمتد بسفح الجبل حتى يتمى إلى مرفأ السفن في البحر المالح ، فكان يحمل إليهما الخنطة وأصناف الغلات فتصل إلى جُدّة وتحمل من هناك على المطايا ، فأحيا بلد الحجاز مدة . ويقال : إن كل ما حُلِّيت به الكعبة في ذلك العصر هو مما أهداه ملك مصر . ويقال : إنه لكثرة ما كان طوطيس يحمله إلى الحجاز سمّته العرب «جرهم الصادق» وكذلك يسميه كثير من أهل الأثر. وقد تقدّم في قصة إبراهيم الخليل عليه السلام أن أسم الملك صادق ، ويقال : إنه سأل إبراهيم عليه السلام أن يبارك له في بلده ، فدعا بالبركة لمصر ، وعزفه إبراهيم أن ولده سيملكها ويصير أمرها إليه .

- قال : وطوطيس أول الفراعنة بمصر؛ وذلك أنه أكثر القتل حتى قتل قراباته وأهل بيته وبني عمه وخدمه ونسائه، وأكثر الكهنة والحكماء . وكان حريصا على الولد

فلم يرزقه الله ولدا غير أبنته حوريا، وكانت عاقلة حكيمة تأخذ على يده كثيرا وتمنعه من سفك الدماء، فأبغضته وأبغضه الخلق : الخاص والعام . فلما رأت أمره يزيد خافت على زوال ملكهم فسمته فهلك . وكان ملكه سبعين سنة . ولما مات اختلفوا فيمن يملكوه عليهم بعده فقالوا : لا يملك علينا أحد من أهل بيته، وأرادوا تملك بعض ولد أتريب ؛ فقام بعض الوزراء ودعا إلى تملك أبنته لصنيعها فيه ، ولما كانت تنكر عليه، وتبعه أكثر القواد والوجوه قتم لها الأمر .

وملكت حوريا بنة طوطيس وجلست على سرير الملك، ووعدت الناس بالإحسان، وأخذت في جمع الأموال وحفظها، فاجتمع لها من الأموال والجواهر والحلى والطيب ما لم يجتمع لملك، وقدمت الكهنة وأهل الحكمة ورؤساء السحرة ورفعت أقدارهم، وأمرت بتجديد الهياكل وتعظيمها . وسار من لم يرضها إلى مدينة أتريب وملكوا عليهم رجلا من ولد أتريب يقال له أنداخس ؛ فعقد على رأسه تاجا وأنضم إليه جماعة من بنى عمه وأهل بيته، فأنفذت إليه جيشا فخاربه ؛ فلما رأى أنه لا طاقة له بها دعاها إلى الصلح وخطبها إلى نفسه وقال لها : إن الملك لا يقوم بالنساء، وخوفها أن يزول ملكهم بمكانها ؛ فعملت صديعا وأمرت أن يحضره الناس على منازلهم ، فحضروا وأكوا وشربوا وبذلت لهم الأموال وعزفتهم ما جرى من خطبتها، فبعض صوب الرأي، وبعض امتنع وقالوا : لا يتولى علينا غيرها لمعرفتنا بعقلها وحكمتها ، وهى وارثة الملك ؛ ووشوا على نفر ممن خالفها فقتلوه ، وخرجوا في جيش كثيف فلقوا جيش الخارج بأتريب فهزموه وقتلوا كثيرا من أصحابه ، فهرب إلى أرض الشام وبها الكنعانيون من ولد عماليق ، فاستغاث بملكهم وضمن له أخذ مصر وفتحها، فجهزه بجيش عظيم إلى مصر، فاجتمع الناس كلهم إلى حوريا، ففتحت خزائن أيها وفزت ما فيها على الناس فأحبوها، وقوت السحرة بالمال ووعدهم الإحسان .

- فلما تقدم أنداخس بالجيوش أمرت السحرة أن يعملوا له عملاً ، وكان على جيوشهم قائدٌ من عطاء قواد ملكهم يقال له جيرون ؛ فلما نزلوا أرض مصر بعث ظئراً لها من عقلاء النساء إلى جيرون سرّاً من أنداخس تعزفه ورغبها في تزويجه ، لأنها لا تختار أحداً من أهل بيتها ، وأنه إن قتل أنداخس تزوجت به وسلمت إليه ملك مصر ومنعت منه صاحبه . فرغب في ذلك وسم أنداخس بسم أنفذته إليه . فقتله ؛ فوجهت إليه أنه لا يجوز أن أتزوجك حتى تظهر في بلدي قوتك وحكمتك وتبني لي مدينة عجيبة — وكان أفتخارهم حينئذ بالبنيان وإقامة الأعلام وعمل العجائب — وقالت له : انتقل من موضعك هذا إلى غربي بلدي فم آثارنا لك كثيرة فاقف تلك الأعمال الغربية وابن عليها . ففعل ذلك وبنى لها مدينة بصحراء الغرب يقال لها تندومة^(١) ، وجر إليها من النيل نهراً وغمس عليها غروراً كثيرة ، وأقام بها منارا عالياً ، وعمل فوقه منظرًا وصّعه بالذهب والفضة والصفير والرخام الملقون والزجاج المسبوك وأبدع في عمله . وكانت تمدّه بالأموال وتكتب صاحبه عنه وتهاديه وهو لا يعلم . فلما فرغ من بناء المدينة قالت له : إن لنا مدينة حصينة كانت لأوائلنا وقد نحربت منها أمكنة [وتشعت حصنها] فامض إليها واعمل في إصلاحها إلى أن أنتقل إلى هذه المدينة التي بنيتها وأنقل إليها جميع ما يحتاج إليه ، فإذا فرغت من إصلاح تلك المدينة فأنفذ إلى جيشا حتى أصير إليك وأنظر ما صنعته ، وأبعد عن مدينتي وأهل بيتي فإني أكره أن آتيك بالقرب منهم . فضى وجد في عمل الإسكندرية الثالثة . قال : وأهل التاريخ يسوقون شيئاً من أخبار أنداخس ويذكرون أنه الذي قصد الوليد بن دوعم العمليق ، وهو ثاني الفراعنة . وكان سبب قصده له أنه كانت به علة فوجه إلى المواضع ليحمل إليه من مياهها حتى يعرف ما يلائم جسده ، فوجه
- ٢٠ (١) في خطط المقرئ (ج ٣ ص ٧٤ طبعه فيت) : «أندومة» . وأشار في الهامش إلى أنها وردت أيضاً باسم «تندومة . قندومة . فندومة» . (٢) الزيادة من المقرئ .

غلاما له فأتى مملكة مصر ووقف على كثرة خيراتها^(١) وحمل إلى صاحبه من مائتها
والطائفها وعاد إليه ، فعزفه حال مصر فتمصدها في جيش كثيف حتى حطّ عليها ،
وكتب الملكة وخطب إليها نفسها ، فوجهت إليه من أشرف على حاله فوجد قوما
عظاما لا يقوم بجرهم ، فأجابته إلى التزويج والطفقة وشرطت عليه أن يبني لها مدينة
يُظهر فيها أيده وقوته ويجعلها مهرا لها ، فأجابها ودخل مصر وآتتهى إلى ناحية الغرب
ليبنى لها المدينة ناحية الإسكندرية ، فأمرت أن يُتلقّى بأصناف الرياحين والفواكه
وُتُحلق وجوه الخيل ، فمضى إلى الإسكندرية — وقد خربت بعد خروج العادية منها^(٢) —
فنتقل منها ما كان من حجارتها ومعالمها وعمدها ووضع أساس مدينة عظيمة وبعث
إليها مائة ألف فاعل ، فأقام في بنائها مدة وأنفق جميع ما كان معه من المال ، وكان
كلما بنى بناء خرجت من البحر دوابٌ تعلقه فإذا أصبح لم يجد منه شيئا ، فاهتم لذلك .

١٠

وكانت حوريا قد أنفذت إليه ألف رأس من المعزّ اللبون يستعمل ألبانها
في مطبخه ، وكانت مع راع يثق به ، وكان ذلك الراعى يطوف بها ويرعاها هناك ،
فكان إذا أراد أن ينصرف عند المساء خرجت إليه من البحر جارية حسناء فتتوق
نفسه إليها ، فإذا كلمها شرطت عليه أن تصارعه فإن صرعها كانت له وإن صرعته
أخذت رأسين من المعزّ ، فكانت على طول الأيام تصرعه وتأخذ من الغنم حتى
أخذت أكثر من نصفها وتغير باقيا لشفله بحب تلك الصورة عن رعيها ، وتغير
هو أيضا في جسمه وتُحَمَل ، فتر به صاحبه وسأله عن حاله وحال الغنم فخبره الخبر
خوف سطوته فقال : أى وقت تخرج ؟ قال : قرب المساء . فلبس ثياب الراعى
وتولّى رعية الغنم^(٣) يومه إلى المساء ، وخرجت الجارية فشرطت عليه كما شرطت على
الراعى ، فأجابها وصارعها فصرعها وقبض عليها وشدها فقالت له : إن كان لا بد

٢٠

(١) كذا في المقرئى . وفى الأصول : « خزائنها » . (٢) كذا فى الأصول والمقرئى .
والعادية : نسبة إلى قبيلة عاد البائدة . (٣) رعية : بكسر الراء ، اسم من رعى المشاة يرعاهها .

من أخذنى فسلمنى لصاحبي الأول فإنه ألطف بى ، وقد عدبته مرة بعد مرة ، فردّها إليه وقال له : سلها عن هذا البنيان الذى بنيتّه ويزول من ليلته من يفعل به ذلك ؛ وهل فى بنائه من حيلة ؟ فسألها الراعى عن ذلك فقالت : إن دوابّ البحر التى تنزِع بنيانكم . قال : فهل فيها من حيلة ؟ قالت : نعم . قال : وما هى ؟

قالت : تعملّ توايبت من زجاج كثيف بأغطية وتجعل فيها قوما يُحسِنون الصناعة فى التصوير ، وتجعل معهم صحفاً وأنقاشاً وزادا يكفهم أياماً ، وتجعل التوايبت فى المراكب بعد أن تُشدّها بالحبال ، فإذا توسّطوا الماء صوّر المصوِّرون جميع ما مرّ بهم وتُرفع تلك التوايبت من الماء ، فإذا وقفت على تلك الصور فأعملوا لها أشباهاً من الصُّفْر أو من الحجارة أو من الرصاص وأنصبوها أمام البنيان الذى تبنيه من جانب البحر ، فإن تلك الدوابّ إذا خرجت ورأت صورها هربت ولم تعد . فعترفه الراعى ذلك فععله ، وتمّ بناء المدينة .

وقال قوم من أهل التاريخ : إن صاحب البناء والغنم جيرون [المؤتفكي^(١)] وكان قصدهم قبل الوليد ، وإنما أتاهم بعد حوريا وقهرهم جيرون وملك مصر . وذكروا أن الأموال التى كانت مع جيرون نفدت كلها فى تلك المدة ولم يتمّ البناء ، فأمر الراعى فسأل تلك الحارية فقالت : إن فى المدينة التى خربت ملعباً مستديراً حوله سبعة عمُد على رءوسها تماثيل^(١) [من] صُفْر قِيام ، فقرب لكل تمثال منها نورا سمينا ولطخ العمود الذى عليه التمثال من دم الثور ، وبجره بشعر من ذنبه وشىء من نُحاتة قرونه وأظلافه ، وقل له : هذا قربانك فأطلق لى ما عندك ، ثم قس من كل عمود إلى الجهة التى يتوجّه إليها وجه التمثال مائة ذراعٍ وأحفر ، وليكن ذلك فى وقت أمّتلاء القمر واستقامة زحل ؛ فإنك تنهى بعد خمسين ذراعاً إلى بلاطة عظيمة فلطخها بمرارة الثور وأقلعها فإنك تنزل منها إلى سرب طوله خمسون ذراعاً فى آخره حزانة مقلّبة ومفتاح

(١) الزيادة من المقرئى .

القفل تحت عتبة الباب نخذه ولطخ الباب ببقية مرارة النور ودمه وبخره بئحاته
 قرونه وأظلافه وشعره، وأدخل الباب بعد أن تخرج الرياح التي فيه، فإنه يستقبلك
 صنم في عنقه لوح من صُفْر معلق مكتوب فيه جميع ما في الخزانة من مال وجوهر
 وتمثال وأعجوبة، نخذ منه ما شئت ولا نتعرض لميت تجده ولا لما عليه؛ وكذلك
 فأفعل بكل عمود وتمثاله؛ فإنك تجد في تلك الخزائن نواويس سبعة من الملوك
 وكنوزهم. فلما سمع ذلك سرّ به وفعله فوجد ما لا يُدرك وصفه، ووجد من العجائب
 شيئا كثيرا؛ فم بناء المدينة. وأتصل ذلك بحوريا فسأها؛ وإنما كانت أرادت
 إتعابه وهلاكه بالحيلة عليه. فيقال: إنه فيما وُجد من العجائب درج ذهب مختوم
 بطين ذهب فيه مكحلة زبرجد فيها ذرور أخضر ومعها عرق جوهر أحمر، من
 اكتحل من ذلك الذرور وكان أشيب عاد شابا وأسود شعره وأضاء بصره حتى يدرك
 النظر إلى أصناف الروحانيين، ووُجد تمثال من الذهب إذا أظهر غيمت السماء
 وأمطرت، وتمثال غراب من حجر إذا سئل عن شيء صوّت وأجاب عنه. ويقال:
 إنه كان في كل خزانة عشر أعجوبات.

قال: فلما فرغ جيرون من بناء المدينة وجه إليها يعلمها ذلك ويحثها على القدوم،
 فحملت إليه قُرُشا فآخرة وقالت: ابسطها في المجلس الذي تجلس فيه، وأقسم جيشك
 أنلاثا وأنفذ إلى ثلثه، حتى إذا بلغت ثلث الطريق فأنفذ إلى الثلث الآخر، فإذا
 جرت نصف الطريق فأنفذ إلى الثلث الباقي، ويكونون من ورائي لثلاث يرائي أحد
 إذا دخلت عليك، ولا يكن عندك إلا صبية تتق بهم يخدمونك فإني أوافيك في جوار
 تكفيك الخدمة ولا أحشمهن؛ ففعل. وأقامت تحمل إليه الجهاز والأموال حتى علم
 بمسيرها ووجه إليها ثلث جيشه فعملت لهم الأطعمة والأشربة المسمومة، فلما أتوها
 استنزلهم جواريا وحشمها وأقبلوا عليهم بتلك الأطعمة والأشربة والطيب والكساء

٥

١٥

٢٠

واللهو فلم يصبح منهم أحديعش ، ولقيها الثلث الثاني والثالث بعده ففعلت بهم كذلك ، وهي توجه إليه أنها أنفذت جيشه إلى قصرها ومملكته يحفظونه ، إلى أن دخلت عليه هي وظئرها وجوارٍ كُنَّ معها ، فنفخت ظئرها في وجهه نفخةً بهت إليها ورشت عليه ماء كان معها فأرتعدت مفاصله فقال : من ظن أنه يغلب النساء فقد كذَّبته نفسه وغلبته النساء ، ثم فصدت عروقه وأسالت دمه وقالت : دماء الملوك شفاء .

وأخذت رأسه فوجهت به إلى قصرها فنُصب عليه وحملت تلك الأموال إلى منف . وبنت منارا بالاسكندرية وزبرت عليه اسمها وأسمه وما فعلت به وتاريخ الوقت . قال : ولما اتصل خبرها بالملوك الذين يتأخون بلدها ، هابوها وأذعنوا لها

وها دونها . وعمت بمصر عجائب كثيرة ، وأقطعت أهل بيتها وقوادها وحشمها أقطاعا كثيرة ، وأمرت أن يبنى على حد مصر من ناحية النوبة حصنٌ وقنطرة يجرى ماء النيل من تحتها . وأعتلت حوريا فاجتمع إليها أهل مملكته وسألوها أن تقدم عليهم ملكا ، ولم يكن في ذلك الوقت من ولد أبيها وأهل بيته من يصلح لذلك ، فقلدت

عمتها دليغة بنت مامون ، وكانت عذراء من عقلاء النساء وكبراهن ، فعهدت إليها وأخذت لها الموائيق على أهل مصر ألا يُسلموها وأن يتبعوا أمرها ، وسلمت إليها

مفاتيح خزائنها ، وأطاعتها على مواضع كنوز آبائها وكنوزها ، وأمرت أن يضمّد جسدها بالكافور وتحمل إلى المدينة التي بنيت لها في صحراء الغرب ، وقد كانت

عملت لها فيها ناووسا وعملت فيه عجائب ونقات إليه أصنام الكواكب ، وزينته بأحسن الزينة ونصبت له قومة ، وأسكنت تلك المدينة جماعة من الكهنة وأصحاب العلوم والمهن وبعض الجيش ، وعمرت تلك المدينة فلم تزل على حالها من العجارة

إلى أن خربها مُختنصر وحمل بعض كنوزها .

(١) في المقرئى : « مامون » بالنون .

وجلست دليفة بنت ماموم على سرير الملك بعد وفاة حوريا ، واجتمعت الكلمة عليها وأحسنّت الى الناس ووضعت عنهم ^(١) راج سنة ، وقام عليها أيمن يطالب بشار خاله انداخس ، واستنصر بملك العماقة فوجه معه قائدا من قواده في جيش كثيف ، فأخرجت اليه دليفة بعض قوادها فالتقوا بالعريش ، وجعل سخرةُ الفريقين يُظهرون التخاييل الهائلة والعجائب العظيمة والأصوات التي تفرع الأسماع وتؤلّمها ، فأقاموا مدة يتكافئون الحرب ويتراجعون فهلك بينهم خلق كثير ، ثم أنهزم أصحاب دليفة الى منف وسار أصحاب أيمن في آثارهم ، ومضت دليفة في جمع من جيوشها الى ناحية الصعيد فزلت الأشمونين وأنفذت من قدرت عليه من الجيوش ووقعت الحرب بينهم بناحية الفيوم وختل أصحاب دليفة الماء بينهم وبين عدوهم ، واستجدت دليفة بأهل مدائن الصعيد فخاروا أصحاب أيمن حتى أزالوهم عن منف ، وكانوا قد ظفروا بها وعانوا فيها ، فهزموهم حتى ركبوا المراكب وعدوا الى ناحية الحوف ، وكان معهم ساحر من أهل ناحية قفط فأظهر بسحره نارا حالت بينهم وبين أصحاب دليفة ، فلما زاد الأمر وأشفق أهل مصر من خروجها عن أيديهم سَفَرَّ السفراء بينهم على أن يجعلوا البلد قسمةً بينهم فأجاب كل منهما الى الصلح ، ثم غدرت دليفة بعد ذلك بأيمن وأخرجت الأموال والجواهر وفرقتها في الناس ، وكان بعضهم قد لامها في الصلح ، فرجعت الى الحرب فأقاموا ثلاثة أشهر ثم ظهر أيمن عليها وهزمها الى ناحية قوص وسار خلفها وتمكن من المملكة ، فلما رأّت ذلك سمّت نفسها فهلكت .

وملك بعدها أيمن ؛ فتجبر وقتل خلقا كثيرا ممن كان حاربه . وكان الوليد بن دوع العمليقي قد خرج في جيش كثيف يتنقل في البلدان ويقهر ملوكها ليسكن

(١) العماقة : من ولد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام .

ما يوافقها منها؛ فلما صار بالشام انتهى إليه خبر مصر وعظم قدرها ، وأن أمرها قد صار إلى النساء وبادت ملوكها؛ فوجه غلاما له يقال له عون، فسار إلى مصر وفتحها وحوى أموالا، ومولاه لا يعرف خبره ولا يشك في هلاكه وهلاك الجيش الذي معه ، لِمَا كان يسمع عما بمصر من الطلسمات والسحر؛ ثم اتصل به خبره فسار إلى مصر فلتقاه عون وعرفه أنه كان عزم على المسير إليه وإنما أراد تعديل البلد وإصلاحه فقبل قوله ودخل .

وملك مصر الوليد بن دومع العمليقي ، واستباح أهلها وأخذ أموالها وقتل جماعة من كهنتها ، ثم سرح له أن يخرج فيقف على مصب النيل ويعرف ما بناحيته من الأمم ويفزوهم ، فأقام ثلاث سنين يستعد لخروجه ، وأصلح ما يحتاج إليه ، واستخلف عوناً على البلد وخرج في جيش كثيف فلم يترأمة إلا أبادها . فيقال :
 ١٠ إنه أقام في سفره سنين كثيرة ، وإنه مرّ على أم من السودان وجاوزهم ، ومرّ على أرض الذهب وفيها قضبان نابتة ؛ ولم يزل يسير حتى بلغ البطيحة التي ينصب ماء النيل إليها من الأنهار التي تخرج من تحت جبل القمر^(١)؛ ثم سار حتى بلغ هيكل الشمس فدخله . ويقال : إنه خوطب فيه . وسار حتى بلغ جبل القمر؛ وهو جبل عال .
 ١٥ وإنما سمي جبل القمر لأن القمر لا يطلع عليه لخروجه عن خط الاستواء . ونظر إلى النيل يخرج من تحته . وقد تقدم خير النيل^(٢) .

(١) توجد بالجهات الاستوائية في المصوّرات الجغرافية القديمة ومنها « الخريطة المنسوبة إلى الإدريسي عن ملط » ثلاث مجمرات هي التي تسمى : البطيحة الغربية ، والبطيحة الشرقية ، وبينهما البطيحة الكبرى ، وهي التي يخرج منها نهر النيل المصري ، ونهر النيل السوداني الذي يلقب عليه اسم النيجر ، وإلى الجنوب من هذه البطائح توجد سلسلة جبال القمر ، ويظن أن البطيحة الكبرى هي التي تسمى الآن « فيكتور بانياز » وهي التي أشار إليها المؤلف هنا (أفادني الأستاذ الجليل الشيخ محمد نغردين بك) .

(٢) ضبطه بعض أهل الجغرافيا بفتح القاف والميم . والنقات منهم على أنه بضم القاف وسكون الميم (انظر تقويم البلدان ص ٦٤ طبع باريس) . (٣) راجع (ج ١ ص ٢٦٢ من هذه الطبعة) .

قال : ودخل الوليد القصر الذي فيه تماثيل النحاس التي عملها هيرمس الأول في وقت البودسير الأول بن قفطريم . قال : ولما بلغ الوليد جبل القمر رأى جبلا عاليا فأعمل الحيلة وصعد عليه ليرى ما خلفه ، فأشرف على البحر الأسود الزفتي المتن ، ونظر إلى النيل يجري عليه كالأنهار الرقاق ، وأنته من ذلك البحر روائح متنته هلك كثير من أصحابه من ريحها فأسرع الترول بعد أن كاد يهلك .

قال : وذكر قوم أنهم لم يروا شمسا ولا قمرًا وإنما رأوا نورا أحمر كنور الشمس عند مغيبها . وأقام الوليد في غيبته أربعين سنة . وأما عون الذي استخلفه بمصر فإنه فعل في غيبة الوليد ما تذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر خبر عون وما فعله في غيبة الوليد وخبر المدينة التي بناها

قال : ولما مضت من غيبة الوليد بن دوع سبع سنين تجبر غلامه عون بمصر ، وأدعى أنه الملك ، وأنكر أن يكون غلاما للوليد ، وأنه أخوه وقده الملك بعده ، ووثب على الناس وغلهم بالسحرة وأسنى جوائزهم ولم يمنعهم محابهم ؛ قالوا إليه ووقفوا أمره ، فلم يترك امرأة من بنات ملوك مصر إلا نكحها ، ولا مالا إلا أخذه وقتل صاحبه . وكان مع ذلك يلزم الهياكل ويكرم الكهنة ، فكانوا يسكنون عنه إشفاقا منه وخوفا من السحرة الذين معه ؛ إلى أن رأى في منامه الوليد بن دوع وكأنه يقول له : من أمرك أن تسمى بأسم الملك ، وقد علمت أنه من فعل ذلك استحق القتل ، ونكحت بنات الملوك وأخذت الأموال بغير واجب ، ثم أمر بقدور فلكت زينا وأحميت على أنه يغمر فيها ، فلما غلت أمر بتزع ثيابه فأتى طائر في صورة عقاب فاخطفه من أيديهم وحلق به في الجؤ وجعله في هوة على رأس جبل ، وأنه سقط من رأس الجبل إلى واديه حية ، فانتبه مرعوبا طائر العقل . وقد

كان في فعله ذلك وتملكه إذا خطرت بقلبه من ذكر الوليد خطرةً كاد عقله يزول ،
خوفاً منه لِمَا يعلمه من فظاظته وبطشه وقوته ، ولم يتيقن هلاكه وأضر في نفسه
الهربَ من مصر بما معه من الأموال .

قال : ولما رأى الرؤيا لم يشك في حياة الوليد وأنه سيعود ، فأطلع بعض

- السَّحَرَةَ ممن يثق به على أمره وقال : إني خائف من الوليد وقد عزمتم على
الخروج من مصر فما الوجه عندكم ؟ قالوا : نحن نُخَيِّك منه على أن تقبل منا .
قال : قولوا ، قالوا : تعمل عقابا وتعبده ؛ فإن الذي حصنك منه أحد الروحانيين
وهو يريد ذلك منك . قال عون : أشهد لقد قال لي وأنا معه : أعرف لي هذا
المقام ولا تنسه . قالوا : قد بينا لك . فأجابهم إلى ذلك وعمل عقابا من ذهب
وعمل عيذه جوهرتين ووثقته بأصناف من الجواهر ، وعمل له هيكلا لطيفا وجعله
في صدره وأرعى عليه ستور الحرير ، وأقبل أولئك يتخرونه ويقربون إليه
ويستحرون إلى أن نطق لهم ، فأقبل عون على عبادته ودعا الناس إليها فأجابوه .

- فلما مضى لذلك مدة أمره العقاب ببناء مدينة يحوله إليها وتكون معقلا له وحرزا
من كل أحد . فأمر عون أصحابه أن يخرجوا إلى صحارى الغرب ويطلبوا كل أرض
سهلة حسنة الاستواء ، ويكون المدخل إليها بين هجول صعبة وجبال وعرة ، ويتوخأ^(١)
أن تكون قريبة من ناحية مغيض الماء التي هي اليوم القيوم . وكانت مغيضا لماء
النيل حتى أصلحها يوسف عليه السلام على ما نذكره إن شاء الله . وإنما أراد
عون بذلك ليجر الماء منها إلى مدينته التي بينها ؛ فخرج أصحابه وأقاموا شهرا
يطوفون الصحارى حتى وجدوا له بغيته ، ولم يبق فاعل ولا مهندس ولا أحد ممن

يُصّر البناء ويقطع الصخور ويختها إلا وجهه به عون إليها، وأنفذ معهم ألف رجل من جيشه وسبعمائنة ساحر يعاونونهم بالروحانيين الذين في طاعتهم، وأنفذ معهم جميع الآلات وأقام يحمل لهم الزاد إلى هناك شهورا على العجل، وطريق العجل على الفيوم واضحة في صحراء الغرب وخلف الأهرام - وهي التي يقصدها أصحاب المطالب - مشهورة.

قال : فلما تكامل له ما أراد من ذلك ومن نحت الأحجار خَطُوا المدينة فرسختين ٥
 في فرسختين ، وحفروا في الوسط بئرا وجعلوا في تلك البئر تمثال خنزير من نحاس بأخلاق ونصبوه على قاعدة من نحاس وجعلوا وجهه إلى الشرق ، وكان ذلك بطالع زحل واستقامته وسلامته من المتضادين له في شرفه ، وأخذوا خنزيرا فذبحوه له ولطخوا وجهه بدمه وبخروه بشعره ، وأخذوا شيئا من عظامه ولحمه ومرارته فجعلوه في جوف ذلك الخنزير النحاس ، وجعلوا في أذنيه شيئا من مرارته ، وأحرقوا بقية الخنزير ، وجعلوا رماده في قلة نحاس بين يدي الخنزير النحاس ، ونقشوا عليه آيات زحل ، ثم شقوا في البئر أخذودا من أربعة وجوه شرقا وغربا وجنوبا وشمالا ، ومدوا تلك الأخاديد إلى حيطان المدينة ، وعملوا على أفواهاها مسارب تجتلب الرياح إليها ، ثم سدوا البئر وعملوا عليها قبة على عمد مربعة ، وجعلوا منها شوارع كل شارع ينتهي إلى باب من أبواب المدينة وفصلوها بالطرقات والمنازل ، وجعلوا حول القبة تماثيل فرسان من نحاس بأيديها حرابٌ ووجوهها مقابلة لتلك الأبواب ، وجعلوا أساس المدينة من حجر أسود وفوقه أحمر وفوقه أصفر وفوقه أخضر ، وفوق الجميع أبيض يشف ، مثبتة كلها بالرصاص المصبوب بين الحجارة ، وقلوبها أعمدة من حديد على وضع بناء الأهرام ؛ وجعل طول حصنها ستين ذراعا في عرض عشرين ذراعا ، ونُصب على كل رأس باب من أبوابها في أعلا الحصن تمثال عقاب كبير من صفر وأخلاق ناشر الجناحين أجوف ، وعلى كل ركن صورة فارس بيده حربة ووجهه

إلى خارج المدينة؛ وساق الماء إلى ناحية الباب الشرقي ينحدر في صببٍ إلى الباب الغربي ويخرج إلى صهاريج هناك، وكذلك من الباب الجنوبي إلى الشمال، وقرب تلك العقبان عقباناً ذكورا، واجتذب الرياح إلى أفواه التماثيل، فكانت الرياح إذا دخلتها شُمت لها أصواتٌ شديدة لا يسمعا أحد إلا هالته، وصمدها بعفاريت تمنع الداخل إليها إلا أن يكون من أهلها، ونصب العقاب الذي كان يعبد تحت القبة التي في وسط المدينة على قاعدة لها أربعة أركان في كل ركن منها وجه شيطان، وجمعها على عمود يديرها، والعقاب يدور إلى كل الجهات الأربع، ويقم فيها ربع السنة، يقرب إليه من جهتها .

فلما فرغ من ذلك كله حمل إليها جميع الأموال والجواهر المخزونة بمصر وما وجده في خزائن الملوك، ومن التماثيل والحكم وتراب الصنعة والعقاقير والسلاح وغير ذلك، وحول إليها كبار السحرة والكهنة وأصحاب الصنائع والتجار، وقسم المساكن بينهم لا يختلط أهل صنعة بغيرها، وعمل لها ربضا يحيط بها، وبني فيه منازل لأصحاب المهن والزراعة، وعقد على تلك الأنهار قناطر يمز عليها الداخل إلى المدينة، وجعل الماء يدور حول الربض؛ ونصب عليها أعلاما وحرسا؛ ثم غرس وراء ذلك بالبرية النخل والكروم وأصناف الأشجار، ومن وراء ذلك مزارع الغلات من كل جهة، وكان يرتفع له بها في كل سنة ما يكفيه لعشر سنين، كل ذلك خوفا من الوليد .

قال : وبين هذه المدينة وبين منف ثلاثة أيام؛ فكان عونٌ يخرج إليها فيقيم بها عشرة أيام ثم يعود إلى منف، وكان لها أربعة أعياد في السنة؛ وهي الأوقات التي يتحول العقاب فيها . فلما تم ذلك كله لعون أطمان قلبه، وسكنت نفسه .

١٠ (١) في خطط المقرئ (ج ١ ص ٢٤١ طبع بلاق): «وركل بها أرواحا تمنع الداخل إليها...» .

(٢) الربض هنا : سور المدينة .

ذكر عود الوليد إلى مصر وهرب عون إلى مدينته

قال : ثم وافا كتاب الوليد بن دوعم من نواحي النوبة إلى عون يأمره أن يُنْفَذَ إليه الأزواد وينصب له الأسواق؛ فوجه إليه ذلك في المراكب وعلى الظهر، وحول جميع عياله ومن أصطفاه من بنات ملوك مصر وكبرائها إلى المدينة ، حتى إذا قرب دخول الوليد إلى مصر خرج عون إلى مدينته وخلف خليفة على مصر يكون بين يدي الوليد . ودخل الوليد مدينة منف وتلقاه أهل مصر وشكروا إليه عوناً وما حل بهم منه . قال : وأين هو؟ قالوا : فزمنك . فغضب الوليد وأمر بجيش كثيف يتنقذ إليه ، فعزفوه أن الجيش لا يصل إليه ، وأخبروه خبر المدينة وكيف بناها وخبر السحرة الذين معه . فكتب إليه يأمره بالقدوم عليه ويحذره التخلف عنه ، ويقسم أنه إن لم يفعل وظفر به بضع لحمه يَضَعُ . فردّ جوابه يقول : ما على الملك مني مؤنة ، وأنا لا أتعرض إلى بلده ولا أعيث فيه ؛ لأني عبده، وأنا له في هذا الموضع أردّ كل عدو يأتيه من نواحي الغرب ، ولا أقدر على المصير إليه لخوفي منه ، فليقرني الملك بحالي كأحد عماله وأوجه إليه ما يلزمني من الخراج والهدايا . ووجه إليه بأموال جليّة وجوهر نفيس . فلما رأى ذلك كف عنه . وأقام الوليد بمصر فأستعبد أهلها وأستباح حريمهم وأموالهم . وملكهم مائة وعشرين سنة فأبفضوه وسمّوا أيامه . وأتفق أنه ركب في بعض الأيام إلى الصيد فالتقاه فرسه في وهدة فهلك . وكان أبسه الريان يُنكر عليه فعله ولا يرضاه . فلما هلك عمل له ناووسا قرب الأهرام . وقيل : بل دفن في الهرم .

(١) الظهر : الركاب التي تحمل الأمتال في السفر، حملها إياها على ظهرها .

ثم ملك بعده ابنه الريان بن الوليد بن دوعب؛ وهو فرعون يوسف عليه السلام، والقبط تسميه نهر اوش^(١)، وجلس على سرير الملك. وكان عظيم الخلق، جميل الوجه، عاقلا متمكنا؛ فتكلم ومنى الناس وضمن لهم الإحسان وأسقط عنهم الخراج ثلاث سنين، فاثنوا عليه وشكروه، وأمر بفتح الخزان وفزق ما فيها على الخاص والعام، وتمكنت منه أريحية الصبا فملك على الرعية رجلا من أهل بيته يقال له أطفين، وقيل في اسمه: قطفير، وقيل: قوطيفر، وهو الذي يسميه أهل الأثر العزيز. وكان من أولاد الوزراء. وكان عاقلا أديبا متمكنا صائب الرأي كثير النزاهة مستعملا للعدل والعبارة والإصلاح. وأمر الريان أن يُنصب له في قصر الملك سرير من الفضة يجلس عليه ويقعد ويروح إلى باب الملك، ويخرج بجميع الوزراء والعمال والكتاب بين يديه؛ فكفى الريان ما خلف سريره وقام بجميع أمره وأخلاه للذات؛ فأقام الريان منعكفا على قصفه وهو منغمسا في لذته لا ينظر في عمل ولا يظهر للناس ولا يخاطبهم، فأقاموا بذلك حيناً. هذا والبلد عامر.

وبلغ الخراج في وقته سبعة وتسعين ألف ألف مثقال فجعلها أقساما، فما كان للملك وأسبابه وموائمه حُمِل إليه، وما كان في أرزاق الجيش والكهنة والفلاسفة وأصحاب الصنائع ومصالح البلد وأهل المهنة صُرف إليهم، والملك مع ذلك غير سائل عن شيء؛ قد حُمِلت له مجالس من الزجاج الملون وأجرى حولها الماء وأُرسلت فيها الأسمك المقزطة، فكانت الشمس إذا وقعت على المجلس منها أرسل شعاعا عجيبا يبهر العيون. وعملت له عدة منزهات على عدد أيام السنة، فكان كل يوم في موضع منها، وفي كل موضع منها من الفرش والآنية والآلات ما ليس في غيره.

٢٠ (١) هو أحد العائقة، وكان أقوى أهل الأرض في زمانه وأعظم ملكا. والعائقة: ولد عمليق بن

لاؤد بن سام بن نوح (راجع القرظي). (٢) في القرظي: «ما خلف ستره».

فلما اتصل بملوك النواحي تشاغل الريان بلذاته وتدير العزير لأمره، قصده رجل من العمالقة يقال له عاكن بن يعوم وكنيته أبو قابوس، وقصد مصر حتى نزل على حدودها، فأنفذ إليه العزيز جيشا كثيفا وجعل عليه قائدا يقال له بريانس، فأقام ثلاث سنين يحاربه، ثم ظفر به العمليقي ودخل من الحدود وهدم أعلاما ومصانع كثيرة، وتمكن طمعه في البلد فأعظم أهل مصر ذلك واجتمعوا إلى قصر الملك وجعلوا يصيحون ويستغيثون ويرفعون أصواتهم حتى سمعها الملك فقال: ما بال الناس؟ فأخبر خبر العمليقي وأنه قد دخل عمّل مصر وعات وأفسد المزارع والمصانع والأعلام، وأنه سار بجيشه إلى قصر الملك، فأرتاع الريان لذلك وأنف منه وأنتبه من غفلته وعرض جيوشه وأصلح أمره وخرج في ستمائة ألف مقاتل من الأتباع، فالتقوا من وراء الأحواف في تلك الصحراء، واقتتلوا قتالا شديدا فأنهزم العمليقي وأتبعه الريان إلى حدود الشام وقتل من أصحابه خلقا وأفسد زرعهم وأكثر أشجار الفواكه والزيتون، وأحرق وصلب ونصب أعلاما على الموضع الذي بلغه وزبر عليها: إني لمن يجاوز هذا المكان بالمرصاد. فلما تم له هذا الظفر هابته الملوك ولاطفوه وأعظموه. وقيل: إنه بلغ الموصل وضرب على الشام حراجا وبني عند العريش. مدينة لطيفة وشحنها هي وتلك الناحية بالرجال، ورجع إلى مصر فحشد جنوده من جميع الأعمال، وأستعد لغزو ملوك الغرب فخرج في تسعمائة ألف واتصل بالملوك خبره، فمنهم من تنحى عن طريقه، ومنهم من دخل تحت طاعته. ومر بأرض البربر فأجلى كثيرا منهم، ووجه قائدا يقال له مريطس في سفن فركب البحر من ناحية رقودة. ومر الريان بجزائر بني يافت فعاث فيها وأصطلم أهلها، وخرج من ناحية أرض البربر فقتل بعضهم وصالح بعضهم وحملوا إليه الأموال، ومضى إلى إفريقية وقرطاجنة فصالحوه على أموال

وأطاف كثيرة حملوها إليه، وصرّ حتى بلغ مصب البحر الأخضر وهو موضع الأصنام
 النحاس، فأقام هناك صنفاً وزبر عليه اسمه وتاريخ الوقت الذي نرح فيه، وضرب
 على أهل تلك النواحي خراجاً، وعُدّى إلى الأرض الكبيرة وصار في الإفرنجية، والأندلس
 في حوزهم وعليها لذريق الأصغر، فخاربه أياماً وقتل من أصحابه خلقاً وصالحه بعد ذلك
 على ذهب مضروب، وعلى ألا يفزّ مصر ويمنع من رام ذلك من جميع أهل النواحي،
 وأنصرف مشرفاً فشقّ بلد البربر فلم يمر بموضع إلا أخرج أهله بين يديه وأهدوا له
 ودخلوا تحت طاعته . ثم أخذ نحو الجنوب وصر ببلد الكوسانيين فخاربه فقتل
 خلقاً كثيراً، وبعث قائداً إلى مدينة على عبر البحر الأخضر^(٢) فخرج إليه ملك المدينة
 وأهلها فعرفتهم حال الريان ومصالحه الملوك له فقالوا : ما بلغنا أحد قط، وسألهم هل
 ركب هذا البحر أحدٌ؟ فقالوا : ما يستطيع أحد أن يركبه، وأخبروه أنه ربما أظله
 الغمام فلا يرونه أياماً، وأتى الريان فتلقوه بهدايا وفاكهة أكثرها الموز؛ وحجارة سود
 فإذا جعلت في الماء صارت بيضاء، ثم تركهم وسار إلى أمم السودان حتى بلغ ملك
 الدمدم الذين يأكلون الناس، فخرجوا إليه عُرّة بأيديهم العمدة الحديد، وخرج ملكهم
 على دابة وهو عظيم الخلق له قرون، وكان جسماً أحمر العينين، فظفّر بهم فانهزموا
 إلى أوحال وأدغال فلم يتهدأ لهم اتباعهم فيها، وجازهم إلى قوم على خلق القروود لهم
 أجنحة صفار يثبون بها من غير ريش . وصرّ على عبر البحر المظلم فغشيه من غمام
 فرجع شمالاً حتى انتهى إلى جبل يقال له وسن، فرأى فوقه تماثلاً من حجر أحمر يومي

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٩٦ من هذا الجزء .

(٢) في المقرئى « على البحر الأسود » .

(٣) كذا في الأصل . وفي مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري (ج ١ ص ٤٩) « نتم » وكتب

بالهامش ما فيه : « ولعلها نتم » .

بيده: إرجعوا، وعلى صدره مزبور: ما ورائي أحد . فتركة وسار راجعا فاتتهى إلى مدينة النحاس فلم يصل إليها . ومضى حتى بلغ الوادى المظلم فكانوا يسمعون منه جلبة عظيمة ولا يرون أحدا لشدة ظلمته . وسار حتى انتهى إلى وادى الرمل ورأى على غيرِه أصناما عليها أسماء الملوك قبله فأقام معها صنما وزبر عليها اسمه . فلما أسبت^(١) الرمل جاز عليه إلى الخراب المتصل بالبحر الأسود، وسمع جلبة وصياحا هائلا نخرج في شجعان أصحابه حتى أشرف على السباع المقرنة الأنوف، فإذا بعضها تهيأتا كل بعضها بعضا ، فعلم أنه لا مذهب له من ورائها فرجع ، وعدى وادى الرمل ومرا بأرض العقارب فهلك بعض أصحابه ورفعوها عنهم بالرقي التي يعرفونها ، ثم جاوزهم حتى انتهى إلى مكان صلوفة وهى حية عظيمة ، فهجموا عليها ولم يعرفوها وظنوا أنها جبل ، ثم عرجوا عنها وتعوذوا منها بالرقي . قال : ويزعم القبط أنه منعها من الحركة بسحره وتركها فهلكت . وقيل : إن تعريج هذه الحية ميلٌ وأنها كانت تبتلع السباع هناك .

وسار حتى بلغ مدينة الكند، وهى مدينة الحكماء، فتهاربوا منه إلى جبل صعدوه من مواضع يعرفونها من داخل مدينتهم لم يعرفها غيرهم ، ولم يجد الريان ومن معه إلى الصعود إليها سبيلا ، فأقاموا عليها أياما وكادوا يهلكون من العطش ، فنزل إليهم من الجبل رجل يقال له مندوس ، كان من أفاضل الحكماء وقد لبس شعره جسده ، فقال: أين تريد أيها المغرور الممدود له فى الأجل ! المرزوق الكفاية ! أتبت نفسك وجيشك ! ألا اقتنعت بما تملكه وأتكلت على خالك [وربحت الراحة]^(٢) وتركت العناء والغرور بهذا الخلق . فعجب الملك من قوله وسأله عن الماء فدلّه عليه ، وسأله عن

(١) أسبت هنا : سكن ولم يهزك .

(٢) فى هامش عطف القرزى طبعة فيت : «الكهنة» .

(٣) الكلمة من القرزى :

- موضعهم فقال: موضع لا يصل إليه احد ولا بلغه قبلك أحد. قال: فما عيشكم؟ قال: من أصول نبات لنا نعتصم به ونقتنع بأكله ويكفينا السير. قال: فمن أين تشربون؟ قال: من نِغار الماء من الأمطار. قال: فلم هربتم منا؟ قال: رغبة عن خلطكم والا فليس لنا ما نخاف عليه. قال: فكيف تكونون إذا حيت عليكم الشمس؟ قال: في غيران تحت هذه الجبال. قال: فهل تحتاجون إلى مال أخافه لكم؟ قال: إنما يريد المال أهل البذخ ونحن لا نستعمل منه شيئا، استغنينا عنه بما قد اكتفينا به، وعندنا منه مالو رأيتَه لحقَّرت ما عندك. قال: فأرنيه، فانطلق به مع نفر من أصحابه إلى أرض في سفح جبلهم فيها قضبان الذهب نابتة، وأراهم واديا حافتاه حجارة الزبرجد والفيروزج، فأمر الزيان أصحابه أن يأخذوا من كبار تلك الحجارة ففعلوا؛ ورآهم الحكيم يصلون إلى صنم يحملونه معهم، فسألهم ألا يقيموا بأرضهم خوفا من عبادة الأصنام؛ فسأله الملك أن يدلّه على الطريق ففعل، وودع الحكيم وسار على السميت الذي وصفه له. فلم يمر بأمة إلا أبادها وأثر فيها إلى أن بلغ بلد النوبة، فصالح أهلها على مال يحملونه إليه، ثم أتى دُنْقَلَةَ فأقام بها علما وزبر عليه اسمه ومسيره. ومرة يريد منف؛ فكان أهل كل مدينة من مدائن مصر يتلقونه بالفرح والسرور والطيب والرياحين والملاهي إلى أن بلغ منف، فلم يبق أحد من أهلها إلا خرج إليه مع العزير وتلقوه بأصناف الطيب والبخورات والرياحين.
- وكان العزير قد بنى له مجلسا من الزجاج الملون وفرشه بأحسن الفُرش المذهبة، وغرس حوله جميع الأشجار والرياحين، وجعل فيه صهريجًا من زجاج سمانى، وجعل في أرضه شبه السمك من زجاج أبيض وأنزله فيه، وأقام الناس يأكلون ويشربون أياما كثيرة. وأمر بعرض جيشه فوجد أنه قد قُتد منهم سبعون ألفا، وكان قد خرج في ألف ألف، ووجد من أنضاف إليه من الغرباء والمأسورين نيفا

ونخسين ألفاً، وكان مسيره وغيبته إحدى وعشرين سنة . فلما سمع الملوك بذكره وما فتح من البلاد وما أسرها بوه ، وخافوا شدة بأسه وعظم سلطانه . وتجبر وبني بالجانب الشرق قصورا من الرخام ونصب عليها أعلاما ، فكان يقيم بها الأيام الكثيرة . وكان الخراج قد بلغ في وقته سبعة وتسعين ألف ألف فأحب أن يتمه مائة ألف دينار ، فأمر بوجوه العمارات وإصلاح الجسور والزيادة في أستنباط الأراضي حتى بلغ ذلك وزاد عليه .

ثم كان من خبر يوسف الصديق عليه السلام وبيعه بمصر وخبره مع امرأة العزيز وسجنه وقصته مع صاحبي الملك ورؤيا الملك وتعبيرها وتولية الريان بن الوليد يوسف عليه السلام رتبة العزيز وخبر الفحط ، ما قدمنا ذكره في أخبار يوسف عليه السلام ، وهو في السفر الحادي عشر من نسخة الأصل . فلا فائدة في إعادته . إلا أنه قد وردت زيادات أخر لم ترد هناك نحن نذكرها الآن . وهو ما حكاه مؤلف هذا الكتاب الذي نقلنا منه إبراهيم بن القاسم الكاتب عن إبراهيم بن وصيف شاه قال : إن يعقوب عليه السلام لما قدم مصر بأهله وولده ، خرج يوسف عليه السلام في وجوه أهل مصر فتلقاه وأدخله على الملك ؛ وكان يعقوب عليه السلام مهيبا جميلا فقزبه الملك وعظمه وقال له : يا شيخ ، كم سنوك وما صناعتك وما تعبد ؟ فقال : أما سني فمعمرون ومائة سنة ، وأما صناعتي فلانا غنم نرعاها وننتفع بها ، وأما الذي أعبد فرب العالمين ، وهو الذي خلقتني وخلقك ، وهو إله آبائي وإلهك وإله كل شيء .

قال : وكان في مجلس الملك فينمين ، وهو كاهن جليل القدر ، فلما سمع كلام يعقوب ضاق به ذرعا وقال للملك بلغتهم : أخاف أن يكون خراب مصر على يد ولد هذا .

- ١٠ فقال له الملك : فأتى لنا خبره ؟ فقال الكاهن : أرى إلهك أيها الشيخ . قال :
إلهي أعظم من أن يرى . قال : فإننا نحن نرى إلهتنا . قال : لأن إلهكم ذهبٌ
وقضة ونحاس وخشب ، وما يعملُه بنو آدم عيدٌ إلهي الذي أحجب عن خلقه
بمزربويته ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم . قال له فيامين : إن لكل شيء دليلاً ،
وكل شيء لا تراه العيون فليس بشيء ، فنضب يعقوب وقال : كذبت يا عدو الله
وطغيت في هذه الدنيا ؛ إن الله سبحانه وتعالى شيء وليس كالأشياء ، وهو خالق كل
شيء لا إله إلا هو . قال : فصفه لنا . قال : إنما يوصف المخلوقون ولا يوصف
الخالق عز وجل ؛ لأنه يرفع عن الصفات ؛ لأنه واحد قديم مدبر للأشياء في كل
مكان يرى ولا يرى . ثم قام يعقوب مُنضباً ، فأجلسه الملك وأمر فيامين أن يكف
عنه ويكون بين يديه ويأخذ في غير هذا . ثم قال الملك : كم عتة من دخل معك إلى
مصر ؟ قال ستون رجلاً . قال الكاهن : كذلك نجد في كتبنا ؛ إن خراب مصر يحرق
على أيديهم . قال الملك : فهل يكون في أيامنا ؟ قال : لا ، ولا إلى مدة كبيرة . والصواب
أن يقتله الملك ولا يستبق من تزيته أحداً . قال الملك : إن كان الأمر كما تقول فما
يمكننا أن ندفعه ولا نقتل هؤلاء ، وإن لم يلقنا عظيماً ، وقد قبل علي هذا الشيخ ، ومالي
إلى قتله من سبيل ، فخاطبه بالين الكلام ؛ فخرت بينهما بعد ذلك مخاطبات ألان
له فيها القول .

- ٢٠ قال : ثم إن يعقوب عليه السلام أحب أن يعرف خبر مصر ومداتها وكيف
بُنيت وخبر طلمباتها وعجائبها . فسأله عن ذلك وسأله بحق الملك ألا يكتبه شيطان
أمرها فأخبره . قال : وأقام يعقوب عليه السلام مع الريان بن الوليد الملك يعظمه
ويجعله إلى أن حضرته الوفاة ، فأوصى أن يُحمل إلى مكانه من الشام ، فحمل في تابوت

وخرج معه يوسف عليه السلام ووجوه مصر حتى بلغ الى موضعه ورجعوا . وقيل : إن عيصو منعهم من دفنه هناك لأن إسحاق عليه السلام كان قد وهبه الموضع فأشتراه يوسف عليه السلام منه . ويقال : إن الريان آمن بيوسف وكنم إيمانه خوفا من فساد ملكه .

وملك الريان مائة وعشرين سنة . وفي وقته عمّل يوسف عليه السلام الفيوم لأبنة الملك، وكان أهل مصر قد وشوا به وقالوا : قد كبر ونقص نفعه فأخبره . فقال له الملك : قد وهبت هذه الناحية لأبنتي ، وكانت مغايض للماء فدبرها . قال : فقلع أدغالها ، وساق المنهى ، وبني الألاهون ، وجعل الماء فيه مقسوما موزونا ، وفرغ من ذلك كله في أربعة أشهر ، فمجبوا من حكمة يوسف عليه السلام .

قال : ولما مات الريان بن الوليد ملك بعده ابنه دريموس بن الريان ابن الوليد ويسميه أهل الأثر دارم ، وهو الفرعون الرابع عندهم . قال : ولما ملك خالف ستة أبنه ، وكان يوسف عليه السلام خليفته كما كان مع أبيه ، وذلك بأمر الريان . وكان يوسف يستدده فر بما قبل منه وربما خالفه ، وظهر في وقته معدن فضة على ثلاثة أيام من النيل فأبان^(٤) منه شيئا عظيما ، وعمل منه صنما على أسم القمر ؛ لأن طالعه كان بالسرطان ، ونصبه على القصر الرخام الذي كان أبوه بناه في شرق النيل ، ونصب حوله أصناما كلها من الفضة وألبسها الحرير الأحمر ، وعمل لها عيدا في كل سنة ، وهو إذا نزل القمر السرطان .

(١) المنهى : اسم فم النهر الذي احتفزه يوسف الصديق يفضى الى الفيوم مأخذه من النيل .

(٢) اللاهون : هو السكر الذي بناه لرد الماء الى الفيوم .

(٣) كذا في نسخة «ب» والمقرئى . وفي نسخة «أ» ديموش بالثين المعجمة .

(٤) أبان : فضلي .

(٥) كذا في نسخة أ . وفي نسخة ب «شهر» .

وكان ينتقل الى مواضع شتى يتزده فيها ، وإذا أراد أن يضرّ الناس بشيء منعه يوسف عليه السلام ودفعه عنه الى أن تُوفّي يوسف عليه السلام، كما تقدم في خبر وفاته ، فاستوزر الملك دارمُ بعده بلاطس بن منسا الكاهن ، فكان بلاطس يُطابق له ما كان يوسف يمنعه عنه ، وحمله على أذى الناس وأخذ أموالهم فبلغ منهم كل مبلغ .
 ٥ وعمل الوادى المنتحوت بين الجبلين في الناحية الغربية وكثر الأموال فلا يُوصل إليها ، وجعل صقالة من الوادى الى باب الخباء ، وجعل له بابا من الحديد يُتوصّل إليه من تلك الصقالة ، وصمده بجماعة من العفاريت يمنعون من ذلك الخباء ، فمن رامه من الناس سقط في الوادى . وقال آخرون : كثرها في موضع منه يُدخّل إليه ويُنظر الى الأموال مكشوفةً مضروبةً ، في كل دينار عشرة مثاقيل عليها صورته ،
 ١٠ فإن أخذ الداخل منها شيئا انطبق عليه الباب فلم يقدر على الخروج ، فإذا رده الى موضعه انفتح له الباب . وهو بحاله الى هذا الوقت كما زعموا .

قال : ثم زاد دارمُ في التجبر الى أن آختلع كل امرأة جميلة بمدينة منف من أهلها ؛ ولا يسمع بأمرأة حسناء في ناحية من النواحي إلا وجهه حُملت إليه . وفشا ذلك في المملكة واضطرب الناس من فعله وشق عليهم أمره الى أن شغبوا عليه وعطلوا الصنائع والأعمال والأسواق فعدا على جماعة منهم فقتلهم . وزاد الأمر حتى اجتمعوا على خلعه ، فخاف بلاطس الوزير أن يفسد أمر المماكة فدخّل على الملك وأشار عليه أن يتودّد الى الناس ويعتذر إليهم ويردّ نساءهم فأبى إلا مخالفته ، وهم أن يخرج الى الناس في خاصته ويقتل منهم وقال : إنما هم عبيدى وعبيد آبائى . فلم يزل يرفق به الى أن سكن غضبه ؛ فأمره أن يعتذر الى الناس عنه ، ففعل الوزير ذلك وذكر عنه جميلا ، فأبى الناس أن يقبلوا منه دون مخاطبتهم الملك فضمّن لهم ذلك وخاطبه وأشار به عليه ، فأمره أن ينادى في الناس بالحضور في يوم عيّنه ،

ثم لبس أرفع ثيابه وأكبر تيجانه وجلس ودخل الناس عليه فذكروا ما حل بهم من أخذ أموالهم ، وعزفوه أنه لم يحجر عليهم من ملكٍ قبله مثل هذا ، فاعتذر إليهم ووعدهم الإقلاع عما شكوا منه وأسقط عنهم خراج ثلاث سنين .

ثم أمر بعمل قصر من خشب على أساطين خشب ممدودة بأضلاع مسمرة يتزده فيه ، فعمل ودهن بالأدهان والأصباغ الملونة المذهبة ، وضُيَّب بالفضة والنحاس المذهب ، وعمل فوقه قبة من الفضة المذهبة مصورةً بالزجاج الملون وعلق فيها الحجر المضىء الذى أتى به أبوه من المغرب . فلما فرغ القصر فرشه بأحسن الفرش وجعله طبقتين : طبقة له يجلس فيها مع من يحبّه ، وطبقة لحشمه ، وجعل حول ذلك أروقة ملصقة بالمجاس يجلس فيها من يريد ؛ فكان يركب فيه بمن احبّه من خاصته ونسائه ويصعد فيه فى المساء إلى ناحية الصعيد وتبعه المراكب فيها أصحابه وغلماؤه بالعدد والسلاح وينحدر إلى أسفل الأرض ، فإذا مرّ بمكان يستحسنه أقام فيه أياماً .

وأتفق أنه خرج فى بعض الأيام مُصعّداً فوثب رجل من الإسرائيليين على رجل من سدنة الهياكل فضربه حتى أدماه وعاب دين الكهنة ، فغضب القبط لذلك وحاطبوا خليفة الملك أن يُخْرِجَهُم من مصر فامتنع دون مشاوره الملك ، وكتب إليه يعزفه ذلك ، فكتب إليه ألا يُحَدِّث فى القوم حادثة دون موافاته ، فشَغِبُوا وأجمعوا على خلعه وتعليك غيره ، وتعرض بعضهم الى ذكر الملك فحشد أهل الصعيد وأنحدر اليهم ، فخار به فهلك بينهم خلق كثير . وعاونته امرأة أبيه ، وكانت ساحرة ، فأظهرت من سحرها وتخايلها ودخنها ما أعماهم عن النظر ، وأضعف حواسهم وأسكهم ، فقتل خلقاً منهم وصلب خلقاً على عبر النيل ، ورجع إلى أكثر مما كان عليه من ابتزاز النساء ونهب الأموال واستخدام الأشراف والوجوه من القبط ومن بنى إسرائيل ؛

فأجع الكَل على ذمه . وكانت الساحرة لا تُحَلِّيهِ من معوتها الى أن ركب في ذلك القصر في بعض الليالي وقد أهدق النيل بالبلد ، وهو من الجبل الى الجبل ، وامتد القمر على الماء ، فأراد أن يعدى من العدو الى العدو الأخرى فلم يتهأ له سَوَّقُ القصر بسرعة لعظمه ، فركب مراكبا لطيفا مع ثلاثة من خدمه والساحرة ، فلما توسط البحر هاجت ريح عاصف ففرق هو ومن معه ، وأصبح الناس شاكين في أمره لا يعلمون ما نزل به ، الى أن وجدت جثته بشَطْنُوفٍ ^(١) فَعْرِفَ بنجاته ويجوهر كان يتقلد به فحمل الى منف .

وملك بعده ابنه معاد يوس بن دريموس ، ويسميه أهل الأثر معدان ابن دارم ، وهو الفرعون الخامس . وذلك بتدبير الوزير ، فأجلسه على سرير الملك وبايعه الجيش ، وكان صبيا فكرهه الناس ثم رَضُوا به ، فأسقط عن الناس الخراج الذي كان أبوه أسقطه ، وزادهم سنة وأحسن إليهم فأطاعوه ، وأستقام له الأمر ورد نساءهم . وكان يتكر على أبيه فعله ولا يرضاه ، فلذلك رَضُوا به .

قال : وفي زمانه كان طوفانٌ أضرَّ ببعض البلد فلزم الملك الإقبال على الهياكل والتعبد ، وطلب القاطر ووجوه الكهنة بالحضور معه ، وأنصف بعض الناس من بعض . وكثر بنو إسرائيل وعابوا الأصنام وتلبوها . وكان الوزير قد هلك فأستوزر كاهنا يقال له املاده ، فلما رأى ما فعله بنو إسرائيل أنكروه وأمر أن يُمردوا بناحية من البلد لا يختلط بهم أحد غيرهم ، فأقطعهم موضعا في قبلي منف ، واجتمعوا إليه وعملوا لأنفسهم معبدا كانوا يتلون فيه صحف إبراهيم عليه السلام ، وآتفق أن رجلا من أهل بيت الكهنة عشق امرأة من بنى إسرائيل كانت قد جاءت

٢٤
١٣

(١) شطنوف : بلدة - مركز أشمون - مديرية المنوفية .

لتشتكى أخاها أنه غصبها ميراثها، وأرادت أن يعتنى بأمرها عند وزير الملك، فأرأها
 ابنه فأحبها وسأل والده أن يزوجه منها، فخطبها من أهلها فأبوا ذلك، فأنكر
 الناس فعلهم واجتمعوا الى الوزير وقالوا: هؤلاء قوم يعيبوننا ويرغبون عنا،
 ولا نحب أن يحاورونا إلا أن يدينوا بديننا. فقال الوزير: قد علمت إكرام
 الريان الملك بلخدم يوسف عليه السلام، وقد وقفتم على بركة جدهم يوسف
 عليه السلام حتى جعلتم قبره وسط النيل فأخصب جانباً مصر بمكانه فلا تخوضوا
 في هذا، فأمسكوا.

قال: وتغلب أحد ملوك الكنعانيين على الشام وامتنع أهله أن يحملوا الضريبة
 التي كانت عليهم ملك مصر، فأذكر أهل مصر ذلك وأشفقوا من غلبة صاحب
 الشام على بلدهم، فحضوا الملك على غزو الشام فقال: إن رام أحد حدود بلدنا
 غزوانه، ومالنا في ذلك البلد من حاجة؛ فاستنقصوا رأيه. وأقام على ملازمة
 الهياكل والتعبد فيها؛ فيزعم القبط أنه بيننا ذات يوم قائم في هيكل زحل حذاء
 صورته، وقد أجهد نفسه في التعب، إذ تغشاه النوم فتجلى له زحل وخاطبه وقال:
 قد جمعتك رباً على أهلك وأهل بلدك، وحبوتك بالقدرة عليهم وعلى غيرهم، وسأرفعك
 إلى فلا تخل من ذكرى؛ فمطم عند نفسه، وأتصل خبره بأهل البلد، وأخبرهم
 سدة الهيكل أنهم رأوا النور وسمعوا الخطاب، وأعظم الناس أمره، فتجبر في نفسه
 وأمر الناس أن يسموه رباً، وترفع أن ينظر في شيء من أمر الملك، وأحضر
 الناس وقال: قد وقفتم على ما خصصت به دون الملوك، وهذه موهبة يلزمني
 الشكر لوأهبها عليها، ولست أفتزع للنظر في أموركم، وقد رأيت أن أجعل الملك
 إلى أبى أكسامس، وأكون من ورائه إلى أن يفيب شخصي عنكم كما وعدت، وقد
 أيدته بالقاطرين، فأنظروا كيف تكونون، ولا تضالموا فإنكم منى بمرأى ومسمع،

فرضوا بذلك وقالوا : نحن عبيد الملك ومن رضيت الالهة فحكم الخلق أن يرضوه ولا يخالفونه .

- فلك ابنه أكسامس بن معاديوس ؛ ويسميه أهل الأثر كاسم
 ابن معدان ، وهو الفرعون السادس ، وجلس على سرير الملك وتوج بتاج أبيه
 وقام القاطرون بين يديه ، فجعل لكل واحد منهم رتبة ، ورتب الناس مراتب ،
 وقسم الكور والأعمال ، وأمر باستنباط العمارات وإظهار الصناعات ، ووسع على
 الناس في أرزاقهم وعلى حاشيته وحاشية أبيه ، وأمر بتنظيف الهياكل وتجديد
 لباسها وأوانها ، وزاد في القرابين ؛ وكلمنا أتى شيئا من ذلك لم تخالفه الكهنة
 وقدروا أن ذلك عن أمر أبيه برضى الكواكب ، واحتجب أبوه عن الناس . وأقام
 ١٠ كاسم أعلاما كثيرة حول منف وجعل عليها أساطين يمر عليها من بعضها إلى بعض .
 وعمل برقودة وصا ومدائن الصعيد وأسفل الأرض مدنا كثيرة وأعلاما ومناثر للوقود
 والطلسمات . وعمل كرة من الفضة على عمل البيضة الفلكية ونقش عليها صور
 الكواكب النابتة ودهنها بدهن الصيني وركبها على منار في وسط منف . وعمل
 في هيكل أبيه روحاني زحل من ذهب أسود مدبر . وعمل في وقته الميزان الذي
 يعتبر به الناس ، وجعلت كفتاه من ذهب وعلائقه من فضة وخيوطه سلاسل ذهب ،
 وكان معلقا في هيكل الشمس ، وكتب على إحدى كفتيه حق ، والأخرى باطل ،
 وتمتته فصوص قد نقش عليها أسماء كل شيء من الكواكب ؛ فيدخل الظالم
 والمظلوم ويأخذ كل واحد منهما فصا من تلك الفصوص ويسمى عليها ما يريد ،
 ويعمل أحد الفصين في كفة والآخر في الأخرى ، فتثقل كفة الظالم وترتفع كفة
 المظلوم . وكذلك من أراد سفرا أخذ فصين فذكر على واحد أسم السفر ، والآخر
 ٢٠ اسم الجلوس ، ويعمل كل واحد في كفة ، فإن لم يرتفع أحدهما على الآخر جلس ،

وإن ارتفعا نخرج ، وإن ارتفع أحدهما مكث شهرا . ومن نحو هذا من غائب
ودين وفساد وصلاح . ويقال إن ^{بجانب}بمصر حمل في جملة ما حمل
الى بابل وجعله في بيت من بيوت النار .

قال : وطالب كاسم الناس بلزوم الأعمال وإظهار الصنائع ، فعُملت كل
غريبة منها : التنور الذي يَسوى من غير نار فيه ، والقذور التي يطبخ فيها من غير
نار ، والسكين التي تُتصب فإذا رآها شيء من البهائم أقبل حتى يذبح نفسه بها ،
والماء الذي يستحيل نارا ، والزجاج الذي يستحيل هواء ، وأشياء من ذلك .

قال : فأقام في أول ولايته ثلاث سنين بأجل أمر وأصلح حال ، ومات وزير
أبيه الذي كان معه فاستخلف رجلا من أهل بيت المملكة يقال له طلما ، وكان
شجاعا فارسا كاهنا كاتباً حكماً دعيّاً متصرفاً في كل فن ، وكانت نفسه تنازعه الملك .
فصلح أمر المملكة بمكانه وأحبه الناس ، فعمل معالم كثيرة وعمر خراباً وبني مدناً من
الجانين . ورأى في نجومه أنه ستكون شدة فاستعمل ما استعمله نهراوش ، وبني
بناحية رقودة والصعيد ملاعب ومصانع . وشكا القبط اليه حال الإسرائيليين
فقال : هم عبيد لكم ، فكان القبطى إذا أراد حاجة سخر الإسرائيل ، وكان القبطى
يضرب الإسرائيلى فلا يُنكر عليه أحد ، وإن ضرب الإسرائيلى القبطى قُتل ، فكان
أول من أذى بني إسرائيل ، ويفعل نساء القبط بنساء بني إسرائيل ما يفعل الرجال
بالرجال من السخر والضرب .

قال : وفي أيام أكسامس بُنيت منارة الإسكندرية . وفي زمانه هاج البحر
المالح فغرق كثيرا من القسرى والجنان والمصانع . وحكى أن أكسامس تغيّب عن
الناس مدة . وقيل : مات وكنتموا موته . وكانت مدة ملكه إلى أن غاب إحدى
وثلاثين سنة ، وأقام طلما إحدى عشرة سنة يدبّر المملكة ثم اضطرب الناس على

طلما وتغيروا واتصل بهم أنه قتل الملك بسم سقاه إياه فاجتمعوا وقالوا : لا بد لنا من النظر إلى الملك ، فعرفهم أنه قد تخلى عن الملك وولى ابنه لاطس فلم يقبلوا ذلك .

فأمر طلما الجيوش فركبت في السلاح وأجلس لاطس بن أكسامس على سرير الملك ولبس التاج . وكان جريثا معجبا فوعد الناس جميلا وقال : أنا مستقيم لكم ما استقمتم ، وإن ملتم عن الواجب ملت عنكم ، وأمر ونهى وألزم الناس أعمالهم ، وحط جماعة من الوجوه عن مراتبهم ، وصرف طلما عن خلافة الملكة وأستخلف رجلا يقال له لاهوق من ولد صا الملك ودفع إليه خاتمه ، وأنفذ طلما عاملا على الصعيد وأنفذ معه جماعة من الإسرائيليين ، وعمل الأعلام وأصلح الهياكل وبني قرى كثيرة ، وأثيرت^(١) في أيامه معادن كثيرة وكنوز في صحراء المشرق ، واستعمل آنية كثيرة من الجواهر الأخضر وأصناف الزجاج . وكان محبا للحكم ثم تجبر وعلا ، وأمر ألا يجلس أحد في مجلسه ولا في قصر الملك من الكهنة وغيرهم ، بل يقومون على أرجلهم إلى أن ينصرفوا ، وزاد في أذى الناس والعنف بهم ، ثم منع الناس فضول ما بأيديهم وقصرهم على القوت ، وجمع أموالهم وطلب النساء فاترع كثيرا منهم ، وفعل في ذلك أكثر من فعل من تقدمه من الملوك ، وقهر الناس بالسطوة واستعبد بنى إسرائيل وقتل جماعة من الكهنة فأبغضه الخاص والعام .

١٥ وكان طلما لما صرفه لاطس عن خلافته وجد في نفسه وأضمر الغدر به . فلما خرج إلى الصعيد احتجز الأموال فلم يحملها ، وحال بين الملك وبين المعادن ، وأراد أن يقيم ملكا من ولد قبطريم ويجلسه في الملك ، فأشار بعض الكهنة على طلما أن يطلب الملك لنفسه وعرفه أنه سيكون له حال . فلما شجعه الكاهن وجزأه على

٢٠ (١) أثيرت : من الإثارة ، وهي الإتراج من تحت الأرض .

(٢) وجد بالتحريك : غضب .

ذلك دعا إلى نفسه وكاتب وجوه أهل البلد، فبعض أجابه وبعض توقف، ورفع كل واحد من ولد الملوك رأسه وطمع في الملك .

قال : وفي بعض كتبهم أن بعض الروحانيين ظهر له وقال : إني أطيعك إن أعطيتني ، وأقلدك مصر زمانا طويلا ، فأجابه إلى مأسأله وقرب له أشياء ذكرها له ، منها غلام إسرائيلي ؛ فعاونه حينئذ وكان له رسولا إلى رؤساء مصر ، فكان يُتصوّر بصور بعضهم ويشير بملكه عليهم إلى أن أستقام له الأمر ، قال : ولما منع طلما لاطس من مال الصعيد كتب بصرفه عن العمل فأبى أن ينصرف ، فوجه إليه قائدا من أهل بيته وقلده مكانه وأمره أن يجمله إليه ، فخاربه وأعانه الروحاني فظفر به طلما وأعتقله ثم خلّاه وقزبه وأدخله في جملته ، وأتصل الخبر بلاطس فأنفذ إليه قائدا آخر فهزمه طلما وسار في أثره بجيش كثيف ، وكاتب جميع القواد وأهل البلد وبذل لهم الأموال ، ونحرج إليه لاطس فخاربه طلما وعاونه الروحاني فظفر به طلما وقتله وسار حتى دخل منف وعات فيها .

وملك طلما بن قومس ؛ ونزل قصر المملكة وجلس على سرير الملك وحاز جميع ما كان في خزائهم . قال : وطلما هذا هو ابن قومس ، وهو الذي يذكر القبط أنه فرعون موسى عليه السلام . وأهل الأثر يسمونه الوليد بن مصعب وأنه من العالقة . وذكروا أن الفراعنة سبعة فأولهم : طوطيس بن ماليا ، ثم الوليد بن دومع ، ثم ابنه الريان بن الوليد ، ثم دريموس بن الريان ، ثم معاديوس بن دريموس ، ثم أكسامس بن معاديوس ، ثم طلما .

قال : وكان طلما فيما زعموا قصيرا . قيل : كان طوله أربعة أشبار ، طويل الخلية ، أشمل العينين ، صغير العين اليسرى ، في جبينه شامة . ويقولون : إنه

كان أعرج . وزعم قوم أنه من القبط . قال : والدليل على ذلك ميله إليهم ونكاحه فيهم ؛ ونسب أهل بيته مشهور^١ عندهم .

وقد اختلف الناس في سبب ملكه وعمن تلقى الملك ، فقبيل ما ذكرناه ، وقيل ما قدمناه^(١) في قصة موسى بن عمران عليه السلام ، والله تعالى أعلم .

- قال : ولما جلس طالما على سرير الملك اضطرب الناس عليه فبذل الأموال وأرغب من أطاعه ، وقتل من خالفه ، فاعتدل الأمر له . وكان أول ما عمل أن رتب المراتب ، وشيّد الأعلام ، وبني المدن ، وخذق الخنادق ، وعمل بناحية العريش حصنا ، وكذلك على حدود مصر ، وأستخلف هامان ، وكان يقرب منه في نفسه ونسبه ، فأثار بعض الكنوز وصرفها في بناء المدن والعمارات ، وحفر خلجانا كثيرة . ويقال : إنه الذي حفر خليج السردوس^(٢) ، وكان كلما عرجه إلى قرية من قرى الحوف حمل إليه أهلها مالا ؛ فاجتمع له من ذلك شيء كثير ، فأمر برده على أهله^(٣) .

(١) راجع (ج ١٣ ص ١٧٥ من هذه الطبعة) .

- (٢) ذكر ابن دقاق في كتاب الانتصار (ج ٥ ص ٤٧) هذا الخليج أثناء كلامه عن مدينة قلوب فقال : « وبها خليج السردوس وهو أحد زهات الدنيا وهو خليج يسار فيه بين بساتين مشتبكة وأشجار ملتفة وفواكه دانية ... الخ » . وورد في صبح الأعشى (ج ٣ ص ٣٠٤) بعد وصفه لهذا الخليج ما نصه : « قلت : أما الآن فقد ذهب ذلك ، وطل الخليج وعرضه عجز أبي المنجا » .
- (٣) هذا ما رواه ابن وصيف شاه . وذكر المقرئ بعد هذا ما قاله ابن عبد الحكم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه وهو متم هذه الرواية ونصه :

- « إن فرعون استعمل هامان على حفر خليج سردوس فلما ابتدأ حفره أتاه أهل كل قرية يسألونه أن يجرى الخليج تحت قرىتهم ويعطونه مالا . قال : وكان يذهب به إلى هذه القرية من نحو الشرق ثم يرده إلى أهل قرية من نحو دبر القبلة ثم يرده إلى قرية في الغرب ثم يرده إلى أهل قرية في القبلة و يأخذ من أهل كل قرية مالا حتى اجتمع له من ذلك مائة ألف دينار فأتى بذلك بمجملة إلى فرعون فسأله عن ذلك فأخبره بما فعل في حفره ، فقال له فرعون : ويحك ! إنه ينبغي للسيد أن يعطى على عباده ويقبض عليهم ولا يرغب فيما بأيديهم ؛ رد على أهل كل قرية ما أخذت منهم . فردّه كله على أهله » (وراجع أيضا فروع مصر وأخبارها لابن عبد الحكم ص ٦ طبع أوروبا) اه .

وأتمى الخراج في وقته الى سبعة وتسعين ألف ألف دينار ، وكان يُنزل
الناس على مراتبهم . وهو أول من عرف العرفاء على الناس ، وكان ممن صحبه
من الإسرائيليين رجل يقال له إمرى ، وهو عمران أبو موسى عليه السلام ، وهو
أخو مزاحم لأبويه ، ومزاحم أبو آسية ، فهي ابنة عم موسى وبنت خالته ،
بفعل فرعون عمران حارسا لقصره يتولى حفظه وفتحه وإغلاقه . وكان رأى
في كهانته أن هلاكه على يد مولود من الإسرائيليين ، فتمهم المناكحة ثلاث سنين ؛
لأنه رأى أن ذلك المولود يكون فيها . ثم كان من خبر موسى في حمل أمه به
وولادته وغير ذلك من أمره ما قدمنا ذكره في قصة موسى عليه السلام فلا فائدة
في إعادته .

وقد نقل أن موسى عليه السلام لما كبر عند فرعون عظم شأنه ورد فرعون
إليه كثيرا من أمره وجعله من قواده ، وكانت له سطوة ؛ ثم وجهه فرعون لغزو
الكونانيين ، وكانوا قد عاثوا في أطراف مصر ، فخرج في جيش كثيف فرزقه الله
عز وجل الظفر ، فقتل منهم خلقا وأسر خلفا وأنصرف سالما فسر به فرعون
وآسية . قال : وأستولى موسى وهو غلام على كثير من أمر فرعون وأراد أن
يستخلفه حتى قتل رجلا من أشرف القبط فكان من أمره ما تقدم ذكره .
والله أعلم .

هذا ما أورده إبراهيم في كتابه ؛ ولم يذكر من أخبار ملوك مصر بعد غرق فرعون
شيئا ولا ذكر من ملك بعده . وقد أشار المسعودى في مروج الذهب الى نبذة من
أخبار من ملك مصر بعد غرق فرعون نحن نذكرها . وأما سياقة أخباره فيما كان
قبل فرعون فهذا الذى ذكرناه أتم منه وأكثر استيعابا .

(١) راجع (ج ١٣ ص ١٧٣ - ٢٣٢ من هذه الطبعة) .

ذكر نبذة من أخبار من ملك مصر بعد غرق فرعون

قال أبو الحسن علي بن عبد الله المسعودي في كتابه مروج الذهب ومعادن

الجوهر : لما أهلك الله تعالى فرعون وقومه بالفرق خشى من يقي بمصر من

الذراري والنساء والعبيد أن يغزوهم ملوك الشام والمغرب ؛ فلكوا عليهم امرأة يقال

لها دُلُوكة ؛ فبنت على أرض مصر حائطا يحيط بجميع البلاد من حدّ أرض رَجَع

الى بركة ، وجعلت الحراس على مسافة كل ميل منها يصل أخبار بعضهم الى بعض ،

فإذا حدث أمر في أوّل ملكها ليليل رُفعت النيران في وقت حدوثه فلم في آخر المملكة

بالخبر من ليلته ، وإن كان بالنهار دخن . وهذا الحائط موجود الى حين وضعنا

لهذا الكتاب ويسمى حائط العجوز . وقيل فيه : حائط المجوز . وقيل : إنها بنت

١٠

هذا الحائط من خوفها على ولدها .

واتخذت دلوكة بمصر البرابي وصوّرت فيها الصور ، وأحكمت آلات السحر ،

وجعلت في البرابي صُور من يرد في البر ودوابهم إبلا كانت أو خيلا ، ومن يرد

(١) راجع (ج ١ ص ١٧١ طبع بلاق) .

(٢) ذكر المؤلف فيما سبق (ج ١ ص ٣٩٢ من هذه الطبعة) ما نصه :

١٥ « وهذا الحائط من العريش (وهو حدّ مصر من جهة الشام) الى أسوان (وهي حدّ مصر من جهة النوبة)

شاملا للديار المصرية من الجانب الشرقى » .

وقد وصف ابن فضل الله العمري جزءا من هذا السور في كتابه مسالك الأبصار (ج ١ ص ٢٣٩) فقال :

« وهو حائط يستدير بالديار المصرية ، تمتد على جانب المزدرع بها ، كأنه قد جعل حاجزا بين الرمل

والمزدرع . على أنه غير عالى الذرى .

مشيت معه الى دندرا ، من الصعيد الأعلى ، ورأيت قد دثر غابله ، ومنقطعه أكثر من متصله ، وهو مبنى

٢٠ من طوب ، ليس به ريش السمك ولا على الجدار وأنه يصل الى ما بين العريش ورج ، مشهى الحدّ

الفاصل بين مصر وبين الشام . وليس له هناك أثر ، بل ولا في أسافل أرض مصر » .

في البحر في المراكب من بلاد الغرب وسواحل الشام، وأحكمت جميع ذلك بحركات
فلكية . فكان إذا ورد عليها صدق من نحو الحجاز واليمن عورت تلك الشخص
التي في البرابي من الإبل وغيرها فيحدث العور في ذلك الجليش وتهلك دوابهم ،
وكذلك كل من يقدم عليها من البر والبحر إذا بلغها خبر مقدمه صنعت في تلك الصور
ما يحدث مثله في ذلك الجليش من الآفات ، فهابها سائر ملوك الأمم . وخبر هذه المرأة
مشهور . وأكثر هذه البرابي باق إلى وقتنا هذا وفيها التصاوير إلا أنها لا فعل لها .
وقد قيل في البرابي : إنها اتخذت مع الأهرام قبل الطوفان . والله تعالى أعلم .

وقيل أيضا : إن مما أنشأته هذه المرأة منارة الإسكندرية ، وقد تقدم ذكر
خبرها في المباني القديمة وهو في السفر الأول من كتابنا هذا بن هذه النسخة .

قال : وملك هذه المرأة نحو من ثلاثين سنة ، وقيل أقل من ذلك .

ولما هلكت دلوكه ملك بعدها دركوس بن بلوطس . ثم ملك بعده بورش^(٣) .

ثم ملك بعده وبغاش^(٤) بن بورش نحو من خمسين سنة . ثم ملك بعده دنيب^(٥)

ابن بورش نحو من عشرين سنة . ثم ملك بعده بلوطس عشرين سنة . ثم ملك بعده

بلوطس بن متنا كيل^(٦) أربعين سنة . ثم ملك بعده مالس بن بلوطس^(٧) . ثم ملك

(١) راجع (ج ١ ص ٣٩٥ من هذه الطبعة) .

(٢) في المقرئى : « دركون » وفي صبح الأعشى (ج ٣ ص ٤١٦) : « دركون بن بطروس ،

ويقال : دروس بن ملوطس » .

(٣) في المقرئى : « بورس » وفي صبح الأعشى : « تودس » .

(٤) في المقرئى : « لقاس » . (٥) في المقرئى : « مرياب بن مريونوس » .

(٦) في المقرئى : « منا كيل » وفي صبح الأعشى : « ما كيل » .

(٧) في المقرئى وصبح الأعشى : « مالمس » .

- (١) بعده بوليه بن متنا كيل ؛ وكانت له حروب وسير في الأرض وهو فرعون الأعرج (٢)
الذي غزا بني إسرائيل وخرّب بيت المقدس . ثم ملك بعده وينوس بن مريئوس (٣)
ثمانين سنة . ثم ملك بعده قومس بن بغاس (٤) عشر سنين . ثم ملك بعده مكابيل (٥)
وكانت له حروب مع ملوك الغرب ، وهو الذي غزاه بختنصر فقتله وقتل رجاله
وخرّب أرض مصر ، فقبل إنفا خربت مدة أربعين سنة . وانقرض ملك الفراعنة .



- وملك الروم أرض مصر فتنصر أهلها ؛ ولم تزل بيد ملوك الروم الى أن ملك
كسرى أنوشروان فارس فغلبت جيوشه على الشام وسارت نحو مصر ، فلما
الفرس أرض مصر ، وغلبوا عليها نحو من عشر سنين . وكانت بين الروم وفارس
حروب كثيرة ، فصار أهل مصر يؤدون خراجين : للروم وللفرس ، ثم انجلت الفرس
عن الشام ومصر لأمر حدث في بلادهم ، فغلبت الروم على مصر والشام وأظهروا
النصرانية ، واستمر ذلك الى أن جاء الله تعالى بالإسلام . وكان المقوقس ينوب
عن ملك الروم ، وهاذى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولم تزل الديار المصرية

٢٨
١٣

- (١) في المقرئى : « بولة » .
(٢) ورد في المقرئى (ج ٣ ص ٦٢ طبعة فييت) ما نصه : « وقيل له الأعرج لأنه لما غزا
بيت المقدس ونهبها وصبي ملكها يوشيا بن آمون بن منشا بن حزقيا هم أن يصعد على كرسي نبي الله سليمان
ابن داود وكان بلبل لا يمكن أحدا أن يصعد عليه إلا برجله جميعا فصعد برجل واحدة وهى اليمنى فدار
اللؤلؤ على ساقه الأخرى فاندقت ، فلم يزل يجمع بها الى أن مات فلذلك سمى الأعرج » .
(٣) في المقرئى : « مريئوس بن بولة » ثم ذكر أن الذى استخلف بعده ابنه « قرقورة » ومكث
ملكة ستين سنة . ثم توفى واستخلف أخاه « ققاس بن مريئوس » . وانهدم البريا في زمنه فلم يقدر أحد
على إصلاحه . ثم توفى ققاس واستخلف ابنه « فوميس بن ققاس ... » .
(٤) في المقرئى : « فوميس » .
(٥) في المقرئى : « ققاس » . وفي صبح الأعشى : « بفاش » .

والشام بيد ملوك الروم الى أن فُتحت في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه على ما سنورد ذلك إن شاء الله تعالى في خلافة عمر في الباب الثاني من القسم الخامس من هذا الفن، وهو في السفر السابع عشر من هذه النسخة .

قال المسعودى رحمه الله : والذى اتفقت عليه التواريخ ، مع تباين ما فيها ، في عدد ملوك مصر الى آخر أيام الفراعنة أنهم اثنان وثلاثون ملكا . قال : فمن ملوك بابل الى آخر أيام أبنه ماموم — يشير الى دليفة — أحد عشر ملكا وملكة . ومن العماليق أربعة ملوك . ومن الفراعنة من لُدُن الوليد بن مصعب فرعون موسى بن عمران عليه السلام ، والى أن خرج بختنصر الفارسى على مكابيل وقتله سبعة عشر ملكا بما في ذلك من مُلك دَلوكة ، وهو إنما يشير الى مَنْ ملكها بعد الطوفان . وأما من ملكها قبل الطوفان فإنه لم يتعرض الى ذكرهم . قال : وملكها من الروم سبعة ملوك . ومن اليونان عشرة ملوك . قال : وذلك قبل ظهور المسيح عليه السلام . قال : وملكها أناس من الفرس فكانت مدة من ملكها من الفراعنة ومن بعدهم والعماليق والفرس والروم واليونان ألفى سنة وثلثمائة سنة . والله أعلم بالصواب .

الباب الثالث

من القسم الرابع من الفن الخامس

في أخبار ملوك الأمم من الأعاجم ؛ وهم ملوك الفرس الأول، وملوك الطوائف من الفرس، والملوك الساسانية واليونان والسرمان والكلوانيين والروم والصقالبة والنوكرد والإفرنجية والجلالقة وطوائف السودان

ذكر أخبار ملوك الفرس

وهم الفرس الأول

وقد اختلف الناس في الفرس وأسمائهم وكم من دولة كانت لهم . وسندكر هاهنا مقالاتهم في ذلك وأختلافهم . فمن الناس من زعم أنهم من فارس بن ياسور ابن سام بن نوح ، وهذا قول هشام بن محمد . ومنهم من زعم أنهم من ولد يوسف ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام . ومنهم من زعم أنهم من ولد هدرام ابن أرغش بن سام بن نوح ، وأنه ولد له بضعة عشر رجلا كلهم كان فارسا شجاعا ؛ فسموا الفرس لفروسيتهم ، وفي ذلك يقول حطان بن المعلى الفارسي :

وبنا سمي الفوارس فرسا نا ومنا مناجب الفتيان^(١)

وزعم قوم أن الفرس من ولد لوط من أبنية رشا ورغوشا . وذكر آخرون أنهم من ولد بوان بن أران بن الأسود بن سام بن نوح ، وبوان هذا ينسب شعب بوان وهو أحد متزهات الدنيا . وقد تقدم ذكره في باب الرياض من الفن الرابع .

(١) في مروج الذهب لسعودي (ج ١ ص ١١٣ طبع بلاق) (... مناجب الفرسان) وبعد البيت :

وكهول طوامم الركب والك* ركش الحرات يوم الطمان

(٢) راجع (ج ١١ ص ٢٥٧ من هذه الطبعة) .

ومن الناس من يرى أن الفرس من ولد إيران بن أفريدون ، ولا خلاف بين الفرس أجمع أنهم من ولد كيومرث وهو الأشهر، وإليه يرجع جميع الفرس الأول^(١) وملوك الطوائف والملوك الساسانية .

وأما التنازع في دولهم فمن الناس من زعم أنهم أربعة أصناف، وأن الصنف الأول منهم كان من كيومرث إلى أفريدون وهم الجرمانية، وقيل الجهدانية . والصنف الثاني من يكان إلى دارا بن دارا وهم اليكانية . والصنف الثالث ملوك الطوائف . والصنف الرابع الساسانية . ومن الناس من جعلهم صنفين : فجعل الصنف الأول من كيومرث إلى دارا بن دارا . والصنف الثاني من أردشير بن بابك إلى يزيدجرد ابن شهريار المقتول في خلافة عثمان رضى الله عنه . ففدّة ملكهم في الدولة الأولى ثلاثة آلاف سنة وثلاثمائة وستة وعشرون سنة . وعدّة ملوكهم عشرون ملكاً فيهم امرأة واحدة .

فأول ملك من الفرس الأول كيومرث وقيل فيه جيومرث .

وقد اختلف في نسبه، فمن الناس من قال : إنه ولد آدم لصلبه . ومنهم من قال : إنه ولد لاوذ بن إرم بن سام بن نوح . وقد قيل : إنه أول ملك ملك من بني آدم . وكان السبب في ملكه أنه لما كثرت البغي والظلم في الناس اجتمع أكبر أهل زمانه ورأوا أنه لا يُقيم أمرهم إلا ملك يرجعون إليه فيما يأمر وينهى، فأتوه وقالوا : أنت أكبر أهل زمانك وبقية أئمتنا ، والناس قد بقى بعضهم على بعض ، وأكل القوى الضعيف، فضم أمرنا إليك وكن القائم بصلاحنا . فأخذ عليهم العهود والمواثيق بالسمع والطاعة له وترك الخلاف عليه . فصنعوا له تاجاً ووضعوه على رأسه . وهو أول من وضع التاج على رأسه . فاستوثق له الأمر وقام

(١) كذا في مروج الذهب لسعودي (ج ١ ص ١٠٥ طبع بلاق) وغرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم للعالي (ص ٢) وفي الأصل : « كيومرث » بالثاء المثناة . (٢) وفي غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم : « وزعم علماء الفرس أن كيومرث هو آدم عليه السلام » .

بأمر الناس وحسنت سيرته فيهم . وكانت مدة ملكه عليهم أربعين سنة . وكان يتزل إصطخر من أرض فارس حتى مات . وأختلّف في مقدار عمره ، فقيل : إنه عاش ألف سنة ، وقيل غير ذلك . والله تعالى أعلم .

- فلما مات قام بالأمر من بعده أوشهنيج ابنه وقيل : أخوه ، وقيل : أوشهنيج ابن فيشداد بن كيومرث . وفي الناس من يزعم أنه أول ملك ملك من الفرس ، وهو الذي جمع الأقاليم السبعة ، ورتب الملك ونظم الأعمال ، ولقّب بفيشداد ، وتفسيره بالعربية أول سيرة العدل . ويقال : إن أوشهنيج هذا كان بعد الطوفان بمائتي سنة ، وهو أول من قطع الحجر وبني به ، وأستخرج المعادن ، وبني مدينتي بابل والسوس . وكان فاضلا حسن السياسة محمود الأثر . قال : ونزل الهند وتنقل في البلاد وعقد التاج وجلس على السرير . وكان من حسن سياسته أنه نفى أهل الفساد والدعارة من البلدان وألجأهم إلى رعوس الجبال وجزائر البحر ، وأستخدم منهم من كان يصلح للخدمة وسماهم الشياطين والعفاريت ، وقرب أهل الخير والصلاح . وكانت مدة ملكه أربعين سنة . ولما مات ملك بعده طهمورث ^(٢) وقيل فيه طهورث بن أنوجهان بن أوشهنيج ، وقيل بل بينهما عدة آباء . قال : ولما ملك سار في الناس سيرة جدّه أوشهنيج . وكان يتزل نيسابور . وقيل إنه الذي أنشأها ثم جددها بعد ذلك سابور . وقيل : إنه أول من كتب بالفارسية ونفى أهل الدعارة والشرّ وأستقام له نظام الملك . قيل : وفي أيامه ظهر بوداسف الذي أحدث دين الصابئة . وكان ملكه ثمانين سنة . وقيل ثلاثين سنة .

(١) في تاريخ الطبري (ص ٢٠٧ من القسم الأول طبع أوربا) : « أوشهنيج بن فرواك » . وفي غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم : « أوشهنيج بن سيامك بن كيومرث » . (٢) كذا في تاريخ الطبري (ص ١٧٤ من القسم الأول طبع أوربا) ومرجوع الذهب للسعودي وغرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم . وفي الأصل : « طهورث » . (٣) في غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم (ص ١٠٠) : « بالفهلوية » . (٤) كذا في الأصول ، وفي الطبري (ص ١٧٦ من القسم الأول) : « بوداسف » . بالباء الواحدة ؛ وفي مرجع الذهب (ج ١ ص ١٠٧ طبع بلاق) : « أيوداسف » .

ولما مات ملك بعده أخوه جمشيد،^(١) وتفسير شيد : الشعاع ، سمي بذلك لوضاعة وجهه . قال : ولما ملك سلك سيرة من تقدم وزاد عليها بأن صنف الناس وطبقهم ورتب منازل الكُتَّاب وأمر لكل واحد وظيفة وأمره أن يلزمها . وعمل أربعة خواتيم : خاتماً للحرب والشُّرْط^(٢) وكتب عليه الأناة، وخاتماً للخراج وجباية الأموال وكتب عليه العارة، وخاتماً للبريد وكتب عليه الوحا ، وخاتماً للظالم وكتب عليه العدل . فبقيت هذه الرسوم في ملوك الفرس الى أن جاء الإسلام .

وكان ملكه ستمائة سنة . وقيل سبعمائة سنة وستة أشهر . وقيل ألف سنة وإلا عشر سنين . وفي أيامه أحدث النيروز وجعله عيداً ، وأمر الناس أن يتنعموا فيه . ثم بَدَّل سيرته بالجور بعد الإنصاف ، والظلم بعد العدل ، والإساءة بعد الإحسان، فنُفِّت وطأته على الناس . ثم أظهر الكِبْرَ على وزرائه وكتابه وقواده . ثم أنهمك على لذاته وترك مراعاة كثير من السياسة المملوكية التي جرت عادة الملك أن يتولاها بنفسه . وقيل : إنه ادَّعى الإلهية فخرج عليه بيوراسب ، وكان من جملة عماله ، وأستجلب الناس وجمعهم عليه وأستصلحهم لنفسه ، وقصد جمشيد بعد أن كثرت أتباعه وقويت شوكته ، فهرب منه فأتبعه حتى أدركه وظفربه ونشره بمنشار . وملك بعد جمشيد بيوراسب ؛ وهو الذي يسميه العرب الضحاك . قالوا : وهو بيوراسب^(٤) بن أرونداسف بن بغاداسف بن طوخ بن قورال بن ساعل بن فرس ابن كيومرث ، وهو الدِّهَّاك ، فُنزب اسمه فقبيل الضحاك . وقيل : إنه ملك ألف سنة . وزعم قوم أنه نمروز . وزعم قوم آخرون أنه كان من عمال بيوراسب على كثير من أعماله .

(١) راجع معناه فيما تقدم (ج ١ ص ١٨٥ من هذه الطبعة) . (٢) الشرط هنا : أول كنية تشبه الحرب وتبياً للوت . (٣) تقدم الكلام عليه في الجزء الأول (ص ١٨٥ من هذه الطبعة) . (٤) ورد هذا النسب في مروج الذهب للمسعودي (ج ١ ص ١٠٧ طبع بلاق) باختلاف في الأسماء .

قال : ولما ملك بيوراسب ظهر منه خبث شديد وبخور كثير، وملك الأرض كلها، فسار فيها بالبحور والعسف وسفك الدماء والصلب، وهول على الناس ومحاسرة من تقدمه من الملوك، ومن الأعيان وأتخذ الملاهي والغناء . وكان على منيكيه سلعتان يحترکہما إذا شاء كما يحترک يده ، فأدعى أنهما حيتان تهويلا على ضعفاء الناس . وقد تقدم ذكره في الباب الرابع من القسم الثالث من الفن الأول ، وهو في السفر الأول^(١) من نسخة الأصل في أخبار أعياد الفرس ، فلا حاجة إلى إعادة ما قدمنا ذكره من أمره .

قال : ولما عم الناس جوره كان من سوء عاقبة ذلك أن ظهر بأصهبان رجل يقال له كابي^(٢) من عوام الناس . ويقال : إنه كان حدادا . وكان الضحاك قتل لكابي آبنين ، فبلغ به الجزع على ولديه مبلغا عظيما ، فقام وأخذ عصا وعلق عليها جرابا . وقيل : بل علق النطع الذي كان يشده على وسطه يتقى به النار إذا صنع الحدادة . وقيل : بل كان جلد أسد . وقيل : بل جلد نمر، ودعا الناس إلى مجاهدة بيوراسب ، فحمل الناس ما كانوا فيه من البلاء إن أتبعوه وأطاعوه ، فاستفحل أمره ، وكثرت أتباعه ، وأجتمع عليه أشراف الناس وأكابرهم؛ فقصده بيوراسب . فلما أشرف عليه هرب عن منازلہ ، فجاء أشراف الناس إلى كابي الأصهباني وأجمعوا عليه ليملكوه ، فامتنع من ذلك وقال : إني لست من بيت الملك ، ولكن التمسوا من هو من بيت الملك فتوليه علينا . وكان أفريذون بن اثفيان قد استخفى من الضحاك^(٣)

(١) سلعتان : مثنى سلعة بالكسر، وهي زيادة تحدث في الجسد مثل الغدة تمورين الجسد واللحم إذ أضفت ، وتكون من قدر حصاة إلى بطيخة . (٢) راجع (ج ١ ص ١٨٨ من هذه الطبعة) .

(٣) في غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم (ص ٣٢) : « كاره » .

(٤) كذا في تاريخ الطبري (ص ٢٥٣١ من القسم الأول) وغرر أخبار الفرس وسيرهم (ص ٣٥١)

وخط الميرزي (ج ٣ ص ١٠٣ طبعة فينت) . وفي الأصل : « أفريذون » بالبدال المهمله .

في بعض النواحي ، جفاء إلى كابي الأصبهاني ففرح الناس به وأستبشروا بمقدمه ، وكان مرشحا للملك فلكوه عليهم ، وصار كابي من جملة أعوان أفرizon .

قال : وتفاعل الفرس وتبركوا بذلك العلم الذي كان قد رفعه كابي الأصبهاني وعظموه ورضعوه بعد ذلك بالجواهر وسموه الدرّفس وجعلوه علمهم الأكبر الذي يتبركون به ، وهو الذي صار إلى المسلمين في وقعة القادسية . وكانت الفرس لا ينشرونه إلا في الأمور العظيمة .

قال : ولما هرب بيوراسب ملك بعده أفرizon ؛ وهو التاسع من ولد جمشيد . قال : فأقول ما بدأ به أن أتبع بيوراسب فأدرکه بدنياوند وقتله . وفي يوم قتله أحدث المهرجان على ما قدمناه . قال : ثم رد أفرizon مظالم الناس وأمر بالإنصاف وبسط العدل ، ونظر إلى ما كان بيوراسب قد اغتصبه من أموال الناس وأملأ كههم وأراضيمهم ، فرد ذلك على أهله ، وما لم يجد أهله وقفه على المساكين ومصالح العامة . وكان مؤثرا للعلم وأهله . وكان صاحب طبّ وفلسفة ونجوم . وزعم بعض الفرس أن بيوراسب الضحاك هو الخروز ، وأن أفرizon هو إبراهيم عليه السلام . قال : ودام ملكه خمسمائة سنة . وقال : هو أول من تسمى بكبي ، فكان يقال له : كبي أفرizon ، وهي كلمة يراد بها التنزيه ؛ أي روحاني متزه متصل بالروحانية . وهو أول من ذلّل القبلة وقاتل بها الأعداء . قال : وكان لأفرizon

(١) القادسية : بلدة قرب الكوفة بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخا ، وبينها وبين العذيب أربعة أميال ؛ وكانت بها وقعة القادسية المعروفة بين المسلمين والفرس في عهد عمر بن الخطاب رضی الله عنه سنة ١٦ من الهجرة . وهذه الوقعة من أعظم وقائع المسلمين خيرا وبركة . (٢) دنبارند : جبل من نواحي الري ، وهو جبل عال مشرف شاهق شاخ لا يفارق أعلاه الثلج شتاء ولا صيفا ، ولا يقدر أحد من الناس يعلو ذروته ولا يقارباها ، ويعرف بجبل البيوراسب يراه الناس من مرج القلعة ومن عقبه همدان ، والناس اليه من الري يظن أنه مشرف عليه ، وأن المسافة بينهما ثلاثة فراسخ أو أثنان ... وبهذا الجبل عيون كبريتية (راجع معجم البلدان لياقوت) . (٣) راجع الجزء الأول (ص ١٠٨٨ من هذه الطبعة) .

(١) ثلاثة أولاد وهم : سَرْم وقيل فيه سلم ، وطوخ ، وإيرج وقيل فيه إيران ؛ فغشي أفريدون ألا يتفوقوا بعده وأن يبغي بعضهم على بعض ، وظن أنه إذا قسم الملك بينهم في حياته بقى الأمر بعده على انتظام واتساق قسمه بينهم . فجعل الروم والشام وناحية المغرب لسرم . وجعل الترك والصين لطوخ . وجعل العراق والهند لإيرج ، وهو صاحب التاج والسرير . ففى ذلك يقول شاعرهم :

وَقَسَمْنَا مَلَكْنَا فِي دَهْرِنَا * قَسَمَةَ اللَّحْمِ عَلَى ظَهْرِ الْوَضْمِ^(٢)
 جَعَلْنَا الرُّومَ وَالشَّامَ إِلَى * مَغْرِبِ الشَّمْسِ إِلَى الْمَلِكِ سَرْمِ
 وَلَطُوخَ جُعِلَ التُّرْكُ لَهُ * فَبِلَادِ الصِّينِ يَجُوهِيهَا أَبْنُ عَمِ
 وَإِيرَانَ جَعَلْنَا عَنُودَ * فَارِسَ الْمَلِكِ وَفَرَزْنَا بِالنَّعْمِ

١٠ فلما مات أفريدون وثب طوخ وسرم بأخيهما إيران فقتلاه وملك الأرض بينهما ، ولذلك نشأت العداوة بين الترك والروم ، وقامت الحروب ، وطلب بعضهم بعضا بالدماء . فكان من سوء عاقبة غدرهما بأخيهما وتغلبهما على ملكه أن نشأ ابن لإيران بن أفريدون يقال له منوجهر ، وقيل اسمه منواشجهر ، وقيل فيه منوشهر ، فغلب على ملك أبيه إيران .

١٥ وملك منوجهر بن إيران بلاد فارس ، ثم نشأ ابن لطوخ التركي فنفى منوجهر عن بلاده وجرت بينهما حروب ، ثم ظفر منوجهر وعاد إلى ملكه ، ونفى ولد طوخ وقوى أمره وظهر اسمه . وكان منوجهر موصوفا بالعدل والإحسان في مملكته . ويقال : إنه أول من خندق الخنادق ، وجمع آلة الحروب ، وأول من وضع الدهقنة ، وجعل لكل قرية دهقاناً ، وجعل أهلها عبيداً وخولاً وألبسهم لباس^(٣)

٢٠ (١) في تاريخ الطبرى (ص ٢٣٠ من القسم الأول) : « طوج » . وفي غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم : « توز » . (٢) الوضم : خشبة الجزار يقطع عليها اللحم . (٣) الدهقنة : مصدر واسم من دهقن ، والدهقان (بالكسر ويضم) هنا : رئيس الإقليم ، مرزب دهقان . (من محيط المحيط للبستاني) مادة دهقن .

المذلة . ولما قوى أمره سار نحو الترك وطلب بدم أبيه قتل عميه اللذين قتلا أباه ، وأدرك ثاره وأنصرف الى بلاده .

ثم نشأ فراسياب^(١) بن ترك من ولد طوخ بن أفريدون وإليه ينسب الترك ، فخارب منوجهر وحاصره بطبرستان^(٢) ، ثم اصطلحا وضربا بينهما حدًا لا يجاوزه واحد منهما ، وهو نهر بلخ ، فانقطعت الحرب بين فراسياب ومنوجهر . وكان لمنوجهر هذا خُطَبٌ تدل على سداد رأيه ، ووفور عقله ، وجودة فهمه ؛ فقد ذكرنا بعضها في الباب الرابع من القسم الخامس من الفن الثاني في وصايا الملوك . قال : وفي أيام منوجهر ظهر موسى بن عمران عليه السلام .

قال : ولما مات منوجهر تغلب فراسياب على إقليم بابل اثنتي عشرة سنة ، وأكثر الفساد ، وخرّب البلاد ، وطم الأنهار ودفن القنى ، فقحط الناس الى أن ظهر زقون طهماسب فأخرجه عن بلاد فارس الى تركستان .

وملك زقون طهماسب وقيل فيه : زاع ، وقيل فيه : زاب ، وقيل : راسب ، وهو من أولاد منوجهر ، ويبنه وبين منوجهر عدة آباء . قال : ولما ملك ابتداء في عمارة ما خرّبه فراسياب ، وأمر ببناء ما هدم من الحصون ، وحفر الأنهار والقنى ، حتى عادت البلاد الى أحسن ما كانت عليه ، ووضع عن الناس الخراج

(١) كذا في نسخة (١) ومرّوج الذهب للسعودي (ج ١ ص ١٠٨) . وفي نسخة (ب) وتاريخ الطبري (ص ٤٣٤ من القسم الأول طبع أوربا) : « فراسيات » بالناء المثناة .

(٢) طبرستان : ناحية واسعة الأرجاء ببلاد الفرس بين جرجان والديلم ، على بحر قزوين الذي يسمى أيضا باسمها « بحر طبرستان » وأشهر مدنها : آمل ، أوعامل ، والدامغان ، وقومسان (وهي الآن إقليم ما زندان) من مملكة إيران ، فتحها سويد بن مقرن في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه (راجع معجم الخريطة الإسلامية للرحوم أمين واصف بك) .

(٣) في الأصل « الباب الثالث » وما أثبتناه هو ما ورد في (ج ٦ ص ١٦ من هذه الطبعة) ، وقد راجعنا هذا الباب فلم نجد لتلك الخطب أثرا ، ولعلها سقطت من الأصل .

(١) منبج سنين، فعمّرت البلاد في أيامه، ودوّرت معاش الناس، واحتفر بالسواد نهراً وسماه الزاب، وبني على حافته مدينة وهي التي تسمى المدينة العتيقة، وكوّرها كورا، وجعلها ثلاثة طساسيج: الزاب الأعلى، والزاب الأوسط، والزاب الأسفل، ونقل إليها بنور الرياحين، وأصول الأشجار،

وزوّه هذا أوّل من اتخذ ألوان الطبخ، وأنواع الأطعمة، وقسم الغنائم على جنوده. وكانت مدّة ملكه ثلاث سنين.

ثم ملك بعده كرشاسب بن أسباس، وأمّه من سبط يامين بن يعقوب عليه السلام. قال: وكان مسكنه بيا بل. ومدّة ملكه عشرون سنة. وبعض المؤرخين لم يذكره في الملوك. وقال الشيخ أبو علي أحمد بن محمد بن مسكويه في كتابه المترجم بتجارب الأمم: إن كرشاسب كان وزيراً لزوّ بن طهماسب، وأنه من أولاد طوخ ابن أفريدون. قال: وقد حكى أن زوّا وكرشاسباً اشتراكاً في الملك. قال: والصحيح من أمره أنه كان وزيراً لزوّ ومعيناً له، والذي أثبت كرشاسب في الملوك الشيخ عبد الملك بن عبد الله بن عبدون الحضرمي الشامي في كتابه المترجم بكلمة الزهر وصدفة الدرر، وقال: ولم يذكره بعض المؤرخين.

ثم ملك بعده كيقباز بن زوّ، وقيل فيه: ابن زاب بن تور، وسلك سبيل أبيه فكوّر الكور، وبين حدودها، وأمر الناس بالعبارات، وأخذ العشر من الغلات لأرزاق الجند. وكان حريصاً على العهارة، مانعاً لحوزته. والملوك الكيية من نسله. وكان بينه وبين الترك حروب كثيرة. وكانت إقامته في الحد

(١) يريد بالسواد العراق. (٢) طساسيج: جمع طسوج بالتحديد، وهي الناحية.

(٣) الكيية: الذين تجددت أسماؤهم بلفظ (كي) وهي كلمة يراد بها التزييه.

الذي بين مملكة الفرس والترك بناحية بلخ . وكان ملكه مائة وعشرين سنة
ثم مات .

وملك بعده كيقابوس^(١) بن كينة بن كيقباز الملك . قال : ولما ملك شدد على
أعدائه ، وقتل خلقا كثيرا من عظماء البلاد وسكن بلخ ، وولد له ابن لم ير مثله
في عصره جمالا وتام خلقه ، وسماه سياوخش وضمه الى رستم الشديد بن دستان من
ولد كرشاسب . وكان أصهبذا بسجستان وما يليها من قبل كيقابوس وأمره بتريبته .
فرضى به رستم الى سجستان وتخير له الخواضن والمراضع الى أن عقل ، فجمع له
المعلمين ، ثم علمه الفروسية حتى فاق فيها ، فقدم به على أبيه وهو كامل الصفات
من العقل والأدب والفروسية ، فأمتحنه والده فوجده فوق ما يجب .

قال : وكان لكيقابوس زوجة بارعة الجمال يقال إنها بنت فراسياب ملك الترك ؛
ويقال : إنها ابنة ملك اليمن ، فهويت سياوخش وهويها ، ويقال : إنها كانت ساحرة
فسحرته ، وآل أمرها الى أن انكشف لأبيه كيقابوس وأطلع على ما كان من أمر
أبنته وزوجته ، فأشفق سياوخش على نفسه وخشى عاقبة أبيه فتلطف في البعد عنه ،
فسأل رستم أن يشير على أبيه لإرساله لحرب فراسياب ملك الترك ، وكان قد تجددت
بين فراسياب وكيقابوس وحشة ، ففعل رستم ذلك وخاطب كيقابوس فيه واستأذن له
في جند يضمهم إليه ، فأذن له وضم إليه جندا كشيفا وأشخص سياوخش الى بلاد
الترك ، فسار حتى التقى بفراسياب فانتظم الصلح بينهما من غير حرب ، فكتب
سياوخش الى أبيه يخبره بما كان بينه وبين فراسياب من الصلح والاتفاق ، فكتب
إليه كيقابوس بإنكار ذلك عليه وأمره بمناهضته ومناجرتة الحرب ، فرأى سياوخش

(١) كذا في نسختي (١) و(ب) . وفي تاريخ الطبري (ص ٦٠٠ من القسم الأول طبع أوربا) :

« كيقابوس بن كينة » . وفي غير أخبار ملوك الفرس وسيرهم : « كيكابوس » ويقال له بالقرية كيقابوس .

- أنه إن فعل ما أمره به والده من الحرب وتقض الهدنة من غير سبب وقع يوجب تقضها، يكون ذلك عارا عليه ومَمَقَصَةً، فامتنع من إنفاذ أمر أبيه وأجمع رأيه على الهرب منه، فكتب الى فراسياب ملك الترك يطلب منه الأمان لنفسه، وعرفه أنه أثر اللحاق به فأجابه الى ذلك. وكان السفير بينهما أحد عظماء الترك وأكابرهم يسمى قيران. فلما استوثق سياوخش من ملك الترك سار نحوه وأنصرف من كان معه من جند أبيه ورجعوا إليه. قال: ولما وصل سياوخش الى فراسياب ملك الترك أكرمه وعظمه وزوجه بابنته، وهي أم كيخسرو الذي ملك الفرس. ولم يزل على إكرامه الى أن ظهر له من أدبه وحسن سياسته وجميل تطفه ما أشفق منه وخشى على ملكه ليل الناس إليه فقتله. وكانت ابنة الملك قد اشتمت من سياوخش على حمل، فقصد أن يسقطه وتحيلوا في ذلك فلم تسقط؛ ثم جاء قيران، وهو الذي كان السفير في الصلح بين الترك وسياوخش، وأنكر ما كان من فعل الملك وحذره عاقبة الغدر والطلب بالنار، وأشار عليه أن يدفع ابنته زوجة سياوخش إليه لتكون عنده الى أن تضع وقال: اذا أردت بعد ذلك قتل ولدها فاقتله؛ فأجابه الملك الى ذلك وسلم إليه ابنته، فكانت عنده الى أن وضعت كيخسرو؛ فلما وضعت امتنع قيران من قتله وستر أمره، فكان عند قيران حتى بلغ، ثم احتال جدّه كيقابوس الى أن أخرجته هو وأمه من بلاد الترك.

- قال أبو علي أحمد بن محمد بن مسكويه في كتابه المترجم بتجارب الأمم: وللفرس في أمر كيقابوس خرافات كثيرة منها: أنهم يزعمون أن الشياطين مسخوه، وقوم منهم يزعمون أن سليمان بن داود عليهما السلام أمرهم بذلك في خرافات كثيرة ظاهرة الإحالة: من الصعود الى السماء، وبناء مدينة كتنكر بأسوار من ذهب وفضة

وحديد ونحاس وأنهار، وأنها ما بين السماء والأرض؛ وأشياء ذلك مما تُحِيلُه العقول السليمة؛ لأن ذلك ليس في قدرة البشر.

قال : ولما تمّ لكيقابوس أكثر ما كان يقصده سار من خراسان ونزل بآبِلَ وترك ما كان يتولاه بنفسه من السياسات، واحتجب عن الناس وتعاضم عليهم، وآثر الخلوّة، فكان من عاقبة ذلك أن فسد عليه ملكه وغزته الملوكة؛ فكان بعد ذلك يغزوهم فيظفّر بهم مرّة ويُنكّب أخرى، الى أن غزا بلاد اليمن، والملك بها يومئذ ذوالأذعار بن أبرهة بن ذى المنار . فلما أتاه كيقابوس خرج اليه ذوالأذعار في جموعه من حمير وولد قحطان، فظفّر به ذوالأذعار وأسرّه وأسبّاح عسكره وحبسّه في بئر وأطبق عليه طبقا، فخرج رسم الشديد من سجستان في جموع كثيرة من الفرس؛ فالفرس تزعم أنه أوغل في بلاد اليمن واستخرج كيقابوس من محبسه، واليمن تقول غير ذلك، وأن ملكهم ذوالأذعار لما بلغه إقبال رسم خرج اليه في جموعه وجنود عظيمة، وخذق كل منهما على نفسه وعسكره، وأنهما أشفقا على جندهما من البوار، فاتفقا على أن دفع لهم ملك اليمن كيقابوس وانصرف رسم من غير حرب ورجع بكيقابوس الى بابل، فكتب له كيقابوس كتابا بالعتق وأقطعه سجستان . ونسخة الكتاب الذى كتبه : من كيقابوس بن كيقباز الى رسم . إني قد أعتقتك من العبودية ، وملكك بلاد سجستان ، وأجلس على سرير من فضة ممّوه بالذهب ، والبس قلنسوة من الحرير منسوجة بالذهب متوجة . قال : ومما يدل على صحة ما نقل من أمر كيقابوس قول الحسن بن هانئ :

وقاظ قابوس في سلاسلنا * سنين سبعا وقت لحاسبا

ولما مات كيقابوس ملك بعده ولد ابنه كيكخسرو بن سياوخش بن كيقابوس . قال : ولما ملك عقد التاج على رأسه وخطب رعيته خطبة بليغة أعلمهم فيها أنه على الطلب بدم أبيه سياوخش قبل فراسياب ملك الترك ، وكتب إلى جوذرز باصبهان - وكان أصهبذا على خراسان - يأمره بالمسير إليه ، وأمره أن يعرض جنده وأن ينتخب ثلاثين ألف راجل ويضمهم إلى طوس [بن نوذران^(١)] وكان فيمن اشخص معه برزافره [بن كيقاوس^(٢)] عم كيكخسرو وابن جوذرز وجماعة من إخوته ، وتقدم كيكخسرو إلى طوس ، وأمره أن يقصد فراسياب وطراخته وحذره من ناحية بلاد الترك فيها أخ له من أبيه سياوخش يقال له فروذ ، وكان قد رزقه من بعض نساء الأتراك ، كان سياوخش قد تزوجها لما سار إلى فراسياب فولدت له فروذ ، وأقام بموضعه إلى أن شب ، فسار طوس وكان من غلظه الذي فعله أنه لما صار بالقرب من المدينة التي فيها فروذ حاربه فقتل فروذ في الواقعة . فلما اتصل الخبر بكيخسرو غضب لذلك وشق عليه ، فكتب إلى عمه برزافره ذلك كتابا غليظا يخبره بما ورد عليه من خبر طوس ومخالفته له ومحاربتة لأخيه فروذ وقتله إياه ، وأمره بإشخاص طوس إليه مقيدا مغلولا ، وأن يتقدم هو على العسكرو يتوجه . ففعل برزافره ذلك وتولى أمر العسكر ، وسار وعبر النهر المعروف بكاشرود ، وانتهى خبره إلى فراسياب فوجه للقائه وحربه جماعة من إخوته وطراخته ، فالتقوا وفيهم قيران وإخوته ، فاقتلوا قتالا شديدا ، وظهر من برزافره عم كيكخسرو في ذلك اليوم فسلل لما اشتدت الحرب ، فهرب وأحجاز بالعلم إلى رعوس الجبال ، واضطرب على ولد جوذرز الأمر ، فقتل منهم في تلك الملحمة في وقعة

٣٤
١٣

٢٠

(١) الزيادة من تاريخ الطبرى .

(٢) طراخته : الطراخنة جمع طرخان (بالفتح) ، والطرخان : زعيم القوم المعنى من الضراب

• (فارسي)

واحدة سبعون رجلا، وقتل خلق كثير، وأنصرف برزافره ومن أفلت معه إلى كيخسرو،
 فرُئيت الكتابة في وجهه وأمتنع عن الطعام والشراب أياما، ثم أتاه جوذرز وشكا
 إليه عمه برزافره وأنه كان سبب الهزيمة، ولاطفه كيخسرو وقال: إن حقك لازم
 لنا لخدمتك إيانا، وهذا جندنا وخرائنا مبذولة لك فاطلب ^(١) يرتك واستعدّ وتجهز
 للتوجه إلى فراسياب . فنهض جوذرز وقبل يده وقال: نحن رعيك وعبيدك
 أيها الملك، فإن كانت آفة أو نازلة فلتكن بالعبيد دون الملوك، وأولادى الذين قُتلوا
 فداؤك، ونحن من وراء الانتقام من فراسياب والاستيفاء من الترك ^(٢) . فكتب
 كيخسرو إلى وجوه عساكره وأكابر أجناده يأمرهم بموافاته في صحراء تعرف بشاه
 اسطون من كورة بلخ في وقت وقته لهم، فوافوه في ذلك الوقت، وشخص كيخسرو
 بأصهبديته وأصحابهم وفيهم برزافره عمه وجوذرز وولده، فعرض كيخسرو الجند
 بنفسه حتى عرف عدتهم وأطلع على أحوالهم، ثم أحضر جوذرز وثلاثة نفر معه
 من القواد فأعلمهم أنه يريد إدخال المساكر على الترك من أربعة وجوه ليحيطوا بهم
 من جميع جهاتهم، وقود على تلك المساكر، وجعل أعظمها إلى جوذرز،
 ودفع إليه يومئذ ^(٣) درفس كاپيان، ولم يكن يُدفع قبل ذلك لأحد من القواد، بل مع
 أولاد الملوك .

قال: وأمر أحد القواد بالدخول مما يلي الصين وضم إليه ثلاثين ألف رجل،
 وأمرهم بالدخول من ناحية الخزر من طريق بين جوذرز وبين الذى دخل من
 طريق الصين، ودخل جوذرز من ناحية خراسان وبدأ بقران والتحمت بينهما

(١) الترة هنا: النار . (٢) في تاريخ الطبرى: « والاشفءا » .

(٣) في تاريخ الطبرى (ص ٦٠٩ من القسم الأول): « درفس كاپيان » بالشين المعجمة وقال:

إنه العلم الأكبر الذى كانوا يحملونه .

الحرب واشتد القتال ، فقتل جوذرز أخا لقيران ، ثم قتل قيран مبارزة ، ثم قصد فراسياب وأتجمت عليه العساكر من كل جهة ، وأتبع كيخسرو القوم بنفسه وقصد الوجه الذي كان فيه جوذرز ، وقد أثنخ في القتل وقتل أصهبهذ فراسياب والمرشح للملك بعده ، وجماعة كثيرة من إخوته وأولاده ، وأسر برويز وهو الذي قتل سیاوخش .

قال : ولما جاء كيخسرو وجد جوذرز قد أحصى الأسرى وقتلى وما غم من الكراع والأموال ، فوجد ما في يده من الأسرى ثلاثين ألفا ، ومن القتلى خمسمائة ألف ونيفا وستين ألفا على ما تزعم الفرس ، وحاز من الكراع والأموال مالا يحصى كثرة ، وأمر كل واحد من الوجوه الذين كانوا معه أن يجعل أسيره ورأس قتيله [عند علمه] لينظر إلى ذلك كيخسرو عند موافاته . فلما وافى كيخسرو موضع الملحمة تلقاه جوذرز وعرض عليه الأسرى وقتلى ، فرأى قيран قتيلا ، وأتى بقاتل أبيه الذي مثل به بعد قتله . فقتله كيخسرو شتر قتلة ؛ قطعه عضوا عضوا ثم ذبحه ، وأحسن صلة جوذرز وفوض إليه الوزارة التي يقال لها بزرجرمذار وجعل إليه مع ذلك أصهبان وجرجان ، وأحسن لكل من أبلى من قواده ورجاله ، ثم أنته أخبار قواده الثلاثة الأخر أنهم قد أحاطوا بفراسياب ، وبرز فراسياب ومن بقى من ولده وعساكره وتوجه نحو كيخسرو بجيوش عظيمة ، فيقال إن كيخسرو أشفق منه وهابه حتى ظن أنه لا قبل له به ، ودام القتال بين العسكرين أربعة أيام ، فقتل شيده مقدم عسكر فراسياب ، وكانت هذه

٣٥
١٣

(١) الكراع بالضم : اسم يجمع الخيل والسلاح . (٢) التكلة من تاريخ الطبرى (ص ٦١٢ من القسم الأول) والعبارة في الأصل مضطربة . (٣) في تاريخ الطبرى أن اسم هذا القاتل « بروان فشنجان » . (٤) كذا في الطبرى وفي نسخة (١) « بزرج فرمدار » وفي نسخة (ب) « بزرج فرمدار » .

الحرب معه ، ثم أقبل فراسياب في جمع عظيم من الأتراك والتقى هو وكيخسرو ونشبت بينهما حروب عظيمة يقال إنه لم ير مثلها قبلها قط على وجه الأرض ، فكانت الدائرة على الترك ، وأنهم فراسياب وكثر القتل في أصحابه وأتبعه كيخسرو حتى أدركه بأذربيجان فظفر به وأستوثق منه بالحديد ووثجه على ما كان منه من قتل سیاوخش ، فلم يكن له حجة ، فذبحه ثم أنصرف . وقد غنم غنائم عظيمة لا تحصى وأدرك بثاره .

قال : ولما فرغ كيخسرو من أمر الترك ورجع إلى بلاده واستقر بدار ملكه زهد في الملك وتنسك ، وأعلم وجوه أهل بيته وأكابر مملكته أنه قد عزم على التخل والافتراق وترك الملك ؛ فجزعوا من ذلك وسألوه ألا يفعل ، فأبى عليهم . فلما أيسوا منه سألوه أن ينصب في الملك من يراه له أهلا ، فأشار بيده إلى هراسف وأعلمهم أنه خاصته ووصيته ، فقبل هراسف ذلك وأقبل الناس عليه . وفقد كيخسرو . فمنهم من يقول : إنه غاب للتنسك ، وبعضهم يقول غير ذلك ، إلا أنه لم تعلم جهة وفاته . قال : وكان ملكه ستين سنة . قال : وفي أيام ملكه كان سليمان بن داود عليه السلام .

ثم ملك بعده هراسف^(١) ؛ وقيل فيه بهراسف بن تنوف بن كيمش وهو ابن أخي كيقابوس ويلقب بكى هراسف . قال : ولما ملك اتخذ سريرا من ذهب مكلا بالجواهر للجلوس عليه ، وبنيت له بأرض خراسان مدينة ، وسماها بلخ الحسنة . قال : وهو أول من دقن الدواوين ، وقوى ملكه بانتخاب الجنود ، وعمر الأرض . وكانت شوكة الأتراك اشتدت في زمانه ، فتل بلخ لمقاتلتهم ، ووجه بختنصر

(١) كذا في نسخة (ب) وفي نسخة (أ) « كهراسف » وفي تاريخ الطبري : « كى هراسب »

وفي مروج الذهب (ج ١ ص ١٠٩ طبع بلاق) : « هراسب » .

أصبهيدًا ما بين الأهواز إلى أرض الروم، من غربي الفرات . وسنذكر أخباره
إذا انتهت أخبار هراسف .

قال : وكان هراسف بعيد المهمة ، طويل الفكرة ، شديد القمع للملوك المحيطة
لإيران شهره . وكانت ملوك الروم والمغرب والهند يؤدون إليه إتاوة معلومة في كل
سنة ، ويُقرون له أنه ملك الملوك هينةً له ، واستمر في الملك إلى أن كبرت سنته
وأحس بالضعف فاعتزل الملك ونصب ابنه بشتاسف ^(١) . وكان ملكه فيما ذكر
مائة وعشرين سنة .

ذكر أخبار بختنصر

ويقال في اسمه بالفارسية بخترشه ، وكان مرزباناً للهراسف ، ومعنى المرزبان
أنه ملكٌ على ربع من أرباع المملكة . وقد قدمنا أن الملك هراسف كان قد
جعله أصبهيدًا ما بين الأهواز إلى أرض الروم . قال : فسار حتى أتى دمشق
فصالحه أهلها ، ووجه قائداً له فأتى بيت المقدس فصالح ملك بني إسرائيل ، وهو
رجل من بني داود النبي عليه السلام ، وأخذ منه رهائن وانصرف . فلما بلغ طبرية
وثب بنو إسرائيل على ملكهم فقتلوه وقالوا له : إنك هادنت أهل الكفر وخذلتنا
واستعددتنا للقتال ؛ فكان عاقبة ذلك أن قائد بختنصر — لما بلغه ما كان من بني
إسرائيل — كتب إليه يخبره بقتلهم ملكهم ، فأجابته بختنصر أن يقيم بموضعه حتى
يوافقه ، وأمره بضرب أعناق الرهائن الذين معه . وسار بختنصر حتى أتى بيت

(١) كذا في تاريخ الطبري . وفي غرر أخبار ملوك الفرس : « بشتاسف » وفي نسخة أ ، ب :

« بشتاسف » .

(٢) كذا في تاريخ الطبري : (ص ٦٤٥ من القسم الأول) وغرر أخبار الفرس وسيرهم للنعماني

(ص ٤٤ طبع باريس) . وفي نسخة (أ) هكذا « نخت نسي » وفي نسخة (ب) « نخت نسي » :

٣٦
١٣

المقدس فأخذ المدينة عنوة وقتل المقاتلة وسبي الذرية وهرب الباقون إلى مصر، فكتب بختنصر إلى ملك مصر: أن عبيدا لي هربوا مني إليك فسرّحهم إلىّ وإلا غزوتك وأوطات خيلي بلادك، فكتب إليه ملك مصر: إنهم ليسوا عبيدك، ولكنهم الأحرار أبناء الأحرار، وأمتنع من إيقادهم إليه، فغزاه بختنصر وقتله وسبي أهل مصر، ثم سار في أرض المغرب حتى بلغ أقصى نواحيها.

قال صاحب كتاب تجارب الأمم: وقد حكى أهل التوراة وغيرهم في أمر بختنصر أقوالا مختلفة، فذكروا منها: أن بختنصر لما حارب بيت المقدس أمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسا ثم يقذفه في بيت المقدس، فقفوا فيه من التراب ما ملأه. قال: ولما أنصرف إلى بابل اجتمع معه سببايا بيت المقدس من بني إسرائيل وغيرهم، فاختر منهم سبعين ألف صبي، فلما فزق القتائم على جنوده سألوه أن يقسم فيهم الصبيان، فقسمهم في الملوك منهم، فأصاب كل رجل منهم أربعة، وكان من أولئك الغلبة الذين سباهم، دانيال النبي وحنين ومشايل، وسبعة آلاف من أهل بيت داود، وأحد عشر ألفا من سبط بشر بن يعقوب. ثم غزا بختنصر العرب، وذلك في زمن معد بن عدنان.

قال: وكانت مدة غلبة بختنصر إلى أن مات أربعين سنة، ثم قام ابن له يقال له أونمروذ^(١) ثم [هلك، وملك مكانه ابن له يقال له^(٢)] بلتنصر، وذلك في زمن بهمن، فلم يرض بهمن أمره فعزله وملك مكانه كيرش، وتقدم إليه بهمن أن يرفق ببني إسرائيل ويمكنهم من النزول حيث سألوا، أو الرجوع إلى أرضهم، وأن يولى

(١) في تاريخ الطبري: « أولردوخ ».

(٢) التكملة من تاريخ الطبري. وفي نسخة (٢٠) هكذا: « ثم بن بلتنصر ». وفي نسخة (ب):

« ثم ابن يقال له بلتنصر ».

عليهم من يختارونه ، فاختاروا دانيال فولاه أمرهم . فكانت مدة خراب بيت المقدس سبعين سنة ، وقيل غير ذلك . ولترجع إلى أخبار الفرس .

ولما أعتزل لهراسف الملك كما ذكرناه ، ملك بعده كي بشتاسف ^(١) بن كي لهراسف . قال : ولما ملك بنى مدينة فسا ، وهو أول من بسط دواوين الكتاب لا سيما ديوان الرسائل ، وكان له ديوانان أحدهما : ديوان الخراج ، والآخر ديوان النفقات ، فكل ما يرد إلى ديوان الخراج ، وكل ما يصرف من ديوان النفقات . وكان له كاتب موكل بدار المملكة ، فإن وقع تقصير بأحد في منزلته ، أو حُطَّ من درجته رجع إلى ذلك الكاتب ليبين له حال مرتبته فيجري على رسمه وعادته .

- ١٠ وفي أيامه ظهر زرادشت [بعد ثلاثين سنة من ملكه فأدعى النبوة ^(٢)] فأراده على قبول دينه فامتنع من ذلك ثم صدقه وقيل دعواه ، وأناه بكتاب يكتب في جلد اثنتي عشرة ألف بقرة حفرا في الجلود ونقشا بالذهب ، فصير بشتاسف ذلك الكتاب بإصطخر ووكل به المرابذة ^(٤) ، ومنع من تعليمه العامة . وبني ببلاد الهند بيوتا للنيران ، وتنسك واشتغل بالعبادة ، وهادن كي خرزاسف بن كي سواسف ^(٥) ابن أخي فراسياب ملك الترك على ضروب من الصلح ، وفي جملة شريطة الصلح ألا يكون

(١) في تاريخ الطبرى : « كي بشتاسف بن كي لهراسف » .

(٢) فسا (بالفتح والقصر) ويقال لها بسا (بالباء) : مدينة بهارس أنزه مدينة بها فيما قيل ، بينها وبين شيراز أربع مراحل ، وهي مدينة واسعة الشوارع تقارب في الكبر شيراز ، وهي أخص هواء منها .

(٣) التكلة من تاريخ الطبرى (ص ٦٧٦ من القسم الأول طبع أوروبا) .

(٤) المرابذة جمع المربذ (بالكسر) : هم خدام النار . وقيل : حكام المحوس الذين يصلون
٢٠ م . (راجع المعزب للجواليق ص ٣٥١ طبع دار الكتب المصرية) .

(٥) في تاريخ الطبرى : « أنسى » .

ببلاد خزراسف دابة موقوفة في منزلة الدواب التي تكون على أبواب الملوك ، وغير ذلك مما وقعت عليه المهادنة . فأشار زرادشت على بشتاسف بنقض الهدنة ومفاسدة ملك الترك ، فبلغ ملك الترك ذلك ، فغضب وكتب إليه كتابا غليظا من جملته أن يوجه إليه زرادشت ، وأقسم إن امتنع أن يفرزه حتى يسفك دمه ودماء أهل بيته ؛ فأجابه بشتاسف بجواب أغلظ من كتابه وأذنه بالحرب وأعلمه أنه غير ممسك عنه إن أمسك هو . فسار كل منهما الى الآخر ، ومع كل واحد منهما إخوته وأهل بيته ، والتقوا واقتلوا قتالا شديدا ، فكانت الدائرة على الترك ، وقتل اسفنديار بن بشتاسف بيدرفش الساحر مبارزة ؛ وقُتِلَ التركُ قتلا ذريعا ، وهرب ملكهم خزراسف ورجع بشتاسف الى بلخ .

قال : فلما مضت لتلك الحرب سنون سعى رجل يقال فروخ بإسفنديار الى بشتاسف ونسبه أنه تناول للملك ، وزعم أنه أحقُّ به ، فأفسد بذلك قلب بشتاسف عليه ، وصدق مقالة فروخ ، فأخذ في التديير على إسفنديار وجعل يرسله الى حرب بعد حرب ، وهو يظفر وينجح ويرجع بالغانم ، ثم أمر بتقييده ققيداً ، وصيره في الحبس في حصن من حصونه ، وسار بشتاسف الى جبل يقال له طميدر لدراسة دينه والتنسك هناك ، وخلف أباه لهراسف في مدينة بلخ ، وقد كبرت سنه وهرم وعجز .

قال : فاتصل هذا الخبر بخزراسف ملك الترك ، فجمع من الجنود مالا يحصى كثرة ، وشيخ من بلاده نحو بلخ حتى [إذا] انتهى الى تخوم ملك فارس قدم أمامه

(١) كذا في تاريخ الطبري . وفي الأصول : « بندرفش » بالنون .

(٢) في تاريخ الطبري : « قرزم » .

(٣) زيادة يقتضيا السياق .

(١١) جوهر مرز أخيه، وكان مرشحاً للملك، في جماعة كثيرة من المقاتلة، وأمرهم أن يُغذوا السير حتى يتوسطوا الملكة، ثم يوقعوا بأهلها ويُسْئروا الغارة على المدن والقرى . ففعل جوهر مرز ذلك وسفك الدماء وأستباح الحرم، وسبي ما لا يحصى، وأتبعه خزراسف ملك الترك حتى انتهى إلى مدينة بلخ، فأحرق الدواوين وقتل لهراسف والهرايذة، وهدم بيوت النيران، واستولى على الأموال والكنوز، وسبي آبنتين لبشتاسف وأخذ درفس كايان، وسار في طلب بشتاسف فتحصن منه في جبل طميدر، فعند ذلك ندم بشتاسف على ما كان منه في حق ابنه إسفنديار، فيقال: إنه وجه من استخرجه من محبسه، وجاء به، فلما دخل عليه اعتذر منه ووعدته عقْدَ التاج على رأسه، وأن يفعل معه كما فعل لهراسف به . وقده أمر عساكره ونذبه لحرب ملك الترك . فطابت نفس إسفنديار بكلام أبيه له، وتأهب لوقته، وسار بالجنود صبيحة النهار نحو الترك . فلما قُرب منهم تبادروا الحربه، فكان ممن خرج إليه منهم جوهر مرز واندرمان، فالتقوا والتحمت بينهم الحرب، فانقضَّ إسفنديار على عساكر الترك بنفسه واختلط بهم، وقاتل حتى نل فيهم ثلثة عظيمة، وفشا في الترك أن إسفنديار قد أُطلق من محبسه، وأنه هو الذي يقاتلهم، فانهمزوا لا يلوون على شيء . واسترجع إسفنديار من الترك الدرفس وعاد إلى أبيه، فاستبشر وأمره باتباع القوم وقتال خزراسف وقتله - إن ظفر به - بجده لهراسف، وقتل جوهر مرز واندرمان بمن قُتل من ولده، وأن يهدم حصون الترك ويحرق مدنهم ويقتل أهلها بمن قتلوا من أهل بلاده، ويستنقذ من سبوه من بناته . فدخل إسفنديار بلاد الترك ورام ما لم يرمه أحد قبله، واعترض العنقاء ورامها على ما يزعم الفرس، ودخل مدينة الصفرة عنوة، وقتل ملكها وأخوته ومقاتلته، واستباح

(١) كذا في نسخة (١) وتاريخ الطبري . وفي نسخة (ب) « جوهر مرز » بالنون .

أمواله وسبي ذراريه ونساءه واستنقذ أخيه، وكتب بالفتح الى أبيه. ولم يستقل إسفنديار هذا بالملك .

والذى ملك الفرس بعد بثتاسف أردشير بهمن بن إسفنديار بن ^(١) بثتاسف . وتفسير بهمن بالعربية : الحسن النية .

قال : ولما ملك أردشير انبسطت يده وتناول الممالك حتى ملك الأقاليم . وكانت ملوك الأرض تحمل اليه الإتاوة، وأبنتى بالسواد مدينة وهى المعروفة بهمينيا، وهو أبو دارا الأكبر، وأبو ساسان . قال : وكان بهمن كريما متواضعا . وكانت تخرج كتبه : من أردشير بهمن عبد الله وخدام الله والسائس لأمرهم . ويقال : إنه غزى رومية الداخلة فى ألف ألف مقاتل . ومن المؤرخين من ذهب الى أن بهمن هذا هو الذى جهز بختنصر لغزو العرب وغيرهم . وكانت مدة ملك أردشير [مائة] و[أئنتى] عشرة سنة . ^(٢)

ولما مات ملكت بعده أبنته جماز هر ازاد، وهى جماني أم أبنه دارا . قال : وكانت قد حملت منه بدارا الأكبر وسألته أن يعقد التاج الذى فى بطنها ويؤثره بالملك، ففعل أردشير ذلك . وكان أبنه ساسان يتصنع للملك ولا يشك أنه يكون هو الملك بعد أبيه . فلما رأى ما فعل أبوه شق ذلك عليه، فاحق بإصطخر وترهد، وخرج عن حلية الملوك، وأتخذ غنيمته وكان يتولاها بنفسه، فاستشنع الناس ذلك ^(٣)

(١) كذا فى نسخة (ب) وتاريخ الطبرى . وفى نسخة (أ) « أردشير » بلازى المعجمة .

(٢) همينيا ويقال لها همانية : قرية كبيرة كالبلدة بين بفسداد والنعمانية فى وسط البرية ليس بقرىها شئ من العمارات وهى فى ضفة دجلة . (٣) الذكالة من تاريخ الطبرى .

(٤) كذا فى نسخة (ب) وفى نسخة (أ) « حاني » بالحاء المهملة . وفى تاريخ الطبرى (ص ٦٨٨ من القسم الأول) : « حاني » بالحاء المعجمة . (٥) استشنع الناس ذلك : استنبحوه واستهجنوه .

من فعله وقالوا : صار ساسان راعيا ، ولم تزل جماني قائمة بأمر الملك ، ضابطة له ، وأغزت الروم جيشا [بعد جيش^(١)] وأوتيت ظَفَرًا ، قمععت الأعداء وشغلتهم عن التطزق الى شيء من بلادها ، ونال رعيّتها بتديريها رفاهية وأمنٌ الى أن كبر آبنا .

فملك دارا بن أردشير بهمن . قال : ولما كبر حوّل التاج الى رأسه ونزل بابل . وكان ضابطا للملك ، قاهرا لمن حوله من الملوك ، يؤدون اليه الخراج .

وآبتي بفارس مدينة وسمها دارا بيجرد . ورتب دواب البريد . وكانت مدة ملكه اثنتي عشرة سنة .

وملك بعده ابنه دارا بن دارا بن أردشير ؛ وكان دارا هذا حقودا جبارا ، فله قومه . وغزاه الإسكندر بن فيلبس اليوناني ، والتقوا واقتلوا قتالا شديدا ، فقتل دارا بن دارا . وسند ذكر خبر مقتله في أخبار الإسكندر .

فهؤلاء ملوك الفرس الأول . ثم تبدد ملك الفرس وأنتثر لقتل دارا بن دارا ، واستقل الإسكندر بالملك . وملك بعده من نذكره من ملوك اليونان ، وتفترق ملك الفرس أربعين سنة الى أن عاد الى بني ساسان . وهأنا ذا ذكر خبر ملوك الطوائف ما بين دارا بن دارا وأردشير بن بابك .

١٥ ذكر أخبار ملوك الطوائف

وملوك الطوائف هم الذين ملكوا بلاد فارس ما بين دارا بن دارا وأردشير ابن بابك الذي جمع ملك الفرس بعد تبدده ، ونظّمه بعد انتشاره . وكان من خبرهم أن الإسكندر لما قتل دارا بن دارا وغلب على بلاد الفرس هم بقتل أكابريهم ، فكتب الى معامه أرسطاطاليس يستشيريه في ذلك ، فنهاه عن قتلهم وقال : هذا

من الفساد في الأرض ، وإذا قتلتهم أنبتت أرض بابل امنانهم ؛ وأشار عليه أن يفرق المملكة بين أولاد الملوك ، فإنهم يتنافسون الملك فلا يجتمعون على ملك واحد منهم ، فتي خالفك واحد كانت مؤنته عليك خفيفة ؛ ففعل ذلك ، وفرق الملك حتى أمكنه أن يتجاوز أرض فارس الى بلاد الهند والصين . فكانت ملوك الطوائف في إقليم بابل لا يدين بعضهم الى بعض .

فكان من ملوكهم الذين ملكهم الإسكندر : أشك بن دارا الأكبر ، فقوى أشك هذا وعظّمته الملوك وقدموه على أنفسهم ، وبدأوا به في كتبهم إليه إجلالا له ، وبدأ في كتبه اليهم بنفسه ، وسمّوه ملكا ، وأهدوا اليه من غير أن يطيعوه أو يستعمل أحدا منهم أو يعزله ، وكثرت جموعه وسار الى أنطيوخس ، وكان مقيا بسواد العراق من قبل الروم ، وتقدّم أنطيوخس اليه وألقيا ببلاد الموصل وأقتلا فقتل أنطيوخس ، وغلب أشك على السواد ، وصار في يده من الموصل الى الرى وأصفهان ، ولذلك عظّمته ملوك الطوائف .

ثم ملك جودرز بن أشكان . وهو الذي غزا بني إسرائيل المرة الثانية ؛ وذلك بعد قتلهم يحيى بن زكرياء عليهما السلام ، فسلبه الله تعالى عليهم فأكثر فيهم القتل فلم يعد لهم جماعة بعد ذلك ، ورفع الله عنهم النبوة وأنزل بهم الذل .

وكان من سنة الفرس بعد الإسكندر أن يخضعوا لمن ملك بلاد الجبل ، وهم الأشغانية ؛ فأولهم أشك بن أشكان ، ثم سابور بن أشكان ، وفي أيامه ظهر المسيح عيسى بن مريم عليه السلام بأرض فلسطين . ثم ملك جودرز بن أشغانان الأكبر . ثم ملك بيزن الأشغاني . ثم ملك جودرز الأشغاني . ثم نرسی الأشغاني . ثم هرمز . ثم أردوان الأشغاني . ثم كسرى الأشغاني . ثم بلاش الأشغاني . ثم أردوان الأصغر

الأشغاني . ثم اردشير بن بابك . فكانت مدة هؤلاء ، الى أن وثب أردشير بن بابك على الأردوان فقتله ، مائتين وستا وستين سنة .
وفي أيام ملوك الطوائف اصطَلِبتْ ^(١) طسم وجديس . وسنذكر إن شاء الله خبرهم .

ذكر أخبار الملوك الساسانية

وهم الفرس الأخر . وأول من ملك منهم أردشير بن بابك بن ساسان الأصغر . وكان من أعظم ملوك الطوائف وملوك الأشغانية ، فوثب بالأردوان وقتله واستولى على الممالك وقاد الملوك الى طاعته رغبة ورهبة . وكتب الى ملوك الطوائف يدعوهم الى الاجتماع اليه : بسم الله ولي الرحمة . من أردشير المستأثرِ دونه بحقه ، المغلوب على ثراث آبائه ، الداعي الى قوام دين الله وسنته ، المستنصر بالله ، الذي وعد المحقين الفلاح ^(٢) ، وجعل لهم العواقب ؛ الى مَنْ بلغه كتابي هذا من ملوك الطوائف . سلام عليكم بقدر ما تستوجبون بمعرفة الحق ، وإنكار الباطل والجور . ودعاهم الى الطاعة : فمنهم من أقسره بالطاعة ، ومنهم من تریص حتى قَدِم عليه ، ومنهم من عصاه فكانت عاقبة أمره الى القتل والهلاك ؛ حتى استوثق له الأمر . فكانت طائفة الأشكانية ممن أمتعت من طاعة أردشير ، فأقسم أنه لا يُبقي منهم — إن قدر عليهم — رجلا ولا امرأة . فلما غلب عليهم ما نجا منهم إلا من أخفى اسمه ونسبه . وقد كان أخذ في جملة من أخذ منهم ابنة ملكهم ، وكانت بارعة الجمال ، وافرة العقل . فلما رآها قال لها : أنت من بنات ملوكهم ؟ قالت : بل من خدمهم . فاصطفأها لنفسه ، فحمت منه . فلما علمت بالحمل شهرت نفسها وقالت : أنا ابنة ملكهم .

(١) اصطَلِبتْ : أي دبت .

(٢) الفلاح (محرّكة) : الفوز بما يفتبط به وفيه صلاح الحال .

ف عند فك أمر شيئا من رجاله الذين يشق بهم يقال له هر جند^(١) [بن سام] بأن يودعها في بطن الأرض إشارة الى قتلها . فقالت : أيها الشيخ ، اني قد حملت من الملك فلا تُجِل زرعَه . فَعَمِلَ لها سَرَّبا تحت الأرض وجعلها فيه ، ثم عمَد الى مذاكيره فجَّها ووضعها في حُقِّ وختم عليه ورجع الى الملك وقال : قد أودعتها بطن الأرض ؛ ودفع له الحُقِّ وقال : إن فيه ودعةٌ وأحب أن يكون عند الملك الى أن أحتاج اليه ، فاستودعه الملك ؛ وأقامت الحارية في السَّرْب حتى كملت مدة حملها ، فوضعت غلاما فسماه الشيخ : شاه بور ، أى ولد الملك ؛ فسماه الناس سابور . وبنى أردشير هذا دعرا الأيولده ، فرآه الشيخ في بعض الأيام وقد ظهر عليه الحزن ، وكان خاصا به ، قال له : ما هذا الحزن سرتك الله أيها الملك وعمرك . قال : من أجل أنه ليس لي ولد يرث ملكي . فقال له الشيخ : إن لك عندي ولدا طيا قَدع بالحقِّ . وأمر أردشير بإحضاره فأحضر ، ففَضَّ ختمه فإذا فيه مذاكيرُ الشيخ وكُلب فيه : إنه لما أمرني الملك بقتل المرأة الأشكانية التي عَلَقْتُ من ملك الملوك أردشير لم أر أن أبطل زرع الملك الطيب فأودعتها بطن الأرض كما أمرني ، وتبرأت اليه من قسِّي لئلا يجد عائب الى عيها سيلا ؛ فسرَّ أردشير بذلك ، وأمر الشيخ أن يجعل للسلام بين مائة غلام من أشباهه في الهيئة وأقرانه في السن ، ثم يُدخلهم عليه ، ففعل ذلك ، فعرفه أردشير من بينهم وقبلته نفسه ، ثم أمرهم أن يلعبوا في حجرة الإيوان بالصوالج ، فدخلت الأكرة الإيوان ، فأحجم الغلمان عن دخولهم وأقدم سابور ، فأمر أردشير عند ذلك بمقد التاج له .

(١) كذا في تاريخ الطبري (ص ٨٢٣ من القسم الأول طبع أوروبا) . وفي نسخة أ : « جندان » .

وفي نسخة ب : « جند » . والكتابة

(٢) كذا في الطبري ، وفي نسخة (ب) « بترك » ، وفي نسخة (أ) « بترك » .

وكان أردشير من أهل العقل والمعرفة وحسن التدبير، وله وصايا ومكاتبات صدرت عنه تدل على حكمة ورجاحة عقل . وقد تقدم إيرادها في الباب الرابع^(١) من القسم الخامس من الفن الثاني في وصايا الملوك . وكانت مدة ملكه أربع عشرة سنة وستة أشهر .

ثم ملك بعده أبنته سابور بن أردشير، والعرب تسميه سابور الجنود، وسابور هذا هو الذي حصر الضيزن^(٢)، وملك حصن الحضّر، وهو من مباني العرب المشهورة . وقد تقدم ذكره في الباب الثالث من القسم الخامس من الفن الأول، وهو في السفر الأول . فلا حاجة الى إعادة ذكره .

٤٠
١٣

وفي أيامه ظهر ماني الزنديق تلميذ قاردون وقال بالاثنين، فرجع سابور الى مذهب ماني والقول بالنور والبراءة من الظلمة، ثم عاد الى دين المجوسية وترك المانوية، وهو المسمى عندهم بدين الثنوية . وكانت مدة ملكه ثلاثين سنة . وقيل إحدى وثلاثين سنة ونصف سنة وثمانية عشر يوما .

ثم ملك بعده أبنته هرمز بن سابور، وهو الذي يدعى هرمز البطل، ويلقب أيضا بالجرى . وبني مدينة رامهرمز بين كور الأهواز . وكانت مدة ملكه سنة وعشرة أشهر .

ثم ملك بعده أبنته بهرام بن هرمز . قال : ولما ملك جاءه ماني الزنديق فعرض عليه مذاهب الثنوية فأجابته الى ذلك احتيالا منه عليه، الى أن أحضره دعائه للمتفرقين في البلاد الذين يدعون الناس الى مذاهب الثنوية . فلما أحضرهم اليه قتلهم وقتل ماني وسلخه .

٢٠ . (١) في الأصل « الباب الثالث » وما أثبتناه هو ما ورد في (ج ٦ ص ١٦ من هذه الطبعة) .
(٢) هو الضيزن بن معاوية بن العيد من قبيلة قضاة ويلقب بالساطرون .
(٣) راجع (ج ١ ص ٣٨١ من هذه الطبعة) .

وفي أيام ماني هذا ظهر اسم الزنادقة الذين أضيفت إليهم الزندقة . وذلك أن الفرس كان لهم كتاب يسمونه السناء ، وكان له شرح يسمى الزند . فكان من أئامهم بزيادة على ما في كتابهم يسمونه زنديا . فلما جاءت العرب أخذت هذا المعنى من الفرس فعربتته وقالت زنديق . فالثنوية هم الزنادقة ، فالحق هذا الاسم بسائر من اعتقد القِدَمَ وأبى حدوث العالم وأنكر البعث .

والذي أتى الفرس بهذا الكتاب زرادشت في زمن الفرس الأول . وقد قدمنا ذكره في أخبار بشتاسف . وهذا زرادشت هو الذي تزعم المجوس أنه نبيها الذي أرسل إليها . وكان زرادشت خادماً شاعياً فدعا شعياً عليه فبرص . وكان صاحب نيرجات^(١) وسبحر . وكان يحجز^(٢) بعض الكواثر قبل أن تتع^(٣) كان قد سمعه من شعياً وقت خدمته له ، وأدعى النبوة في المجوس وعمل لهم الكتاب الذي قدمنا ذكره ، وزعم أنه أنزل عليه من السماء ، وجعل كلامه فيه يدور على نيف وسبعين حرفاً ، فلم يقدر أحد منهم على قراءته فأختصره لهم وسمى مختصره الزند .

فلما قام ماني بدين الثنوية سمته المجوس "زندين" وسموا أصحابه الزنادقة لأنه زاد في شرعهم الذي شرعه لهم زرادشت ، فقتل بهرام هذا مانياً وصلبه على باب^(٣) من أبواب مدينة من مدنه بالعراق؛ فيُدعى ذلك الباب إلى آخر وقت باب ماني . وكانت مدة ملك بهرام ثلاثاً وثلاثين سنة وثلاثة أشهر .

ثم ملك بعده أبنة بهرام بن بهرام . قال : ولما ملك أقبل في أول ملكه على اللهو والصيد والنزه ، وترك ملكه لا يفكر فيه ولا في رعيته؛ فخربت البلاد وتقصت

(١) النيرجات : جمع نيرج . والنيرج : أخذ كالسحر وليس بسحر ، إنما هو تشبيه وتلبس .
 (٢) حرز الشئ : قدره بالحدس . (٣) في تاريخ الطبري (ص ٨٣٤ من القسم الأول طبع أودبا) : « فأمر بقتله وسلخ جلده وحشوه تبناً وتعليقه على باب من أبواب جنديسابور يدعى باب الماني » . (٤) في تاريخ الطبري : « ثلاث سنين » .

- بيوت الأموال . فلما كان في بعض الأحيان ركب الى بعض ممتلكاته وصيده
بجته الليل وهو يسير نحو اللدائن، وكانت ليلة قراء . فلما بالمؤيد لأمر خطريه،
والمؤيد عند الجوس كالقسيس عند النصارى ، فجعل يحادثه فتوسطا في مسيرهم
بين خرابات كانت من أمهات الضياع تقربت في ملكه ، وإذا بوم يصيح وآخر
يجلوه ، فقال الملك : أرى أحدا من الناس أعطى قهَم ما يقول هذا الطائر ؟
فقال المؤيد : أنا أيها الملك من خصه الله تعالى بذلك . قال : فما يقول هذا
الطائر، وما يقول الآخر؟ فقال المؤيد : هذا بوم ذكر يخاطب بومة أنثى ويقول :
متعني من هسك حتى يخرج من بيننا أولاد يسبحون الله تعالى . فأجابته البومة :
إن الذي دعوتني إليه هو الحظ الأكبر ، والنصيب الأوفر، إلا أنني أشترط عليك
شرايط . فقال : وما هي؟ قالت : أن تُعطيني من خرابات الديار عشرين
قرية مما تحريت في أيام هذا الملك السعيد . فقال له الملك : فما الذي قال الذكر ؟
قال المؤيد : كان من قوله لما : إن دامت أيام هذا الملك السعيد أقطعك منها ألف
قرية ، فما تصنعين بها؟ قالت : في اجتماعنا ظهور النسل وكثرة الولد ، فتقطع كل
واحد من الأولاد ضيعة . فقال الذكر : هذا سهل ما حيي الملك .
- ١٥ فلما سمع الملك هذا الكلام من المؤيد عمِل في نفسه وفكر فيما خوطب به ،
فزل من ساعته وخلا بالمؤيد وقال له : ما هذا الكلام الذي خاطبني به؟ قد حركت
منى ما كان ساكنا . فقال : صادفت من الملك وقت سجد بالعباد والبلاد، فجعلت
الكلام مثلا وموقفا على لسان الطائر عند سؤال الملك لإي . فقال له الملك :
أيها الناصح لك ، [النبه على^(١)] ما أعقله من أمور ملكه ، وأضاعه من أمور بلاده
ورعيته ، أكشف لي عن هذا الغرض ما المراد منه . فقال له : أيها الملك ! إن الملك

(١) الحكمة من مروج الذهب للسعودي (ج ١ ص ١٢١ طبع بلاق) .

لا يتم إلا بالشرعية والقيام لله بطاعته ، ولا قيام للشرعية إلا بالملك ، ولا عز للملك إلا بالرجال ، ولا قيام للرجال إلا بالمال ، ولا سبيل للمال إلا بالعارة ، ولا سبيل للعارة إلا بالعدل ، والعدل هو الميزان المنصوب بين البرية ، نصبه الرب وجعل له قياً وهو الملك .

قال : أما ما وصفت حتى ، فأين لي عما إليه تقصد ، وأوضح لي في البيان .

قال : نعم أيها الملك ! عمدت إلى الضياع فأقطعها الخدم وأهل البطالة فعمدوا إلى ما تعجل من غلاتها فاستعجلوا المنفعة وتركوا العارة والنظر في العواقب وما يصلح الضياع ، وسومحوا في الخراج لقرههم من الملك ، ووقع الحيف على الرعية وعمّار الضياع فأنجّلوا عن ضياعهم ، وقلّت الأموال ، وهلكت اليد والرعية ، وطمع في ملك فارس من طمع فيه من الملوك والأمم ، لعلمهم بانقطاع المواد التي بها تستقيم دعائم الملك . فلما سمع الملك ذلك أقام في موضعه ثلاثة أيام ، وأحضر الوزراء والكباب وأرباب الدواوين ، فانتزعت الضياع من أيدي الخاصة والحاشية وردّت إلى أربابها ، وحملوا على رسومهم السالفة ، وأخذوا بالعارة ، وقوي من ضعف منهم ، وعمرت البلاد ، وكثرت الأموال ، وقويت الجند ، وانتظم ملكه حتى كانت أيامه تدعى بالأعياد ، لما عم الناس من الخصب ، وشملهم من العدل . وكان ملكه سبع عشرة سنة .

ثم ملك أبنة بهرام بن بهرام بن بهرام البطل ، وكان يدعى شكان شاه ، وهو الذي يقال له شاهنشاه . فكان ملكه أربعين سنة وأربعة أشهر .

ثم ملك بعده أخوه نرسی بن بهرام الثاني فكان ملكه تسع سنين . وقيل سبع سنين وخمسة أشهر .

(١) شاهنشاه : معناه ملك الملوك . (٢) في تاريخ الطبري : « أربع سنين » .

ثم ملك بعده هرمز بن هرمز . قال : وكان فظا إلا أنه كان يرفق بالرعية ، وكان حسن السيرة فيهم . وكان ملكه سبع سنين وخمسة أشهر .

ثم ملك بعده سابور بن هرمز ، وهو الملقب بذي الأكتاف . وكان هرمز قد تركه حملا في بطن أمه ، فعقدوا الناج على بطنها ، وقام الوزراء بتدبير الأمر مدة حملها ، وفي مدة رضاع سابور وطفولته وصغره حتى كبر ، فكتب إليه الناس الكتب من الآفاق وأجابهم ، ووجه البريد إلى الآفاق والأطراف ، ورتب الوزراء والكتّاب وقزر العمال .

قال : وكان قد شاع في الممالك أن ملك الفرس صغير السن ، وأنه يتدبر

برأى وزرائه ، ولا يدري ما يراد منه ، ولا ما يكون من الأمر ، فطمع في مملكة

الفرس الترك والروم والعرب . وكانت أدنى بلاد الأعداء إلى الفرس بلاد

العرب . وكانت العرب من أحوج الأمم إلى تناول شيء من المعاش لسوء

حالهم وشظف عيشتهم ، فانبسطت أيديهم في البلاد وغلبوا أهلها عليها وآتست

حالهم وكثرت مواشيتهم ، وأفسدوا في بلاد فارس ، ومكثوا كذلك حيناً ، وقد أمنوا

جانب الفرس وأطمأنوا من قتالهم لقلّة هيبتهم . وكان الذي غلب على سواد العراق

من العرب جمره العرب ولد إباد بن نزار . وكان يقال لها طبق لإطباقتها على البلاد ،

وملكها يومئذ الحارث بن الأغبر الإيادي . قال : ولما ترعرع سابور جعل

الوزراء يمرضون عليه أمر الجنود الذين في الثغور ، وأن الأخبار وردت عليهم أن

أكثرهم قد أخل ، وعظّموا عليه الأمر وهولوه ، فقال لهم : لا يهولنكم ذلك ، فالخطب

فيه غير جسيم ، والحيلة في ذلك يسيرة . وأمر الكتّاب أن يكتبوا إلى أولئك الجنود

أنه قد انتهى إلى طول مكثكم في النواحي التي أتم فيها ، وعظّم عنايتكم وذبحكم عن

إخوانكم وأولياكم ، فمن أحب منكم الانصراف إلى أهله فليصرف ما دونه في ذلك ،

ومن أحب أن يستكمل الفضل بالصبر في موضعه عرفنا له ذلك ؛ وتقدم الى من
اختر الانصراف منهم بلزوم أهله وبلاده الى وقت الحاجة إليه . فلما سمع الوزراء
قوله ورأيه استحسونه وقالوا : لو كان هذا قد أطال تجربة الأمور وسياسة الجنود
مازاد على ماسمعناه . ثم نتابعت آراؤه في تقويم أصحابه وقمع أعدائه ؛ حتى إذا تمت
له ستُّ عشرة سنة جمع أساورته وأمرهم بالاستعداد لقتال العرب . وكانت إياد
تصيف بالجزيرة ونشئوا بالعراق . وكان في جيش سابور رجل منهم يقال له لقيط ،
فكتب الى إياد شعرا يندرهم وهو :

سلامٌ في الصحيفة من لقيط
الى من بالجزيرة من إياد
بأن الليث آتيكم دليفاً^(٢)
فلا يجبسكم سهوقُ النقاد
أناكم منهم سبعون ألفاً^(٣)
يزجون الكتاب كالجراد

(١) هو لقيط بن بكر ، شاعر جاهليّ قديم مقل ، كما ورد في كتاب الأغاني (ج ٢٠ ص ٢٣ طبع بلاق) .
وفي المؤلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم للأمدى (ص ١٧٥ طبع مصر) وكتاب الاشتقاق لابن دريد
(ص ١٠٤ طبع أوربا) : « لقيط بن عبد الإيادي » . وفي كتاب « منتهى الطلب من أشعار العرب »
لمحمد بن المبارك المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٣ أدب ش خمس ورقات
(من ص ٣٥٠ - ٣٥٩) كتب في أولها : « ديوان شعر لقيط بن يعمر الإيادي » ، وتشتمل هذه
الورقات على الأبيات المذكورة هنا وقصيدته العينية المشهورة التي مطلعها :

يادار عمسرة من محلها الجرعا هاجت لي الهم والأحزان والوجعا

(٢) كذا في شرح القاموس مادة « دلف » والمؤلف والمختلف . وفي الأصول : « يا أيكم دلافا »
وهو تحريف . وورد هذا البيت في الأغاني ومنتهى الطلب هكذا :

بأن الليث كسرى قد أناكم فلا يشغلكم سوقُ النقاد

وقوله : « آتيكم دليفا » يريد : يمضي متى المقيد . والنقاد : الغم .

(٣) في المؤلف والمختلف ومنتهى الطلب :

* أناكم منهم مسنون ألفا *

فلم يعبثوا بكتابه ، وسراياهم تَكَرَّ نحو العراق وتُنير على السواد . فلما تجهَّز القوم نحوهم ظفروهم سابور فعمهم بالقتل ، وما أفلت منهم إلا نفرٌ لحقوا بأرض وبارٍ ،^(١) وخاع سابور أكثاف كثير منهم ، فلذلك سُمِّيَ ذا الأكتاف . وكان سابور في مسيره أتى البحرين وفيها بنو تميم فهربوا ، وشيخها يومئذ عمرو بن تميم بن مرة وعمره ثلثمائة سنة ، وكان يُعاقب في عمود البيت في قُفَّة ، فأرادوا حمله فأبى عليهم إلا أن يتركوه في ديارهم وقال لهم : أنا هالك اليوم أو غدا فتركوه . فلما صبحت خيل سابور الديار لقوها خالية ، فلما سمع عمرو صهيل الخيل جعل يصيح بصوت ضعيف ، فحمل إلى سابور ، فلما نظر إلى دلائل الحرم ومزور الأيام عليه قال له : من أنت أيها الفاني ؟ قال : أنا عمرو بن تميم بن مرة ، قد بلغت من الكبر ما ترى ، وقد هرب الناس منك لإسرافك في القتل ، فأثرت الفناء على يديك ليبقى من بقى من قومي ، ولعل الله يُجرى على يديك فرَجهم ، وأنا سائلك عن أمر إن أذنت فيه ؛ فقال سابور : قُلْ نَسْمَعُ ؛ فقال : ما الذي حملك على قتل رعيتك من رجال العرب ؟ فقال سابور : أقتلهم لما ارتكبوا في بلادى وأهل مملكتي ؛ فقال عمرو : فعلوا ذلك ولست بقمٍ عليهم ؛ فلما ملكت وقفوا عما كانوا عليه من الفساد هيبة لك ؛ قال سابور : وأقتلهم لأننا نجد في مخزون علمنا وما سلف من أبناء أوائلنا أن العرب ستُدال علينا . فقال عمرو : هذا أمر تظنه أم تتحققه ؟ قال : بل أتحققه ولا بد أن يكون ؛ فقال عمرو : فلمَ تَسئُ إليها؟ والله لئن تُبقي عليها وتُحسن إليها ليكافئون قومك عند إدالة الدول إليهم بإحسانك ، وإن أنت طالت بك المدة كافئوك عند مصير الأمر إليهم إن كان حقا ، وإن كان باطلا فلمَ نتعجل الإثم وتَسفِك دماء رعيتك ؟ فقال

٢٠ (١) في مروج الذهب للسمودي (ج ١ ص ١٢٢) «أرض الروم» ، و «دبار» على وزن قطام وحذام : أرض واقعة ما بين الشحرال تخوم صنداء . (انظر معجم البلدان لياقوت) .

سابور : الأمر صحيح والحق ما قلت ، ولقد صدقت في القول ونصحت .
فنادى منادى سابور بأمان الناس ورَفَع السيف . ويقال : إن عمرا بقي بعد هذا
الوقت ثمانين سنة .

ثم سار سابور إلى أرض الروم ففتح المدن وقتل خلائق من الروم وقال لمن
معه : إني أريد أن أدخل بلاد الروم متنكرا لأتعرّف أحوالهم وسيرهم ومسالك^(١)
بلادهم ، فإذا بلغتُ من ذلك حاجتي انصرفت إلى بلدي فسرت إليهم بالجنود ؛

فخذروه التفرير بنفسه فلم يقبل قولهم . وسار متنكرا إلى أرض القسطنطينية فصادف
وليمة لِقَيْصَرَ اجتمع فيها النخاس والعام ، فدخل في جملتهم وجلس على بعض
موائدهم ، وقد كان قيصرُ أمر مصورا أتى عسكر سابور فصوره وجاء إلى قيصر
بالصورة ، فأمر بها فصورت على آية الشراب من الذهب والفضة ، وأتى
بعض من كان على المائدة التي عليها سابور بكأس ، فنظر بعض الخدم إلى الصورة
التي على الكأس ، وسابور مقابل له ، فانظبت مثالا لصورة سابور ، فقام إلى
الملك فأخبره ، فقتل بين يدي الملك ، فسأله عن خبره فقال : أنا من أساورة
سابور وهربت منه لأمر خفته منه . فلم يقبل ذلك منه ، وقدم إلى السيف فأقر
بنفسه ، فجعل في جلد بقرة ، وسار قيصر في جنود حتى توسط العراق ، فافتتح
المدن ، وشن الغارات ، وعقر النخل ، وانهى إلى مدينة نيسابور ، وقد تحصن بها
وجوه فارس ، فترل عليها وحضر عيدا للنصارى فأغفل الموكلون بسابور أمره ،
وأخذ منهم الشراب ، وكان بالقرب من سابور أسارى من الفرس ، فراطنهم بالفارسية
أن يحل بعضهم بعضا ، وأمرهم أن يصبوا عليه زقاق الزيت ففعلوا ، فلان عليه^(٢)

(١) كذا في كتاب المعارف لابن قتيبة (ص ٣٢٤ طبع أوزبا) . وفي الأصل : « مالك » .

(٢) كذا في مروج الذهب للسعودي (ج ١ ص ١٢٤ طبع بلاق) . وفي الأصل : « إليه » .

(٣) الزقاق : جمع زق (بالكسر) ، والزق جلد يجر ولا يتف يستعمل للشراب وغيره .

الجلد وتخلص ، وأتى المدينة فراطنهم فرفعوه بالجمال ، ففتح خزائن السلاح وخرج على الروم فكبس جيشهم عند ضرب النواقيس ، فانهزم الروم ، وأتى بقيصر أسيرا ، فأبقى عليه وضم إليه من أسير من أصحابه ، وأخذهم بغرس الزيتون بالعراق بدلا من النخل التي عقروها ؛ ولم يكن الزيتون بالعراق قبل ذلك . وفي فعل سابور ودخوله الى أرض الروم يقول بعض شعراء الفرس :

- وكان سابورُ صَفَوا في أرومته * إختيار منها فاضحى خير مختار
 إذ كان بالروم جاسوسا يجول بها * حوم المنية من ذى كيد مكار^(١)
 فاستأسروه ، وكانت كبة عجبا * وزلة سبقت من غير عثار
 وأصبح الملك الرومى مغتربا * أرض العراق على هول وأخطار
 فراطن الفرس بالأبواب فافترقوا * كما تجاوب أسد الغاب بالفار^(٢)
 بحدّ بالسيف أصل الروم فامتحقوا * لله درك من طلاب أوتار
 إذ يغرسون من الزيتون ماعضدوا * من النخيل وما حفوا بمنشار^(٣)
 وسابور هذا هو الذى بنى الإيوان المعروف بإيوان كسرى ، وبنى السوس^(٤)
 والكرج ونيسابور . قال صاحب كتاب تجارب الأمم : وبنى بالسواد مدينة^(٥)
 نرجس سابور ، وبنى الأنبار . قال : وبنى مدائن أحر بالسند وبمجستان ، ونقل^(٦)
 (١) كذا فى مروج الذهب . وفى الأصل : « جزل البرية » . (٢) كذا فى مروج الذهب .
 وفى الأصل : « الفار » . (٣) السوس : مدينة قديمة بمجوزستان فيها قبر دانيال النبي ولها بساتين
 وورد فى معجم البلدان لياقوت أن أول من بنى كور السوس وحضر أنهرها رديشير بن نهجن . (٤) الكرج :
 وتسمى قديما إيريا ، وهى بين جبال القبيج من الشمال وأرمينية وأران من الجنوب ؛ وأشهر مدنها : قفليس
 وباكو . واسم الكرج مشتق من نهر الكر الذى يجرى هناك ؛ وهى إقليم القوقاز الآن . (٥) نيسابور :
 حاضرة خراسان ، واسمها أيضا « نساور » وكانت قاعدة الدولة الظاهرية (٢٠٥ - ٢٥٩ هـ) .
 (٦) الأنبار : هى « فيروز سابور » مدينة بالعراق بينها وبين بغداد ١٠ فراسخ على نهر الفرات
 قرب مخرج نهر عيسى . واختلف المؤرخون فىمن بناها ، فقيل هو سابور بن هرمز (ذو الأكاف)
 كما أورده المؤلف هنا . وقال ابن الأثير : بنيت الحسيرة والأنبار أيام بختنصر . وفتحت هذه المدينة
 فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه سنة ١٢ من الهجرة على يد خالد بن الوليد رضى الله عنه .

٤
٣

طيبيا من الهند وأسكنه السوس، فورث طَبَهُ أهلُ السوس . وهلك سابور بعد
أثنتين وسبعين سنة من ملكه .

ثم ملك بعده أردشير بن هرم وهو أخو سابور بن هرم هذا . قال :
ولما ملك ظهر منه شر كثير وقتل من العطاء وذوى الرياسة خلقا كثيرا، فاجتمع
الناس على خلعه فخلعوه بعد أن ملك أربع سنين .

ثم ملكوا عليهم بعده سابور بن سابور . قال : ولما ملك استبشرت الرعية
برجوع ملك أبيه إليه، فأحسن السيرة ورفق بالرعية . وكانت له حروب كثيرة
مع إياد بن نزار وغيرها [من العرب ^(١)]، وفيه يقول شاعر إيادى :

على رغم سابور بز سابور أصبحت * قبابُ إياد حولها الخيل والنعم

وكان ملكه خمس سنين وأربعة أشهر، وسقط عليه فسطاط كان ضرب عليه فات .

وملك بعده أخوه بهرام بن سابور ذى الأكتاف، وهو الملقب كَرْمَان شاه؛
لأن سابور كان ولّاه كَرْمَان . قال : وكان حسن السيرة، جميل السياسة، محمود
الأثر، محببا للرعية . وكان ملكه عشر سنين . وقيل إحدى عشرة سنة وخمسة
أشهر وثمانية عشر يوما .

وملك بعده ابنه يزيد جرد بن بهرام المعروف بالأنيم . قال : وكان فظا غليظا ،
ذا عيوب كثيرة ، وكان من أشد عيوبه وضعه ما آتاه الله من ذكاء ذهن وحنن
أدب فى غير موضعهما ؛ وذلك أنه كان كثير الروية فى المضاز من الأمور، واستعمل
الذى أوتيه فى الدهاء والحيل، واستخف بكل علم كان عند الناس، وأحتقر آدابهم،
وتعاطف عليهم واستطال بما عنده . وكان معجبا بنفسه سىء الخلق، حتى بلغ من
شدته وحدته أنه كان يستعظم صغار الزلات، ولا يرضى فى عقوبتها إلا بما لا يُستطاع .

(١) الزيادة من مرجع الذهب .

- وكان لا يقدر أحد من بطانته - وإن كان لطيف المنزلة منه - أن يشفع عنده لمن أبتلي به وإن كان ذنب المبتلى به يسيرا، ولم يكن يأتمن أحدا على شيء ألبتة، ولا يكافئ على حسن البلاء . وكان يعتد بالخسيس من المعروف إذا أولاه ويستجزل ذلك ، فإن جسر على كلامه أحد في أمر قال له : ما قدر جعالتك في هذا الأمر الذي كلمتنا فيه ، وما الذي بُذل لك بسببه ؟ وما أشبه ذلك . فلما اشتدت بليّة الناس به ، وكثرت إهانتة للعظماء ، وأكثر من سفك الدماء ، واستعمل الضعفاء في الأعمال الشاقة ، وحماتهم ما لا طاقة لهم به ، تضرعوا الى الله عز وجل وسألوه أن يُنقذهم منه . فزعم الفرس أنه كان ذات يوم مطلقا من قصره إذ رأى فرسا عاثرا لم ير مثله قط في الخيل من حسن الصورة وتمام الحلقة حتى وقف على بابه ، فتعجب الناس من ذلك ، فأمر يزدجرد أن يُسرح ويُلجم ويُدخل عليه به ، فحاول السؤاس وأصحاب المراكيب أن يلجموه أو يسرحوه فعيجزوا عن ذلك ، ولا مكثهم الفرس من نفسه ، فخرج يزدجرد بنفسه الى الفرس وتقدم اليه وأسرجه وألجمه وليبه وهو لم يتحرك ، فلما استدار ورفع ذنبه ليُثفره^(١) رجمه الفرس على فؤاده رحمة فهلك منها لساعته ، ثم لم يعاين الفرس بعد ذلك ؛ فأكثر الفرس في حديثه فظنوا الظنون . وكان أحسنهم مذهبا وأمثلهم طريقة من قال : إنما استجاب الله عز وجل دعاءنا . فكان ملكه الى أن هلك إحدى عشرة سنة ونحسة أشهر وثمانية عشر يوما . وقيل اثنتين وعشرين سنة غير شهرين .

قال : وكان أبنته بهرام جور في حجر النعمان بن المنذر بن ماء السماء أسلمه أبوه اليه ليربيّه بالحيرة لصحة هوائها . وقد تقدّم خبره في ذكر بناء الخورنق والسدير .

- ٢٠ (١) أنفذه : وضع الفرس تحت ذنبه . والنقر (بالتحريك ويسكن) السير الذي يوضع في مؤخر الرجل وتحت ذنب الدابة . (٢) راجع (ج ١ ص ٣٨٥ من هذه الطبعة) .

فعدل الفرس عنه لسوء أثر يزدجرد فيهم وملكوا عليهم كسرى ، وهو رجل من عترة
 ساسان ، فاستعان بهرام جور بالعرب وأرسل الى الفرس وأعلمهم إنكاره سيرة أبيه ،
 ووعدهم بإصلاح مافسد ، وأنه إن مضى للملكة سنة ولم يَف لهم بما بذل تبرأ من
 المُلْك طائعا ، فقال اليه قوم وبقيت طائفة مع كسرى ، فتراضوا أن يوضع تاج الملك
 بين أسدين مُشْبَيْنَيْن فن تناوله فهو الملك . وكان بهرام جور شجاعا بطلا ، فلما وقف
 هو وكسرى الى جانب الأسدین هابهما كسرى ، فوثب بهرام جور فإذا هو على ظهر
 الأسد وعصر جنبه بفخذه ، فلما تمكن منه قبض على أذنيه ، ولم يزل يضرب رأس
 الأسد برأس الآخر حتى قتلهما . فكان كسرى أول من هتف به وأذعن له .

٥
 ١٣

فملك بهرام جور بن يزدجرد ؛ فأحسن السيرة ، وجلس سبعة أيام متوالية
 للجند والرعية ، يَعدُّم الخير من نفسه ويحضهم على تقوى الله وطاعته . وكان جلوسه
 على سرير الملك وهو ابن عشرين سنة ، ففبر زمانا وهو يحسن السيرة ، ويعمر البلاد ،
 ويدثر الأرزاق ، ثم أثر اللهو على ذلك وكثرت خلواته بأصحاب الملاهي حتى كثرت
 عليه الملامة من أرباب دولته ، وطَمِع من حوله من الملوك في استباحة بلاده والغلبة
 على مُلكه . وكان أوَّل من سبق الى مغالبتة ومكائرتة خاقان ملك الترك ، وغزاه
 في مائتي ألف وخمسين ألفا من الأتراك ، فبلغ الفرس إقبال الترك في هذه الجموع
 العظيمة فهاهم ذلك ، ودخل على بهرام جور جماعة من عظام الفرس وأهل الرأي
 والنجدة وقالوا : أيها الملك ، قد أرهقك من بائقة عدوك ما يشغلك عما أنت فيه
 من اللهو والتلذذ ، فتأهب له لئلا يلحقك منه أمر يلزمك فيه مسبة وعار . وكان بهرام
 لبقته بنفسه ورأيه يجيب القوم بأن يقول : الله ربنا قوى ونحن أولياؤه . ثم يقبل
 على ما هو عليه من اللهو والصيد .

١٠

١٥

٢٠

- قال: ثم أظهر بهرام جور التجهز الى أذربيجان ليتنسك في بيت نارها، ويتوجه منها الى أرمينية ويتصيد في آجامها، وسار في سبعة رهط من عطاء الفرس وأهل البيوتات، وثلاثمائة رجل من رابطة ذوى بأس وشدة ونجدة، واستخلف أخاله يقال له زيسى على ملكه، فما شك الناس - لما بلغهم ذلك - أنه هرب من خاقان، فتأمر الفرس في مراسلة خاقان والانتقاد الى طاعته والإقرار له بالخراج؛ مخافة منه أن يستبيح بلادهم، فاتصل هذا الخبر بخاقان فاطمأن وترك التحفظ والاستعداد وآثر المسالمة. وتعرف بهرام خبر خاقان وحال جنده وما هم عليه من الطمأنينة والفتور وعدم الاستعداد، فسار بمن معه وبيت خاقان وقتله بيده. فلما علم الأتراك أن ملكهم خاقان قد قتل انهمزوا لا يلوون على شيء وخلفوا أبقالهم وأموالهم. فأكثر بهرام فيهم القتل وأمعن في طلبهم، وحاز غنائم لم يسمع بمثالها، وسبي من ذريتهم كثيرا. وكان مما غنمه تاج خاقان وإكليبه، وغلب على بلاد الترك وانصرف بالظفر والغنائم، وكتب الى أهل مملكته يعلمهم بما حصل له من الظفر بخاقان وجموعه بمن كان معه من أولئك القوم الذين استصحبهم معه.

- وكان بهرام يتكلم بلغات كثيرة، منها اللغة العربية. ومما حُفِظَ من شعره يوم ظَفَرَهُ بخاقان:

أقول له لما فَضَضْتُ جموعه * كأنك لم تسمع بصولات بهرام

وَأَنَّى حامى مُلْكِ فارسِ كُلِّها * وما خير مُلْكٍ لا يكون له حامى

ومن شعره أيضا:

لقد علم الأنام بكل أرض * بأنهم قد أضحوا لي عبيدا

- ملكْتُ ملوكهم وقهرتُ منهم * عزيزهم المسودَّ والمسودا

فتلك أسودهم تينني حذارى * وترهب من مخافتى الورودا
 وكننت إذا تشاوس ملك أرض * عبأت له الكئاب والجنودا
 فيعطيني المقادة أو أوافي * به يشكو السلاسل والقيودا

قال : ولما قُتل خاقان بعث بهرام جور أحد قواده إلى ما وراء النهر ففزاهم
 وأقزوا لبهرام بالعبودية وأداء الجزية . قال : وأسقط بهرام جور عن رعيته لآثر
 هذا الظفر نجاج ثلاث سنين ، وترك ما كان قد بقى من الخراج ولم يُستخرج من
 قسط تلك السنة ، وكان سبعين ألف ألف درهم ، وقسم في الفقراء مالا عظيما
 وفي أهل البيوتات والأحساب عشرين ألف ألف درهم ، وتَحَلَّ بيت النار $\frac{1}{2}$
 بأذر بيجان جميع غنمه من الترك من اليواقيت والجواهر والتجاج والإكليل .
 ويقال إن بهرام دخل إلى أرض الهند متنكرا فكث حيننا لا يُعرف حتى بلغه أن
 فيلا قد هاج وقطع السبل وأهلك الناس ، فسألم أن يدُلوه عليه ، فرُفِع أمره إلى الملك
 فأرسل معه رسولا ، فلما انتهى إليه أوفى الرسول على شجرة لينظر ما يصنع بهرام مع الفيل ،
 فصرخ بالفيل فخرج إليه ، فجعل يرميه ويثبث الشَّاب بين عينيه ، ثم دنا وأخذ بمشفره
 وجذبه جذبة نخرت منها الفيل ، ثم أحتر رأسه وأقبل به إلى الملك فجاه وأحسن إليه .

ثم إن ملكا من أعداء ذلك الملك أقبل لغزوه بجزع ذلك الملك من كثرة
 جنود الملك الذى أتى نحوه ، فقال له بهرام : لا يهولتك أيها الملك أمره ؛
 فركب بهرام وقال لأساورة الهند : احموا ظهري ، وانظروا إلى عملى ، وكانوا لا يُحْسِنون
 الرمي ، وأكثرهم رجالة ، فحمل عليهم حملة هذم بها ، ثم جعل يضرب الرجل فيقطعاه

(١) في مروج الذهب للسعودى « تقى » ، والإفناء : أن يلقى آليته بالأرض . ينصب ساقه

ويضع يديه على الأرض . (٢) تشاوس إليه ، نظر إليه بمؤخر العين تكبرا .

(٣) أوفى : أشرف عليها .

- نصفين ، ويأتي الفيل فيضرب مشفره ويكبه ويأخذ من عليه فيقتله ، ويأخذ الفارس فيذبحه على قربوس سرجه ، ويتناول الرجلين فيضرب أحدهما بالآخر فيموتان جميعا ، ويرى فلا تقع له تشابة إلا في رجل ، فولوا أمامه منهزمين ، وحمل الذين كانوا يجرسون ظهره عليهم فأكثروا القتل فيهم ، فزوجه ملك الهند بنته وتحملة الديبل^(١) ومكران وما يليهما من أرض السند وأشهد له بذلك ، وأنصرف بهرام جور إلى مملكته وضم ذلك إلى بلاده وحمل خراجها إليه ، ثم أغزى بهرام جور أخاه نرسی إلى بلاد الروم في أربعين ألفا فدخل القسطنطينية وهادن ملك الروم على إتاةة يحملها إلى أخيه . ثم مضى بهرام جور إلى أرض السودان على طريق اليمن فأوقع بهم وعاد إلى مملكته وهلك بعد ذلك في ماء . وذلك أنه توجه إلى الصيد فشد على صير وأمن في طلبه ، فارتطم في ماء في سبحة ففرق فيه ، فسارت أمه إلى ذلك الموضوع بمال عظيم ونزلت بالقرب منه ، وأمرت بإنفاق تلك الأموال على من يخرجها ، فنقلوا طينا عظيما وحماة كثيرة حتى صار من ذلك آكاما عظاما ولم يقدروا على [استنقاذ^(٢)] جثته . وكان ملكه ثلاثا وعشرين سنة .

- وحكى عنه في صغره ما يدل على نباهته ، وجودة فكرته وجميل رأيه . فن ذلك أنه قال للنعمان بن المنذر لما بلغ عمره خمس سنين : أحضر لي مؤدبين ليعلموني الكتابة والفقه والرماية والفروسية . فقال له المنذر : إنك بعد صغير السن ، ولم يأن لك ذلك بعد . فقال له بهرام : أما تعلم أيها الرجل أني من ولد الملوك ، وأن الملك

(١) الديبل (فتح الدال المشددة وسكون الياء التحتية وضم الباء الموحدة) : بلد صغير شديد الحر على شط ماء السند ، وهي من أكبر فرضه وأشهرها ، وبها سمم كثير ، ويجلب إليها التمر من البصرة ، ويجلب منها المتاع الديبل . ومكران (بضم الميم وسكون الكاف) : بلدة من بلاد كرمان ، وهي ناحية واسعة عريضة ، والغالب عليها المفاوز والقحط والضيق ١٥ ملخصا من كتاب تقويم البلدان لأبي القداء ، طبع باريس .

(٢) الزيادة عن كتاب غرر ملوك القرس وسيرهم للثعالبي (ص ٥٦٨ طبع أوروبا) .

صائر إلى ، وأولى ما كُلف به الملوك وطلبوه صالح العلم ؛ لانه زين لهم وركن ، وبه يعرفون . أما تعلم أن كل ما يُتقدم في طلبه ، ينال في وقته ، وما لم يُتقدم فيه ويطلب في وقته ، يُنال في غير وقته ، وما يُقرط فيه وفي طلبه يفوت ولا يُنال ؟ عجّل على بما سألتك . فبعث المنذر من ساعته إلى باب الملك من أتاه برهط من المعلمين الفقهاء والرماة ، وجمع له حكام الروم وفارس وغيرهم ، وألزمهم إياه ، ووقت أوقاتا لكل منهم ؛ فتعلم بهرام من كل علم أحسنه ، وسمع الحكمة ووعى ما سمع منها ، وثقف كل ما علم بأبسر شيء ، وبلغ أربع عشرة سنة ، وقد فاق معلميه ، وحفظ للنعمان حق التربية ، فلكه على العرب لما صار الملك إليه .

ولما هلك بهرام جور ملك بعده ابنه يزدجرد بن بهرام جور ؛ فسار بسيرة أبيه ؛ ولم يزل قاما لعدوه ، كثير الرفق برعيته . وكان له آبنان أحدهما يسمى هرمز ، والآخرفيروز . ودام ملك يزدجرد تسع عشرة سنة ، وقيل ثمانى عشرة سنة وأربعة أشهر وثمانية عشر يوما ثم هلك .

$\frac{1}{3}$ فتغلب على الملك بعده ابنه هرمز بن يزدجرد . ولما ملك هرمز هرب منه فيروز ولحق ببلاد الهياطلة^(١) ، وأخبر ملكها بقصته وقصة أخيه هرمز ، وذكر أنه أحق منه بالملك ، وسأله أن يمده بجيش يقاتل به أخاه ، فأبى عليه ملك الهياطلة وقال : سأعلم خبره ثم أسرك بعد ذلك بما تفعل . وكشف ملك الهياطلة عن خبر هرمز وتعترف أحواله فبان أنه غشوم ظلوم ؛ فقال عند ذلك : إن الجور لا يرضاه الله تعالى ، ولا يصلح عليه الملك ، ولا تقوم به سياسته ؛ وأمد فيروز بالعساكر ودفع له الطالقان^(٢) ؛ فأقبل فيروز من عنده بجيش طخارستان وطوائف خراسان ، فظفر بأخيه فحبسه .

(١) الهياطلة : الصغد ، وهم بين بخارى وسمرقند .

(٢) طالقان : بلدة بخراسان بين مرو الروذ وبلخ بينها وبين مرو الروذ ثلاث مراحل وهي أكبر مدينة بطخارستان . (معجم البلدان لياقوت) .

وملك فيروز بن يزيد جرد . ولما ملك أظهر العدل وحسن السيرة ، وكان يتدين إلا أنه كان مشغولاً على رعيته ، فقحط الناس في زمانه سبع سنين ، فأحسن فيها إلى الناس ، وقسم ما في بيوت الأموال . ويقال : إن الأنهار غارت في مدة القحط ، وكذلك القنى والعيون ، وقُلت الأشجار والفياض ، وهلكت الوحوش والطير ، وجاءت الدواب حتى كادت لا تطيق الجمولة ، وعم أهل البلاد الجهد والمجاعة ، فبلغ من حسن سياسة فيروز لهذا الأمر أن كتب إلى جميع الرعية : أنه لاخراج عليكم ولا جزية ولا سخرة ، وأنه قد ملكهم أنفسهم ، وأمرهم بالسعى فيما يقوتهم ويصلحهم ، وكتب بإخراج ما في المطامير من الأطعمة وقسمها في الناس ، وترك الاستئثار عنهم وتساوى بهم ، وأخبر أهل القنى والشرف ، بكل مدينة وقرية ، أنه إن بلغه أن إنساناً مات جوعاً عاقب أهل تلك المدينة أو الجهة التي يموت بها ، وينكّل بهم أشد النكال . فقيل إنه لم يهلك في هذا القحط والمجاعة من رعيته إلا رجل واحد من رُستاق .^(١)

قال : ثم أغاثه الله فأمرت السماء ، وجرت الأنهار ونبتت العيون ، وصلحت الأشجار ، وسميت المواشي ؛ فاستوثق له الملك ، وأخذ في غزو أعدائه وقهرهم . وبني مدناً إحداها بين جرجان [و باب صول]^(٢) وأخرى بناحية آذر بيجان . ثم سار بجنوده نحو خراسان لقصده حرب أخشنوار ملك الهياطلة لأشياء كانت في نفسه ، ولأن الهياطلة كانوا يأتون الذكران ويركبون الفواحش فسار إليهم ؛ فلما

(١) رستاق (بضم الراء) : مدينة بخارس من ناحية كرمان .

(٢) التكلة بن الطبرى (ص ٨٧٤ من القسم الأول) .

(٣) كذا في تاريخ الطبرى وكتاب المعارف لابن قتيبة (ص ٣٢٧) . وفي الأصل «أخشنوار» .

بلغ أخشنوار ملك الهياطلة خبره خافه وأشتد رعبه منه ، وعلم أنه لا طاقة له به ، وأن جيشه يضعف عن مقابلة الجيوش التي أقبل بها فيروز فخار في أمره ؛ فتقدم إليه رجل كبير السن من أهل بلاده وقال : أنا أفدى الملك وأهل مملكته بنفسى ، فليأمر الملك بقطع يدي ورجلي ويؤثر في جسدي آثار العقوبة بضرب الشياطين ، ويُلقني في الطريق التي يمر فيروز بها ، ويُحسن إلى ولدي وعيالي الذين خلفهم ؛ ففعل به ذلك وأمر بإلقائه في الطريق . فلما مر به فيروز أنكر حاله ، فأخبره أن أخشنوار فعل به ذلك ؛ لأنه أشار عليه بالانقياد إلى طاعة فيروز والإقرار بعبوديته ، وأن يحمل إليه من الأموال والتحف ما يرضيه ؛ فرق له الملك فيروز ورحمه وأمر بحمله معه ، فنهاه أكبر قومه عن تقريبه فلم يرجع إليهم ، ثم قال له ذلك الأقطع كالنتصح^(١) له : أنا أدلّ الملك على طريق مختصر تدخل منه في مفازة إلى بلاد أخشنوار ، فتصادف غمرته ؛ وسأله أن يشتفى له منه . فاعتز فيروز بذلك ؛ وأخذ الأقطع بفيروز ومن معه وعدل بهم عن الطريق الجادة وشرع يقطع بهم مفازة بعد مفازة . فلما شكوا العطش مناهم بقرب الماء وقطع المفازة . ولم يزل يتقدم بهم حتى بلغ بهم موضعا علم أنهم لا يقدرون فيه على التقدم ولا الرجوع ، فتبين لهم أمره ، فعندها سقط في أيدي القوم وقالوا لفيروز : ألم تنهك عن هذا الرجل فلم تنته؟ فهلك أكثر أصحابه من العطش ، ومضى على وجهه بمن نجا معه ؛ فوافى أخشنوار وقومه ؛ وهو ومن نجا معه على أسوأ حال ، وقد أجهدهم العطش ، فدعوا أخشنوار إلى الصاح على أن يُخلى سبيلهم وينصرفوا إلى بلادهم ، وعاهدوه على ألا يغزوه أبدا ، فرضى أخشنوار بذلك وحصل اتفاقهما على أن يجعل بينهما حدا لا يتجاوزه واحد منهما ، ووضع عند الحد حجر ، وحلقه أخشنوار أنه لا يتجاوز ذلك الحجر ،

٥

١٠

١٥

٢٠

حلف له وأخذ عليه المهود والمواثيق وأطلقه أخشنوار ، فعاد فيروز إلى بلاده .

- فلما سار إلى مملكته داخلته الحمية وحملته الأنفة على محاربة أخشنوار والغدر به ، فنهاه أهل مملكته عن ذلك وقبحوا عليه نقض المهود والمواثيق ، فلم يرجع إلى أقوالهم وأبى إلا غزوه . وسار بجيوشه حتى أتى الحد الذي بينهما والمجر الذي حلف أنه لا يتجاوز به إلى بلاد الهياطلة ، فأمر فيروز بالمجر أن يصمد فيه خمسون فيلا وثلاثمائة رجل ، بغيره أمامه وأمر العسكر ألا يتجاوز ذلك المجر ولا يتقدم الفيلة ، وزعم أنه يكون قد وفى بيمينه ولم يتجاوز ما عاهد عليه . فلما بلغ أخشنوار ذلك أرسل إليه يقول : إن الله عز وجل لا يُخادع ولا يُؤاخر ، ونهاه عن الغدر وقبحه عليه ، وهو لا يكثر بقوله ، وأحجم أخشنوار عن محاربة فيروز وكرهها ، ثم أعمل الفكرة وأخذ يفكر في وجوه المكاييد والمكر والخداع ، فحفر حول عسكره خندقاً عرضه عشرة أذرع ، وعمقه عشرون ذراعاً ، وغطاه بخشب ضعيف وألقى عليه التراب ، ثم ارتحل بمن معه ومضى غير بعيد ، فبلغ فيروز رحيل أخشنوار فيجند من معسكره ، فاشك أنه انهزم منه ، فركب في طلبه وأعد السير فيجوده — وكان مسلحهم على الخندق —
- فلما مروا عليه تردى فيروز وعامة جنوده فيه فهلكوا عن آخرهم وعطف عليهم أخشنوار وأحتوى على كل شيء ، كان في معسكر فيروز ، وأسر موبدآن موبدآ وجماعة من نساء فيروز ممن دخت ابنة فيروز ، فكان هذا عاقبة مكره . وكان ملكه سبعا وعشرين سنة .

- ولما هلك تنازع الملك بعده أبناء قباذ وبلاش ؛ فلك بلاش بن فيروز ابن يزيد جرد . وكان حسن السيرة حريصاً على العماره ؛ وبلغ من حسن نظره أنه كان لا يبلغه أن يتأخر بوجلا عنه أهله إلا عاقب صاحب القرية التي فيها ذلك

البيت على تركهم إناش أهله وسد فاقتم حتى لا يضطرون إلى الجلاء عن
أوطانهم . ثم هلك بعد أربع سنين .

وملك بعده أخوه قباد بن فيروز . قال : وكان قباد لما ملك أخوه بلاش
سار إلى خاقان يستنصره على أخيه ويذكر أنه أحق منه بالملك ؛ فقله بذلك
أربع سنين ثم جهزه بجيش ، فلما عاد وبلغ نيسابور بلغه وفاة أخيه بلاش . وكان
قباد في مسيره إلى خاقان مر على نيسابور متنكرا وترجج بها بأبنة رجل من الأساورة
وواقعها ، فحملت منه بأنوشروان وتركها بنيسابور ، فلما عاد في هذا الوقت سأل
عن الجارية فأتي بها وأبنة منها أنوشروان ، فترك بهما وفرح بابنه ، ثم عاد إلى بلاد
فارس وبني مدينة أرجان وحلوان وعدة مدن أخر .

قل : وكان لقباد خال يقال له سونرا وقيل فيه : ساخورا ، وكان يحلف فيروز
والد قباد على مدينة الملك بالمداين ، فجمع جموعا كثيرة من الفرس وقصد أخشنوار
ملك الهياطلة وحاربه وأنتقم منه وأستقذ جميع من كان أسره من الفرس ومن
سباه من نساء فيروز ، وأكثر ما كان قد أحتوى عليه أخشنوار من خزان فيروز ؛
فعظم قدره عند الفرس ، وحسن فيهم أثره ، وكبرت منزلته عند بلاش وقباد إلى
أن لم يبق بينه وبين الملك إلا مرتبة واحدة ، وتولى سياسة الأمر بمحنكة وتجربة ؛
ومال إليه الناس وأطاعوه ، وأستخفوا بقباد ولم يعاؤا بأمره ، وهان عندهم فما
حلت نفسه هذه الإهانة والدل ، فأخذ في التدبير على ساخورا وكتب إلى سابور
الرازي ، وهو الذي يقال له اللبيب ، وهو أصهبئد البلاد ، في القدوم عليه بمن قبله
من الجند ، فقدم بهم سابور نخطبه قباد في أمر خاله ، فوافق سابور عليه ، فأمره

(١) كذا في نسخة أ وتاريخ الطبري . وفي نسخة ب « سوجرا وقيل فيه ساخورا »

قباد بالتلطف في هذا الأمر وكتابه ، وإعمال الحيلة وحسن التدبير فيه ، فغدا سابور على قباد فوجد خاله ساخورا عنده ، فتقدم سابور إليه وهو آمن ، فألقى وثقاً في عنقه ^(١) وأجذبه وأوثقه بالحديد ثم أودعه السجن ، وقتله قباد وخاقته الفرس بعده .

- وفي أيام قباد ظهر مزدق — ويقال فيه : مَزْدَكُ ، وتفسيره : حديد الملك ؛ وإليه تضاف المزدقية ، ويقال لهم العدلية — وقال : إن الله تعالى إنما جعل الأرزاق في الأرض مبسوطة ليقسمها عباده بينهم بالسوية ، ولكن الناس يظلمون ؛ واستأثر بعضهم على بعض ، فانضم إليه جماعة وقالوا : نحن نقسم بين الناس بالسوية ونرد على الفقراء حقوقهم من الأغنياء ، ومن عنده فضل من المال والقوت والنساء والمتاع وغير ذلك فليس هو له ولا أولى به من غيره ؛ فافتصر السفلة ذلك واغتموه .
- ١٠ . وآتبعوا مَزْدَكَ وأصحابه ، فقوى أمرهم حتى كانوا يدخلون على الرجل في داره فيغلبونه على ما فيها من ماله ونسائه ولا يستطيع أن يردم عنه ولا يدا فمهم . ورأى الملك قباد رأى مزدك وأصحابه وتابهم فازداد قوة ، فلم يلبث الناس إلا قليلا حتى صار الأب لا يعرف ولده ، ولا الولد يعرف والده ، ولا يملك أحد شيئا ، وصيرت العدلية قباد في مكان لا يصل إليه غيرهم ، فاجتمعت الفرس على خلع قباد من الملك ففعلوا ذلك .

وملكوا عليهم عند ذلك جاماسف بن فيروز . وهو أخو قباد . وقيل : إن المزدكية هم الذين أجلسوه . قال : ولما ملك جاماسف قبض على أخيه قباد وحبسه فاحتالت أخت قباد في خلاصه . وذلك أنها أتت إلى الحبس الذي هو

(١) الوثق (بجريك الماء، وتسكينها) : الحبل في طرفه أشوطة يطرح في عنق الدابة والإنسان

فيه وحاولت الدخول الى أخيها ، فمنعها الموكلُّ به من الدخول اليه ، وطمِع أنه يَفْضَحها ، وأعلمها أنه لا يَمَكَّنُها من العبور إليه إلا إن وافقته على قصده ، فأطمعته في نفسها وقالت : إني لا أخالفك في شيء مما تهواه مني ، فمكَّنُها من الدخول الى السجن والاجتماع بأخيها قباد ، فدخلت اليه وأقامت عنده أياما ، ثم لفته في بساط أمرت بعض الغلمان أن يحمه لحمه على عاتقه ، فلما مر الغلام بالموكلِّ بالحبس سأله عن حمه فاضطرب الغلام فلحقته وقالت : إنه فراش كنت أفرشه تحتي وعرَّكت فيه ؛ وأنها خرجت لتتطهر وتعود ، فصَدَّقها ولم يَمَسَّ البساط ولم يَدُنْ منه استقداراً له على مذهبهم في ذلك ، فضى الغلام به وخرجت أخته في أثره ، وهرب قباد فلحق بأرض الهياطة يستمد ملكها ليمدح بجيش بحار ، من خالفه ، ويقال :

١٠ إن زواجه بأم كسرى أنوشروان كان في هذه السفرة لا في تلك ، وأنه تزوجها بأبرشهر^(١) ، وهي ابنة رجل من عظمائها ، وأنه رجع به وبأمه عند عوده من بلاد الهياطة . قال : وسار قباد الى ملك الهياطة فأقام عنده عدة سنين ، ثم عاد الى بلاده بأمداده ، فغلب على أخيه ونزعه من الملك بعد أن ملك ست سنين .

ثم عاد قباد الى الملك ثانيا ، ولما عاد الى الملك وجد ابن ساخورا قد وثب في جماعة من أصحابه على مَزْدَك فقتله ، فسُعي به الى قباد فقتله بمزدك . قال : ثم غزا الروم وافتتح آمد ، ثم أدبر ملكه لسوء عقيدته . وهلك قباد إثر ذلك .

٥٠
١٣

وكان سبب هلاكه أن الحارث بن عمرو الكندي قتل النعمان بن المنذر ابن امرئ القيس ، ومَلَّك العرب وما كان ملكه النعمان ، فبعث قباد بن فيروز

(١) عرَّكت المرأة : حاضت .

(٢) كذا في تاريخ الطبري ومعجم البلدان لياقوت وذكر أن شهر بالفارسية هو البلد ، وأبر : النعيم ، وخذ أراهم أرادوا إلا خصبه . وأبرشهر هي نيسابور . وفي الأصل : « بأبرشهر » .

- الى الحارث بن عمرو يقول : إنه كان بيننا وبين الملك الذي كان قبلك عهداً، وإني أحب لقاءك ؛ وخرج للقائه في عدد وعدة، وجاءه الحارث والتقياً بمكان، فأمر قباد بطبق من تمر فترزع نواه ويطبق آخره على حالته، فوضعا بين أيديهما، وجعل المتزوع بين يدي قباد، والذي هو بنواه بين يدي الحارث، بفعل الحارث يأكل التمر ويلقي النوى، وقباد يأكل التمر ولا يحتاج الى إلقاء شيء . فقال للحارث : مالك لا تأكل كما آكل؟ فقال الحارث : إنما يأكل النوى إيلنا وغنمنا، وعلم أن قباد يهزأ به . ثم أفترقا على الصالح على ألا يجاوز الحارث وأصحابه الفرات، إلا أن الحارث استضعف قباد وطمع فيه، فأمر أصحابه أن يهزوا الفرات ويغيروا على قري السواد ففعلوا ذلك، فجاء الصريح الى قباد وهو بالمدائن، فكتب الى الحارث بن عمرو أن لصوصاً من العرب قد أغاروا على السواد، وأنه يجب لقاءه فلقية، فقال قباد كالعاتب له : قد صنعت صديجا ما صنعه أحد قبلك، فطمع الحارث فيه من لين كلامه وقال : ما علمت بذلك ولا شعرت به، وإني لا أستطيع ضبط لصوص العرب، وما كل العرب تحت طاعتي، ولا أتمكن منهم إلا بالمال والجنود . فقال له قباد : فما الذي تريد؟ قال : أريد أن تعطيني من السواد ما أتخذ به سلاحاً، فأمر له بما يلي جانب العرب من أسفل الفرات؛ وهو ستة طساسيج؛ فعند ذلك زاد طمع العرب فيه، وأرسل الحارث بن عمرو الى تبع وهو باليمن : إني قد طمعت في ملك الأعاجم، وقد أخذت منه ستة طساسيج، فأجمع الجنود وأقبل فإنه ليس دون ملكهم شيء؛ لأن الملك عليهم لا يأكل اللحم ولا يستحل هراقة الدماء، وله دين يمنعه من ضبط الملك؛ فيأدر إليه بجنديك وعدتك، وأطعمه في الفرس . فجمع تبع جنوده وسار حتى نزل الحيرة، وقرب من الفرات، فأذاه البقي، فأمر الحارث بن عمرو أن يُسقى له نهر الحيرة فتزل عليه، ووجه ابن أخته

شَمِيرًا ذا الجناح إلى قُبَاذ فقاتله فهزّمه شمر حتى لحق بالرى ، ثم أدركه بها فقتله .

وملك بعده آبنه كسرى أنوشروان بن قُبَاذ بن فيروز . ولم ملك استقبال الأمر يجتد سياسة وحزم . وكان جيد الرأي ، كثير النظر ، صائب التدبير ، طويل الفكر ، بجدد سيرة أردشير وعمل بها ، ونظر في عهده وأخذ نفسه به ، وأدب رعيته وبطائه ، وبحث عن سياسات الأمم فاستصلح لنفسه منها ما رضىه ، ونظر في تدابير أسلافه المستحسنة فاقتدى بها . وكان أول ما بدأ به أن أبطل ملة زرادشت الثاني الذى كان من أهل قَسَا ، وأبطل ملة المزدكية وقتل على ذلك خلقا كثيرا ، وسفك من الدماء بسبب إبطال هذين المذهبين مالا يحصى كثرة ، وقتل قوما من المانوية ، وثبت ملة المجوسية القديمة ، وكتب في ذلك كتبا بليغة الى أصحاب الولايات والأصبهانيين ، وقوى ملك الفرس بعد ضعفه بإدامة النظر وهجر الملائد وترك اللهوى ، وقوى جنوده بالأسلحة والأمتعة والكراع^(١) ، وعمر البلاد وحفظ الأموال وثمرها ، وسد الثغور وأستعاد كثيرا من الأطراف التى غلب عليها الأمم .

قال : وأما تدييره فى أمر المزدكية وإبطال ما فعلوه فإنه ضرب أعناق رؤسائهم ، وقسم أموالهم فى أهل الحاجة ، وقتل جماعة كثيرة ممن عارف من الذين كانوا يدخلون على الناس فى بيوتهم ، ويشاركونهم فى أموالهم وأهاليهم ، ورد الأموال الى أربابها . وأمر بكل مولود آخلف فيه أن يلحق بمن هو فى سيئاته ، وأمر بكل امرأة غلب عليها أن يؤخذ الغالب عليها حتى يعرّم لها مهر مثلها ، ثم تُخبر المرأة بين الإقامة عنده وبين تزويج غيره ؛ إلا أن يكون لها زوج أول فترّد إليه . وأمر بكل من أضرّ برجل فى ماله أو ظلمه أن يؤخذ منه الحق ، ويعاقب الظالم

(١) الكراع (بالضم) : ما يجمع الخيل والسلاح .

بعد ذلك بقدر جرمه . وأمر ببيعال ذوى الأ حساب الذين مات قيمهم فكُتِبوا له
فأنكح بناتهم للأكفاء وجعل جهازهم من بيت المال ، وأنكح بينهم من بيوتات
الأشراف وأغنيائهم . وأمرهم بملازمة بابه ليستعين بهم فى أعماله ، وخير نساء والده
أن يقمن مع نسائه فىواسين ويصيرن فى الأحرار، ويتنقى لهن الأ كفاء من البعول،
ثم أمر بكزى الأنهار وحفر القنى . وأمر بإعادة كل جسر قطع، أو قنطرة خربت
أن ترد إلى أحسن ما كانت عليه ، وتخير الحكام والعمال وأمرهم أن يسيروا بسيرة
أردشير ووصاياها .

فلما أنتظمت له هذه الأمور وأستوثق له الملك ووثق بجنده سار نحو أنطاكية
فأفتحها، وأمر أن تصور له المدينة على هيئتها وذرعها وطرقها وعدة منازلها،
وأن تُبنى له مدينة على صفتها إلى جانب المدائن، فبنت المدينة المعروفة بالرومية،
ثم نقل أهل أنطاكية إليها . فلما دخلوا باب المدينة مضى كل أهل بيت إلى ما يشبه
منازلهم التى كانوا فيها بأنطاكية . وفتح مدينة هرقل ثم الإسكندرية، ثم أخذ نحو
الحزر، ثم إلى الهياطلة فقتل ملكهم بفيروز، وصاهر خاقان ملك الترك، وتجاوز
بلخ وأزل جنوده فرغانة، وبنى باب الأبواب . وقد ذكرناه فى المباني القديمة .^(١)

ولما بنى هذا السور هابته الملوك ورأسنه وهادنته ، فورد عليه رسول ملك
الروم بهدايا فظفر إلى إيوانه فرأى فى ميزانه اعوجاجا ، فقال : ما هذا الأعوجاج؟
فقال له : إن عجوزا لها منزل فى جانب هذا الاعوجاج فأرادها الملك على بيعه
وأرغبها فى الثمن فأبت، فلم يُكرهها وبقى الاعوجاج على ما ترى . فقال الرومى : هذا
الأعوجاج أحسن من هذا الاستواء . وكتب إليه ملك الصين : من تقفور ملك^(٢)

(١) راجع (ج ١ ص ٣٧٩ من هذه الطبعة) .

(٢) كذا فى الأصل : وفى مروج الذهب (ج ١ ص ١٢٨ . طبع بلاغ) : « بعبور » .

الصين ، صاحب قصر الدرّ والجوهر ، الذى يخرج من قصره نهران يسقيان العود والكافور ، والذى توجد راحته على فرسخين ، والذى يخدمه بنات ألف ملك ، والذى فى مربيته ألف فيل أبيض ، الى أخيه كسرى أنوشروان . وأهدى إليه هدايا عظيمة . وكتب إليه ملك الهند : من ملك الهند وعظيم ملوك الشرق ، وصاحب قصر الذهب ، وأبواب الياقوت والدرّ ، الى أخيه كسرى أنوشروان ملك فارس ، صاحب الساج والراية . وأهدى إليه هدايا ؛ منها ألف من ^(١) من العود يذوب على النار كالشمع ، ويحتم عليه كما يحتم على الشمع . وجام من الياقوت الأحمر فتحته شبر مملوء درّا ، وعشرة أمان كافور كالفسق ، وجارية طولها سبعة أذرع تضرب أشفار عينيها خديها ، وكأن بين أحنفانها لمعان البرق مع إتقان شكلها ، مقرونة الحاجبين ، لها صفائر تجرها ؛ وفراش من جلود الحيات ألين من الحرير وأحسن من الوشى . وكان كتابه فى لحا الشجر المعروف بالكاذى مكتوبا بالذهب . وكتب إليه ملك التبت : من ملك التبت ومشارق الأرض المتاخمة للصين والهند ، الى أخيه كسرى المحمود السيرة والقدر ، ملك المملكة المتوسطة فى الأقاليم السبعة ، أنوشروان . وأهدى إليه أنواعا مما عمل من عجائب أرض تبت ، منها مائة جوشن ومائة ترس تبتية مذهبة ، وأربعة آلاف من المسك من نوافج غزلانية . وأستغاث به ابن ذى يزن يستصرخه على الحبشة فبعث معه قائدا من قواده . وسنورد ذلك إن شاء الله فى خبر سيف بن ذى يزن .

(١) المن : لغة فى المنا الذى يوزن به وهو رطلان . وجمهما أمان ، وأمان .

(٢) اللها : ما على العصا من قشرها ، يمد ويقصر . والكاذى : نوع من النبات عجيب ، لحاؤه

أرق من الورق الصينى تتكاثر فيه ملوك الصين والهند . وهذا الشجر يكون بأرض الهند والصين . (راجع

مروج الذهب للمسعودى (ج ١ ص ١٢٨ طبع بلاق) .

- ولما استتب له الأمر ووظف الوظائف على الترك والخزر والهند والروم وغيرهم ، نظر في الخراج وأبواب المال . وكانت رسوم الناس جارية على الثلث من البقاع ، ومن بعضها الربع والخمس والسادس على حسب العماره . وكان قباز أبوه قد مسح الأرض وهلك قبل أن يستحكم له أمر تلك المساحة ؛ فجمع أنوشروان أهل الرأى فاتفقوا على أن جعلوا على كل جريب من الحنطة والشعير درهما ، وعلى الجريب من الكرم ثمانية دراهم ، وعلى الرطاب تسعة دراهم ، وعلى كل أربع نخلات فارسية درهما ، وعلى كل ست نخلات دقل^(١) مثل ذلك ، وعلى كل ستة أصول زيتون مثل ذلك ، ولم يضعوا إلا على نخل في حديقة ، أو مجتمع غير شاذ ، وتركوا فيما سوى ذلك من الغلات السبع ، وألزموا الناس الجزية ما خلا أهل البيوتات والعطاء والمقاتلة والهربادة والكتاب ، ومن كان في خدمة الملك ، وصيروها على طبقات : اثني عشر درهما ، وثمانية دراهم ، وستة دراهم ، وأربعة دراهم ، على قدر إكثار الرجل وإقلاله ، ولم يلزموا الجزية من كان أتى له من السنين دون العشرين أو فوق الخمسين ، ورفعوا هذه الوضائع إلى كسرى فرضيها وأمر بإمضاها وجباية مبلغها في ثلاثة أنجم في كل سنة ، وسماها ابراسيار . ومعنى ذلك الأمر المتراضى به .
- ١٥ وكان أنوشروان — لما أراد أن يضع هذه الوضائع — أمر بإتمام المساحة التي بدأ بها قباز ، وأحصى النخل والزيتون وغير ذلك ، والجماجم ؛ ثم أمر الكتاب فأخرجوا جمل ذلك غير تفصيله ، وأذن للناس إذنا عاما ، وأمر كاتب خراجه أن يقرأ عليهم الجمل المستخرجة من أصناف الغلات وعدد النخل والزيتون والجماجم ، فقرأ ذلك عليهم . ثم قال كسرى : إنا قد رأينا أن نضع على ما أحصى من جربان^(٢)
- ٢٠ (١) نخلات دقل : الدقل (بالتحريك) أردأ التمر .
 (٢) جربان : جمع جريب ، والجريب ثلاثة آلاف وستمئة ذراع . وقيل : عشرة آلاف ذراع .

هذه المساحة وضائع ، ونأمر بإنجامها في السنة ثلاثة أنجم ، ونجمع في بيوت أموالنا من الأموال ما لو أتانا عن ثغر من الثغور أو طرف من الأطراف فتق أو ما نكرهه وأحتجنا الى تداركه أو حسمه بذلنا الأموال التي عندنا ولم نحتاج الى استئناف جبايتها ، فما الذي ترون فيما رأينا من ذلك وأجمعنا عليه ؟ فلم يُشر عليه أحد منهم بمشورة ، ولا نطق بكلمة . فكرر كسرى عليهم القول ثلاثا ، فقام رجل من عرضهم وقال : أتضع أيها الملك - عمرك الله - خالدا من هذا على الفاني ؟ من كرم يموت ، وزرع يبيح ، ونهر يبيض ، وعين أوقنة ينقطع ماؤها . فقال له كسرى : يا ذا الكلفة المشوم ، من أي طبقات الناس أنت ؟ فقال : من الكتاب . فقال كسرى : اضربوه بالديرة حتى يموت ، فضربه الكتاب خاصة تبرؤا منهم الى كسرى من رأيه ، وما صدر من مقالته حتى قتلوه . وقال الناس : نحن راضون بما ألزمتنا أيها الملك به من خراج . ثم اجتمعت الآراء على وضع ما ذكرناه من الوضائع ، فاستقرت على ذلك الى أن جاء الإسلام ، وبها أخذ عمر رضى الله عنه لما فتحت بلاد فارس .

ذكر قطعة من سير كسرى أنوشروان وسياسته

قال الشيخ أبو علي أحمد بن محمد بن مسكويه في كتابه المترجم بتجارب الأمم :
 ١٥ إنه قرأ فيما كتبه أنوشروان من سيرة نفسه في كتاب عمّله في سيرته وما ساس به مملكته : قال كسرى : كنت يوما جالسا بالديسكرة وأنا سائر الى همدان لتصيف هناك ، وقد أعدت الطعام للرسل الذين بالباب من قبيل خاقان والهياطلة والصين وقصر ونقفور ، ودخل رجل من الأساورة مختربا سيفه حتى وصل الى الستر في ثلاثة أماكن ، وأراد الدخول حيث نحن والوثوب علينا ، فأشار على بعض خدمي

- أن أخرج إليه بسيفي ، فعلمت أنه إن كان إنما هو رجل واحد فسوف يحال بيننا وبينه ، وإن كانوا جماعة فإن سيفي لا يفي شيئا ؛ فلم أخف ولم أتحرّك من مكاني ؛ وأخذ بعض الحرس فإذا هو رجل رازيٌّ من حشمتنا وخاصتنا ، فلم يشكوا أن على رأيه كثيرا من الناس ، فسألوني ألا أجلس ولا أحضر للشرب حتى يستبين الأمر ، فلم أجهم إلى ذلك لئلا ترى الرُّسل مني جُبناً ، فخرجت لِشربي^(١) ، فلما فرغنا هدّت الرازيُّ بالعقوبة وقطع اليمين ، وسألته أن يصدّقني عن الذي حمله على ذلك ، وأنه إن صدّقني لم تنله عقوبة بعد ذلك ؛ فذكرت قوما وضعوا من قبل أنفسهم كتباً وكلاماً ، وذكروا أنه من عند الله ، أشاروا عليه بذلك وأخبروه أني إن قتلته وإن قتلتني أدخل الجنة . فلما فحصت عن ذلك وجدته حقاً ؛ فأمرت بتخلية الرازيِّ وبرد ما أخذ منه ، وتقدّمت بضرب رقاب أولئك الذين أشاروا عليه حتى لم أَدع منهم أحداً .

٥٣
١٣

- وقال أنوشروان : إنني لما أحضرت القوم الذين اختلفوا في الدين وجمعتهم للنظر فيما يقولونه ، بلغ من جرأتهم وخبثهم وقوّة شياطينهم أن لم يبالوا بالقتل والموت في إظهار دينهم الخبيث ، حتى إنني سألت أفضلهم رجلاً على رؤوس الناس عن استحلاله قتلي ، فقال : نعم ، استحّلّ قتلك وقتل من لا يطاوعنا على ديننا ؛ فلم أمر بقتله حتى إذا حضر وقت الغداء أمرت أن يُخبس الغداء وأرسلت إليه بطرف الطعام ، وأمرت الرسول أن يبلغه عني أن بقائي له أنفع مما ذكر ؛ فأجاب الرسول إن ذلك حقٌّ ، ولكن سألتني الملك أن أصدّقه عن ذات نفسي ولا أكتمه شيئاً مما أدين به ، وإنما أدين بما أخذته من مؤدبي .

قال أنوشروان: لما غدر بي قيصر وغزوته فذللّ وطلب الصلح وأنفذ إلى بéal وأقر بالخراج والقدية، تصدّقت على مساكين الروم وضعفائهم وضعفاء مزارعهم مما بعث به قيصر بعشرة آلاف دينار، وذلك فيما وطئته من أرض الروم دون غيرها.

وقال: لما أمرت بتصفح أمر الرعية بنفسى ورفع البلاء والظلم عنهم، وما ينوبهم من ثقل الخراج؛ فإن فيه مع الأجر تزيين [أهل] المملكة وغناهم وقدرة الوالى على أن يستخرج منهم إن هو أحتاج الى ذلك - وقد كان فى آبائنا من يرى أن وضع الخراج عنهم السنة والسنتين والتخفيف أحياناً مما يقوهم على عمارة أرضهم - جمعت العمال ومن يؤدى الخراج فرأيت من تخليطهم ما لم أر له حيلة إلا التعديل والمقاطعة على بلدة بلدة، وكورة كورة، ورُستاق رُستاق، وقرية قرية، ورجل رجل؛ فاستعملت عليهم أهل الثقة والأمانة فى نفسى، وجعلت فى كل بلد مع كل عامل أمناء يحفظون عليه، ووليت قاضى القضاة بكل كورة النظر فى أهل كورته، وأمرت أهل الخراج أن يرفعوا ما يحتاجون الى رفعه إلينا الى القاضى الذى وليته أمر كورهم حتى لا يقدر العامل أن يزيد شيئاً، وأن يؤدوا الخراج بمشهد من القاضى، وأن تعطى به البراءة، وأن يرفع خراج من هلك منهم، ولا يزداد الخراج ممن لم يدرك من الأحداث، وأن يرفع القاضى وكاتب الكورة وكاتب أهل الكورة وكاتب أهل البلد والعامل محاسبهم الى ديواننا وقت الكتّب بذلك.

وقال: رفع الينا موبدان موبدان أن قوما ستمهم من أهل الشرف، بعضهم بالباب كان شاهداً وبعضهم ببلاذ أحر، دينهم مخالف لما رويناه عن نبينا وعلماؤنا، وأنهم يتكلمون بدينهم سراً ويدعون اليه الناس، وأن ذلك مفسدة لللك، وحيث

لا تقوم الرعية [إلا^(١)] على هوى واحد، فيحزمون جميعا ما يحزم الملك، ويستحلون ما يستحل الملك في دينه؛ فإن ذلك إذا اجتمع للملك قوى يجنده لأجل الموافقة بينهم وبين الملك، فاستظهر على قتال الأعداء؛ فأحضرت أولئك المختلفين في الأهواء، وأمرت أن يخاصموا حتى يقفوا على الحق ويقزوا به، وأمرت أن يقصوا عن مدينتي وعن بلادى ومملكتي، ويتبع كل من هو على هواهم فيفعل به ذلك .

وقال : إن الترك الذين في ناحية الشمال كتبوا إلينا بما أصابهم من الحاجة، وأنهم لا يجدون بدا - إن لم نعطيهم شيئا - من أن يغزونا، وسألوا خصالا إحداها أن تخذهم في جندنا، وتجرى عليهم ما يعيشون به، وأن نعطيهم من أرض الكرج^(٢) وبلنجر وتلك الناحية ما يعيشون به، فرأيت أن أسير في ذلك الطريق إلى باب^(٣) صول، وأجبت أن يعرف من قبلنا من الملوك هناك نشاطنا للأسفار وقوتنا عليها متى همنا، وأن يروا ما رأوا من هيئة الملوك وكثرة الجنود وتمام العدة وكال السلاح ما يقوون به على أعدائهم، ويعرفون به قوة من خلفهم إن هم احتاجوا إليه، وأحبنا بمسيرنا أن تجرى لهم على أيدينا الجوائز والخمائل^(٤)، والترب من المجلس واللطف في الكلام ليزيدهم ذلك مودة لنا ورغبة فينا، وحرصا على قتال أعدائنا، وأجبت أيضا التعهد لحصونهم، وأن أسأل أهل الخراج عن أمرهم في مسيرنا .

فسرت في طريق همذان وأذربيجان. فلما بلغت إلى باب الصول ومدينة فيروز خسرو يمت تلك المدائن العتيقة، وتلك الحدود، وأمرت ببناء حصون أخر. فلما بلغ

(١) زيادة يقتضيا السياق . (٢) الكرج : مدينة بين همذان وأصبهان في نصف الطريق

والى همذان أقرب . (٣) بلنجر : وراء مدينة بلاد الخزر خلف باب الأبواب ، فتحها

عبد الرحمن بن ربيعة وقال البلاذري : سلجان بن ربيعة الياهلي .

(٤) صول : مدينة في بلاد الخزر في نواحي باب الأبواب وهو الدربند .

(٥) الخملان (بالضم) : ما يحمل عليه من الدواب في الهبة خاصة .

خافانَ الخَزَرَ نزلنا هناك نخوف أن نغزوه، فكتب أنه لم يزل - منذ ملكت - يحب موادعتي، وأنه يرى الدخول في طاعتي؛ ورأى بعضُ قواده - لما شاهد حاله - تركه وأنا في الفين من أصحابه؛ فقبلناه وأنزلناه في تلك الناحية، وأجريت عليه وعلى أصحابه الرزق، وأمرت لهم بحصن هناك، وأمرت بمصلى لأهل ديننا، وجعلت فيه موبدًا وقوما نسًاكا، وأمرتهم أن يعلموا من دخل من الترك في طاعتنا ما في طاعة الولاية من المنفعة العاجلة في الدنيا، والثواب الآجل في الآخرة، وأن يحثوهم على المودة والصحبة والعدل والنصيحة ومجاهدة العدو، وأن يعلموا أحداثهم رأينا ومذهبنا، وأفت لهم في تلك التخوم الأسواق، وأصلحت طرقهم وقومت السكك. ونظرنا فيما اجتمع لنا هناك من الخيل والرجال فإذا هو بحيث لو كان بوسط فارس لكان منزلنا بها فاضلا.

وقال: فلما أتى لمملكنا ثمان وعشرون سنة جدتُ النظر في أمر المملكة والعدل على الرعية، والنظر في أمرهم، وإحصاء مظالمهم، وإنصافهم. وأمرت موبدًا كل ثغر ومدينة وبلد وجنيد بإنهاء ذلك إلى. وأمرت بعرض الجند، من كان منهم بالباب بمشهد مني، ومن غاب في الثغور والأطراف بمشهد من القائد وبادوستان والقاضي وأمين من قبلنا. وأمرت بجمع أهل كور الخراج في كل ناحية من مملكتي إلى مصرها مع القائد وقاضي البلد والكاظم والأمين. وسرحت من

(١) في الأصل: « الصحة » والسياق يقتضى ما أثبتناه.

(٢) في الأصل: « طروسم » وهو تحريف، والسياق يقتضى ما أثبتناه.

(٣) كذا في الأصول. ولعلها « باداستان » وهي كلمة فارسية مركبة من كلمتين باد (بالباء الفارسية)

ومعناها الكورة وتخفف بحذف الألف، يريد حاكم الجهة (راجع القاموس الفارسي الإنجليزي لاستنباس ومقدمة قاموس الأمانة والبقاع للرحوم على بهجت بك).

(٤) كذا في الأصول.

قَبِيلِي مَنْ عَرَفْتُ صَحْبَتَهُ وَأَمَانَتَهُ وَتُسَكَّهَ وَعَلِمَهُ ، وَمَنْ جَرَبْتَ ذَلِكَ مِنْهُ إِلَى كُلِّ مِصْرٍ وَمَدِينَةٍ حَيْثُ أَوْلَيْتَ الْعَمَالَ وَالْعِلْمَانَ وَأَهْلُ الْأَرْضِ لِيَجْمَعُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ أَرْضِيهِمْ وَبَيْنَ وَضِيْعِهِمْ وَشَرِيْفِهِمْ ، وَأَنْ يُرْفَعَ الْأَمْرُ كُلُّهُ عَلَى حَقِّهِ وَصِدْقِهِ ، فَمَا نَفَّذَ لَمْ يَكُنْ فِيهِ أَمْرٌ أَوْ صَحَّ فِيهِ الْقَضَاءُ فَرَضِي بِهِ أَهْلُهُ فَرَعُوا مِنْهُ هُنَاكَ ، وَمَا أَشْكَلَ عَلَيْهِمْ رَفَعُوهُ إِلَيَّ .

وَبَلَغَ اهْتِمَامِي بِتَفْقُدِ ذَلِكَ مَا لَوْلَا الَّذِي أُدَارِي مِنَ الْأَعْدَاءِ وَالنُّغُورِ لِبَاشَرْتِ أَمْرَ الْخِرَاجِ وَالرَّعِيَّةِ بِنَفْسِي قَرْيَةً قَرْيَةً حَتَّى أَتَعَاهَدَهَا وَأَكَلَمَ رَجُلًا رَجُلًا مِنْ أَهْلِ مَمْلَكَتِي ؛ غَيْرَ أَنِّي تَخَوَّفْتُ أَنْ يَضْمَعَ بِذَلِكَ السَّبَبِ أَمْرٌ هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ ، الْأَمْرُ الَّذِي لَا يُغْنِي فِيهِ أَحَدٌ غِنَانِي وَلَا يَقْدِرُ عَلَى إِحْكَامِهِ غَيْرِي ، وَلَا يَكْفِيْنِيهِ كَافٍ ، مَعَ الَّذِي فِي الشَّخْوَصِ إِلَى قَرْيَةٍ قَرْيَةً مِنَ الْمُتَوَنِّةِ عَلَى الرَّعِيَّةِ مِنْ جَنْدَانَا ، وَمَنْ لَا نَجِدُ بَدَأًا مِنْ إِخْرَاجِهِ مَعَنَا . وَكَرِهْنَا أَيْضًا إِشْخَاصَهُمْ إِلَيْنَا مَعَ تَخَوُّفِنَا أَنْ يَسْتَفْلَ أَهْلُ الْخِرَاجِ عَنِ عِمَارَةِ أَرْضِيهِمْ ، أَوْ يَكُونَ فِيهِمْ مَنْ يَدْخُلُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ مُتَوَنِّةً فِي تَكْلُفِ السَّيْرِ إِلَى بَابِنَا ، وَقَدْ ضَمَّعَ قُرَاهُ وَأَنْهَارُهُ وَمَا لَا يَجِدُ بَدَأًا مِنْ تَعَاهُدِهِ فِي السَّنَةِ كُلِّهَا فِي أَوْقَاتِ الْعِمَارَةِ ، فَفَعَلْنَا ذَلِكَ بِهِمْ وَوَكَّلْنَا مُوَبِّدَانَ مُوَبِّدًا بِذَلِكَ ، وَكَتَبْنَا بِهِ الْكُتُبَ وَسَرَّحْنَا مَنْ وَثِقْنَا بِهِ ، وَرَجَوْنَا أَنْ يَجْرِيَ مَجْرَانَا وَأَشْخَصْنَا وَقَلَّدْنَا ذَلِكَ .

قَالَ : وَلَمَّا أَمِنَ اللَّهُ جَمِيعَ أَهْلِ مَمْلَكَتِنَا مِنَ الْأَعْدَاءِ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا نَحْوُ أَلْفِي رَجُلٍ مِنَ الدَّيْلَمِ الَّذِينَ عَسَرُوا فَتَحُوا حَصُونَهُمْ لَصُعُوبَةِ الْجِبَالِ عَلَيْهَا ، لَمْ نَجِدْ شَيْئًا أَنْفَعَ لِمَمْلَكَتِنَا مِنْ أَنْ نَفْحَصَ عَنِ الرَّعِيَّةِ ، وَأَوْلَيْتَ الْأَمْنَاءَ الَّذِينَ وَصَيْنَاهُمْ بِإِنصَافٍ أَهْلُ الْخِرَاجِ . وَكَانَ بَلَّغْنَا أَنْ أَوْلَيْتَ الْأَمْنَاءَ لَمْ يَبَالِغُوا عَلَى قَدْرِ رَأْيِنَا فِي ذَلِكَ ،

(١) موَبِّدَانِ مَوْبِدَ : قَاضِي الْقَضَاءِ فِي دَوْلَةِ الْفَرَسِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ . وَقَدِيمِيَّةٌ وَظَلِيْفَةُ الْمَوْبِدِ (الْقَاضِي)
إِلَى أَرْوَاحِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ ، لِلْقِيَامِ بِأُمُورِ الْمَجُوسِ الَّذِينَ دَخَلُوا فِي الدِّمَةِ .

فأمرت بالكتِّيبِ الى قاضي كورةٍ كورةٍ أن يجمع أهل الكورة بغير علم عاملهم وأولى أمرهم فيسألهم عن مظالمهم وما استُخرج منهم ، ويفحص عن ذلك بجهود رآيه وبيالغ فيه ، ويكتب حال رجلٍ رجلٍ منهم ويختم عليه بخاتمه وخاتم الرضا من أهل تلك الكورة ، ويبعث به الى ويسرِّح ممن يجمع رأى أهل الكورة عليه بالرضا نفرا ، وإن أحبوا أن يكون فيمن يُشخصُ بعضُ سفلتهم أيضا فعل ذلك .

فلما حضروا جلست للناس وأذنت لهم بمشهد من عطاء أرضنا وملوكهم وقضاتهم وأحرارهم وأشرفهم ، ونظرت في تلك الكتب والمظالم ، فأية مظلمة كانت من العيال ومن وكلائنا ، أو من وكلاء أولادنا ونسائنا وأهل بيتنا حططنها عنهم بغير بينة ؛ لعلمنا بضعف أهل الخراج منهم ، وظلم أهل القوة من اللطان لهم ، وأية مظلمة كانت لبعضهم من بعض ووضَّحت لنا ، أمرت بإنصافهم قبل البراح ، وما أشكل وأوجب الفحص عنه شهود البلد وقاضيا سرَّحت معه أمينا من الكتاب ، وأمينا من فقهاء ديننا وأمينا ممن وثقنا به من خدمتنا وحاشيتنا ، فأحكمت ذلك إحكاما وثيقا . ولم يجعل الله لذوى قرابتنا ورحمنا وخدمنا وحاشيتنا منزلة عندنا دون الحق والعدل ؛ فإن من شأن قرابة الملك وحاشيته أن يستطيلوا بعزته وقوته ، فإذا أهمل السلطان أمرهم هلك من جاوره إلا أن يكون فيهم متأدب بأدب ملكه ، محافظ على دينه ، شفيق على رعيته ، وأولئك قليل ؛ فدعانا الذي أطلعنا عليه من ظلم أولئك ألا نطلب البيئنة عليهم فيما ادَّعى قبلهم . ولم نزل نرد المظالم ، ولم نرد أيضا ظلم أحد ممن كان عزيزا بنا ، منيعا بمكانه ومنزلته عندنا ، فإن الحق واسع للضعفاء والأقوياء والفقراء والأغنياء ؛ ولكل ما أشكلت الأمور في ذلك علينا كان الحُمل على خواصنا وخدمنا أحبَّ إلينا من أن نحمل على ضعفاء الناس ومساكينهم ، وأهل الفاقة والحاجة منهم . وعلمنا أن أولئك الضعفاء لا يقدرّون على ظلم من حولنا . وعلمنا مع ذلك

أن الذين أعدينا عليهم من خاصتنا يرجعون من نعمتنا وكرامتنا الى ما لا يرجع اليه أولئك . ولعمري إن خواصنا الينا، وآثر خدمتنا في أنفسنا الذين يحفظون سيرتنا في الرعية، ويرحون أهل الفاقة والمسكنة وينصفونهم؛ فإنه قد ظلمنا من ظلمهم، وجار علينا من جار عليهم، وأراد تعطيل ذمتنا التي هي حرزهم وملجأهم .

- قال : ثم كتبت الينا على رأس سبع وثلاثين سنة من ملكنا، أربعة أصناف من الترك من ناحية الخزر، ولكل صنف منهم ملك ، يذكرون مادخل عليهم من الحاجة، وما لهم من الحظ في عبوديتنا ، وسألوا أن نأذن لهم في القدوم بأصحابهم لخدمتنا، والعمل لما نأمرهم به ، وألا نحقد عليهم ما سلف منهم قبل ملكنا ، وأن نُتزلّم منزلة سائر عبيدنا، فإننا سنرى في كل ما نأمرهم به من قتال وغيره كأفضل ما نرى من أهل نصيحتنا، فرأيت في قبولى إياهم عدة منافع، منها : جلدُهم وبأسهم، ومنها : أنى تخوفت أن تجلهم الحاجة على إتيان قيصر أو بعض الملوك فيقووا بهم علينا، وقد كان فيما سلف يستأجر منهم قيصر لقتال ملوك ناحيتنا بأعلى الأجرة . وكان لهم في ذلك القتال بعض الشوكة بسبب أولئك الأتراك ؛ لأن الترك ليس عندهم لذة للحياة، فهو الذي يجرهم مع شقاء معاليذهم على الموت؛ فكتبت اليهم أنا نقبل من دخل في طاعتنا ، ولا نبخل على أحد بما عندنا، وكتبت الى مرزبان^(٢) الباب أمره بأن يُدخلهم أولا أولا، فكتب إلى إنه قد أتاه منهم نحوون ألفا بنسائهم وأولادهم وعيالهم . ولما بلغنى ذلك أحببت أن أقر بهم الى ليعرفوا إحسانى إليهم، وأعظّمهم ليطمئنوا الى قوادنا، حتى إذا أردنا تسريهم مع بعض قوادنا كان كل واحد بصاحبه وانقا، فشحصنا الى أذربيجان، فلما نزلها أذنت

(١) أعدينا عليهم : ظلمناهم .

(٢) المرزبان : الرئيس من الفرس .

لهم في القدوم، وأتاني عند ذلك طرائف من هدايا قيصر، وأتاني رسول خاقان الأكبر، ورسول صاحب الروم، ورسول صاحب خوارزم، ورسول ملك الهند، والداور، وكابل شاه، وصاحب سرنديب^(٣)، وصاحب كله^(٤)، وكثير من الرسل، وتسعة وعشرون ملكا في يوم واحد، وانهت الى أولئك الأتراك الثلاثة والخمسين ألفا فأمرت أن يُصَفُّوا هناك وركبت لذلك، فكان يومئذ من أصحابي ومن قدم عليّ ومن دخل في طاعتي وعبوديتي من لم يسعهم مَرَجٌ كان طوله عشرة فراسخ، فعمدت الله كثيرا وأمرت أن يُصَفَّ أولئك الأتراك في أهل بيوتاتهم على سبع مراتب، ورأست عليهم منهم، وأقطعهم وكسوت أصحابهم، وأجريت عليهم الأرزاق، وأمرت لهم بالمياه والأرضين، وأسكنت بعضهم مع قائد لي بالان^(٥)، وقسمتهم في كل ما احتجنا اليه من الثغور، وضممتهم الى المرزبان؛ فلم أزل أرى من مناصحتهم واجتهادهم فيما نوجههم له ما يسرنا في جميع البلدان والثغور وغيرها .

(١) الداور : وأهل تلك الناحية يسمونها زمنداور، ومعناه أرض الداور، وهي ولاية واسعة ذات بلدان وقرى مجاورة لولاية رنج وبست والنور . قال الاصطخري : الداور : اسم إقليم خصيب، وهو نهر النور من ناحية محستان . ومدينة الداور، تل، ودرغور، وهما على نهر هند مند (راجع معجم البلدان لياقوت) .

(٢) كابل وملكها يقال له الشاه : ولاية ذات مروج كبيرة بين هند وغزنة، وقيل : هي من ثغور طخارستان . ولها من المدن : واذان، وخواش، وخشك، وخبر، وبها العود والتارجيل والزعفران والأهليلج لأنها متاخمة للهند (راجع معجم البلدان لياقوت وتقوم البلدان لأبي الفدا) .

(٣) سرنديب : هي جزيرة سيلان الآن .

(٤) كله : فرضة بالهند وهي في منتصف الطريق بين عمان والصين، يسكنها المسلمون والهند والفرس، وبها معادن الرصاص ومنابت الخيزران وشجر الكافور (راجع تقوم البلدان لأبي الفدا ومعجم البلدان لياقوت) .

(٥) الان : بلاد واسعة في طرف أرمينية قرب باب الأبواب مجاورون للجزر، والعامية يظنون

فيهم فيقولون علان، وهم نصارى تجلب منهم عبيد أجلا . (راجع معجم البلدان لياقوت) .

قال : وكتب الى خاقان الأكبر يعتذر الى من بعض غدراته ويسأل المراجعة والتجاوز ؛ وذكر في كتابه ورسالته أن الذي حمله على عداوتي وغزرو أرضي من لم يُنظر له ، وناشدني الله أن أتجاوز عنه ، وتوثق لي بما أطمئن اليه . وذكر أن قيصر قد أرسل اليه وزعم أنه يستأذني في قبول رسله ، وأنه لا يعمل في قبول رسل أحد إلا بما أمره ، ولا يجاوز أمرى ، ولا يرغب في الأموال ولا في المودات لأحد إلا برضائي ، وكان دسيس^(١) لي في الترك يكاتبني بندم خاقان وندم أصحابه على غدره وعداوته إياي ، فأجبتة : إني لعمري ما أبالي إن طيعة نفسك وغيرتك غدرت بنا أم أطعت غيرك في ذلك ، وما ذنبك في طاعة من أطعت في ذلك إلا كذبتك فيما فعلته برأى نفسك ، وإني قد استحققت أشد العقوبة . وكتبت أني لا أظن شيئا من الوثيقة تفي لكم إلا وقد كنت ضيعته ، ولا أظن شيئا وثقت لنا به من قبل اليوم ثم غدرتم ، فكيف نظمنا اليك ونثق بقولك ؟ ولسنا نأمنك على مثل ما فعلت من الغدر وتفض العهد والكذب في اليمين . وذكرت أن رسل قيصر عندك ، ووقفنا على استثنائك إيانا فيهم ؛ وإني لست أنهارك عن مودة أحد . وكرهت أن يرى أني أتخوف مصادقته وأهاب ذلك منه . وأحببت أن أعلمه أني لا أبالي بشيء مما جرى بينهما . ثم سرحت لمرمة المدائن والحصون التي بخراسان وجمع الأطمعة والأعلاف إليها ما يحتاج اليه الجند ، وأمرت أن يكونوا على استعداد وحذر ، ولا يكون من غفلتهم ما كان في المرة الأولى وهم على حال الصلح .

قال : وكان شكرى لله تعالى لما وهب لي وأعطاني متصلا بنعمه الأول التي وهبها لي في أول خلقه إياي ؛ فإنما الشكر والنعم عدلا كفتي الميزان أيهما ربح بصاحبه احتاج الأخف الى أن يُزاد فيه حتى يعادل صاحبه ، فإذا كانت النعم

(١) الدسيس : من تدمه ليأتيك بالأخبار (الحاسوس) .

كثيرة والشكر قليلا انقطع الحِمل وهلك ظهرُ الحامل ، وإذا كان ذلك مستويا
استتم الحامل . وكثيرُ النعم يحتاج صاحبها الى كثير الشكر ، وكثيرُ الشكر يجلب كثير
النعم . ولما وجدت الشكر بعضه بالقول ، وبعضه بالعمل ، ونظرت في أحب
الأعمال الى الله وجدته الشيء الذي أقام به السموات والأرض ، وأرسي به الجبال ،
وأجرى به الأنهار وبرأ به البرية . وذلك الحق والعدلُ فلزمتهما . ورأيت ثمرة الحق
والعدل عمارة البلدان التي بها معاش الناس والدواب والطيور وسكان الأرض .

ولما نظرت في ذلك وجدت المقاتلة أجراء أهل العماره ، ووجدت أهل العماره
أجراء المقاتلة ، فإنهم يطلبون أجورهم من أهل الخراج وسكان البلدان لمدافعتهم
عنهم ، ومجاهدتهم من ورائهم ، فحق على أهل العماره أن يقوهم أجورهم ؛ فإن
عمارتهم تم بهم ، وإن أبطأوا عليهم بذلك أو هتوهم فقوى عدوهم ؛ فرأيت من
الحق على أهل الخراج ألا يكون لهم من عمارتهم إلا ما أقام معاشهم ، وعمروا
به بلدانهم ، ورأيت ألا أجتاحهم وأستفرغ ذات أيديهم للخزائن والمقاتلة ، فإني
إذا فعلت ذلك ظلمت المقاتلة مع ظلم أهل الخراج ؛ وذلك أنه إذا فسد العامر
فسد المعمور ، وكذلك أهل الأرض والأرض ، فإنه إذا لم يكن لأهل الخراج
ما يعيشهم ويعمرون به بلادهم هلكت المقاتلة الذين قوتهم بعمارة الأرض ؛ فلا عمارة
للأرض إلا بفضل ما في يد أهل الخراج ؛ فمن الإحسان الى المقاتلة والإكرام لهم
أن أرفق بأهل الخراج وأعمر بلادهم ، وأدع لهم فضلا في معاشهم ؛ فأهل الأرض
وذوو الخراج أيدي المقاتلة والجند وقوتهم ، والمقاتلة أيضا أيدي أهل الخراج وقوتهم .
ولقد ميزت ذلك بجهدي وطاقتي ، وفكرت فيه فما رأيت أن أفضل هؤلاء

على هؤلاء إذ وجدتهما كاليدين المتعاونتين والرجلين المترادفتين .

(١) في الأصل : قصد ، والسياق يقتضى ما أثبتناه .

ولعمري ما عفى أهل الخراج من الظلم من أضرّ بالمقاتلة ، ولا كفّ الظلم عن المقاتلة من تعدى على أهل الخراج . ولولا سفهاء الأساورة لأبقوا على أهل الخراج والبلاد إبقاء الرجل على ضيعته التي منها معيشته وحياته وقوته ، ولولا جهال أهل الخراج لكفّوا عن أنفسهم بعض ما يحتاجون إليه من المعاش إيثارا للمقاتلة على أنفسهم .

- قال : ولما فرغنا من إصلاح العامة والخاصة بهذين الركنين من أهل الخراج والمقاتلة كان ذلك ثمرة العدل والحق الذي دبر الله العظيم خلائقه به ، وشكرت الله على نعمته والمقاتلة في أداء حقه على مواهبه ، وأحكمتنا أمر المقاتلة وأهل الخراج ببسط العدل ، وأقبلنا بعد ذلك على السير والسنن ، ثم بدأنا بالأعظم فالأعظم من أمورنا ، والأكبر فالأكبر عائدا على جندنا ورعيّتنا ، ونظرنا في سير آبائنا من لدنّ بستانف الى ملك قبّاذ أقرب آبائنا . ثم لم تترك إصلاحا في شيء من ذلك إلا أخذناه ، ولا فساد إلا أعرضنا عنه ، ولم يدعنا حبّ الآباء إلى قبول ما لا خير فيه من السنن ، ولمنّا أثرنا حبّ الله وشكره وطاعته .

٥٧
١٣

- ولما فرغنا من النظر في سير آبائنا وبدأنا بهم ، وكانوا أحقّ بذلك ، فلم ندع حقا إلا آثرناه ، ووجدنا الحق أقرب القرابة . نظرنا في سير أهل الروم والهند فاصطفينا محمودها ، وجعلنا عيار ذلك عقولنا ، وميزانه بأحلامنا ، فأخذنا من جميع ذلك ما زين سلطاننا ، وجعلناه سنة وعادة ، ولم تنازعنا أنفسنا الى ما تميل به أهواؤنا ، وأعلمناهم ذلك وأخبرناهم به ، وكتبنا إليهم بما كرهنا لهم من السير ونهيناهم عنه وتقدّمنا إليهم فيه ؛ غير أننا لم نذكره أحدا على غير دينه وملته ، ولم نحسدهم ما قبلنا ، ولا منع ذلك أنقباض بعلم ما عندهم ، فإن الإقرار بمعرفة الحق

والعلم والاتباع له من أعظم ما تزينت به الملوك . ومن أعظم المضرة على الملوك
الإنفة من العلم والحمة من طلبه ، ولا يكون عالما من لا يتعلم .

ولما استقصيت ما عند هاتين الأمتين من حكمة التدبير والسياسة ، ووضلت
بين مكارم أسلافى ، وما أحدثته بالرأى ، وأخذت به نفسى ، وقبلته عن الملوك الذين
لم يكونوا منا ، وثبت على الأمر الذى نلت به الظفر والخير ، ورفضت سائر الأمم
لأنى لم أجد عندهم رأيا ولا عقولا ولا أحلاما ، ووجدتهم أصحاب بنى وحسد
وكلب وحرص وشح وسوء تدبير وجهالة ولؤم عهد وقلة مكافأة . وهذه أمور
لا تصالح عليها ولاية ، ولا تنم لها نعمة .

قال ابن مسكويه : وقرأت مع هذه السير فى آخر هذا الكتاب الذى كتبه
أنو شروان فى سيرة نفسه أن أنو شروان لما فرغ من أمور المملكة وهذبها جمع
إليه الأساورة مع القواد والعطاء والمرازبة والنسك والمواظبة وأمانت الناس معهم
فخطبهم فقال :

ذكر خطبة أنو شروان

قال : أيها الناس ، أحضرونى فهمكم ، وأرعونى أسماعكم ، وناصحونى أنفسكم ،
فإنى لم أزل واضعا سيفى على عنقى منذ ولئت عليكم غرضا للسيف والأسنة ،
وكل ذلك للدافعة عنكم ، والإبقاء عليكم ، وإصلاح بلادكم مرة بأقصى الشرق ، وتارة
فى آخر المغرب ، وأخرى فى نهاية الجنوب ، ومثلها فى جانب الشمال ، ونقلت الذين
اتهمتهم إلى غير بلادهم ، ووضعوا الوضائع فى بلدان الترك ، وأقمت بيوت النيران
يقسطنطينية ، ولم أزل أصعد جبلا شامخا وأنزل عنه ، وأطأ خزونه بمدد سموله ،
وأصبر على المحمصة^(١) والخمسة ، وأكابد البرد والحر ، وأركب هول البحر وخطر المغازة ؛

(١) المحمصة : خلا البطن جوعا .

- لمرادَة هذا الأمر الذي قد آتمه الله لكم : من الإثخان في الأعداء ، والتكن في البلاد ، والسعة في المعاش ، ودرك العز ، وبلوغ ما نلتم ؛ فقد أصبحتم بحمد الله ونعمته على الشرف الأعلى من النعمة ، والفضل الأكبر من الكرامة والأمن ، وقد هزم الله أعداءكم وقتلهم ؛ فهم بين مقتول هالك ، وحي مطيع لكم سامع ؛ وقد بقي لكم عدو عددهم قليل ، وبأسهم شديد ، وشوكتهم عظيمة ؛ وهؤلاء الذين بقوا أخوف عندي عليكم ، وأحرى أن يهزموكم ويغلبوكم من الذين غلبتموهم من أعدائكم ، وأصحاب السيوف والرماح والخيول ؛ وإن أتم أيها الناس غلبتم عدوكم هذا الباقي ، غلبتكم لعدوكم الذين قاتلتم وحاصرتم ، فقد تم الظفر والنصر ، وتمت فيكم القوة ، وتم بكم العز ، وتمت عليكم النعمة ، وتم لكم الفضل ، وتم لكم الاجتماع والألفة والصحة والسلامة ؛ وإن أتم قصرتم وهتمت ، وظفر هذا العدو بكم فأين الظفر الذي كان منكم ، فاطلبوا أن تقتلوا من هذا العدو الباقي مثل ما قاتلتم من ذلك العدو الماضي ؛ وليكن جدكم في هذا واجتهادكم واحتشادكم أكبر وأجل وأحزم وأعزم وأصح وأشد ، فإن أحق الأعداء بالاستعداد له أعظمهم مكيده ، وأشدهم شوكة ، وليس الذي كنتم تخافون من عدوكم الذي قاتلتم بقريب من هؤلاء الذين أمرتم بقتالهم الآن ؛ فاطلبوه وصلوا ظفرا بظفر ، ونصرا بنصر ، وقوة بقوة ، وتأبيدا بتأبيد ، وعزما بحزم وعزم ، وجهادا بجهاد ؛ فإن بذلك اجتماع إصلاحكم ، وتمام النعمة عليكم ، والزيادة في الكرامة من الله لكم ، والفوز برضوانه في الآخرة .

- ثم اعلموا أن عدوكم من الترك والروم والهند وسائر الأمم لم يكونوا يميلفوا منكم — إن ظهروا عليكم وغلبوكم — مثل الذي يبلغ هذا العدو منكم إن غلبكم وظهر عليكم ؛ فإن بأس هذا العدو أشد ، وكيدَه أكبر ، وأمره أخوف من ذلك العدو .

يأيها الناس ، إني قد نصبت^(١) لكم كما رأيتم ، ولقيت ما قد علمتم بالسيف والرمح
والمفاوز والبحار والسهولة والجبال ؛ أقارع عدوؤا عدوؤا ، وأكالب جندا جندا ،
وأكابد مليكا مليكا ، لم أتضرع إليكم هذا التضرع في قتال أولئك الجنود والملوك ،
ولم أسألكم هذه المسألة في طلب الحد منكم ، والأجتهاد والاحتفال والاحتشاد ،
وإنما فعلت هذا لعظم خطره ، وشدة شوكته ، ومخافة صولته بكم . وإن أنا أيها
الناس لم أغلب هذا العدو وأنفه عنكم ، فقد أبقيت فيكم أكبر الأعداء ، ونفيت
عنكم أضعفها ، فأعينوني على نفي هذا العدو المخوف عليكم ، القريب الدار منكم ؛
فأنشدكم الله أيها الناس لما اعتموتى عليه حتى أنفيسه عنكم ، وأخرجه من بين
أظهوركم فيتم بلائى عندكم ، وبلاء الله فيكم عندى ، وتمت النعمة على وعليكم ، والكرامة
من الله لى ولكم ، ويتم هذا العز والنصر ، وهذا الشرف والتمكين ، وهذه الثروة
والمستزلة .

يأيها الناس ، إني تفكرت بعد فراغى من كتابى هذا ، وما وصفت من نعمة
الله علينا فى الأمر الذى لما غاب دارا الملوك والأئم وقهرها ، واستولى على بلادها ،
ولما تحكّم أمر هذا العدو ، هلك وهلكت جنوده بعد السلامة والظفر والنصر
والغلبة ؛ وذلك أنه لم يرض بالأمر الذى تم له به الملك ، واشتد به السلطان ،
وقوى به على الأعداء ، وتمت عليه به النعمة ، وفاضت عليه من وجوه الدنيا كلها
الكرامة ، حتى آحتال له بوجوه النيمة والبغى ؛ فدعا البغى الحسد فتقوى به وتمكّن ،
ودعا الحسد بغض أهل الفقر لأهل الغنى ، وأهل الخمول لأهل الشرف ؛ ثم أتاهم
الإسكندر وهم على ذلك من تفرق الأهواء ، واختلاف الأمور ، وظهور البغضاء

(١) نصبت : يقال نصب الرجل (بكسر الصاد) نصبا بفتحها : أعيا وتمب .

(٢) فى الأصول : فدعا البغى والحسد ، ولعل هذه الوار مقحمة من الناصح .

وقوة العداوة فيما بينهم والفساد منهم . ثم ارتفع ذلك إلى أن قتله صاحب حرسه وأمينه على دمه، للذي شمل قلوب العامة من الشر والضعينة، ونبت فيها من العداوة والفُرقة ، وكفى الإسكندر مؤنة نفسه؛ وقد اتعظتُ بذلك اليوم وذكرته .

يا أيها الناس ، فلا أسمعن في هذه النعمة تفرقا ولا بغيا ولا حسدا ظاهرا ، ولا وشاية ولا سعاية ، فإن الله قد طهر من ذلك أخلاقنا ومُلْكنا، وأكرم عنه ولا يتنا، وما نلت ما نلت بنعمة ربنا وحمده بشيء من الأمور الخبيثة التي نقتها العلماء ، وعافتها الحكماء ؛ ولكن نلت هذه الرتبة بالصحة والسلامة، والحب للرعية، والوفاء والعدل والاستقامة والتؤدة . وإنما تركنا أن نأخذ عن هذه الأمم التي سميناها، أعني من الترك والبربر والنزج والجبال وغيرهم ، مثل ما أخذنا عن الهند والروم لظهور هذه الأخلاق فيهم وغلبتها عليهم . ولا تصلح أمة قط وملكها على ظهور هذه الأخلاق التي هي أعدى أعدائكم .

يا أيها الناس ، إن فيما بسط الله علينا بالسلامة والعافية والاستصلاح غنى لنا عما نطلب بهذه الأخلاق الرديئة المشثومة ؛ فأكفوني في ذلك أنفسكم ، فإن قهر هذه الأعداء أحب إلىّ وخير لكم من قهر أعدائكم من الترك والروم . فأما أنا أيها الناس فقد طبتُ نفسا بترك هذه الأمور ومحققها وقمعها ونفيها عنكم .

يا أيها الناس ، إنى قد أحببت أن أنفى عدوكم الظاهر والباطن ؛ فأما الظاهر منهما فإننا بحمد الله ونعمته قد نفيناه وأعاننا الله عليه وحصد لنا شوكته ، وأحسبتم فيه وأجلمتم وآسبتم وأجهدتم ، فأفعلوا في هذا العدو كما فعلتم في ذلك العدو، وأعملوا فيه كالذي عملتم في ذلك، وأحفظوا عني ما أوصيكم به فإنى شفيق عليكم ناصح لكم .

أيها الناس ، من أحميا هذه الأمور فينا فقد أفسد بلاءه عندنا بقتاله من كان يقاتلنا من أعدائنا، فإن هذه أكثر مضرّة، وأشدّ شوكة، وأعظم بليّة، وأضرّ تبعّة.

وأعلموا أن خيركم يأبى الناس من جمع إلى بلائه السالف عندنا المعونة لنا على نفسه
 في هذا الغابر . وأعلموا أن من غلبه هذا غلبه ذلك ، ومن غلب هذا فقد قهر ذلك ؛
 وذلك أن بالسلامة والألفة والمودة والاجتماع والتناصح منكم يكون العز والقدرة والسلطان ،
 ومع التحاسد والبغى والنميمة والسب يكون ذهاب العز ، وأنتقطاع القوة وهلاك
 الدنيا والآخرة ؛ فعليكم بما أمرناكم به ، وأحذروا ما نهيناكم عنه ، ولا حول ولا قوة
 إلا بالله . عليكم بمواساة أهل الفاقة ، وضيافة السابلة^(١) ، وأكرموا جوار من جاورك ،
 وأحسنوا صحبة من دخل فيكم من الأثم ، فإنهم في ذمتي ، ولا تجبهوهم ولا تظلموهم ،
 ولا تسلطوا عليهم ، ولا تخرجوهم ، فإن الإخراج يدعو إلى المعصية ، ولكن اصبروا
 لهم على بعض الأذى ، واحفظوا أمانتكم وعهدكم ، واحفظوا ما عهدت إليكم من
 هذه الأخلاق ، فلا تصلحوا إلا معها ، وبالله تعالى ثقنا في الأمور كلها . ثم هلك
 أنوشروان بعد ثمان وأربعين سنة من ملكه .

ثم ملك بعده أبنه هرمز بن كسرى أنوشروان . وأمه قائم بنه خاقان
 ملك الترك . وقيل : بل ابنة ملك من ملوك الخزر . قال : وكان كثير
 الأدب ، حسن السياسة ، جميل النية ، وافر الإحسان إلى الضعفاء والمساكين .

وكان من سيرته المرتضاة أنه يُجرى الخير والعدل على الرعية ، ويشدد على العظماء
 المتسلطين على الضعفاء . وبلغ من عدله أنه كان يسير إلى المياه ليصيف هناك ، فأمر
 فنودي في مسيره أن يُحامي مواضع الحروث ، ولا يسير فيها الراكب لئلا يضرها
 بأحد ، ووكل بتعهد ما يجري في عسكره ، ومعاقبة من تعدى أمره وتغريمه لصاحب

(١) السابلة هنا : المسارون على الطريق المسلك . ٢٠

الحرث عوضا عما أفسده له . وكان أبنه كسرى أبرويز في عسكره فغار مركبٌ
من مراكبه ووقع في حرث كان على الطريق ، فأفسد ما مرّ عليه ، فأخذ ودفع إلى
الرجل الموكل من جهة هرمز بمعاينة من أفسد هو أو دوابه شيئا من الحرث ، فلم
يجسر الرجل الموكل من جهة هرمز أن ينقذ أمر هرمز في أبنه أبرويز ، فرفع
الأمر إلى هرمز فأمره أن يجعد أذنيه ، ويترّذنبه ، ويفترم كسرى أبرويز
لصاحب الحرث ، فخرج الرجل لإنفاذ الأمر ، فمدس له كسرى رهطاً من العظماء
يسألونه التثبيت في الأمر ، فكلموه فلم يجب إلى ذلك . فسأله تأخير إنفاذ الأمر
في المركب حتى يكلموا هرمز ، ففعل ، ولقى أولئك الرهط هرمزا وأعلموه أن
ذلك المركب الذي غار إنما غار زعارة^(١) ، وأنه أخذ لوقته . وسأله أن يأمر بالكف
عن جدعه وبتره ، لما في ذلك من سوء الطيرة فلم يجهم إلى ما سأله ، وأمر
بالمركب فجعدت أذناه وبترذنبه ، وغرم كسرى كما يغرم غيره من الجند ثم ارتحل .

قال : وركب ذات يوم في أوان إيناع الكرم يريد ساباط المدائن ، وكان ممّزه على
بساتين وكروم ، فنظر بعض الأساورة إلى كرم فرأى حصرما ، فأصاب منه عناقيد
ودفعها إلى غلامه وقال : اذهب بها إلى المتزلة وأطبخها بلحم وأصنع منها مرققة
فإنها نافعة في هذا الإبان ، فأتاه حافظ ذلك الكرم فلزمه وصاح به ، فبلغ إشفاق
الأسوار من عقوبة هرمز أن دفع إلى حافظ الكرم منقطة محلاة بالذهب كانت
في وسطه ، وسأله أن يأخذها عوضا عما أخذه من الحصرم ، ولا يرفع الأمر
إلى الملك .

(١) زعارة : شراسة وسوء خلق .

(٢) ساباط المدائن : مدينة في جانب دجلة الفري (راجع تقويم البلدان لأبي الفداء) .

فهذه كانت سيرته في العدل ، وهذا كان خوف جنده وأساورته منه . وكان مظفراً منصوراً ، وكان أديبا داهيا ، إلا أنه كان مُقَصِّباً للأشراف وأهل البيوتات والعلماء . وقيل : إنه قتل ثلاثة عشر ألف رجل وستمائة رجل منهم ، ولم يكن له رأى إلا في تألف السفلة وأسقاط الناس وأستصلاحهم . وحبس خلقا كثيرا من العظماء ، وحط مراتب جماعة كبيرة ، وقصر بالأساورة ففسدت عليه نيات أكابر جنده وعظماء مملكته ، فكان عاقبة سوء هذا التدبير أن خرج عليه جماعة من الملوك منهم شابه [شاه] ^(١) ملك الترك في ثلثة ألف مقاتل ، وسار إلى بادغيس ^(٢) ، وذلك بعد مضي إحدى عشرة سنة من ملكه ، وخرج عليه ملك الروم في ثمانين ألف مقاتل ، وخرج عليه ملك الخزر حتى سار إلى باب الأبواب ، وخرج عليه من العرب خلق كثير ، فقتلوا في شاطئ الفرات وشتوا الغارات على أهل السواد ، فاجتروا عليه أعداؤه وغزوا بلاده .

فأما شابه [شاه] ^(١) ملك الترك فإنه أرسل إلى هرمز وإلى عظماء ملكه من الفرس يؤذنههم بإقباله في جيوشه زُمرًا زُمرًا ، وأعلمهم أنه يريد غزو الروم ، ويسلك إليهم من بلادهم ، وأمرهم أن يعقدوا له قناطر على كل نهر يمر عليه في بلادهم من الأنهار التي لا قناطر عليها ، وكذلك في الأودية ، وأن يسهّلوا له الطرق والمسالك وقال : فإنني قد أجمعت على المسير إلى بلاد الروم من بلادكم ، فاستفزع هرمز ما ورد عليه من ذلك ، وجمع أكابر مملكته وعرض ذلك عليهم ، وشاورهم فيما يفعله ، فاجتمعت الآراء على قصد ملك الترك وحربه ، فندب إليه رجلا من أهل الرأى والنجدة يقال له بهرام جوبين ، فاختر بهرام من العسكر اثني عشر ألفا

(١) الكلمة من غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم للعلاني (ص ٦٤٢) .

(٢) بادغيس : ناحية تشتمل على قري من أعمال هراة ومرور الرود .

من الكهول دون الشباب، وسار بهم حتى انتهى إلى هراة^(١) وبادغيس، ولم يشعر شابه [شاه]^(٢) ملك الترك بهرام حتى وافاه ونزل بالقرب من معسكره، فكانت بينهما حروب كثيرة آخرها أن بهرام جوبين قتل شابه برمية رماه [بها]^(٣) فاستباح عسكره، وأقام بهرام موضعه، فوافاه برمودة^(٤) بن شابه وكان يعدل بأبيه، فخاربه فهزمه بهرام جوبين وحصره في بعض الحصون، ثم ألح عليه حتى استسلم له، فوجهه أسيرا إلى هرمنز، وغنم كنوزا عظيمة، فيقال إنه حمل إلى هرمنز من الأموال والجواهر والأواني وسائر الأمتعة وقرماتى ألف وخمسين ألف بعير في مدة تلك الأيام، فشكره هرمنز على ذلك، وأمره أن يتقدم بمن معه إلى بلاد الترك فلم يره بهرام صوابا، ثم خاف سطوة هرمنز.

- ١٠ وحكى له أن الملك يستقل ما حمله إليه من الغنائم في جنب ما وصل إليه منها، وأنه يقول في مجالسه قد ترفه بهرام واستطاب الدعة، وبلغ ذلك الجند نجافوا مثل خوفه. فيقال إن بهرام جمع ذات يوم وجوه عسكره وأجلسهم على مراتبهم ثم خرج عليهم في زي النساء وبیده مِغزَلٌ وقطن حتى جلس في موضعه؛ وحمل إلى كل واحد من أولئك القوم مِغزَلٌ وقطن ووضع بين أيديهم، فامتعضوا من ذلك وأنكروه وقالوا: ما هذا الزي! فقال بهرام: إن كتاب الملك ورد على ذلك ولا بد من امتثال أمره إن كنتم طائعين له، فأظهروا أنفة وحمية وأجمعوا كلهم على خلع

(١) هراة: مدينة عظيمة مشهورة بجراسان خربها التتر، وكانت فتحت في أيام عثمان رضى الله عنه.

(راجع تقويم البلدان لأبي الفداء).

(٢) التكملة من غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم للتعالي (ص ٦٥٢).

(٣) زيادة يقتضها السياق.

(٤) كذا في تاريخ الطبرى (ص ٩٩٣ من القسم الأول طبعة أوربا). وفي تاريخ ابن الأثير

(ج ١ ص ٣٤٢ طبعة أوربا): « برمودة بن شابه » وفي الأصول: « رمودة ».

هرمز ، فخلعوه وأظهروا أن أبنه كسرى أبرويز أصلح لملك منه ، وساعدهم على ذلك خلق كثير ممن كان بحضرة هرمز .

ولما اتصل ذلك بهرمز أنفذ جيشا كثيفا مع بعض قواده لمحاربة بهرام جويين ، فأشفق أبرويز من الحديث وخاف سطوة أبيه بهرام ، فهرب إلى أذربيجان ، فاجتمع إليه هناك عدّة من المرازبة ومن الأصهبذيين ، فأعطوه بيعتهم ولم يُظهر أبرويز شيئا ، وأقام بمكانه إلى أن بلغه قتل القائد الذي كان قد بعثه هرمز لمحاربة بهرام جويين ، وهو أذبيحشيش ، وهزيمة الجيش الذي كان معه واضطراب أمر هرمز أبيه ، وكتبت أخت أذبيحشيش إلى كسرى أبرويز تخبره بضعف أبيه هرمز ، وأعلمته أن العطاء والوجوه قد أجمعوا على خلعه ، وأن بهرام جويين إن سبقه إلى المدائن احتوى على الملك . قال : ولم يلبث العطاء أن وثبت على هرمز وفيهم ^(١) بندويه وبسطام خلاا أبرويز وخلعوه وسملوا عينيه ، وتركوه تحزجا من قتله . فكان ملكه إلى أن خُلع وسُمل اثنتي عشرة سنة .



ثم ملك بعده أبنه كسرى أبرويز بن هرمز بن كسرى أنوشروان . قال :
ولما ملك بادر بن معه إلى المدائن وسبق إليها بهرام جويين وتزوج وجمع إليه الوجوه والأشراف ، وجلس على السرير ومناهم ، وأمرهم بالسمع والطاعة ، فاستبشر الناس به ودعوا له وأجابوه ودخلوا تحت طاعته . فلما كان في اليوم الثاني أتى إلى أبيه فسجد له ، وأعتذر وقال : إنك تعلم أيها الملك إنني بريء مما جناه إليك هؤلاء القوم الذين فعلوا بك ما فعلوا ، وإنما هربتُ خوفا منك وإشفاقا على نفسي ، فصدقه هرمز وقال : يا بني ! إن لي إليك حاجتين فأسعفني بهما ، إحداهما : أن

(١) في تاريخ الطبري (ص ٢١٦٩ من القسم الأزل طبعة أوردبا) في كلامه على السقاطية بكسر : « ابنا خال كسرى بندويه ورتويه ابنا بسطام » .

تنتقم لي ممن عاون على خلعي وسمل عيني ولا تأخذك بهم رافة ، والأخرى تؤسني كل يوم بثلاثة نفر ممن لهم أصالة رأي ، وتأذن لهم بالدخول إلى ؛ فتواضع له أبرويز وقال : عمرك الله أيها الملك ، إن المارق بهرام قد أظننا^(١) ومعه أهل الشجاعة والنجدة ، ولسنا نقدر أن نمثد يدا إلى من أتى إليك ما أتى ؛ فإنهم وجوه أصحابك ؛ ولكن إن أمكنني الله من المنافق فأنا خليفتك وطوع أمرك .

قال : وأما بهرام جوبين فإنه ورد إلى النهروان ، فخرج كسرى أبرويز إليه وواقفه بها وجعل النهر بينه وبينه ، ودار بينهما كلام كثير . كل ذلك في استصلاح بهرام ورجوعه إلى الطاعة ، وهو لا يُجيب إلى ذلك ولا يرد إلا ما يسوء أبرويز حتى يئس منه وأجمع على حربه والتقوا واقتلوا . وكان بينهما أخبار كثيرة وأحاديث طويلة آخرها أن أبرويز ضَعَفَ عنه بعد أن قتل بيده ثلاثة نفر من الأتراك ، وكانوا من أشدهم وأعظمهم شجاعة ووسامة ، وكانوا قد التزموا لبهرام بقتل أبرويز ، وضمن لهم بهرام على ذلك أموالا عظيمة .

قال : ثم رأى أبرويز من أصحابه فتورا فسار إلى أبيه وشاوره فرأى المسير إلى الروم ، وأحرز نساءه وشخص في عدة يسيرة فيهم بندويه وبسطام وكردى أخو بهرام ؛ لأنه كان معاديا لأخيه ، شديد الطاعة والنصيحة لأبرويز . فلما خرجوا من المدائن خاف القوم من بهرام ، وأشفقوا أن يرد هرمز إلى الملك ، ويكتب ملك الروم عن هرمز في ردهم فيتلقوا ؛ فذكروا ذلك لأبرويز واستأذنه في إتلاف هرمز فلم يُجِر جوابا ، فانصرف بندويه وبسطام وطائفة معهما إلى هرمز فخنقوه ثم رجعوا إلى كسرى فقالوا : سر على خير طالع ، وأيمن طائر ؛ فحنقوا دوابهم وساروا إلى الفرات فقطعوه ، وأخذوا طريق المفازة بدلالة رجل يقال له : خرشيدان

(١) أظننا : أشرف علينا .

وساروا الى بعض الديارات التي في أطراف العمارة ، فلما أوطنوه للراحة لحقتمهم خيل بهرام جويين ، فلما تَدَرُوا بهم أَنبَهَ بندويه أبرويز من نومه وقال له : احتل نفسك فإن القوم قد طلبوك . فقال كسرى : ما عندى حيلة . فقال بندويه : إني سأحتال لك بأن أ بذل نفسي دونك ؛ قال : وكيف ذلك ؟ قال : تدفع لى ثوبك وزيتك لأطلو الدير وتجو أنت ومن معك من وراء الدير ، فإن القوم إذا وصلوا ورأوا هيئتك على اشتغلوا بى عن غيرى ، وطاولتهم حتى تفوتهم ، ففعل ذلك . وخرج أبرويز ومن معه ، ثم وافت خيل بهرام الدير وعليهم قائد لهم يقال له بهرام ابن سیاوش فاطلع عليهم بندويه من فوق الدير وعليه زينة أبرويز وثيابه ، وأوهمهم أنه هو ، وسأله أن يُنظره الى غد ليصير في يده سلیمان ريسا . به الى بهرام جويين ، فأمسك عنه وحفظ الدير ليلة كاملة بالحرس . فلما أصبح اطلع عليه في بزته وحليته وقال : إن على وعلى أصحابى بقية شغل من استعداد وصلوات وعبادات فأهلنا . ولم يزل يدافعه حتى مضى عامة النهار وأمعن أبرويز ، وعلم بندويه أنه قد فاتهم ، ففتح الباب حينئذ وأعلم بهرام سیاوش بأمره ، فانصرف به الى بهرام جويين فخبسه .

وأما بهرام جويين فإنه دخل المدائن وجلس على سرير الملك ، وجمع العظماء فخطبهم وذم أبرويز ودار بينهم كلام ، فكان كلهم منصرفا عنه إلا أن بهرام تتوج وانقاد له الناس خوفا ، ثم إن بهرام بن سیاوش واطأ بندويه على الفتك بهرام جويين ، فظهر بهرام على ذلك ، فقتل سیاوش وأفلت بندويه ولحق بأذربيجان ، وسار أبرويز حتى أتى أنطاكية فكتب ملك الروم منها ، وراسله بجميع من كان معه وسأله نصرته ، فأجابه الى ذلك وزوجه ابنته مريم وحملها إليه ، وأمدّه بنيادوس أخيه ومعه ستون ألفا من المقاتلة ، عليهم رجل يقال له سرجس ، يتولى تدبير

(١) في تاريخ الطبرى (ص ٩٩٨ من القسم الأوّل طبع أوردبا) : « اطلرك » .

أمرهم، ورجل آخر من أبطال الروم، كان يعدّ بينهم بألف رجل، وسأله ترك الأناوة التي كان أبوه ومن قبله من ملوك الفرس يستأدونها من ملوك الروم إذا هو ملك، فأجابه الى ذلك، وفرح بال جيش الذي أمده به ملك الروم، واغتنب بهم وأراحهم خمسة أيام، ثم عرضهم وعرف عليهم العرفاء وسار بهم حتى نزل من أذربيجان في صحراء تدعى الدنق^(١) فوافاه هناك بندويه ورجل من أصهبندي الناحية يقال له موسيل في أربعين ألف مقاتل، فانضموا إليه، ووافاه الناس بالخيل من أصهبان وفارس، وانتهى الى بهرام جويين مكانه بصحراء الدنق، فشخص نحوه من المدائن، فحرت بينهما حروب شديدة قتل فيها الكي الرومي بضربة ضربه بها بعض الفرس على رأسه فقد رأسه وبدنه، وعاد فرسه بنصف بدنه الباقي الى المعركة.

- ١٠ فلما رآه أبرويز استضحك؛ فعظم ذلك على الروم وعاتبوا أبرويز وقالوا له: هذا جزاؤنا منك! يقتل كميّنا وواحد عصره في طاعتك وبين يديك ونصحك ونصرتك وأنت تضحك لقتله! فاعتذر بأن قال: إني والله ما ضحكك لما تكهون. ولقد شقّ على أن فقدت مثله أكثر مما شقّ عليكم، ولكني رأيتم تستصغرون شأن جويين وتكفرون هربي منه، فذكرت ذلك من قولكم الآن وعلمت أنكم برؤيتكم هذه الضربة تعيدروني وتعلمون يقينا أن هربي إنما كان من أمثال هؤلاء القوم الذين هذا مبلغ نكايتهم في الأبطال. ويقال إن أبرويز حارب بهرام منفردا عن العسكر بأربعة عشر رجلا منهم كردى أخو جويين وبندويه وبسطام حربا شديدا وصل فيها بعضهم الى بعض، وآخر الأمر أن أبرويز استظهر استظهارا يئس منه بهرام جويين، وعلم

(١) كذا في تاريخ الطبرى (ص ١٠٠٠ من القسم الأول طبع أوروبا) وفي الأصل وردت هكذا

٢٠ «الرق» باهمال الحرف الذي قبل التامف. وفيه مصحح الطبرى بالهامش بأنها وردت في بعض النسخ هكذا: «الرق، الرق، الدق، الرق».

أنه لا حيلة له فيه ولا قدرة عليه ، فأنحاز عنه نحو خراسان ، ثم سار الى الترك ، وسار أبرويز الى المدائن بعد أن فرق في الجنود من الروم أموالا عظيمة وصرفهم الى ملك الروم .

قال : ولبت بهرام جويين في الترك مكرما عند الملك حتى احتال عليه كسرى أبرويز بتوجيهه رجلا يقال له هرمز الى الترك بجوهر نفيس وغيره من الهدايا الى امرأة ملك الترك حتى دسّت لبهرام من قتله ؛ فاعتمّ خاقان لموته وأرسل الى أخته كردية وأمراة يعلمهما بلوغ الحوادث ببهرام ، وسأل كردية أخت بهرام أن يتزوجها وفارق أمراته خاتون بهذا السبب ، فأجابته كردية جوابا ليئا ، ثم ضمت إليها من كان مع أخيها بهرام من المقاتلة ، ونحرت بهم من بلاد الترك الى حدود مملكة فارس ، فاتبعا ملك الترك أخاه نظراً في آئني عشر ألف فارس .^(١) فيقال إن كردية قاتلت وقتلت نظرا بيدها ، ومضت لوجهها حتى بلغت حدود أرض فارس ، وكتبت الى أخيها كردى فأخذ لها أمانا من أبرويز ، فلما قدمت عليه اغتبط بها وتزوج بها أبرويز .

قال : ولم يزل أبرويز يلاطف ملك الروم الذي نصره وأمدّه ويهاديه الى أن وثبت الروم عليه في شيء أنكروه منه فقتلوه وملكوا غيره ، فبلغ ذلك أبرويز فتألم له وأوى الى أبرويز ابن الملك المقتول ، فتوجه أبرويز وملكه على الروم ، ووجه معه جنودا كثيفة مع شهر ياز فدوخ بهم البلاد . وملك صاحب كسرى بيت المقدس وأخذ خشبة الصلب وبعث بها الى كسرى ، وذلك في أربع وعشرين سنة من ملكه ، ثم احتوى على مصر والاسكندرية وبلاد النوبة ، وبعث مفاتيح نهر الإسكندرية الى كسرى في سنة ثمان وعشرين من ملكه ، وقصد قسطنطينية فأناخ

(١) كذا في تاريخ الطبرى . وفي الأصل : « بطرا » .

على ضفة الخليج الذي هو بالقرب منها وخيم هنالك، فأمره كسرى فخرّب بلاد الروم غضبا على أهلها لما انتهكوا من ملكهم وانتقاما له، ومع ذلك لم يخضعوا لأبن ملكهم المقتول ولا منحوه الطاعة، ولا مال إليه واحد منهم؛ غير أنهم قتلوا الملك الذي ملكوه عليهم بعد أبيه المسمى قوقا لما ظهر لهم من فجوره وسوء تدييره؛

٥ وملكوا عليهم رجلا يقال له هرقل. فلما رأى هرقل عظم ما فيه أهل بلاد الروم من تخريب جنود فارس بلادهم، وقتلهم مقاتلتهم، وسبيهم ذراريهم، واستباحتهم أموالهم تضرع إلى الله وأكثر الدماء وابتهل. فيقال إنه رأى في منامه رجلا ضخما الجثة رفيع المجلس قد دخل عليه، فدخل عليهما داخل فألقى ذلك الرجل عن مجلسه وقال لهرقل: إني قد أسلمته في يدك، فلم يقصص رؤياه تلك في يقظته على أحد حتى توالى عليه أمثاله، فأرى في بعض لياليه كأن رجلا دخل عليهما وبينده

١٠ سلسلة طويلة فألقاها في عنق صاحبه، أعنى صاحب المجلس الرفيع، ثم دفعه إليه وقال له: ها قد دفعت إليك كسرى برقبته.

فلما نتابت هذه الأحلام قصّها على عظماء الروم وذوى العلم منهم، فأشاروا عليه أن يفزّوه، فأستعدّ هرقل وأستخلف ابنه على مدينة قسطنطينية، وأخذ عن الطريق الذي فيه شهرياز صاحب كسرى وعدل إلى غيرها، وسار حتى أوغل في بلاد

١٥ أرمينية ونزل نصيبين سنة، وكان صاحب ذلك الثغر من قبل كسرى استُدعي لمؤجدة كانت من كسرى عليه. وأما شهرياز فقد كانت كتب كسرى ترد عليه في الجثوم على الموضع الذي هو به وترك البراح، ثم بلغه أن هرقل قد أقام بجنوده

(١) في تاريخ الطبري (ص ١٠٢ من القسم الأول): «شهرياز» وأشار مصححه بالهامش

إلى أنه ورد في بعض المراجع: «شهريران» و«شهريار».

بنصيبين ، فوجه كسرى لمحاربة هرقل رجلا من قواده يقال له : راهزار^(١) في آثني عشر ألف رجل من الأتجاد ، وأمره أن يقيم بينوى - وهى الموصل - على شاطئ دجلة ويمنع الروم أن يجوزوها . وكان كسرى بلغه خبر هرقل ، وهو يومذاك بدسكرة^(٢) الملك ، فنفذ الجيش لمنعه من جواز دجلة ، فعسكروا حيث أمرهم كسرى ، فقطع هرقل دجلة من موضع آخر الى الناحية التى فيها جنود فارس ، فأذكى راهزار العيون عليه ، فأخبروه أن هرقل فى سبعين ألف مقاتل ، فأيقن راهزار ومن معه من الجند أنهم عاجزون عن مناهضته ، فكتب الى كسرى غير مرة أن هرقل قد دهمه بما لا طاقة له به ولا قيل من الجنود الكثيرة . كل ذلك يبيحه كسرى بأنه إن عجز عن الروم فلن يعجز عن استقبالهم ، وبذل دماء الفرس فى طاعة .

فلما تابعت على راهزار أجوبة كسرى بذلك عبأ جنده وناهض الروم بهم ؛ فقتلت الروم راهزار وستة آلاف رجل من الفرس ، وانهمز بقيتهم وهربوا على وجوههم لابلون على شئ ، وبلغ كسرى ذلك فأنحاز من دسكرة الملك الى المدائن ، وتحصن بها لعجزه عن محاربة هرقل ، وسار هرقل بجيوش الروم حتى كان قريبا من المدائن ، فاستعد كسرى لقتاله ، فلما بلغه ذلك أنصرف الى أرض الروم ، وكتب كسرى الى قواد الجند الذين انهزموا يأمرهم أن يدلّوه على كل رجل انهزم منهم ، ومن فشل فى تلك الحرب ، ولم يربط مركزه ، وأمر بقوتبتهم بحسب ما استوجبوا ، فأحوجهم بهذا الكتاب الى الخلاف عليه ، وطلب الحيل لنجاة أنفسهم منه ، وكتب الى شهر ياز يأمره بالقدوم عليه ويستعجله فى ذلك ويصف ما نال هرقل منه ومن بلاده .

(١) كذا فى تاريخ الطبرى ، وكتب مصححه بهامشه : « راهزاد » ، وفى الأصل : « زاهراد » .

(٢) الدسكرة : بناء شبه قصر حوله بيوت يكون للوك (المعرب للجواليق) .

وقد حكى أن كسرى عرف أن له امرأة في فارس لا تلد إلا الملوك والأبطال فدعاها وقال : إنني أريد أن أبعث إلى الروم جيشا وأستعمل عليهم رجلا من بنيك فأشيرى عليّ أيهم أستعمل ، فوصفت له أولادها فقالت : هذا فرخان أتخذ من سنان ؛ وهذا شهر ياز أحكم من كذا ، وهذا فلان أروغ من كذا ؛ فأستعمل شهر ياز ؛ فسار إلى الروم فظهر عليهم وهزمهم ونحرب مدائنهم .

فلما ظهرت فارس على الروم جلس في بعض الأيام فرخان يشرب ؛ فقال فرخان لأصحابه : لقد رأيت أني جالس على سرير كسرى ، فبلغت كلمته كسرى ، فكتب إلى شهر ياز : إذا أتاك كتابي هذا فأبعث إلى برأس فرخان ، فكتب إليه : أيها الملك ، إنك لن تجد مثل فرخان ، وإن له نكايته في العدو وصيتا فلا تفعل ، فكتب إليه : إن في رجال فارس خلفا منه ، فعجل إلى برأسه ، فراجعته فغضب كسرى ولم يجيبه ، وبعث بريدا إلى أهل فارس : إنني قد نزعتم عنكم شهر ياز وأستعملت فرخان ، فأتقاده شهر ياز وقال : سمعا وطاعة ، ونزل عن سريره وجلس عليه فرخان ، ثم دفع البريد صحيفة صغيرة إلى فرخان كان كسرى قد أعطاها له وقال له : إذا أتقاده شهر ياز إلى طاعة فرخان فأعط فرخان هذه الصحيفة ، فلما قرأها فرخان قال : عليّ بشهر ياز ! فأثني به فقدم ليضرب عنقه فقال : لا تعجل عليّ حتى أكتب وصيتي ، ثم دعا بسفط وأخرج منه ثلاث صحائف ، وهي التي كان كسرى أمر شهر ياز فيها بقتل فرخان وقال له : كل هذه راجعت كسرى فيها عنك ، وأنت تريد أن تقتلني بكتاب واحد؟ فردّ الملك إلى أخيه واعتذر

(١) في تاريخ الطبري (ص ١٠٠٧ من القسم الأول طبع أوروبا) : « شهر ياز » وقد ورد فيه

هذا الخبر .

(٢) كذا في تاريخ الطبري . وفي الأصل : « علي » .

منه ، فكتب شهر ياز الى هِرَقْل ملك الروم : إن لى إيلك حاجة لا تحملها البُرد ، ولا تُبلغها الصُحف ، فالقني ولا تأتيني إلا فى خمسين روميا ، فأتى أيضا ألك فى خمسين فارسيا ، فأقبل هِرَقْل فى خمسمائة [ألف]^(١) رومى ، وجعل يضع العيون بين يديه فى الطريق ، وخاف أن يكون قد مكر به ، فأتته عيونُه أنه ليس مع شهر ياز إلا خمسين رجلا .

قال : ثم ألتقيا وقد بسط لهما فى قبة من الديباج ضربت لهما ، فأجتمعا ومع كل واحد منهما سكين ، ودعوا ترجمانا يترجم لكل منهما عن قول الآخر ؛ فقال شهر ياز لهرقل : إن الذين خربوا مدينتك وبلغوا منك ومن جُندك ما بلغوا أنا وأمى بشجاعتنا وكبدنا ، وإن كسرى حسدنا وأراد قتل أمى وكتب إلى بقتله فأبيت ، ثم أمر أمى أن يقتلنى وقد خلعتاه جميعا ونحن تقائله معك . قال : قد أصبنا ووقفنا ، ثم أشار أحدهما الى صاحبه : إن السر إنما يكون بين اثنين فإذا جاوز اثنين فشا ، قال الآخر : نعم ، فقاما جميعا الى الترجمان بسكينيهما فقتلاه ، وأتفقا على قتال كسرى أبرويز .

ومما أتفق فى أيامه من الحوادث يوم ذى قار ، وسنذكره . إن شاء الله تعالى - فى أيام العرب ووقائمه ، ولم نذكر فى هذا الموضع يوم ذى قار على سبيل الإيراد له بل على سبيل التنبيه عليه .

ذكر حيلة لأبرويز على ملك الروم

قال : كان أبرويز وجه رجلا من جلة أصحابه فى جيش جرار الى بلاد الروم ، فنكا^(٣) فيهم ، وبلغ منهم ، وفتح الشام ، وبلغ الدرب فى آثار الروم ، فمظم أمره حتى خافه

(١) التكلة من تاريخ الطبرى .

(٢) الجلة (بالكسر) : العظام السادة ذور الأخطار .

(٣) نكا فى البدو : قتل فيهم وجرح وأخذ .

أبرويز، فكتبه بكتابين، يأمره في أحدهما أن يستخلف على جيشه من يشق به، ويقبل إليه، ويأمره في الكتاب الآخر أن يُقيم بمكانه، وأنه لما تدبر أمره، وأجال الرأي لم ير من يُستد مسدته، ولم يأمن الخلل إن غاب عن موضعه، وأرسل بالكتابين رسولا من ثقافته وقال له: أعطه الكتاب الأول بالأمر بالقدوم، فإن أجاب الى ذلك فهو ما أردت، وإن كرهه وتناقل عن الطاعة فأسكت عليه أياما وأعلمه أن الكتاب الثاني ورد عليك وأوصله اليه ليقم بموضعه. فخرج رسول كسرى حتى أتى صاحب الجيش ببلاد الشام فأوصل اليه الكتاب، فلما قرأه قال: إما أن يكون كسرى قد تغير لي وكره موضعي، أو يكون قد أختلط عقله بصرف مثلي وأنا في نحر العدو؛ فدعا أصحابه وقرأ عليهم الكتاب فأنكروه. فلما كان بعد ثلاثة أيام أوصل اليه الكتاب الثاني بالمقام وأوهمه أن رسولا ورد به. فلما قرأه قال: هذا تخليط ولم يقع منه موقعا، ودس الى ملك الروم من باطنه في إيقاع الصلح بينهما على أن يُخلى الطريق لملك الروم حتى يدخل الى بلاد العراق على غيرة من كسرى، وعلى أن لملك الروم ما يغلب عليه من دون العراق، وللفارسي ما وراء ذلك من بلاد فارس، فأجابه ملك الروم الى ذلك وتحمى الفارسي عنه في ناحية من الجزيرة، وأخذ أفواه الطريق، فلم يعلم كسرى حتى ورد خبر ملك الروم من ناحية قرقيسيا، وكسرى على غير استعداد، وجنوده متفرقون في أعماله. فلما أتاه الخبر وثب عن سريره وقال: هذا وقت حيلة ومكيدة، لا وقت شدة، وجعل ينكت الأرض مليا، ثم دعا برق فكتب فيه كتابا صغيرا بخط دقيق الى صاحبه بالجزيرة يقول فيه: قد علمت ما كنت أمرتك به من مواصلة صاحب الروم وأطاعهم في نفسك، وتخليّة الطريق حتى إذا تولى بلادنا أخذته من أمامه، وأخذته ومن ندبناه معك من خلفه فيكون في ذلك

(١) قرقيسيا: مدينة بالجزيرة مصب نهر الخابور بالفرات.

بواره، وقد تمّ في هذا الوقت مادبرناه ، وميعادك في الإيقاع به يوم كذا وكذا، ثم دعا راهبا في دير يجوار مدينته وقال له : أيّ جاري كنتُ لك ، قال : أفضل جارٍ ، فقال : قد بدتُ لنا اليك حاجة ، فقال الراهب : الملك أجلّ من أن يكون له إلى حاجة ، ولكن عندي بذل نفسي ، فما الذي يأمر به الملك ؟ قال كسرى : تحمل لي كتابا الى فلان صاحبي ، قال نعم ، قال كسرى : ستمز بأصحابك النصراري فأخفه ، فلما ولى عنه الراهب قال له كسرى : أعلمت ما في الكتاب ؟ قال لا ، قال : فلا تحمله حتى تعلم ما فيه . فلما قرأه أدخله في جيبه ثم مضى . فلما صار في عسكر الروم ونظر إلى الصّلبان والقسيسين وصحّيجهم بالتقديس والصلوات آخترق قلب الراهب وأشفق عليهم وقال في نفسه : أنا شر الناس إن حملتُ بيدي حتف النصرانية ، وهلاك هؤلاء الخلق ، فصاح الراهب : أنا لم يُحملني الملك كسرى رسالة ولا معي كتاب ، فأخذوه فوجدوا الكتاب معه ، وقد كان كسرى أيضا وجه رسولا قبل ذلك وأمره أن يمز بعسكر الروم كأنه رسولٌ الى كسرى من صاحبه الذي وافق ملك الروم ومعه كتابٌ فيه : إن الملك كان قد أمرني بمقاربة ملك الروم ، وأن أخدعه وأخلى له الطريق ، فأخذه الملك من أمامه وأخذه أنا من خلفه ، وقد فعلتُ ذلك ، فرأى الملك في إعلامي وقت خروجه اليه . فأخذ ملك الروم الرسول وقرأ الكتاب وقال : قد عجبتُ من أن يكون هذا الفارسيّ معي على كسرى ، ووافاه كسرى أبرويز فيمن أمكنه من جنده ، فوجد ملك الروم قد ولى هاربا فأتبعه يقتل ويأسر من أدرك ، وبلغ صاحب كسرى هزيمة الروم فأحب أن يُحلب نفسه ويستز ذنبه . فلما فاته مادبرّ خرج خلف ملك الروم يقتل فيهم ويأسر ، فلم يسلم منهم إلا القليل .

ذكر سبب هلاك أبرويز وقتله

قال : وكان سبب ذلك تجبره واحتقاره للعلماء وعُتوه ، وذلك أنه استخف بما لا يستخف به الملك الحازم ، وكان قد جمع من المال ما لم يجمعه أحد من الملوك ، وبلغت خيله الى قسطنطينية وأفريقية ، وكانت له اثنتا عشرة ألف امرأة وجارية ، وألف فيل إلا فيل واحد ، وخمسون ألف دابة ، ومن الجواهر والأواني والآلات ما يليق بذلك ، وأمر أن يُحصى ما جُي من بلاده وسائر أبواب المال سنة ثمانى عشرة من مُلكه ، فرفع إليه أن الذى جُي في تلك السنة من الخراج وسائر الأبواب كان ستمائة ألف ألف درهم ، وأمر أن يُحوّل إلى بيت مال بُني بمدينة طيسفون^(١) من ضرب فيروز بن يزدجرد وقباز بن فيروز اثنتى عشرة ألف بدرّة من أنواع الجواهر وغير ذلك .

قال : فعتا وتجبر وأستهان بالناس والأحرار ، وبلغ من جرّاته أنه رأى رجلا كان على حرس باب الخصاصه ، يقال له : زاذان فرّوخ ، فأمره أن يقتل كل مقيد في سجن من سجنونه ، فأحصوا من بالسجون من المقيدين فبلغوا ستة وثلاثين ألفا ، فلم يقدر زاذان فرّوخ على قتلهم ، وتوقف عن إمضاء أمر كسرى وأعدّ عِلا له فيما أمره به فيهم ، فكان هذا أحد الأسباب التي كسب بها كسرى عداوة أهل مملكته مع وجود احتقاره إياهم ، واستخفافه بهم ، وأطراحه لعظماهم . ومن ذلك أنه سلط عِلا ، يقال له : فرخان زاذ ، على الخراج فاستخرج بقاياهم منهم بعنف وعذاب . ومن ذلك أنه أجمع على قتل الفل^(٢) الذين أنصرفوا إليه من

(١) كذا في معجم البلدان لياقوت . وهى مدينة كسرى التي فيها لإيران ، بينها وبين بغداد ثلاثة

فراخ . وفي الأصل : « بطيسون » وتاريخ الطبرى : « طيسون » .

(٢) الفل (بالفتح) : الجماعة .

قَبْلَ هِرَقْلَ ، فَأَكَّدَتْ هَذِهِ الْأَسْبَابَ بَغْضِهِ ، وَأَسْتَطَالَ النَّاسَ مَدَّتَهُ ، فَكَانَ نَتِيجَةَ ذَلِكَ أَنَّ قَوْمًا مِنَ الْعِظَاءِ أَنْصَرَفُوا إِلَى عَقْرِ بَابِلَ ، وَفِيهِ شِيرِي بْنُ أِبْرَوِيْزِ مَعَ إِخْوَتِهِ ، وَقَدْ كَانَ كَسْرَى أِبْرَوِيْزَ وَكُلَّ بِيْهَمٍ مُؤَدِّبِينَ وَأَسَاوِرَةَ ، يُحُولُونَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ يَجْتَمِعُ بِهِمْ مِنَ النَّاسِ ، وَيَمْنَعُوهُمْ مِنَ الْبِرَاحِ ، فَأَخَذَهُ الْعِظَاءُ وَأَقْبَلُوا بِهِ إِلَى مَدِينَةِ بَهْرَسِيرَ وَدَخَلُوهَا لَيْلًا ، نَخَلَى عَمَّنْ كَانَ فِي سِجُونِهَا وَأَخْرَجَهُمْ ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ الْقَلْبُ الَّذِينَ كَانُوا غَلَبُوا وَفَتَرُوا مِنْ هِرَقْلَ وَأَمْرَ كَسْرَى بِقَتْلِهِمْ ، فَنَادَا : قَبَادَ شَاهَنْشَاهَ ، وَصَارُوا كُلَّهُمْ عِنْدَ الصَّبَاحِ إِلَى رَحْبَةِ كَسْرَى ، فَهَرَبَ الْحَرَسُ ، وَأَنْحَازَ كَسْرَى بِنَفْسِهِ إِلَى بَاغِ لِهَ بِالْقُرْبِ مِنْ قَصْرِهِ ، يَعْرِفُ بِبَاغِ الْهِنْدُوَانِ ، فَأَرَا مَرْعُوبًا ، فَأَخَذَ وَحُيْسَ بِمَكَانِ غَيْرِ دَارِ الْمَلِكَةِ ، فِي دَارِ رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ : مَارَا سَقَنْدُ ، إِلَى أَنْ قُتِلَ بَعْدَ حَدِيثِ طَوِيلٍ وَمُرَاسَلَاتٍ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِهِ شِيرِيْ بِمَوَاطَاةِ الْعِظَاءِ ، بَعْدَ تَقْرِيعِ عَظِيمٍ ، وَتَوْبِيْخِ كَثِيرٍ ، عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ ، وَمِنْ سَوْءِ تَدْبِيرِهِ ، وَقُبْحِ فِعَالِهِ ، وَهُوَ يَجِيْبُهُمْ بِأَجْوَابَةٍ إِقْنَاعِيَّةٍ ، وَلِهَ مُرَاسَلَاتٌ وَوَصَايَا كَتَبَهَا إِلَى ابْنِهِ مِنَ السِّجْنِ ، قَدْ ذَكَرْنَا بَعْضَهَا فِيمَا سَلَفَ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ . وَكَانَ هَالِكًا بَعْدَ ثَمَانِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً مِنْ مُلْكِهِ . وَبِمَضَى اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ وَخَمْسَةَ عَشْرَ يَوْمًا مِنْ مُلْكِهِ ، كَانَتْ هِجْرَةُ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ .

(١) عقربابيل : موضع قرب كربلاء من الكوفة .

(٢) هكذا يسميه العرب في كتبهم ، والفارس يسمونه : « شيرويه » .

(٣) بهر سير : من نواحي سواد بغداد قرب المدائن . وقيل : هي إحدى المدائن السبع التي سميت بها المدائن .

(٤) ورد في هامش نسخة ب حاشية نصها : « الباغ : البستان » .

(٥) كذا في تاريخ الطبري . وفي الأصل : « باغ المدوان » .

قال : ولما قُبِضَ عَلَى كَسْرَى خَلَفَ فِي بَيْتِ الْمَالِ مِنَ الْوَرِقِ أَرْبَعًا مِائَةَ أَلْفٍ ^(١)
بَدْرَةَ سِوَى الْكَنْوَزِ وَالذَّخَائِرِ وَالْجَوَاهِرِ وَالْآلَاتِ .

وكان وزيره والقائم بتدبير دولته بزرجمهر الحكيم . ولبزرجمهر هذا قضايا وحكم ومواظف في أيدي الناس . ويقال : إن بزرجمهر هذا إنما كان وزيراً لكسرى أنوشروان ، وهو الذي قتله . وذلك أن بزرجمهر ترك الجوسية ورجع إلى دين عيسى بن مريم عليه السلام ودان به ، فقتله كسرى لذلك . ويقال : إنه وجد في منطقتيه لما قُتِلَ كِتَابٌ فِيهِ : إِذَا كَانَ الْقَسْدُ حَقًّا فَالْحِرْصُ بَاطِلٌ ، وَإِذَا كَانَ الْغَدْرُ فِي النَّاسِ طَبَاعًا فَالثِّقَةُ بِكُلِّ أَحَدٍ عَجْزٌ ، وَإِذَا كَانَ الْمَوْتُ نَازِلًا فَالطَّمَأِينَةُ إِلَى الدُّنْيَا حَقٌّ .

١٠ قالوا : ولما بلغ بزرجمهر من العمر خمس عشرة سنة دخل على كسرى ، وقد جلست الوزراء على كراسيها والمرآزية في مجالسها . فوقف وحياً الملك بتحيةة الملوك ثم قال : الحمد لله المأمون نعمه ، المرهوب نعمه ، الدال عليه ، بالرغبة إليه ، المؤيد الملوك ، بسعوده في الفلك ، حتى رفع شأنه ، وعظم سلطانه ، وأثار به البلاد ، وأنعش به العباد ، وقسم به في التقدير ، وجوه التدبير ، فرعى رعيته بفضل نعمته ، وحمها المويلات ، وأوردها المعشبات ، وذاد عنها الأكلين ، ^(٢) وألفها بالرفق واللين ، إنعاماً من الله عليه ، وتثبيتاً لما في يديه . وأسأله أن يبارك له فيما آتاه ، ويخبره فيما آستره ، ويرفع قدره في السماء ، ويسير ذكره على وجه الماء ، حتى لا يبقى له بينهما مناوى ، ولا يوجد له مساوى . وأستوهب الله له

(١) الورق : الدراهم المضروبة من الفضة .

(٢) المرآزية : رؤساء الفرس .

(٣) الأصل : « ودادها » والسياق يقتضى ما أثبتناه .

حياة لا يتنص فيها ، وقُدرة لا يبيد أحدٌ عنها ، ومأكل لا يُؤس فيه ، وعافية تُديم له البقاء ، وتكثر له النماء ؛ وعزاً يؤمنه من انقلاب رعيته ، أو هجوم بليته ، فإنه مؤتي الخير ، ودافع الشر .

فلما سمعه كسرى أمر فحشي فهُ بنفيس الجواهر ، ولم تمنعه حداثة سنه أن استوزره ، وقلده خيره وشره ؛ فكان أول داخل ، وآخر خارج . وكان أبوه حامل القدر ، وضيع الحال ، سفيه المنطق ، اسمه البختكان .

قال : ولما قبض على أبرويز ملك بعده ابنه : قباد بن أبرويز ويعرف قباد بشيرويه . وقباد هذا هو القابض على أبيه والقاتل له ، وقتل سبعة عشر أخاه ، وقيل ثمانية عشر ، ذوى آداب وشجاعة ؛ فكان عاقبة ذلك أن الله عز وجل ابتلاه بالأسقام ، فانتقض عليه بدنه ، ولم يلد بشئ من ملاذ الدنيا ، وجرع بعد قتل إخوته جرعا شديدا ؛ وكان يبكي حتى يرمى التاج عن رأسه ، وعاش ما عاش مهموما حزينا مدنفا . وفي أيامه فشا الطاعون فأهلك أكثر الفرس . وكان ملكه ثمانية أشهر ، وقيل أكثر من ذلك .

وملك بعد وفاته ابنه أردشير بن شيرويه وهو ابن سبع سنين ولم يوجد من بيت الملك غيره .

قال : ولما ملكته الفرس عليها حضنه رجل يقال له : مهادر جشنس ؛ فأحسن سياسة الملك . وكان شهر براز المقيم بقر الروم في جنيد ضمهم إليه كسرى أبرويز

(١) كذا في تاريخ الطبري ، وفي الأصول : « مهادر حشيس » بالميم ، وفي موضع آخر : « بهادر حشيس » بالباء .

(٢) كذا في تاريخ الطبري . وهو ما يستفاد . وفي الأصل : « شهر بران » .

وأبنة شيرويه ، وكانا يكتبان اليه ويستشيرانه في الأمر الذي يهمهما ويعملان
 برأيه . فلما مات شيرويه وملكت الفرس عليها ابنة أردشير - مع حدائة سنة - لم
 يساوره عظماء الفرس في ذلك ، فعظم عليه أفرادهم عنه ، وجعل ذلك ذنباً لهم ،
 وبسط يده وطمع في الملك ، وأستهان بعظماء الفرس ، ودعا الناس لنفسه ، وأقبل
 بجنده نحو المدائن ، فعمد مهاذِر جُشنَس الى مدينة طَيْسَبُون ، فخصنها وحول أردشير
 ومن بقي من نسل الملوك ونسائهم والأموال والخزائن والكراع^(١) وغير ذلك إليها ؛
 فورد شهر براز الى مدينة طَيْسَبُون وحاصرها ونصب عليها المجانيق ، فعجز عنها
 لحصاتها ، فأخذ في أعمال المكاييد والحيل ، فلم يزل يتأطف برجل يقال له : نيوخسرو
 ويراسله هو وغيره ، حتى فتحوا له باب المدينة فدخلها ، وقتل جماعة من الرؤساء
 وأستصفى أموالهم وقتل أردشير بن شيرويه . وكان ملكه سنة ونصفاً ، وقيل :
 إنما ملك نصف سنة ، وقيل : خمسة أشهر .

وملك بعده شهر براز ، وقيل فيه : شهر يار ، ولم يكن من أهل بيت المملكة .
 قال : ولما جلس على سرير الملك ضرب عليه بطنه ، وبلغ من شدة ذلك عليه
 أنه لم يقدر على إتيان الخلاء ؛ فدعا بالطست ، فوضع أمام ذلك السرير ، ومد أمامه
 ما يستتر به ، وبقي يتبرز في ذلك الطست .

قال : ثم أمتعض رجل يقال له : فُسْفَرُوخ^(٢) [بن ماخرشيدان^(٣)] وأخوان له من
 قتل شهر براز أردشيرين شيرويه وغلبته على الملك ، فتحالفوا على قتله . وكان
 من السنة إذا ركب الملك أن يقف له حرسه سمّاطين عليهم الدروع والبيض ،

(١) الكراع (بالضم) : يطلق على الخيل والبغال والحمير .

(٢) كذا في تاريخ الطبري . وفي الأصل : « اسفروج » .

(٣) التحفة من تاريخ الطبري .

وبأيديهم السيوف والتّراس والرّماح؛ فإذا حاذاهم الملك وضع كلّ واحدٍ منهم تُرسه على قَرَبُوسٍ مَرَّجِه، ثم يضع جبهته عليه كهيئة السجود .

قال : وآتفق ركوب شَهْرَ بَرَّازٍ في بعض الأيام فوقف فُسْفَرُوخ وأخواه وهم بالقُرْب من بعضهم بعضاً، فلما حازاهم شهر برّاز طعنه فُسْفَرُوخ، ثم طعنه أخواه فسقط عن دابته، فشدّوا رجلاه بحبل وجرّوه إقبالا وإدبارا ساعة، وساعدهم العظاء (٢) على ذلك، وقتلوا جماعةً ممن كان قد ساعد شَهْرَ بَرَّازٍ على قتل أردشير . فكان مُلْكُه أربعين يوماً، وقيل عشرين يوماً .

وملكت بعده بُوران بنت كسرى أبرويز ويقال لها : بوران دخت . قال : فأحسنَت السيرة وبسطت العدل، وأمرت برم القناطر والجسور، وإعادة ما تشعث من العمارات، ووضعت بقايا الخراج، وكتبت الى الناس عاقبة كتباً تعلمهم ما هي عليه من الإحسان، وأنها ترجو أن يريهم الله من الزاهية والاستقامة بمكانها، ومن العدل وحفظ الثغور ما يعلمون أنه ليس ببطش الرجال تُدَوِّخ البلاد، ولا بياسهم مُسْتَبَاح العساكر؛ ولا بمكائدهم ينال الظفر وتُطْفَأ النواثر؛ ولكن ذلك بالله عز وجل، وحُسن النية واستقامة التدبير . وأمرت بالمناصحة وحُسن الطاعة، وردت خشبة الصليب على ملك الروم . وكان مُلْكُها سنةً وأربعة أشهر .

ثم ملك رجلٌ يقال له : جُشنَسِنْدِه وهو ابن عم أبروير، وكان مُلْكُه أقل من شهر، وقيل : إن الذي يَزْدَجِرْد بن كسرى وهو طفل .

(١) التراس (بالكسر) : جمع ترس، وهو صفحة من الفولاذ مستديرة تحمل للوقاية من السيف ونحوه .

(٢) في تاريخ الطبري (ص ١٠٦٣ من القسم الأول طبع أوروبا) : « وساعدهم على قتله رجل

من العظاء يقال له : زاذان قزوخ بن شهر داران، ورجل يقال له : ماهيبي ، كان مؤدب الأساورة،

وكثير من العظاء... الخ » .

ثم ملكت بعده آزر مِيدُخْت بنت كسرى أبرويز، وكانت من أجل نساء
 دهرها، وكان عظيم فارس يومئذ فرخ هُرْمَزُ أَصْهَيْدُ خراسان؛ فأرسل إليها يسألها
 أن تزوجه نفسها، فأرسلت إليه: التزويج للملكة غير جائز، وقد علمت أن أريك
 فيما ذهبت إليه قضاء حاجتك مني؛ فصرت لي ليلة كذا وكذا، ففعل وركب إليها
 في تلك الليلة، وتقدمت إلى صاحب حرسها أن يرصده في الليلة التي تواعدا للالتقاء
 فيها، فإذا رآه يقتله، فرصده صاحب الحرس؛ فلما جاء قتله وجرّ برجله وطرحه
 في رحبة دار الملك.

فلما أصبح الناس ورأوه علموا أنه لم يُقتل إلا لأمر عظيم، ثم أمرت بتغيب
 جثته فُغِيَّتْ. وكان رُسَمُ بن فرخ هُرْمَزُ هذا — وهو رُسَمُ صاحب القادسية —
 عظيم البأس، قويًا في نفسه، فلما بلغه ما صنع بأبيه أقبل في جُندٍ عظيم حتى نزل
 المدائن؛ فقبض على آزر مِيدُخْت وسمّل عينها وقتلها بعد ذلك. فكانت مدة ملكها
 ستة أشهر.

واختلف فيمن ملك بعد آزر مِيدُخْت، فقيل رجل من عقب أردشير بن بابك
 كان ينزل الأهواز يقال له: كِسْرَى [بن] مِهْرَجُشْنَسْ^(١)، فلبس التاج وقتل بعد
 أيام. ويقال: بل كان رجل يسكن ميسان يقال له فيروز، فلنكوه كُرْها. وكان
 ضخم الرأس، فلما توج قال: ما أضيق هذا التاج! فتطير العلماء من آفتاح الأمر
 بالضيق وقتلوه. ثم أتى برجل من أولاد كِسْرَى كان قد لجأ إلى موضع من الغرب
 بالقرب من نصيبين، يقال له: «حصن الحجارة» حين قتل شيرويه بن كِسْرَى أبرويز
 إخوته، وهو فرخ زاباذ خُسْرَوْنِ كِسْرَى أبرويز، فأنتقاد الناس له طوعًا زمانا

٢٠ (١) كذا في تاريخ الطبري. وفي الأصول: «كسرى بهرحديش».

(٢) كذا في تاريخ الطبري وغرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم للثعالبي (ص ٧٣٧ طبع أوروبا).

وفي الأصول: «فرخ باذ».

يسيراً ثم استعصموا عليه وخالفوه . وكان ملكه ستة أشهر . وكان أهل اصطخر قد ظفروا بيزدجرد بن شهریار بن أبرويز بأصطخر، وكان قد هرب إليها حين قتل شيرويه إخوته . فلما بلغ عظماء أهل اصطخر أن من بالمدائن خالفوا الملك فرسخ زائد خسرو أتوا بيزدجرد بيت نار أردشير، فتوجه هناك وملكوه، وكان حدثاً، ثم أقبلوا به إلى المدائن وقتلوا فرسخ زائد خسرو بجمل احتالوها عليه .

وملك بيزدجرد بن شهریار بن كسرى أبرويز بن هرمز بن كسرى أنوشیران بن بهرام بن بيزدجرد بن سابور بن هرمز بن سابور بن أردشير بن بابك ؛ فلما كان العظماء والوزراء يدبرون الملك لحدائنه سنة، وهو آخر الملوك الساسانية وعليه أقرضت دولتهم، فلم تقم لهم قائمة، وتردد إلى بلاد خراسان وإلى بلاد الترك، وعاد فقتل بمرو من بلاد خراسان في سنة إحدى وثلاثين من الهجرة لسبع سنين خلت من خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه .

وكانت مدة ملك بيزدجرد منذ ملك وإلى أن قتل عشرين سنة، إلا أن فيها مدة لا يعد فيها مع الملوك ؛ لأنه كان مشرداً طريداً على ما نذكر أخباره مفصلة، وكيف فتحت بلاده ومدنه بلداً بلداً، ومدينةً مدينةً في خلافة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما .

فعدت ملوك الفرس الأولى والساسانية على هذا المساق الذي ذكرناه اثنتان وخمسون ملكاً منهم ثلاث نسوة . فالفرس الأولى عشرون ملكاً منهم امرأة واحدة . والملوك الساسانية اثنتان وثلاثون ملكاً فيهم امرأتان . وذكر بعض المؤرخين أن ملوك الفرس ستون ملكاً، وأن مدة ملكهم أربعة آلاف سنة وسبعون سنة وشهوراً . والله أعلم .

ذكر أخبار ملوك اليونان وأنسابهم

قد تنازع الناس في اليونانيين، فذهبت طائفة منهم أنهم ينتمون إلى الروم ويضافون إلى ولد إسحاق؛ وقالت طائفة: إن يونان هو أبن يافث بن نوح. وقال آخرون: إنه يافث بن الأصغر. وذهب قوم إلى أنهم من ولد أوراش بن^(١) ماذان ابن سام بن نوح. وذهب آخرون إلى أنهم من قبيل متقدم في الزمن الأول.

وقال المسعودي: وقد ذكر أن يونان أخو قحطان، وأنه من ولد عابر بن شالخ، وأن أمره في الانفصال عن دار أخيه كان سبب الشك في الشركة في النسب، وأنه خرج من أرض اليمن. وكان يونان جباراً عظيماً، وسيماً جسيماً. وكان جزل الرأي، كبير الهمة، عظيم القدر. وهكذا ذكر يعقوب بن إسحاق الكندي في نسب يونان أنه أخ لقحطان، وردّ عليه أبو العباس [عبد الله بن محمد] الناشي في قصيدته حيث قال:

أبا يوسف إني نظرتُ فلم أجد	على الفحص رأياً صح منك ولا عقداً
وصرت حكيماً عند قوم إذا أمرؤ	بلاهم جميعاً لم يجد عندهم عهداً
أتقيرن الحاداً بدين محمد	لقد جئت شيئاً يا أخا كندة إذا
وتخلط قحطاناً بيونان ضلّة	لعمري لقد باعدت بينهما جدّاً

قيل: ولما كثر ولد يونان خرج يطالب موضعاً يسكنه، فأتى إلى موضع من الغرب، فأقام به هو ومن معه من ولده، وكثر نسله إلى أن أدركه الموت، فجعل

(١) في مروج الذهب للمسعودي (ج ١ ص ١٣٧ طبع بلاق): «أوراش بن ياوران».

(٢) هذه عبارة المسعودي في مروج الذهب (ج ١ ص ١٣٧ طبع بلاق) وصيغة الأصل: «وأن

أمره كان في الاتصال عن ديار أخيه قحطان وأنه... الخ».

(٣) الحكمة من المسعودي.

وصيته إلى الأكبر من ولده وأسمه جريبوش ، وأوصاه بأولاده ونسله ، ومات
وبقي أبنته على مكانه ، وكثر نسلهم فغلبوا على بلاد الغرب من الفرنجة والنوكبرد
والصقالبة وغيرهم .

وذكر بطليموس في كتابه : أن أول ملك ملك من ملوك اليونانيين فيلبس
وتفسيره محبّ الفرس ، وقيل اسمه نفيلص ، وقيل فيلفوس . وكانت مدة ملكه
سبع سنين .

ثم ملك بعده ابنه الإسكندر ذو القرنين وليس هو صاحب الحضرة
الله عنه . والإسكندر هذا هو الذي قتل دارا بن دارا ملك الفرس ، وثرعقد مملكة
فارس ، وقترز ملوك الطوائف فيما ذكرناه .

وكان سبب قتله لدارا أن سائر الملوك كانت تؤدي الإتاوة إلى ملوك الفرس
منذ دقح بختنصر البلاد ، وذلك لهم الملوك على ما ذكرناه آنفا في أخبار الفرس ،
ولا حاجة إلى إعادته .

قالوا : وكان فيلبس أبو الإسكندر قد صالح دارا على إتاوة يؤديها إليه في كل
سنة . فلما ولي الإسكندر وظهر أمره ، وكان بعيد الهمة ، فأمتنع أن يؤدي إلى دارا
الخراج الذي كان يحمله أبوه إليه ، فأخط دارا ذلك ، فكتب إليه يؤنبه بسوء صنيعه
بتركه حمل ما كان أبوه يحمله من الخراج وقال في كتابه : إنما دعاك إلى حبس ذلك
الصبا والجهل ، وبعث إليه بصولجان وكرة وبقيز من السمسم . يعلمه بذلك أنه

إنما ينبغي لك أن تلعب مع الصبيان بالصولجان ولا تتقلد الملك ولا تلبث به ،
ويعلمه أنه إن لم يقتصر على ما أمره به وتماطى الملك بعد أن أمره بأعتزاله بعث
إليه بمن يأتيه به في وثاق . وأن عتده جنوده الذين يبعث بهم إليه كعتده حب السمسم
الذي بعث به إليه .

فكتب إليه الإسكندر في جواب ذلك : أنه قد فهم ما كتب به ، ونظر الى ما أرسله إليه من الصَّولجان والكِّرة وتبين به لإلقاء الملقى الكِّرة الى الصَّولجان وإحرازه إياها ، وأنه شبه الأرض بالكِّرة ، وتفاعل بملكه إياها وأحتوائه عليها ، وأنه يجتزمُ ملك دارا الى مُلكه ، وبلاده الى حيزه ؛ وأنه نظر الى السمسم الذي بعث به كمنظرة الى الصولجان والكِّرة لدسمه ، وبعده عن المرارة والحَرَافة ، وبعث الى دارا مع كتابه بَصْرَة من خردل ، وأعلمه في الجواب أن ما بعث به إليه قليل ، غير أن ذلك مثل الذي بعث به في القوّة والحَرَافة والمرارة ، وأن جنوده فيما وصف به منه .

فلما وصل الى دارا جواب كتاب الإسكندر . جمع جنّده وتأهب لحربه وسار نحو بلاده ، وتأهب الإسكندر أيضا للقائه وسار نحو دارا ، فألتقيا جميعا بأرض الجزيرة وأقتتلا سنة ، وقد كان دارا مله قومه وأحبوا الراحة منه ، فلحق كثير من وجوه الفرس بالإسكندر وأطلعوه على عورة دارا وقوّه عليه ، ثم وثب على دارا حاجباه فقتلاه وتقربا برأسه إلى الإسكندر ، فلما أتوه بها أمر بقتلها وقال : هذا جزاء من تجزأ على ملكه .

وقد ذكر أنه سبق إليه أسيرٌ غدر به صاحبُ سُرطته ، فقال له الإسكندر : بما أجترأ عليك صاحبُ سُرطتك ؟ قال : بتركي ترهيبه وقت إساءته ، وإعطائي إياه وقت الإحسان باليسير من فعله نهاية رغبته ، فقال الإسكندر : نعم العونُ على إصلاح القلوب الموغرة الترغيبُ بالأموال ، وأصلحُ منه الترهيبُ وقت الحاجة ، ثم أمر الإسكندر بقتله .

(١) الحرافة : طعم يحرق اللسان والقم .

(٢) المراد بأرض الجزيرة : بلاد الجزيرة الحالية التي عاصمتها بغداد . وقد سميت الوقعة التي ألتحم فيها الجيشان (سنة ٣٣١ ق م) وقعة إربل لقرب ميدان الحرب من تلك المدينة (راجع تاريخ اليونان لرحوم محمود فهمى ص ٢٤٣ طبع مصر) .

وقد قيل : إنه لما هزمه الإسكندر فز جريحا فخرج في طلبه في ستة آلاف حتى أدركه ، ثم لم يلبث دارا أن هلك ، فأظهر الإسكندر عليه الحزن ودقنه في مقابر الملوك .

وقيل : إن الإسكندر كان قد نادى ألا يُقتل دارا وأن يُؤسر . فلما علم الإسكندر بما تم على دارا سار حتى وقف عنده [فراه يجمود بنفسه] فقتل [الإسكندر]^(٢) عن دابته وجلس عند رأسه ، وأخبره أنه ما أمر بقتله ، وأن الذي أصابه لم يكن عن رأيه . وقال : سئني ما بدا لك فإني أسعفك به ، فقال له دارا : لي اليك حاجتان : إحداهما أن تنتقم لي من الرجلين اللذين قتلاني وسماههما له ، والأخرى أن تترجع آبتي وروشنك ، فأجابته الى ذلك ، وأمر بصلب الرجلين اللذين فتكا بدارا . ويقال : إن الرجلين اللذين قتلاه إنما فعلا ذلك عن رأى الإسكندر ، وأنه كان شرط لهما شرطا على قتله ، فلما طعنناه دفع اليهما ما كان شرطه لهما ثم قال : قد وقَّيتُ لكما بالشرط ولم تكونا شرطتما لأنفسكما وأنا قاتلكما لا محالة ، فإنه ليس ينبغي لقتلة المليك أن يُستبقوا إلا بدمعة لا تُخفَّر ، فقتلها وصلبها .

(١) المعروف في كتب التاريخ أنه بعد انتصار الاسكندر واحتلاله مدينة بابل قرر الاسكندر متابعة الزحف جهة الشمال لقبض على دارا والقضاء على دولته ، فخرج دارا من قلب مملكته طريدا شريدا هائما على وجهه طالبا النجاة بنفسه والاسكندر لم يغمض عينا ولم يهدأ بالا مادام لم يقبض عليه . ذلك لعلمه بأنه قادر على المقاومة إما في الشمال من هضبة إيران ، وإما فيها وراء جبال باراميسا دس في سهول التركستان الفسيحة لأن سكان تلك الأقاليم الواقعة بين بحر قزوين وبحيرة آرال وبين نهري سيحون وجيحون يعترفون للملك الفرس بالسيادة عليهم .

ورينا الاسكندر يقضى أثره ، ويتبع خطاه اذ علم بأن المرزبان فسوس قبض عليه وقتله بالقرب من هيكاتيميل لحزن لذلك حزنا شديدا ، واحتفل بتشييع جنازته احتفالا مهيبا ، وتبع القاتل حتى أدركه في بين النهرين وسله الى آل دارا قتلوه شرق قنلة . (راجع تاريخ اليونان ص ٢٤٤ - ٢٤٥) .

(٢) التكملة من تاريخ الطبرى (ص ٦٩٦ من القسم الأول طبع أوردبا) .

ويقال : إن الإسكندر في الأيام التي نازل فيها دارا كان يسير إليه بنفسه على أنه رسولٌ فيتوسطُ العسكر ويعرف كثيرا مما يحتاج إليه ، فكان دارا يستحسن ستمته ، ويُحسن صلته ومجازاته ، ثم آتته ، وأحس الإسكندر بذلك فاعاد إليه بعدها .

ذِكْرُ شَيْءٍ مِنْ مَكَايِدِ الْإِسْكَانْدَرِ وَحِيلِهِ فِي حُرُوبِهِ

- ٥ من ذلك أنه لما آلتى بدارا يوم الحرب أمر مناديه فنادى : يا معشر الفرس ، قد علمتم ما كتبنا لكم من الأمانات ، فمن كان منكم على الوفاء فليعتزل عن العسكر وله منا الوفاء بما ضمنناه ، فآتهم الفرس بعضها بعضا ، وكان ذلك أول اضطراب حدث فيهم .

- (١١)
- ومن ذلك أنه لما شَخَّصَ عن فارس إلى أرض الهند تلقاه ملكها قور في جمع عظيم من الهنود ومعه ألف فيل عليها المتقاتلة بالسلاح وفي خراطيمها السيوف والعمد ، فلم تقف لها دواب الإسكندر وفزت فكانت الهزيمة عليه ، فلما بلغ الإسكندر ما منه أمر بأخذ قبيلة من نحاس مجوفة وربط خيله بين تلك التماثيل حتى ألفتها ، ثم أمر فمُكِّتَ نَفْطًا وكبريتًا ، وألبسها الدروع وجرت على العجل ، وعاود حرب الهند ، وجعل بين كل تماثيل جماعة من أصحابه . فلما نشبت الحرب أمر بإشعال التيران في أجواف تلك التماثيل وأنكشف أصحابه عنها وغشيتها فيلة الهند ، فخرجت

٧٠
١٣

(١) كما ورد في هذا الكتاب (ج ١٤ ص ٢٢١ من هذه الطبعة) ومروج الذهب للمعري

(ج ١ ص ٢٩ طبع بلاق) . وورد في هذا الموضع في نسخة (١) باسم : « ذر » . وفي نسخة (ب)

باسم : « فوز » . وفي غرر أخبار ملوك الفرس وسيره للعالى (ص ٤١٦ طبع باريس سنة ١٩٠٠) :

« فوز » .

٢ (٢) في غرر أخبار ملوك الفرس وسيره : « تقدم بصنعة تماثيل مجوفة من النحاس والحديد تحكي

صور الرجال » .

البيزان من نخراطيم التماثيل فوأت الفيّلة مُذيرة ورجعت على أصحابها ، فكانت الدائرة على الهند وقتل ملكهم فور .

ومما يُحكى عنه أنه نزل على مدينة حصينة فتحصن فيها أهلها ، فتعرّف خبرها فقيل له : إن فيها من الميرة ما يكفيهم زمنا طويلا ، وإك بها من العيون والأنهار ما لا يقدر على قطعه ، فارتحل عنها ودس جماعة من التجار متنكرين ، فدخلوها وأمدتهم بالأموال الكثيرة ، وأمرهم أن يتاعوا الأقوات و يغالوا في أثمانها ، ففعلوا ذلك حتى حازوا أكثر ما فيها . فلما علم الإسكندر بذلك كتب اليهم يأمرهم بإحراق ما حصلوه من الأقوات وأن يهربوا ، ففعلوا كما أمرهم ، وعاد الى المدينة وحاصرها وزحف عليها فأعطوه الطاعة وملك المدينة . وكان إذا أراد أن يحاصر مدينة شرّد من حوطها من أهل القرى وتهتدهم بالسبي فيلجأوا الى المدينة ويعتصموا بها ، فلا يزال كذلك حتى يعلم أنه قد دخلها أضعاف أهلها وأسرعوا في الميرة فيحاصروهم حينئذ ويفتح المدينة .

ومما يُحكى عنه أنه كتب الى معلمه أرسطاطاليس ، وكان الإسكندر يشاوره في كثير من أموره ، ويقتدى بأرائه ، ويعمل بما يشير به عليه ولا يعدل عنه . وأرسطاطاليس هذا هو تلميذ أفلاطون ، وأفلاطون صاحب الفراسة تلميذ سقراط .

(١) هو أعظم الحكماء الأقدمين ورأس الفلاسفة المعروفين بالمشائين لأنه كان من عادته إلقاء الدروس على تلاميذه في بستان وهو يتشى ، ومن هنا سمي مشاء ، وسمى أتباعه بالمشائين . ويعرف بالمعلم الأول لأنه أول من وضع التعاليم المنطقية ، وقد اختاره فيلبس أستاذا لأبنة الاسكندر وأرسل اليه خطابا يقول فيه : « إنني لأهني نفسي بولادة أبني بمقدار ما أهنتها بولادته في أيامك » . وكان الاسكندر في السنة الثالثة عشرة من عمره . فعله وهذه . وكان له منزلة وتفوذ عند فيلبس وأبنته وأقام على ذلك سنين عديدة (راجع تاريخ اليونان لفرحوم محمود فهمى) .

وَيُحْكِي عَنْ أَفْلَاطُونٍ أَنَّهُ كَانَ يَصُورُ لَهُ صُورَةَ إِنْسَانٍ لَمْ يَرَهُ قَطُّ وَلَا عَرَفَهُ فَيَقُولُ :
صَاحِبُ هَذِهِ الصُّورَةِ مِنْ أَخْلَاقِهِ كَذَا ، وَمِنْ هَيْئَتِهِ كَذَا ، فَيَكُونُ الرَّجُلُ كَمَا أَخْبَرَ
عَنْهُ ، فَيَقَالُ : إِنَّهُ صُورٌ لَهُ صُورَةَ نَفْسِهِ ، فَلَمَّا عَايَنَهَا قَالَ : هَذَا رَجُلٌ مَحَبٌّ فِي الزَّانِ
فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهَا صُورَتِكَ ، فَقَالَ : نَعَمْ أَنَا كَذَلِكَ ، وَلَوْلَا أَنِّي أَمْلِكُ نَفْسِي لَفَعَلْتُ
وَأِنِّي لَمَحَبٌّ فِيهِ .

نَرَجِعُ إِلَى أَخْبَارِ الإسْكَندَرِ فِيمَا كَتَبَ بِهِ إِلَى أَرِسْطَاطَالِيسَ وَمَا أَجَابَهُ بِهِ قَالُوا : إِنَّهُ
كَتَبَ إِلَيْهِ يُخْبِرُهُ أَنَّ فِي عَسْكَرِهِ مِنَ الرُّومِ جَمَاعَةً مِنْ خَاصَّتِهِ لَا يَأْمَنُهُمْ عَلَى نَفْسِهِ لِمَا يَرَى مِنْ
بُعْدِهِمِهِمْ فِي شِجَاعَتِهِمْ وَكَثْرَةِ آتَمِهِمْ ، وَأَنَّهُ لَا يَرَى لَهُمْ عَقُولًا تَفِي بِتِلْكَ الْفَضَائِلِ الَّتِي تَمْنَعُهُمْ
مِنَ الْإِقْدَامِ وَالْجُرْأَةِ عَلَيْهِ ، وَأَنَّهُ يَكْرَهُ الْإِقْدَامَ عَلَيْهِمْ بِالْقَتْلِ بِجُرْدِ الظَّنَّةِ مَعَ وَجُوبِ
الْحُرْمَةِ .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَرِسْطَاطَالِيسَ : قَدْ فَهَمْتُ كِتَابَكَ ، وَمَا وَصَفْتَ بِهِ أَصْحَابَكَ .
أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ بُعْدِهِمِهِمْ فَإِنَّ الْوَفَاءَ مِنْ بُعْدِ الْهَمَّةِ . وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ شِجَاعَتِهِمْ
وَقَفِصِ عَقُولِهِمْ عَنْهَا ، فَمِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَالُهُ فَرَفَّهُ فِي مَعِيشَتِهِ وَأَخْصَصَهُ بِجِسَانِ
النِّسَاءِ ، فَإِنَّ رَفَاهِيَةَ الْعَيْشِ تُوهِنُ الْعِزْمَ ، وَتَحْبِبُ السَّلَامَةَ ، وَتَبَاعِدُ مِنْ رُكُوبِ
الْخَطَرِ وَالْفَرَرِ ، وَلِيَكُنْ خُلُقُكَ حَسِنًا تَخْلُصُ إِلَيْكَ النِّيَّاتُ ، وَلَا تَتَنَاوَلَ مِنَ لَذِيذِ
الْعَيْشِ مَا لَا يُمْكِنُ أَوْسَاطُ إِخْوَتِكَ مِثْلَهُ ، فَلَيْسَ يَنْبَغِي مَعَ الْأَسْتِنَارِ مَحَبَّةٌ ، وَلَا مَعَ
الْمَوَاسَاةِ بَغْضَةٌ . وَأَعْلَمُ أَنَّ الْمَمْلُوكَ إِذَا اشْتَرَى لَمْ يَسْأَلْ عَنِ مَالِ مَوْلَاةٍ ، وَإِنَّمَا يَسْأَلُ
عَنْ خُلُقِهِ .

وكتب إليه الإسكندر يعلمه أنه شاهد بإيران شهر رجالات ذوى أصالة فى الرأى ،^(١)
 وجمال فى الوجوه ، ولهم مع ذلك صرامة وشجاعة ، وأنه رأى لهم هيات وخلفاً
 لو كان عرف حقيقتها لما غزاهم ، وأنه إنما ملكهم بحسن الاتفاق والبيخت ،
 وأنه لا يأمن إذا ظن عنهم وتوهم ولا تسكن نفسه إلا ببوارهم .

فكتب إليه أرسطاطاليس : فهمت كتابك فى رجال فارس ؛ فاما قتلهم فهو
 من الفساد فى الأرض ، ولو قتلهم لأنبتت أرض فارس أمثالهم ، لأن إقليم بابل
 يولد أمثال هؤلاء الرجال من أهل العقل ، والسداد فى الرأى ، والأعتدال
 فى التركيب ؛ فصاروا أعداءك وأعداء عقبك بالطبع ، لأنك تكون قد توتت القوم
 وكثرت الأحقاد على أرض الروم منهم ومن بعدهم ، وإخراجك إياهم فى عسكريك
 مخاطرة بنفسك وأصحابك ، ولكنى أشير عليك برأى هو أبلغ لك فى كل ماتريد من
 القتل وغيره ، وهو أن تستدعى أولاد الملوك منهم ومن يستصلح للملك ويترشح له ،
 فنقلدهم البلدان وتوأمهم الولايات ليصير كل واحد منهم ملكاً برأسه ، فتفتزق
 كلمتهم ، ويجتمعوا على الطاعة لك ، ولا يؤدى بعضهم إلى بعض طاعة ، ولا يتفقوا
 على أمر واحد ، ولا تجتمع كلمتهم . ففعل الإسكندر ذلك ، فتم أمره وأمكنه أن
 يتجاوز أرض فارس إلى أرض الهند حتى قتل ملكها مبارزة بعد حروب عظيمة .
 ثم صار إلى أرض الصين وطاف مما يلي القطب الشمالى ورجع إلى العراق فمات
 فى طريقه بشهر زور ، ويقال : بل فى قرية من قرى بابل . وكان عمره ستاً وثلاثين

(١) إيران شهر : هى بلاد العراق وفارس والجزبال ونرامان يجمعها كلها هذا الاسم (راجع معجم
 البلدان لياقوت) .

(٢) شهر زور : بلدة بين الموصل وبين همدان ، بناها زور بن الضحاك قبيل شهر زور ، ومعناه
 مدينة الضحاك (تقويم البلدان لأبى القدا) .

سنة . وفي بعض النسخ ثلاثا وثلاثين سنة . وكان ملكه ثلاث عشرة سنة وشهورا .
وقيل : سبعة عشر سنة . وقُتِلَ داراً في السنة الثالثة من ملكه .

قال : وبني الإسكندر اثنتي عشرة مدينة وسمّاها كلها الإسكندرية منها : مدينة
جى بأصبهان ، وثلاث مدُن بخراسان وهي : هراة ومررو وممرقند . وبني بأرض
بابل مدينة لروشنك . وبني بأرض يونان سبع مدُن .^(١)
^(٢) ^(٣) ^(٤)

ومن عجيب ما قيل في نسب الإسكندر : أنه من ولد دارا الأكبر ، وأنه
أخو دارا الأصغر، وذلك أن دارا الأكبر بن أردشير تزوج بنت ملك الزنج هلاي ،
فلما حملت منه استخبث ربيحها ، فأمر أن تحتال لذلك ، فكانت تغتسل بماء السندروس^(٥)
فأذهب ذلك كثيرا من دفرها ، ثم عافها وردّها [إلى أهلها]^(٦) وقد علقت منه
بالإسكندر فقيل له الإسكندروس . هذا ما نقله عبد الملك بن عبدون في كتابه المترجم

- ١٠ (١) جى (بالفتح ثم التشديد) : اسم مدينة ناحية أصبهان القديم ، وهي الآن كالخراب منفردة ،
وتسمى الآن عند المعجم : شهر ستان وعند المحدثين المدينة . وفيها مشهد الراشد بن المسترشد معروف بزار ،
وهي على شاطئ نهر زندرود (راجع معجم البلدان لياقوت) وورد في تاريخ الطبري (ص ٧٠٢ من
القسم الأول طبع أوروبا) أنها بنيت على مثال الجنة .
- ١٥ (٢) هراة : كانت مدينة عظيمة مشهورة بخراسان خربها التتر ، فحُت في زمان عثمان رضي الله
عنه . (راجع تقويم البلدان لأبي الفدا) .
- (٣) هي مررو الشاهجان ، ومناه روح الملك . وهي مدينة عظيمة مشهورة بالفواكه . وبينها وبين
كل واحد من نيسابور ، وهراة ، وبلخ وبخارا ، مسيرة اثني عشر يوما (راجع تقويم البلدان) .
- (٤) هي روشنك بنت دارا .
- ٢٠ (٥) في شرح قصيدة ابن عبدون (ص ١٥ طبع أوروبا) : «حات اليه» .
- (٦) السندروس : صمغ أصفر يشبه الكهرباء في قوته إلا أنه أرنخ منه وفيه شيء من مرارة ، وله
عدة فوائد شرحها ابن البيطار في مفرداته (راجع ج ٣ ص ٣٨) .
- (٧) الدفر (بسكون الفاء ، وفتحها) : خبث الرائحة .
- (٨) التكلمة من شرح قصيدة ابن عبدون .

بكامة الزهر وصدفة الدر، قال : وأختلف في مدته فذكر الخوارزمي في تاريخه
أنه [كان] قبل الهجرة بتسعمائة سنة ، وثلاث وثلاثين سنة . وذكر أبو محمد
ابن قتيبة في كتاب المعارف : أن بينه وبين الهجرة أربعمائة سنة . والله أعلم
بالصواب .

ذكر شيء من أخبار الإسكندر وما اتفق له مع ملكي الهند والصين

فأما خبره مع ملك الهند قال عبد الملك بن عبدون : إن الإسكندر لما دوخ
البلاد وقهر الملوك سار نحو الهند وقتل ملكها الأعظم فوراً صاحب مدينة المانكير .
فلما دانت له ملوك الهند بلغه أن بأقاصي ديارها ملكاً من ملوكها ذا حكمة وسياسة
وإنصاف لرعيته ، وأنه ليس في بلاد الهند من فلاسفتهم وحكّامهم مثله يقال له

(١) ويسمى هذا الكتاب أيضاً : « كامة الزهر وفريدة الدهر » ويسمى أيضاً : « شرح البسامة
بأطواق الحمامة » وهو شرح للعلامة أبي مروان عبد الملك بن عبد الله بن بدر بن الحضرمي السبتي من
أدباء النصف الثاني من القرن السادس الهجري ، على القصيدة الرائية المشهورة بالبسامة بأطواق الحمامة
المنسوبة للوزير أبي محمد عبد المجيد بن عبدون النهري ، وزير بن مسعدة ، المعروفين ببني الأفلس
بالأندلس ، المتوفى سنة ٥٢٠ هـ التي رقى بها ملوك بني الأفلس ، وذكر فيها من أباده الحدتان من
ملوك كل زمان ، وضمتها حكماً ومواعظ وأخلاقاً أدبية . وأول القصيدة :

الدهر يضعف بعد العين بالأثر
فما البكا على الأشباح والصور

وقد طبع هذا الكتاب بمدينة ليدن سنة ١٨٤٦ م وعنى بتصحيحه المسبور رينرت ديزي . ويعرف
بشرح قصيدة آبن عبدون .

(٢) التكملة من شرح قصيدة آبن عبدون .

(٣) في كتاب المعارف لأبن قتيبة (ص ٢٨ طبع أوروبا) مانصه : « وكان بين الاسكندروس وبين
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم نحو من تسعمائة سنة » وهو يخالف ما ذكره المؤلف .

(٤) هذه المدينة يقال لها بلهر باسم ملك من ملوك الهند يقال له بلهر وكان يقم فيها (راجع معجم
البلدان لياقوت ج ٣ ص ٤٤٤ طبع أوروبا) .

كند كان، وأنه قاهر لنفسه مانع [لها] من الشهوة الغضبية، فكتب إليه الإسكندر كتابا يقول فيه : أما بعنة ، فإذا أتاك كتابي هذا فإن كنت قائما فلا تقعد ، وإن كنت ماشيا فلا تلتفت حتى تدخل في طاعتي ، وإلا مزقتُ مُلكك وألحقتك بمن مضى من ملوك الهند من قبلك .

- ٥ فلما ورد عليه الكتاب أجاب بأحسن جواب ، وخاطبه بملك الملوك ، وأعلمه أنه قد أجمع عنده أشياء لم تجتمع عند غيره مثلها : فمن ذلك أبنة له لم تطلع الشمس على أحسن منها ؛ وفيلسوفٌ يخبرك بمرادك قبل أن تسأله لحدة مزاجه وحسن قريحته ، وأعداله في بنيته ، وآتساعه في علمه ؛ وطبيبٌ لا يُحشى عليه معه داء ولا شيء من العوارض إلا ما يطرا من الفناء والدثور الواقع بهذه البنية ، وحل العقدة التي عقدها المبدع لها المخترع لهذا الجسم الحسى ، وإذا كانت بنية الإنسان وهيكله قد نُصبا في هذا العالم غرضا للآفات والحوثوف والبلايا ؛ وقدح إذا ملأته شرب منه عسكريك بجمعه ولا ينقص منه شيء ، وإني منفذ جميع ذلك الى الملك وصائريه .

- ١٥ فلما قرأ الإسكندر كتابه قال : كون هذه الأشياء عندي ونجاة هذا الحكيم من صولتي أحب الي من ألا تكون عندي ويهلك . فأنفذ اليه الإسكندر جماعة من الحكماء اليونانيين والروم في عدة من الرجال وتقدم اليهم أنه إن كان قد صدق فيما كتب به إلى فأحملوا ذلك الى عندي وأتركوه في موضعه ، وإن تبينتم الأمر على خلاف ذلك ، وأنه أخبر عن الشيء على خلاف ما هو به فقد خرج عن حد الحكمة فأشخصوه الي . فلما انتهوا الى مملكة الملك خرج اليهم وتلقاهم بأحسن لفاء ، وأترظهم بأحسن منزل . فلما كان في اليوم الثالث جلس لهم مجلسا خاصا للحكام دون من كان معهم من المقاتلة . فقال بعضهم لبعض : إن صدقنا في الأول صدقنا فيما بعد ذلك مما ذكر .

فلما أخذت الحكماء مراتبها وأستقرت بها مجالسها أقبل عليهم مباحثا في أصول العلوم الفلسفية وفروعها ، وعلى كم فن يحتوي العلم الفلسفي في أصوله ، والى كم يتفرع .

قال عبد الملك بن عبد الله بن عبدون - رحمه الله - : وقد ذكر أن العلم الفلسفي ينقسم على أربعة أنواع : أحدها الرياضيات ، والثاني المنطقيات ، والثالث الطبيعيات ، والرابع الإلهيات . قال :

فأما الرياضيات فأربعة أنواع : الواحد علم الحساب ، والثاني علم الهندسة ، والأصل فيه النقطة ، وهي فيه كالواحد في علم الحساب ، والثالث علم النجوم ، والرابع علم الموسيقى . وهو علم تأليف الألحان .

وأما العلوم المنطقيات فخمسة أنواع : الواحد معرفة صناعة الشعر ، وأنواع البديع كالتكافؤ والتفريع والحشو والتتبع والتسميط والترصيع والالتفاتة والإشارة والمقابلة والأستعارة والتبليغ والتلويح والتصدير والتوشيح والتجنيس والتضاد والترديد والأستطراد والتقسيم والتسميم والإحالة والتنميم . والثاني معرفة صناعة الخطابة . والثالث صدعة الجدَل . والرابع صناعة البرهان . والخامس صناعة المغالطين في المناظرة وجدَل .

وأما العلوم الطبيعيات فسبعة أنواع : الواحد علم المبادئ الجسمانية ، وهي خمسة أشياء : الهيولى والصورة والزمان والمكان والحركة . والثاني علم السماء والأرض ، وهو معرفة ماهية جواهر الأفلاك والكواكب وكيفية تركيبها وعلّة دورانها ، وهل تقبل الكون والفساد كما تقبل الأركان الأربعة التي دون فلك القمر أولا ، وما علّة حركات الكواكب وأختلافها في السرعة والإبطاء ، وما علّة سكون الأرض في وسط الفلك في المركز ، وهل خارج العالم جسم آخر أم لا . وهل

- في الكون والفساد موضع فارغ لا شيء فيه، وما شا كل هذه المباحث . والثالث علم الكون والفساد وهو علم معرفة جواهر الأركان [الأربعة^(١)] التي هي النار والهواء والماء والأرض . والرابع علم حدوث الجواهر بتغيرات الهواء وتأثيرات الكواكب بحركاتها ومطارح شعاعاتها على الأركان الأربعة وأنفعالاتها بعضها ببعض بقدرة الله تعالى . والخامس علم المعادن التي تنعقد من البخارات المختنقة في بطن الأرض . والسادس علم النباتات على اختلاف أنواعه في حياته وأشكاله وأختلاف صموغه وطعومه وخواصه وروائحها ومنافعه ومضاره . السابع علم الحيوان، وهو معرفة كل جسم يفتدى ويحس ويعيش ويتحرك على اختلاف أنواعه ، وما شا كل ذلك مما ينسب الى علم الطبيعيات كعلم الطب والبيطرة وسياسة الدواب والسباع والطيور والحريث والنسل وعلم الصنائع أجمع داخل في علم الطبيعيات .

- وأما العلوم الإلهيات فخمسة أنواع ؛ أولها : معرفة البارئ سبحانه وتعالى بجميع صفاته، وأنه أول كل شيء وآخر كل شيء، والخالق لكل شيء، والعالم بكل شيء، وأنه ليس كمثل شيء . والثاني علم الروحانيات من الجواهر البسيطة العقلية، وهي الصورة المجردة من الهوى المستعملة للأجسام المطهرة، ومعرفة ارتباط بعضها ببعض ، وقبض بعضها عن بعض ، وهي أفلاك روحانية تحيط بأفلاك جسمانية . والثالث علم النفوس والأرواح السارية في الأجسام الفلكية والطبيعية من لدن الفلك المحيط الى منتهى مركز الأرض . والرابع علم السياسة وهي خمسة أنواع ؛ أولها : السياسة النبوية ، والسياسة الملوكية ، والسياسة العامية والسياسة الخاصية والسياسة الذاتية . فاما السياسة النبوية فانه تبارك وتعالى يختص بها من يشاء من

(١) الكلمة من شرح قصيدة ابن عبدون (ص ١٨ طبع أوردبا) .

عباده ويهدى لأتباعهم من يشاء لا معقب لحكمه، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون .
 وأما السياسة الملوكية فهي حفظ الشريعة على الأمة وإحياء السنة والأمر بالمعروف
 والنهي عن المنكر . وأما السياسة العامية فهي الرياسات على الجماعات كرياسة
 الأمراء على البلدان وقادة الجيوش وترتيب أحوالهم على ما يجب وينبغي من الأمور
 وإتقان التدبير . وأما السياسة الخاصة فهي معرفة كل إنسان بنفسه ، وتديره
 أمر غلمان وأولاده ، ومن يليهم من أتباعه وقضاء حقوق الإخوان . وأما السياسة
 الذاتية فهي أن يتفقد الإنسان أفعاله وأحواله وأخلاقه وشهوته فيزتها بزمام عقله ،
 وغضبه فيرده وما شا كل ذلك . والخامس من العلوم الإلهيات علم المعاد وكيفية
 أنبعاث الأرواح وقيام الأجساد وحشرها للحساب يوم الدين ، ومعرفة حقيقة جزاء
 المحسنين وعقاب المسيئين .



نرجع إلى خبر الملك الهندي مع أصحاب الإسكندر، قال: ولما تكلم مع الحكماء
 اليونانيين في العلوم الفلسفية وطال الخطب في مناظرتهم أخرج الجارية اليهم ، فلما
 ظهرت لأبصارهم لم يقع طرف كل واحد منهم على عضو من أعضائها فتعدى
 ببصره إلى غير ذلك العضو اشتغالا بحسنه عما سواه حتى خاف القوم على عقولهم ،
 ثم رجعوا إلى أنفسهم وقهروا سلطان هواهم ، ثم أراهم بعد ذلك ما تقدم الوعد
 به وصرفهم ، وبعث بالفيلسوف والطبيب والجارية والقدرح [معهم]^(١) .

فلما وردوا على الإسكندر أمر بإتزال الفيلسوف والطبيب ، ونظر إلى الجارية
 فغار عند مشاهدتها ، فأمر قيمة الجوارى بالقيام عليها ، ثم صرف همته إلى الفيلسوف
 والطبيب وإلى علم ما عندهما ، وقص عليه الحكماء ما جرى لهم مع الملك الهندي من

(١) التكلفة من شرح قصيدة أبن عبدون (ص ٢٠) .

المباحث في العلوم الفلسفية ، فأعجبه ذلك وتأمل أغراض القوم ومقاصدهم ، وأقبل ينظر في مطاردة الهند يعلّمها في معلولاتها ، وما يصفه اليونانيون أيضا من علّمها في معلولاتها على حَسَب ما قدمت من أوضاعها ، ثم أراد مِحْنَةَ الفيلسوف على حسب ما خَبَّر عنه ، فأجال فكره فيما يختبره به ، فدعا بقَدَحِ فِلاهُ سَمْنَا ولم يجعل للزيادة عليه موضعا ، ودفعه لرسولٍ وقال : احمل هذا إلى الفيلسوف ولا تكلمه بشيء ، فلَمَّا دفعه إليه دعا الفيلسوف بألف إبرة فغرزها في السمن وصرفه إليه ، فأمر الإسكندر بضرب تلك الإبر كُرَّةً متساوية الأجزاء وردّها إليه ، فأمر الفيلسوف ببسطها وجلّاها حتى صارت جسما تردّ صورة مقابليها لصفائها وردّها إلى الإسكندر ، فدعا بطست وجعل تلك المرأة فيه وصبّ عليها الماء حتى غمرها وردّها إليه ، فأخذها الفيلسوف وعمِلَ منها طَرَجَهارة طافية على الماء وصرفها إليه ، فمَلَأُها الإسكندر ترابا وردّها إليه ، فمَلَمَّا نظر الفيلسوف إلى التراب تغيّر لونه وبكى ثم ردّها إلى الإسكندر ولم يضع فيها شيئا .

فلَمَّا كان في اليوم الثاني جلس الإسكندر جلوسا خاصا ودعا بالفيلسوف ، ولم يكن رآه قبل ذلك اليوم ، فلَمَّا أقبل نظر الإسكندر [من الفيلسوف] إلى رجلٍ طويل الجسم رَحِبِ الجبين معتدلِ البنية فقال في نفسه : هذه بِنْيَةٌ تضادّ الحكمة ، فإذا اجتمع له حُسْنُ الصورة والفهم كان أوحد زمانه ، فأدار الفيلسوف إصبعه حول وجهه ثم وضعه على أرنبة أنفه وأسرع نحو الإسكندر وحيّاه بحمّية الملك ، فأشار إليه بالجلوس وقال : لم أدرت إصبعك حول وجهك ووضعتها على أرنبة

(١) طرجهارة ويقال لها : طنجهارة من كلمة تركهار الفارسية : نوع من الصفحات أو الصجون

يقطع عليها اللبن المتجمد (راجع قاموس دوزي) .

(٢) التكلّة من شرح قصيدة ابن عبدون (ص ٢١) .

أنفك؟ قال : علمتُ أنك تقول في نفسك، إذا نظرت إلى حُسن صورتي وإتقان
بُنيتي قلما تجتمع هذه الخَلقة مع الحكمة، وإذا كان على هذا كان صاحبها أوحداً
زمانه، فأريتُك مصداقاً لما سَمَحَ لك أنه كما ليس لك في الوجه إلا أنف واحدٌ
فكذلك ليس في ديار الهند على هذه الصفة أحدٌ غيري .

٧٤

١٣

٥ فقال الإسكندر : حَسَنٌ ما أتيتَ به ! فما بالك حين بعثتُ اليك بالقدح السمن
غرزتَ فيه الإبر ورددته؟ قال الفيلسوف : علمتُ أنك تقول إن قلبي قد آمتلاً
علما فليس لأحد فيه مستراد، فأعلمتُك أن علمي سيزيد فيه كما زادتْ هذه الإبر
في هذا السمن . قال : فما بالك حين عملتُ لك الإبر كُرةً صنعتَ منها امرأةً صقيلةً
وصرفتها إلى؟ قال الفيلسوف : علمتُ أنك تقول إن قلبي قد قسا من سَفَكِ الدماء
وأشتغل بهذا العالم فلا يقبل العلم ولا يرغب فيه، فأخبرتُك أني سأعمل الحيلةَ في ذلك،
١٠ كما جعلتُ من الكُرةِ امرأةً موريةً للأجسام . قال : فما بالك حين جعلتها لك
في الطست وصببتُ عليها الماء جعلتها طَرْجَهارةً طافيةً على الماء؟ قال الفيلسوف :
علمتُ أنك تقول إن الأيام قد قُصرت والأجل قريب ، ولا يُدرك العلم الكثير
في المهل القليل، فأخبرتُك أني سأعمل الحيلةَ فيه في غير مدّة طويلة، كما جعلتُ
هذه المرأةَ الراسبة طافيةً في أسرع وقت . قال : فما بالك حين ملأتُ ذلك الإناء
١٥ تراباً ورددته إلى ولم تُحدث فيه شيئاً؟ قال : علمتُ أنك تقول : ثم الموت، وأنه لا بد
منه ، فأخبرتُك أن لا حيلةَ في ذلك . قال الإسكندر : قد أُجبتني على مُرادِي
في جميع ذلك ولأحسننَّ إلى الهند من أجلك ، وأمر له بجوائز كثيرة . فقال له
الفيلسوف : لو أُحِببتُ المالَ لَمَّا كُنْتُ عالماً ، ولستُ أُدخِلُ على علمي
ما يضاؤه، فإن القنية تُوجب الخدمة، وقد ملكتُ أيها الملك الرحيم بسيفك أجسام
٢٠ رعيتك فأملك قلوبهم بإحسانك فهو خزانة سلطانك، وأحذر العاقبة فإنها إذا قَدَّرتْ

أَنْ تَقُولَ قَدَرْتُ أَنْ تَفْعَلَ فَأَحْتَرِزُ مِنْ أَنْ تَقُولَ تَأْمَنُ أَنْ تَفْعَلَ ، فَالْمَلِكُ السَّعِيدُ مِنْ
مَلَكِ الرِّعْيَةِ بِالرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ ، وَأَشْبَهُ الْأَشْيَاءِ مِنْ أَعْمَالِ النَّاسِ بِأَعْمَالِ بَارئِهِمُ الْإِحْسَانِ ،
نَحْيَهُ الْإِسْكَندَرُ فِي الْمَقَامِ مَعَهُ ، أَوِ الْإِنْصِرَافِ إِلَى بِلَادِهِ ، فَاخْتَارَ الرَّجُوعَ إِلَى مَوْضِعِهِ .

وَأَمَّا الْقَدْحُ فَلَأَنَّ مَاءَهُ ثُمَّ أُورِدَ عَلَيْهِ النَّاسَ فَلَمْ يَنْقُصْ شَرِبِهِمْ مِنْهُ شَيْئًا ، فَيُقَالُ

- ٥ . إِنَّهُ كَانَ مَعْمُولًا مِنْ خَوَاصِّ الْهِنْدِ الرُّوحَانِيَّةِ مِمَّا تَدْعِيهِ الْهِنْدُ ، وَيُقَالُ إِنَّهُ كَانَ لِأَدَمَ
أَبِي الْبَشَرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، مَبَارَكٌ لَهُ فِيهِ حِينَ كَانَ بَارِضَ سَرَنْدِيبَ ، فَوُرِّثَ عَنْهُ
إِلَى أَنْ أَتَى إِلَى هَذَا الْمَلِكِ الْهِنْدِيِّ .

وَأَمَّا الطَّيِّبُ فَإِنَّهُ كَانَ لَهُ مَعَهُ مَنْظَرَاتٌ دَلَّتْ عَلَى ثَبُوتِ قَدَمِهِ فِي عِلْمِهِ ، وَأَنَّهُ

كَمَا وَصَفَ صَاحِبُهُ أَوْ كَادَ . هَذَا خَبْرُهُ مَعَ مَلِكِ الْهِنْدِ .

١٠

وَأَمَّا خَبْرُهُ مَعَ مَلِكِ الصِّينِ ، قَالَ أَبُو عَلِيٍّ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْكُوتِهِ

فِي كِتَابِهِ الْمُرْتَجِمِ تَجَارِبِ الْأُمَمِ : وَفِي الرَّوَايَةِ الصَّحِيحَةِ أَنَّ الْإِسْكَندَرَ لَمَّا أَتَى إِلَى

بِلَادِ الصِّينِ أَتَاهُ حَاجِبُهُ وَقَدْ مَضَى مِنَ اللَّيْلِ شَطْرُهُ فَقَالَ : هَذَا رَسُولُ مَلِكِ الصِّينِ

بِالْبَابِ يَسْتَأْذِنُ فِي الدُّخُولِ عَلَيْكَ ، قَالَ : أَدْخُلْهُ ، فَادْخُلْهُ فَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْ الْإِسْكَندَرَ

- ١٥ . وَسَلَّمْ ثُمَّ قَالَ : إِنْ رَأَى الْمَلِكُ أَنَّ يَسْتَخْلِنِي فَعَلْ ، فَأَمَرَ الْإِسْكَندَرَ مَنْ بِحَضْرَتِهِ أَنْ

يَنْصَرِفُوا ، فَانصَرَفُوا كُلَّهُمْ عَنْهُ وَبَقِيَ حَاجِبُهُ فَقَالَ : إِنَّ الَّذِي جِئْتُ لَهُ لَا يَحْتَمِلُ

أَنْ يَسْمَعَهُ غَيْرَكَ ، فَأَمَرَ الْإِسْكَندَرَ أَنْ يُفْتَشَّ فُفْتَشَّ ، فَلَمْ يَجِدْ مَعَهُ سِلَاحًا ، فَوَضَعَ

بَيْنَ يَدَيْهِ سَيْفًا مَسْلُولًا وَقَالَ لَهُ : قِفْ مَكَانَكَ وَقُلْ مَا سِئِمْتَ ، وَأَخْرَجَ الْحَاجِبَ

وَمَنْ كَانَ قَدْ بَقِيَ عِنْدَهُ ، فَلَمَّا خَلَا الْمَجْلِسَ قَالَ لَهُ : أَنَا مَلِكُ الصِّينِ لَا رَسُولُهُ ،

- ٢٠ . جِئْتُ لِأَسْأَلَكَ عَمَّا تَرِيدُ ، فَإِنْ كَانَ مِمَّا يُمْكِنُ عَمَلُهُ وَلَوْ عَلَى أَصْعَبِ الْوُجُوهِ عَمَلْتُهُ

وأغنيك عن الحرب ، فقال له الإسكندر : وما الذي آمنك مني ؟ قال : علمي
بأنك عاقلٌ حكيمٌ ، ولم تك بيننا عداوةً ولا مطالبةً ^(١) بدخُل ، وأنت تعلم أنك إن
قتلتني لم يكن ذلك سببا لتسليم أهل الصين إليك مُلكهم ، ولم يمنعهم قتلي من أن
ينصبوا لأنفسهم ملكا غيры ثم تنسب [أنت] ^(٢) إلى غير الجميل وضد الحزم . فأطرق
الإسكندر وعلم أنه رجلٌ عاقلٌ ، ثم قال له : إن الذي أريد منك ارتفاع مملكك
لثلاث سنين عاجلا ونصف ارتفاع مملكك لكل سنة . قال : هل غير هذا ؟
قال لا ، قال : قد أجبك ، ولكن سألني كيف تكون حالك ، قال : كيف تكون ؟
قال : أكون أول قتييلٍ مُحارب ، وأول أكلةٍ مُفترس . قال : فإن قنعتُ منك
بارتفاع سنتين . قال : أكون أصلح قليلا وأفسح مدة . قال : فإن قنعتُ بارتفاع
سنة . قال : يكون في ذلك بقاءٌ مُلكي ، وذهابٌ لجميع لذاتي . قال : فإن قنعتُ منك
بثلث الأرتفاع كيف تكون حالك ؟ قال : يكون السدس للفقراء ومصالح العباد ،
ويكون الباقي لجيشي ولسائر أسباب الملك . قال الإسكندر : قد اقتصرْتُ منك
على هذا ، فشكره وأنصرف .

فلما طلعت الشمس أقبل جيش الصين وقد طبَّق الأرض وأحاط بجيش
الإسكندر حتى خافوا الهلاك ، وتواثب أصحابه فركبوا الخيل واستعدوا للحرب بعد

(١) الذحل : الثأر . (٢) التكلة عن كتاب غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم (ص ٤٣٧) .

(٣) عبارة كتاب غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم (ص ٤٣٧ - ٤٣٨) « إن الذي أريد منك
ارتفاع مملكك في خمس سنين فقال : هل تريد شيئا غير ذلك ؟ قال : لا ؛ قال : قد أجبك إليه ؛
قال : فكيف تكون حالك حينئذ ؟ قال أكون قتييل أول مُحارب ، وأكل أول مفترس ؛ قال : فإن قنعت
منك بارتفاع ثلاث سنين كيف تكون حالك ؟ قال : تكون أصلح من ذلك وأفسح ؛ قال : فإن قنعت
منك بارتفاع سنة واحدة ؛ قال : يكون ذلك سدادا لأمر ملكي ، ومذهبا لجميع لذاتي ... الخ » .

(٤) في كتاب غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم : « لحاشيتي » .

- الأمن والطمانينة إلى السلم. فبينما هم كذلك إذ طلع ملك الصين وهو راكب و عليه
التاج ، فلما تراءى الجمعان نظر الإسكندر إلى ملك الصين فظن أنه حضر للحرب ،
فصاح به : أغدرت ؟ فترجل ملك الصين وقال : لا والله ، قال : فأذن منى فدنا
منه ، فقال له الإسكندر : ما هذا الجيش الكثير ؟ فقال : إنى أردت أن أريك
أنى لم أطعك من قلة وضعف ، ولكنى رأيت العالم العلوى مقبلا عليك ممكنا لك
من هو أقوى منك وأكثر عددا ، ومن حارب العالم العلوى غلب ، فأردت
طاعته بطاعتك ، والتذلل له بالتذلل لك ، فقال الإسكندر له : ليس مثلك من
يسام الذل ، ولا من يؤدى الجزية ، فما رأيت بنى وبين الملوك من يستحق التفضيل
والوصف بالعقل غيرك ، وقد أعفيتك من جميع ما أردته منك وأنا منصرف عنك . فقال
ملك الصين : ولست تخسر [إذا ^(١)] ثم أنصرف عنه الإسكندر . فبعث إليه ملك
الصين بضعف ما قزر ممة وأنصرف عن الصين ^(٢) .

كلام الحكماء عند وفاة الإسكندر

- قال : لما توفى الإسكندر جعل في نابوت من الذهب ، وأجتمع الحكماء
فتقدم الأتول فقال : قد كان الإسكندر يخبأ الذهب ، وقد أصبح الآن يخبؤه
الذهب . وتقدم الثانى إليه والناس يكون ويجزعون فقال : حركنا بسكونه . وتقدم
الذهب .

(١) التكلفة من كتاب غرر أخبار ملوك الفرس وغيرهم (ص ٤٣٩) .

- (٢) ورد في غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم (ص ٤٣٩) الأشياء التى بعث بها ملك الصين إلى
الإسكندر وهى : « ألف حريرة وألف فسرنند وألف ديباجة وألف من فضة ومن كل من جلود السمور
والفك واللقاقم والسنجاب والخز ألف جلدة وألف مقال عنبرا وألف نابغة مسكا وألف رطل حودا
وألف طاس ذهبا وفضة ومائة سيف هندية محلاة بالذهب والجواهر ومائة سرج ومائة لجام صينية مذهبة
ومائة درع سائبة والترم الضريبة كل سنة فأخذها الإسكندر كلها وارتحل بها » .
(٣) هوديوجانس الفيلسوف . (٤) هو أبلاطون الفيلسوف .

(١) الثالث اليه فقال : قد كان يعظنا في حياته ، وهو اليوم أوعظُ منه أمس . وتقدم اليه الرابع فقال : قد جاب الأرضين وسلوكها ، ثم حصل منها في أربعة قوائم . ووقف عليه الخامس فقال : انظروا إلى حلم النائم كيف أتقضى ، وإلى ظل الغمام كيف أنجلي . ووقف عليه السادس فقال : قد أمات هذا الميت كثيرا من الناس لثلا يموت ، وقد مات الآن . ووقف عليه السابع فقال : مالك لا تقل عضوا من أعضائك ، وقد كنت تستقل بملك العباد . وقال الثامن : مالك لا ترغب بنفسك عن المكان الضيق ، وقد كنت ترغب بها عن رحب البلاد . وقال التاسع : كان لا يقدر عنده على الكلام ، واليوم لا يقدر عنده على الصمت . وقال العاشر : قد كان غالبا فصار مغلوبا ، وآكلا فصار مأكولا . وقال الحادي عشر : ما كان أقيح إفراطك في التجبر أمس مع شدة خضوعك اليوم ! . وقالت بنت دارا : ما كنت أحسب أن غالب أبي يغلب . وقال رئيس الطبّاحين : قد نضدت النضائد ، وألقيت الوسائد ، ونصبت الموائد ، ولست أرى عميد القوم .

قال : ولما مات الإسكندر عرض الملك على ابنه من بعده فأباه وأختار العبادة والنسك .

فملك بعد الإسكندر على اليونانيين بطليموس ، وهذه التسمية لكل من ملك اليونان ككيسرى للأكاسرة من الفرس ، وقيصصر للروم ، وخاقان للترك ، وطرخان للخرز ، والنجاشي للحبشة .

قال : وكان بطليموس هذا شابا مدبرا حكيما عالما . وكان ملكه أربعين سنة ، وقيل عشرين سنة ، وقيل إنه أول من أقتنى البزاة وضرأها ولعب بها .

(١) هوسقراط الحكيم . (٢) هوبطليموس الفيلسوف . (٣) هويليناس الفيلسوف . (٤) هوديمقراطيس الفيلسوف . (٥) هوطويقا الفيلسوف .

ثم ملك بعده بطليموس الثاني ، وهو الذى يقال له : محب الأرخ ، وأسمه هيقولوس ، وكان ملكه ستاً وعشرين سنة .

ثم ملك بعده بطليموس محب الأب ، وكانت مدة ملكه سبع عشرة سنة .

ثم ملك بعده بطليموس ، وهو صاحب علم الفلك والنجوم وكتاب المجسطى .

فكان ملكه أربعاً وعشرين سنة .

ثم ملك بعده بطليموس محب الأثم . فكان ملكه خمساً وثلاثين سنة .

ثم ملك بعده بطليموس الصائغ . فكان ملكه سبعا وعشرين سنة .

ثم ملك بعده بطليموس الإسكندراني . فكان ملكه اثنتى عشرة سنة .

ثم ملك بعده بطليموس الحديدى . فكانت مدة ملكه ثمانين سنة .

١٠ ثم ملك بعده بطليموس الجوال . فكان ملكه أيضاً ثمانين سنة ، وقيل أقل

من ذلك .

ثم ملك بعده بطليموس الحرب . فكانت مدة ملكه ثلاثين سنة .

ثم ملكت بعده أبنته قلوبطرة ، وكانت حكيمة متفلسفة معظمة للحكام ، ولها

كتب مصنفة فى الطب والزينة وغير ذلك ، مترجمة بأسمها ومنسوبة إليها ، وكان

١٥ زوجها بطليموس ويسمى أنطونيوس مشاركا لها فى ملك مقدونية وهى مصر .

فلما أراد الله تعالى ذهاب ملك اليونانيين أيد عليهم ملك رومية وهو أغسطس ،

فسار إليها ، وكان له مع الملكة قلوبطرة وزوجها حروب كثيرة ، فقتل زوج قلوبطرة ،

فأراد ملك الروم أن يترجها لعلمه بحكمتها ولتعلّم منها ، فراسلها فعلمت مراده منها ،

فطلبت حياة تكون بالمجاز ومصر والشام ، وهى نوع من الحيات تراعى الإنسان

٢٠ حتى إذا نظرت الى عضو من أعضائه قفزت أذرعاً نحوه فلم تخطئ ذلك العضو بعينه

حتى تشغل عليه سماء فيموت لوقته ولا يعلم ما خبره ، فيتوهم الناس أنه مات بجأه
 حَتَفَ أنفه . فَأَحْتَمَلَتْ لها . فلما كان في اليوم الذي علمت فيه أن أغسطس يدخل
 في قصرها أمرت بأنواع الرياحين والزهور أن تُسَطَّ في مجلسها وأمام سريرها ،
 وجلست على سرير مُلكها والتاج على رأسها وقرقت حشمتها وقربت يدها من الإناء
 الذي فيه تلك الحية فضربتها فماتت لوقتها ، وأنسابت الحية في تلك الرياحين ودخل
 أغسطس حتى انتهى الى المجلس ، فنظر إليها جالسة وهو يظن أنها باقية ، فدنا منها
 فبين له أنها قد ماتت ، فنظر الى تلك الرياحين فقفزت عليه تلك الحية فرمته بسمها
 وقد خف ، فبطل شقه الذي ضربته من جهته ، ولو لا أن سمها كان قد نقص لمات ،
 فمجب من قتلها لنفسها وما كادته به من إلقاء الحية . وكانت قلوبطرة هذه آخر
 من ملك من اليونانيين . والله أعلم .

ذكر أخبار ملوك السريان

قال أبو الحسن علي بن عبد الله المسعودي في كتابه المترجم بمروج الذهب :
 ذكر ذوو العناية بأخبار ملوك العالم أن أول الملوك بعد الطوفان ملوك اليونان ، قال :
 وقد تُنوزع فيهم وفي النبط ، فمن الناس من رأى أن السريانيين هم النبط ، ومنهم
 من رأى أنهم إخوة لولد ماس بن نبيط^(٢) ، ومنهم من رأى غير ذلك على حسب تباين
 الناس في الأجيال الماضية والقرون الخالية .

قال : فكان أول من ملك منهم رجلاً يقال له سوشان ، وهو أول من وضع
 التاج على رأسه في تاريخ السريانيين . قال : وأقباد له ملوك الأرض ، فكان
 ملكه ست عشرة سنة باغيا في الأرض ، ومفسدا في البلاد ، وسفاكا للدماء .

(١) راجع (ج ١ ص ١٠٠ طبع بلاق) .

(٢) كذا في مروج الذهب للمسعودي . وفي الأصول : « لودمانين » وهو تحريف .

ثم ملك بعده يريز، وكان ملكه إلى أن هلك عشرين سنة .^(١)

ثم ملك بعده سماسير بن أبو با . فكان ملكه تسع سنين .

ثم ملك بعده أهريمون نَفْطُ الخلطط ، وكور الكور ، وجد في أمره ، وأتقن

ملكه ، وعمر أرضه . فلما استقامت له الأحوال وانتظم ملكه بلغ بعض ملوك

الهند وهو رُتَيْيل ، وهو آسم لمن يملك هذه الجهة من الهند ، ما القوم عليه من

القوة ، وما بلادهم عليه من العارة ، وأنهم يحاولون الممالك ، وقد كان هذا الملك

الهندي غلب على من حوله من ممالك الهند وأتقادت إلى أحكامه ، وذلك أن ملكه

كان مما يلي بلاد الهند والسند ، فسار نحو بلاد بَست و غزنين و نغزو بلاد الداور^(٢)

على النهر المعروف بالهند مند ، وهو نهر بلاد بَست و يعرف بنهر بَست تجرى

فيه السفن منها إلى بَست .

قال : وكان بين ملك الهند وملك السريانيين حروب كثيرة نحواً من سنة

ثم أجلت الحرب عن قتل السرياني وأحتوى الهندي على الصقع وملكه ، فكان

ملك أهريمون عشر سنين .

(١) في مروج الذهب للسعودي : « برندس » .

(٢) كذا في معجم البلدان لياقوت . وهي مدينة قرب بين بستان وغزنين و هراة ، وهي من البلاد

الحاثة المزاج ، وهي كبيرة ، ويقال لناحيها اليوم كرم سير ، معناه النواحي الحاثة المزاج ، وهي كثيرة

الأهبار والبساتين . وفي نسخة أ « قسط » . وفي نسخة ب « بسط » و هما محرفتان .

(٣) كذا في معجم البلدان لياقوت . وهي مدينة عظيمة وولاية واسعة في طرف خراسان ، وهي الحد

بين خراسان والهند . وفي نسخة أ « غرين » . وفي نسخة ب « غرين » و هما محرفتان .

(٤) كذا في معجم البلدان لياقوت . وهي مدينة ببلاد السند ، بين وبين غزنين ستة أيام ، تمتد

في أعمال السند . وفي الأصول « نغين » وهو تحريف .

(٥) بلاد الداور : هي ولاية واسعة ذات بلدان وقرى مجاورة لولاية رنج و بست والنور . وأهل

تلك الناحية يسمونها زمنداور ، ومعناه أرض الداور .

قال : وبقي ذلك الصقع بيد الملك الهندي حتى سار إلى بعض الملوك فأتى عليه وملك العراق ورد السريانيين .

فملكوا عليهم تسنوا بن سماسير . فكان ملكه إلى أن هلك ثمانى سنين .^(١)

ثم ملك بعده أهريمون . فكانت مدة ملكه اثنتى عشرة سنة .

ثم ملك بعده هوريا فزاد في العمارة وأحسن للرعايا وغرس الأشجار .

فكان ملكه اثنتين وعشرين سنة .

ثم ملك بعده ماروت وأستولى على الملك .^(٢) فكان ملكه خمس عشرة سنة .

وقبل أكثر من ذلك .

ثم ملك بعده أزور وساحاس ، ويقال إنهما كانا أخوين . قال : فأحسننا^(٣)

السيرة ، وتعاضداً على تدير الملك . ويقال : إن أحد هذين المليكين كان جالسا

ذات يوم في أعلا قصره فنظر إلى طائر قد فرخ هناك ، وهو يصيح ويضرب

بجناحه ، فنظر إلى حية تنساب إلى الوكر لتأكل الفراخ التي للطائر ، فدعا بقوس

وسهم ورمى الحية فقتلها ، وسلمت الفراخ ، وغاب الطائر وعاد إلى الملك بعد

هنيئة وفي متقاره حبة وفي مخاليه حبتان ، وطار حتى وازى الملك ، وألقى الحب

بين يديه فتناوله الملك وقال : ما ألقى هذا الطائر هذا الحب إلا لأمر قصد به

مكافأتنا على ما فعلناه من خلاص فراخه ، ولم يعرف ما هو ذلك الحب ، وأستدعى

الحكماء وأراهم فما عرفوه ، فقال له حكيم : ينبغى أن يزرع هذا الحب ببطن

الأرض لينظر ما يكون منه ، فأحضر الأكرة وأمرهم بزرعه فزرعوه ، والملك

(١) كذا في الأصول . وفي مروج الذهب للسعودى (ج ١ ص ١٠٢ طبع بلاق) : « سير » .

(٢) كذا في نسخة أ وفي نسخة ب « ماروب » بالياء الموحدة . وفي مروج الذهب : « مارت » .

(٣) كذا في نسخة أ وفي نسخة ب « حلحاس » وفي مروج الذهب « حلجاس » .

- يراعيه حتى طلع وأزهر وحصرم وأعنب ، وهم لا يقربونه خشية أن يكون مُتلفاً ، فأمر الملك أن يُعصر ماؤه ويُدع الآنية وأُخرج الحب منه وترك بعضه على حاله . فلما صار في الآنية غلا وقذف بالزبد وفاحت له روائح عِيقَة ، فقال الملك :
- على بشيخ كبير ، فأُتي به ، فسقاه من هذا العصير . فلما شرب منه ثلاثا صال وتكلم وصفق بيديه وحرك رأسه ووقع برجليه على الأرض ، فظهر عليه الطرب والفرح وتغنى . فقال الملك : هذا شرابٌ مذهبٌ للعقل ، وأخلق به أن يكون قتالا ، ألا ترؤن إلى هذا الشيخ كيف عاد الى حال الصبا وقوة الشباب ، ثم أمر الملك بالشيخ فرقد ، فسكن ونام . فقال الملك : هَلَك ، ثم أفاق الشيخ وطلب الزيادة من الشراب وقال : لقد شربته فكشف عني الهموم والغموم ، وأزال عني الأحزان . فقال الملك : هذا أشرفُ شراب الرجل ، فأكثر من غرس الكروم ، وأختص به دون غيره من الناس ، وأستعمله بقية أيامه ، ثم نما بعد ذلك وكثر في أيدي الناس . وهذا آخر ما أورده المسعودي من أخبار السريان .

ذكر أخبار الملوك الكلوانيين

وهم ملوك النبط ملوك بابل

- ١٥ قال المسعودي ، ذهب جماعة من أهل البحث والعناية بأخبار ملوك العالم أنهم ملوك العالم الذين مهدوا الأرض بالعارة ، وأن الفرس الأول إنما أخذوا الملك من هؤلاء كأخذ الروم الملك من اليونان .
- فكان أول من ملك منهم مُمرود الجبار . فكان مُلكه نحو من ستين سنة . وقد قدمنا أخبار مُمرود في قصة إبراهيم عليه السلام .

٢٠ (١) راجع مروج الذهب (ج ١ ص ١٠٣ طبع بلاق) . (٢) في مروج الذهب : « ذكر » .
 (٣) راجع (ج ١٣ ص ٩٦ - ١٠٠ و ١١٣ - ١١٤ من هذه الطبعة) .

قال : ويُروى هذا هو الذي احتفر أنهارا بالعراق آخذةً من الفُرات ، فيقال :
 إن من ذلك نهر كُوفى^(١) على طريق الكوفة ، وهو بين قصر ابن هُبيرة^(٢) وبغداد .
 ثم ملك بعده أبولس ، وكان عظيم البطش جبّارا في الأرض . وكان مُلكه نحو
 من سبعين سنة .

ثم ملك بعده فيزمنوس . وكان باغيا في الأرض ، ملك نحوا من مائة سنة .
 ثم ملك بعده سوسوس . فكان مُلكه نحوا من تسعين سنة .
 ثم ملك بعده كورس . فكان ملكه نحوا من خمسين سنة .
 ثم ملك بعده اذفرنجوا^(٣) . فكان ملكه نحوا من عشر سنين .
 ثم ملك بعده سيهزم . فكان ملكه نحوا من أربعين سنة ، وقيل أكثر .
 ثم ملك بعده قوسيس . فكان ملكه نحوا من سبعين سنة .
 ثم ملك بعده أنبوش^(٤) . فكان ملكه نحوا من ثلاثين سنة .
 ثم ملك بعده إيلاوس . فكان ملكه نحوا من خمس عشرة سنة .
 ثم ملك بعده الجلوس . وكان مُلكه نحوا من أربعين سنة .

(١) نهر كوفى : هو أول نهر أخرج بالعراق من الفرات ، وسمى بكوفى من بنى أرغشدين سمام
 ابن نوح عليه السلام ، وهو الذي كراه فنسب إليه ، وهو جد إبراهيم عليه السلام أبو أمه بونا بنت كزيبا
 (راجع معجم البلدان لياقوت) .

(٢) قصر ابن هبيرة : ينسب الى يزيد بن عمر بن هبيرة ، بناء بالقرب من جسر سورالمساولى العراق
 من قبل مروان بن محمد . فلما ملك السفاح زله وأستم تسقيف مقاصير فيه وزاد فى بنائه وسماه الهاشمية
 وكان الناس لا يقولون إلا قصر ابن هبيرة على العادة الأولى (راجع معجم البلدان لياقوت) .

(٣) فى مروج الذهب : « أنمر » .

(٤) كذا فى نسخة أ وفى نسخة ب « أنبوس » . وفى مروج الذهب : « أنبوس » .

- ثم ملك بعده أونوبس ^(١) . فكان ملكه نحواً من ثلاثين سنة .
- ثم ملك بعده بعتكوس . فكان ملكه نحواً من ثلاثين شهراً .
- ثم ملك بعده سفرين ^(٢) . فكان ملكه نحواً من أربعين سنة ، وقيل أقل .
- ثم ملك بعده مارنوس . فكان ملكه نحواً من ثلاثين سنة .
- ثم ملك بعده رسطاليم ^(٣) . فكان ملكه نحواً من أربعين سنة .
- ثم ملك بعده أسطوس . فكان ملكه نحواً من خمسين سنة .
- ثم ملك بعده تاولوس . فكان ملكه نحواً من خمسين سنة .
- ثم ملك بعده العداس . فكان ملكه نحواً من ثلاثين سنة .
- ثم ملك بعده أطيروس . فكان ملكه نحواً من ستين سنة .
- ثم ملك بعده ساوساس . فكان ملكه نحواً من عشرين سنة .
- ثم ملك بعده فارينوس . فكان ملكه نحواً من خمسين سنة ، وقيل خمسا
وأربعين سنة .
- ثم ملك بعده أدرموس . فكان ملكه نحواً من أربعين سنة . وغزاه ملك
من ملوك فارس في عُقر داره .
- ثم ملك بعده مسروس . فكان ملكه نحواً من خمسين سنة .
- ثم ملك بعده أفروس . فكان ملكه نحواً من أربعين سنة .
- ثم ملك بعده طااطوس . فكان ملكه نحواً من أربعين سنة .
-
- (١) كذا في نسخة أ وفي نسخة ب « أونوبس » وفي مروج الذهب : « أرمونوس » .
- (٢) كذا في نسخة أ وفي نسخة ب « سفرمز » . وفي مروج الذهب : « سفروس » .
- (٣) في مروج الذهب : « رسطالين » . وقد ورد فيه أيضاً خلاف في بعض أسماء الملوك الذين
ذكروا هنا فاكشفنا بما ورد في الأصول عرضاً عن التنبه في كل آية .

ثم ملك بعده لاوسيس . فكان ملكه نحواً من خمسين سنة ، وقيل خمسا وأربعين سنة .

ثم ملك بعده قريطوس . فكان ملكه نحواً من ثلاثين سنة .

ثم ملك بعده قروطاوس . فكان ملكه نحواً من عشرين سنة .

ثم ملك بعده قراقريس . فكان ملكه نحواً من خمسين سنة ، وقيل اثنتين وأربعين سنة .

ثم ملك بعده بوليس قنطروس . فكان ملكه نحواً من عشرين سنة .

ثم ملك بعده قولاً قسماً . [فكان ملكه ^(١) نحواً من ستين سنة .

ثم ملك بعده هيقلس . فكان ملكه نحواً من ثلاثين سنة . وقيل خمسين سنة .

وكانت له حروب مع ملوك الصقالبة .

ثم ملك بعده سموجد . فكان ملكه نحواً من ثلاثين سنة .

ثم ملك بعده مردوج . فكان ملكه نحواً من أربعين سنة ، وقيل أقل من ذلك .

ثم ملك بعده سنحاريب . فكان ملكه نحواً من ثلاثين سنة . وهو الذي آبتنى

بيت المقدس .

ثم ملك بعده منوشا . فكان ملكه نحواً من ثلاثين سنة ، وقيل أقل من ذلك .

ثم ملك بعده بُخْتَنْصَرُ الجَبَّار . فكان ملكه نحواً من أربعين سنة ، وقد تقدم

أن بُخْتَنْصَرَ لم يكن ملكاً وإنما كان مَرزُبَاناً للملوك الفُرسِ الأول ، إلا أن يكون هذا غير ذلك . والله أعلم .

ثم ملك بعده بيطسقر . فكانت مدة ملكه نحواً من ستين سنة ، وقيل أقل

من ذلك .

(١) زيادة يقتضها السياق مراعاة لما ورد قبله وجاء بعده .

(٢) راجع (ج ١٤ ص ١٥٣ من هذه الطبعة) .

- ثم ملك بعده دارنوس . فكان مُلكه إحدى وثلاثين سنة ، وقيل أكثر من ذلك .
- ثم ملك بعده كشرخوش [فكان ملكه] عشرين سنة .
- ثم ملك بعده قرطيامة تسعة أشهر .
- ثم ملك بعده فيجسمنه . فكان ملكه إحدى وأربعين سنة .
- ثم ملك بعده أجرجست . فكان ملكه ثلاثا وستين سنة .
- ثم ملك بعده شعيا . فكان ملكه ثلاثين سنة^(١) ، وقيل تسعة أشهر .
- ثم ملك بعده داريوس . فكان ملكه عشرين سنة ، وقيل تسع عشرة سنة .
- ثم بعده أنطجست . فكان ملكه تسعا وعشرين سنة .
- ثم ملك بعده اليسع . فكان ملكه خمس عشرة سنة ، وقيل عشرين سنة .
- ١٠ قال المسعودي : فهؤلاء الملوك الذين أتينا على أسمائهم ، وذكرنا مدة ملكهم ، هم الذين شيّدوا البنيا ، ومدنوا المدن ، وكوّروا الكور ، وحفروا الأنهار ، وغرسوا الأشجار ، وأستنبطوا المياه ، وأثاروا الأرض ، وأستخرجوا المعادن من الحديد والنحاس والرصاص وغير ذلك ، وطبعوا السيوف ، وأتخذوا عدّة الحرب ، ونصبوا قوانين الحروب ، ورتّبوا الميمنة والميسرة والأجنحة ، وجعلوا ذلك مثالا لأجزاء أعضاء الإنسان ، ورتّبوا الأعلام ؛ فجعلوا أعلام القلب على صورة القبلة
- ١٥ والنسور وما عظم من أجناس الحيوان ؛ وجعلوا أعلام الميمنة والميسرة على صورة السباع ؛ وجعلوا في الأجنحة أمثال ما لطف منها كالنمر والذئب ؛ وجعلوا في الطلائع كصور الحيات وما خفي فمله من هوائ الأرض ؛ وتغلغل القوم في هذه المعاني .
- قال : والذي ذكرناه من أخبارهم هو المشهور . والله تعالى أعلم .

٧٩
١٣

٢٠ (١) في مروج الذهب : « ستة وقيل تسعة أشهر » ولعل كلمة ثلاثين مقحمة من الناسخ .

ذكر أخبار ملوك الروم وأنسابهم

قال المسعودي^(١) : قد تنازع الناس في الروم ولأى علة سُموا بهذا الاسم ، فقيل لإضافتهم لمدينة رُومِيَّة وأسمها بالرومية روماس ، فعُزب هذا الاسم فسُميَ مَنْ كان بها روما ، والروم لا يسمون أنفسهم في لغتهم إلا رومس .^(٢) ومنهم مَنْ رأى أن هذا الاسم اسم الأب الأول ، وهو روم بن شماخين بن هوبان بن علفا بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام . ومنهم مَنْ رأى أنهم سُموا باسم جدتهم رومس ابن لبطى بن نويقل بن رومي بن الأصغر بن النفر بن العيص ، وقيل غير ذلك . وقد ذكرنا في الأنساب شيئا من ذلك .

قال المسعودي : وغلبت الروم على ملك اليونانيين ، فكان أول من ملك منهم طوخاس وهو جانيوس الأصغر بن روم بن شماخين ، فكان مُلكه اثنتين وعشرين سنة .

وقيل إن أول من ملك من ملوك الروم قيصر ، واسمه غالوس أوليوس . فكان مُلكه ثمانى عشرة سنة .

وقيل أول من ملك منهم بعد ملوك اليونانيين برومية بوليس . فكان مُلكه سبع سنين ونصفا . قال : ورومية بنيت قبل الروم بأربعمائة سنة .

ثم ملك بعده ابنه أغسطس قيصر . وكان مُلكه ستا وخمسين سنة ، وهو أول من نَسى بَقِيصَر ، وإنما سُمي بذلك لأن أمه ماتت وهى حامل به فشُقَّ بطنها عنه ، ومعنى قيصر بقر ، وكان يفتخر بأن النساء لم تلده ، وحقبة هذه اللفظة بالمعجمة

(١) راجع مروج الذهب (ج ١ ص ١٤٨ طبع بولاق) .

(٢) في مروج الذهب : « ريمس » .

جَيْشَر ، قيل إنَّما سُمِّيَ جيشراً لأنه ولد بشعر يبلغ عينيه ، وأسم الشعر بالعجمية حساريه وقيل جساريه ، فعرب فقيل قيصر ، وهو صاحب قلوبطرة ملكة اليونان على ما ذكرناه . وأحتوى هذا الملك على مقدونية وهي مصر والإسكندرية ، وحاز ما فيها من الخزائن ، وكانت له حروب كثيرة ، وكان يعبد الأوثان . وبني بأرض الروم مدناً تنسب إليه ، وكوزكورا . فن مدنه قيسارية . ولأنتين وأربعين سنة خلت من ملكه ولد المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام ، وعاش هذا الملك بقية عمره وقد بطل شقه لما نفلت عليه الحية على ما قدمناه في أخبار قلوبطرة .

ثم ملك بعده طياريس . فكان ملكه اثنتين وعشرين سنة . قال : ولثلاث سنين بقيت من ملكه رُفِعَ المسيح عليه السلام . قال : ولما هلك هذا الملك برومية اختلفت الروم وتحزبت وأقاموا على اختلاف الكلمة والتنازع ما تئى سنة وثمانيا وأربعين سنة لا نظام لهم ولا ملك يجمعهم .

ثم ملكوا عليهم طباريس عابس بمدينة رومية . فكانت مدة ملكه أربع سنين . ثم ملك بعده فلورس برومية . فكان ملكه أربع عشرة سنة ، وهو أول ملك من ملوك الروم شرع في قتل النصارى واتباع المسيح عليه السلام ، فقتل منهم خلقا كثيرا ، وكانت الروم تعبد التماثيل .

ولما هلك هذا الملك ملك بعده نيرون . قال : وأستقام ملكه ورغب في عبادة التماثيل والأصنام ، وكان ملكه أربع عشرة سنة وشهورا .

ثم ملك بعده ططس واسبابوس مشتركين في الملك . فكان ملكهما ثلاث عشرة سنة ، ولسنة من ملكهما سارا الى الشام ، فكانت لها حروب عظيمة مع بني إسرائيل قتل فيها من بني إسرائيل ثلثمائة ألف وخرت بيت المقدس وأزالا رسمه ، وكان يعبدان الأصنام .

قال المسعودي : وذكر في بعض التواريخ أن الله تعالى عاقب الروم من ذلك اليوم الذي حرقوا فيه بيت المقدس أن يُسبي منهم في كل يوم سبيًّا فلا يومٌ إلا والسبيُّ واقعٌ فيهم قل ذلك أو أكثر .

ثم ملك بعدهما ذو مطيانس . فكانت مدة ملكه خمس عشرة سنة .

ثم ملك بعده تيرنوس . فكانت مدة ملكه سنة واحدة .

ثم ملك من بعده طومانوس . فكانت مدة ملكه تسع عشرة سنة .

ثم ملك بعده أذربالس . فكانت مدة ملكه إحدى عشرة سنة ، وخرَّب سائر ما بقى بالشام لبني إسرائيل .

ثم ملك بعده أبطونيس . فكان ملكه ثلاثا وعشرين سنة . قال : وبني بيت المقدس وسماه إيلياء .

ثم ملك بعده فرمودس . فكانت مدة ملكه ثلاث عشرة سنة .

ثم ملك بعده سيريس . فكانت مدة ملكه ثمانى عشرة سنة .

ثم ملك بعده ولده أنطويس . فكانت مدة ملكه تسع سنين .

ثم ملك بعده أنطويس الثانى . فكانت مدة ملكه أربع سنين ، وفي آخر ملكه مات جالينوس الطيب .

ثم ملك بعده الإسكندر مامياس ، وتفسير مامياس العاجز . فكانت مدة ملكه ثلاث عشرة سنة .

ثم ملك بعده عردياس . فكانت مدة ملكه ست سنين .

ثم ملك بعده ديقوس وقيل فيه دقيوس . فكانت مدة ملكه ستين سنة .

قال : فأمنع في قتل النصرارى ، ومن هذا الملك هرب أصحاب الكهف .

ذكر خبر أصحاب الكهف

قال الشيخ عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد بن الحسين الأنماطي في كتاب
المبتدأ يرفعه الى وهب بن منبه : إن أصحاب الكهف كانوا فتية من الروم ، وهم
الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه العزيز فقال : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ
إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ الآيات التي في سورة الكهف . قال :
وكان في إيمانهم عبرة وتفكر منهم في عظم الله وجلاله ومُلْكِهِ وسلطانه وأصناف
خَلْقِهِ ، لم يأتهم بذلك ونحى ولم يقرءوا كتابا ، ولم يُدْرِكُوا زمانَ نبوة ، وكانوا في زمن
فترة قبل أن يبعث الله عز وجل عيسى بن مريم عليه السلام ، وهذا القول
مخالف لما ذكرناه آنفا ، فإن المساق الذي قدمناه من أخبار ملوك الروم يقتضي
أن بين رفع عيسى عليه السلام وبين مُلْكِ دقيوس ما يزيد على مائتي سنة . والله
عز وجل أعلم .

قال : وكانوا شبانا متقاربين في السن فلما يتفاوتون ، وكانوا من فصيلة واحدة
يجمعهم النسب ، وكانوا في حَسَبٍ عظيم من أحساب الروم ، من ولد عظامهم وملوكهم
وأشرافهم ، وكان للروم فيهم هوى وصباية شديدة ، وكان مُلْكُ الروم الأول
في آباء أولئك الفتية ويُنْقَلُ في فصيلتهم التي كانوا منها أكثر من أربعمائة عام حتى
انقرضت تلك الفصيلة وزال الملك عنهم . فكان أولئك الفتية عقب أولئك الملوك
وبقيتهم ، وكان الروم يمتنون مُلْكِهِمْ ويمدون اليهم أعناقهم لما قد بلغهم ما كان
الناس فيه في زمن أسلافهم من الخلف والذعة والعاوية والبسط والأمن والسعة ،
فكانوا يؤملونهم ويرجونهم ، وكانت ملوك الروم قد جفؤهم وحرموهم وأقصوهم
وأضروا بهم مخافة منهم على مُلْكِهِمْ لما يعلمون من رأى الروم فيهم ، وكانوا مع

ذلك يكفون عنهم أذاهم ، ويعرفون أنهم مَفْرَعُ الروم إن اختلفوا ومَعَوْلُم عليهم ، فلم تزل تلك حالم فيما بينهم وبين ملوكهم وقومهم حتى أراد الله تعالى بهم ما أراد من هُدَاهم والإيمان الذي توره الله في قلوبهم .

٨١
١٣

قال قائلٌ منهم : إني قد رأيتُ رأياً وقع في قلبي وأمرًا ثبت فيه ، فلستُ أبصرُ غيره ، وليس يُخْرِجُهُ من قلبي شيء ، اسمعوا أعرضُ عليكم ، إني فكرتُ في خلق السمواتِ والأرضِ ، واختلافِ الليل والنهارِ ، والشمسِ والقمرِ ، والنجومِ والسحابِ والمطرِ ، والأحياءِ والأمواتِ ، والنباتِ ، والصَّغارِ والجَبَّارِ ، والبقاءِ والفسادِ ، والشدةِ والرخاءِ ، وتقلبِ الدنيا بأهلها ، والأطباقِ التي تنصرفُ عليها الخلقُ طبقاً بعد طبقٍ ، وقوماً عن قومٍ : من مَوْتٍ وحياةٍ ، ونَقْصٍ وزيادةٍ ، وخَفِضٍ ورفَعٍ ، وغِنَى وفقيرٍ ، وطُولِ عُمرٍ ونَقْصِ آخرٍ ، ومَوْتٍ صغيرٍ وهَرَمٍ كبيرٍ ، وأشباهِ لذلك كثيرةٌ . وهي أكثرُ من أن تُعدَّ وتوصَفَ أو تحصى ؛ فلما نظرتُ فيها وأعملتُ الرأي والنظرَ أجمع رأيتُ على أن لها خالقاً بديعاً أبدعها ؛ ورباً يملكها ويدبِّرُها ، ويخلقها ويرزقها ، ويغنيها ويفقرُها ، ويرفعها ويخفضُها ، ويحييها ويميتُها ويُقينها ، تتقلبُ في قبضته وتعيش برزقه ؛ فلما تمَّ لي الرأي نظرتُ في عظمةِ هذا الربِّ الذي أبدع هذا الخلقَ وضبطه ، ودبره وأحكم أمره ، فإذا قدرته تأتي من وراء ذلك كله ، ليس من هذا الخلقِ شيء يُقوتها ولا يخرج منها ، وإذا هي محيطةٌ بكلِّ شيءٍ ومن وراء كلِّ شيءٍ ، ثم نظرتُ في عظمةِ الربِّ هل أصفها كما وصفتها القدرةُ ، وهل أعلمُ كنهها ؟ فتحيرتُ فيها ، وعجز عنها الحلم والعلم ، وحسرتُ عنها العقل والنظر ، وما بقي مما لم أذكره لكم معرفة القلب ولا نصفه إلا أنه قد أُلهم بمعرفته وأسرَّها أكثرُ وأعظمُ وأعجبُ مما وصفتُ وشرحتُ لكم ، فإذا تقولون ، وماذا تعرفون ، وماذا تفعلون ؟

٥

١٠

١٥

٢٠

- قالوا : قد قُلْتَ قولاً عظيماً ووصفتَ أمراً عجيباً ، وما نَحْسَبُكَ إلَّا قد أصبَتْ فيه الرأى والنظر ، وقد صدقتك وتابعتك ورأينا رأيك وواقعَ قلوبنا منه ومن معرفته مثل الذى عَرَفَتْ وواقعَ قلبك ، وإن كُنَّا لنرى مثل الذى رأيتَ من أعاجيب هذا الخلق وعظمة هذا الخالق ، وإن كان ليكثرُ أن يخطُرَ على قلوبنا منه مثل ما خطَرَ على قلبك ، ولكنَّا لم نشرحَ منه ما شرحتَ ولم نصفَ منه ما وصفتَ ، ولم نعملَ الرأى والنظرَ فى معرفته مثل ما أعملتَ وعَرَفَتْ ، ولكنَّ اللهَ أرادَ هُداك وتفضيلَكَ وإكرامَكَ بما سبقتَ إليه من هذا القول وهذا العلم وهذه المعرفة ، ولكنَّ حَدَّثنا عَمَّا نَسألكَ عنه ، وإنما نظرنا فيه بعدَ ما سمعنا قولَكَ ؛ هل ينبغى لهذا الربِّ الذى وَصَفْتَهُ بما وَصَفْتَهُ من العظمة أن يكونَ له شريكٌ فى مُلكه ، أو حاجةٌ إلى شىءٍ من خَلْقِهِ ، أو هل يَغلبُهُ شىءٌ يَسْتَعِينُ عليه بغيره ؟

- قال لهم : لو كانَ له شريكٌ فى شىءٍ من أمره لَضَبَطَ ما ضَبَطَ ، ولو كانتَ به حاجةٌ إلى أحدٍ من خَلْقِهِ لكانَ مثلهم ، ولو كانَ يستعينُ على شىءٍ يَغلبُهُ بغيره إذا ما بَلَغَتْ قُدْرَتُهُ ما بَلَغَتْ ، ولا أحاطتْ بما أحاطتْ به ، ولا وَسِعَ ما آتَسَعَ له من أمرِ خَلْقِهِ ، وتدير ما خَلَقَ ورَزَقَ وأماتَ وأحيا .

- قالوا له : صدقتَ وعَرَفْنَا ما تقول وَتَبَّتْ فى قلوبنا ، ولكنَّ حَدَّثنا ما بَالُ خَلْقِهِ يَشْرَكُونَ به وهم يعرفونه حقَّ معرفته . قال : لأنه خَلَقَ فيهم الأهواءَ وطبعَ فيهم الشهواتَ ، وجَبَلَهُمْ على الضعف ، وَتَبَّتْ معهم الشيطانَ ، فمن قَبِلَ هذا عَدَلُوا به وهم يعرفونَ أن الذين يدعون من دونه لا يُحيونهم ولا يُميتونهم ، ولا يُخلقونهم ولا يرزقونهم ، ولا يضرُّونهم ولا ينفعونهم ، إذا مسَّهم الضرُّ فإياهم يدعون وإليه يَجارون ؛ فعند ذلك أَجْمَعَ رأيهم على أن يَأوُوا إلى الكهفِ ، وأن يعترفوا قومهم

وما يعبدون من دون الله، فعندها قالوا: ﴿ رَبَّنَا رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴾ إلى قوله: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ قال: فلما أعتزلوهم وما يعبدون من دون الله آووا إلى الكهف رجاء أن ينشرهم ربهم من رحمته ويهيئ لهم من أمرهم مرفقا. قال: وأرادوا أن يكونوا في عزلة من قومهم وشركهم حتى يفرق لهم رأيهم، فالتقى الله عليهم السببات .

قال: وهم من مدينة من مدائن الروم يقال لها أفسوس^(١)، ومليك الروم يومئذ دقيوس، ويقال - والله أعلم - إن عدتهم سبعة، كان عبد الله بن عباس يسميهم بأسمائهم ويقول: ما يعلمهم إلا قليل وأنا من أولئك القليل، منهم مرطالوس، ونونوس، ودانيوس، وسراقيون، واسطاطالوس، ومكساميس، وتمليخا، وهو الذي بعثوه يورقهم إلى المدينة ليرتادهم. هذا قول ابن عباس، قال: وكانوا قوما يطلبون الصيد لما مسهم من الضر والحاجة ليس لهم كبير معيشة غيره، فقالوا قولهم هذا ونظروا ما نظروا، وهم يومئذ في الجبل الذي فيه كهفهم يطلبون الصيد ومعهم كلابهم وبزائهم وقسيهم وتبئهم. فلما أجمع رأيهم أن يأووا إلى الكهف لياتمروا فيه، هل يقيمون مع قومهم على شركهم، أم يفارقونهم فينتجعون ناحية من الأرض يحلثون فيها ويوحدون فيها ربهم. فبينما هم على ذلك التى الله عليهم السببات وأخفى على جميع خلقه مكانهم، وصرف عنهم الأبصار والعقول، فليس يبصرهم أحد ولا يقطن بمكانهم، فلثبوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا، حتى انقرضت الأئمة التي كانوا فيها والمليك الذى كان عليهم، وظهر المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وآمن به الناس وأتبعوا ملته ورفع الله اليه وذهب زمانه وزمان أهل ملته وهم في كهفهم .

(١) أفسوس: مدينة في جزيرة باسما في البحر الأبيض على مقربة من ساحل آسيا الصغرى .

قال : وقد كان عيسى بن مريم عليه السلام قبل أن يرفعه الله يحدث عنهم وعن إيمانهم وبصيرتهم ، وكيف تفكروا في عظمة إلههم ، وكيف ألقى الله عليهم السُّبَّات في كهفهم ، وكيف أخفى مكانهم عن الناس ، ولا ينبغي لأحد أن يهتدى إليهم ولا يعرف مكانهم ، وكان يخبر أن الله سيرد إليهم أرواحهم ويدل على كهفهم ليكونوا عبرة لمن خلفهم إن أراد أن يعتبر بهم .

قال : فردَّ الله إليهم أرواحهم بعد أن لَبِثُوا في كهفهم العِدَّة التي ذكرها الله عزَّ وجلَّ في القرآن ولزِمَهُم كلُّبُهُمْ ، فلبِثَ سِنِينَ كَثِيرًا ، كما أخبر الله تعالى : ﴿ وَكَلَبُهُمْ بِأَسِطِّ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ ﴾ . والوصيد : فناء الكهف الذي فيه موضع الباب ، وكان الكلب من كلاب صَيْدِهِمْ ولم يطعم ولم يشرب ليجمعه الله آية من آياتهم .

قال : فلما ردَّ الله عليهم أرواحهم ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ﴾ وهم حينئذ يظنون أن قومهم أحياء ، وأنهم على ما يمهّدون من حالهم وشركهم وعُتُوِّ مَلِكِهِمْ ، فأنطلق رجل منهم يقال له تَمْلِيحًا ، وكان أشدهم وأنجدهم ، فتوجه حتى إذا خالط رِبَضَ المدينة أنكره وأنكر ما وجد به من الناس والدوابِّ والبُنيان وغير ذلك ، ووجد الناس على حال لم يكن يعهدها وسُتَّة لم يكن يعرفها ، ووجدهم يتعاونون بورقٍ لا يُشبه الورق الذي معه ، فتحيرَّ وأنكر وأقبل وأدبر ، وأبطأ على أصحابه حتى خافوا عليه ، وظنوا أنه فُطِنَ به وقُدِرَ عليه . فلما طال عايه ذلك دخل المدينة من ناحية أخرى من نواحيها خفية فوجد حال أهل المدينة على حال أهل الرِبَضِ في كلِّ شيء ، فلما شكَّ وأرتاب واللبس عليه رأيه عمِد إلى مشيخةٍ من أهل المدينة توسَّم فيه الخير ليتجسَّس ويسمع قولهم ، فوجد معهم الإنجيل يقرءونه ، فسمع ما فيه من توحيد الله وعظمته وعذابه وسُنَّتِهِ وشرائعِهِ وحلالِهِ وحرامِهِ ، فعرف ذلك وأذعنَ إليه وأنصتَ يسمع حتى إذا

فَرَّغُوا مِنْ قِرَاءَتِهِمْ سَاهِمٍ عَنْ كِتَابِهِمْ فَقَالُوا : هَذَا كِتَابُ اللَّهِ الْإِنْجِيلِ الَّذِي أُنزِلَ عَلَى عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَبِيَّهُ . قَالَ : وَأَيْنَ عِيسَى ؟ قَالُوا : قَدْ رَفَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ . قَالَ : وَكَيْ لَبِثَ فِيكُمْ ؟ قَالُوا : ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً . قَالَ : وَهَلْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَتَيْتُمُوهُ وَأَدْرَكْتُمْ زَمَانَهُ ؟ قَالُوا : لَا ، كَانَ قَبْلَ أَنْ نُؤَلَّدَ ، وَوَجَدْنَا كِتَابَهُ فِي أَيْدِي آبَائِنَا . قَالَ : أَفَكُلُّ هَذِهِ الْمَدِينَةِ تُؤْمِنُ بِهَذَا النَّبِيِّ وَبِهَذَا الْكِتَابِ وَتَعْمَلُ بِمَا فِيهِ مِمَّا أَسْمَعُ مِنْ حِلَالِهِ وَحَرَامِهِ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، إِلَّا مُسْتَحَقًّا بِذَنْبٍ أَوْ ظَالِمًا لِنَفْسِهِ . قَالَ : فَهَلْ سَمِعْتُمْ بِالْمَلِكِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ دَقْيُوسُ ؟ قَالُوا : نَعَمْ . قَالَ : فَكَمْ لَهُ مِنْذُ هَلِكَ ؟ قَالُوا : أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثِينَ عَامًا . قَالَ : فَهَلْ بَقِيَ لَهُ عَقِبٌ ، أَوْ لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ يَعْمَلُ بِعَمَلِهِ ؟ قَالُوا : لَا . قَالَ : فَلَوْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَعْمَلَ بِمِثْلِ عَمَلِهِ مَا كُنْتُمْ تَفْعَلُونَ بِهِ ؟ قَالُوا : نَقْتَلُهُ أَوْ نَخْرِجُهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا .

فَلَمَّا آمَنَهُمْ وَأَطْمَأَنَّنَهُمْ إِلَى اللَّهِ وَرَأَى سَمْتَ الْإِسْلَامِ وَهَدْيَهُ عَلَيْهِمْ وَفَقَهُ اللَّهُ وَهَدَاهُ لِمَسْأَلَةِ سَاهِمٍ عَنْهَا . قَالَ : أَخْبِرُونِي ، هَلْ كَانَ نَبِيِّكُمْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يُخْبِرُكُمْ عَنْ سَبْعَةِ رَهْطٍ خَرَجُوا مِنْ هَذِهِ الْمَدِينَةِ فِي زَمَنِ دَقْيُوسَ وَقَوْمِهِ ، وَهَرَبُوا إِلَى اللَّهِ بِأَنْفُسِهِمْ وَدِينِهِمْ فَرَارًا مِنْ دَقْيُوسَ وَقَوْمِهِ ، وَمَا كَانُوا يُعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَتَّى آوَوْا إِلَى الْكَهْفِ فِي هَذِهِ الْجِبَالِ فَاسْتَخْفَوْا فِيهَا . فَلَمَّا قَالَ لَهُمْ هَذَا أَوْجَسُوا فِي أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُ مِنْهُمْ ، قَالُوا : نَعَمْ ، قَدْ كَانَ يُخْبِرُنَا عَنْهُمْ فَلَعَلَّكَ مِنْهُمْ فَإِنَّا نَنْكَرُ حَالَكَ كُلَّهُ . قَالَ : فَهَلْ كَانَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيمَا بَلَّغْتُمْ سَمِّيَ أَصْحَابِ الْكَهْفِ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ؛ قَالَ : فَسَمَّوْهُمُ لِي بِأَسْمَائِهِمْ ، فَسَمَّوْهُمُ حَتَّى إِذَا ذَكَرُوا اسْمَهُ تَمْلِيخًا قَالَ : فَإِنَّا تَمْلِيخًا وَأَنَا أَحَدُهُمْ ، نَفَرُوا لَهُ سَجْدًا كَمَا صَنَعَ إِخْوَةُ يُوسُفَ بِيُوسُفَ يَوْمَ دَخَلُوا عَلَيْهِ ؛ وَكَانَتْ تَحِيَّتُهُمْ فِيمَا بَيْنَهُمُ السُّجُودَ يَوْمَئِذٍ ، ثُمَّ أَدْخَلُوهُ مَسْجِدَهُمْ وَعَظَّمُوهُ وَوَقَرُوهُ وَأَكْرَمُوهُ وَرَفَعُوهُ وَجَمَعُوا لَهُ أَهْلَ مَدِينَتِهِمْ وَقَرَاءَهُمْ وَفَقَّاهَهُمْ ، فَتَبَرَّكُوا بِهِ ، وَجَمَلُوا لَهُ عِبَادًا

عظيما، وأقام أياما بين أظهرهم ثم قال لهم : إن أصحابي الذين يحدثكم عنهم عيسى عليه السلام لا أراهم إلا وقد خافوا على وساء ظنهم وهم يظنون أن دقيوس حتى ؛ وأن الزمان زمانه ، وأن الدين دينه ، فانطلقوا بنا نعلمهم كيف أهلكه الله وقومنه وطهر الأرض منهم ، وكيف استبدل الله به وبأهل ملته أمة يوحدونه ويعرفونه ويهدون بالحق وبه يعدلون . فانطلقوا معه حتى آتوهوا إلى الكهف فوجدوا كلهم باسطا ذراعيه بالوصيد فقالوا حين رأوه : وهذا الكلب أيضا من علاماتكم التي كان يحدثنا عنها عيسى عليه السلام ، وقد كان يحدث أن أصحاب الكهف لا ينظر إليهم أحد من خلق الله من يوم يدخلون الكهف إلى أن ينزل عيسى بن مريم عليه السلام إلا رجل واحد منهم ، وهو الذي يدل عليهم وعلى مكانهم ؛ وأنت هو ؛ فدخل على أصحابه فأخبرهم بما رأى وما لقي ، ثم كان آخر العهد بهم . قال الله عز وجل : ﴿ وَكَذَلِكَ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّلُ عَنَّا بِإِذْنِ رَبِّنَا مِائِدَةٌ مِّنَ السَّمَاءِ تَلِيقًا بِاللِّقَّةِ فَذَلَّلُوا وَعَلَىٰ مِائِدَتِهِمْ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ آلِ مَرْيَمَ أَنِ امْنَحِي مَرْيَمَ وَقِيصًا مِّنْهُنَّ لِيَعْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٠﴾ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴿١٠١﴾ . قال : فبنوه حول الكهف وجعلوا الكهف في وسطه وكتبوا القصة على حيطانه .

١٥ قال وهب : فبلغني - والله أعلم - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن نزول أنحى عيسى بن مريم عليه السلام علم الساعة ، وإن الله يبشرهم عند نزول عيسى بن مريم عليه السلام ، وإنه يخرج في سبعين ألفا فيهم أصحاب الكهف لأنهم لم يموتوا ، ثم تقبل ريح صفراء يمانية ، ألين من الحرير ، وريحها ريح المسك فتقيض روح عيسى عليه السلام وأرواح من معه . انتهى خبر أصحاب الكهف ، فلترجع إلى ما كنا فيه من أخبار ملوك الروم .

٢٠ قال : ثم ملك بعد دقيوس جالش . فكانت مدة ملكه ثلاث سنين . ثم ملك بعده قبطانس . فكانت مدة ملكه عشر سنين ، ثم كانت بعده ملوك الروم المنتصرة .

ذكر أخبار ملوك الروم المنتصرة

وهم ملوك القسطنطينية

(١) قال المسعودي: لما هلك قليطانس ملك بعده قسطنطين برومية، وهو أول من أنتقل من ملوك الروم عن رومية إلى بيزنطيا، وهي القسطنطينية، فبناها هذا الملك وسماها بهذا الاسم. قال: وكان خروجه من رومية ودخوله في دين النصرانية لست خلت من ملكه، وذلك أن أمه هلالا نخرجت إلى أرض الشام وبنت الكنائس وسارت إلى بيت المقدس وطلبت الخشبة التي تزعم النصارى أن عيسى عليه السلام صلب عليها، فلما ظفرت بها حلتها بالذهب والفضة وأخذت يوم وجودها عيدا، وهو عيد الصليب، لأربع عشرة ليلة خلت من أيلول. وهي التي أبنت كنيسة حمص على أربعة أركان، وأستخرجت الدفائن بمصر والشام، وصرفت ذلك في بناء الكنائس وتشيد دين النصرانية، فكل كنيسة بالشام ومصر من بناء هذه الملكة هلالا.

قال: ولسبع عشرة سنة خلت من ملك قسطنطين أجمع ثلثائة وثمانية عشر أسقفًا بمدينة نيقية بأرض الروم فأقاموا دين النصرانية. وهذا الأجماع أول

(١) (راجع ج ١ ص ١٥٢ طبع بلاق).

(٢) كذا في مروج الذهب للمسعودي (ج ١ ص ١٥٢ طبع بلاق)، وفي نسخة أرب «هلاي»

وهو تحريف.

(٣) قال ابن الهروي: مدينة نيقية من أعمال أصطبول على البر الشرق وهي المدينة التي أجمع بها آباء الملة المسيحية، وكانوا ثلثائة وثمانية عشر آبا يزعمون أن المسيح عليه السلام كان معهم في هذا المجمع، وهو أول المجمع لهذه الملة وبه أظهروا الأمانة التي هي أصل دينهم وصورهم بصورة كراسيم بهذه المدينة في بيعتها ولهم فيها اعتقاد عظيم، وفي الطريق من هذه المدينة إلى بلاد الروم الشمالية قبر أبي محمد البطال على رأس تل عال في حد تخوم البلاد (راجع معجم البلدان لياقوت في كلامه على نيقية).

الاجتماعات الستة التي تذكرها الروم في كلامهم وتسميها القوانين ، ومعنى هذه الاجتماعات السنودسات واحدها سنودس . فالأول بِنَيْقِيَّة وكان الاجتماع فيه على أرنوس ، وهذا اتفاق من سائر أهل دين النصرانية . والسنودس الثاني بقسطنطينية على مقدونس ، وعدة المجتمعين فيه من الأساقفة مائة وخمسون رجلا . والثالث بأفسيس وعدة من أجمع فيه من الأساقفة مائة رجل . والرابع بخلقدونية وعددهم ستمائة وستون رجلا . والخامس بقسطنطينية وعددهم مائة وستة وأربعون رجلا . والسادس كان في [ملكة ^(٢)] المدن ، وعدتهم مائتان وثمانون رجلا .

قال : وكان السبب في دخول قسطنطين في دين النصرانية أنه خرج في بعض حروب أبرجان أو غيرهم من الأمم ، فكانت الحرب بينهم سجالات نحو من سنة ، ثم كانت عليه في بعض الأيام فقتل من أصحابه خلق كثير وخاف البوار فرأى في نومه كأن رماحا نزلت من السماء فيها عذب وأعلام على رأسها صلبان من الذهب والفضة والحديد والنحاس وأنواع الجواهر والخشب ، وقيل له : خذ هذه الرماح وقاتل بها عدوك تنتصر ، فجعل يحارب في النوم فرأى عدوه قد أنهزم . فاستيقظ من نومه ودعا بالرماح وركب عليها الصلبان مثل ما رأى ، ورفعها في عسكره وزحف إلى عدوه فكسرهم وأخذهم السيف ، فرجع إلى مدينة نيقية وسأل عن تلك الصلبان وهل يعرفون ذلك في شيء من الآراء والنحل ؟ فقيل له : إن بيت المقدس من أرض الشام يجمع هذا المذهب ، وأخبروه بما فعله من قبله من الملوك من قتل

(١) هكذا في مروج الذهب للسعودي ، وفي نسختي أ ، ب « بحفورية » .

(٢) التكمة من مروج الذهب للسعودي .

(٣) كذا في مروج الذهب . وفي الأصول : « فاري » .

(٤) عذب : جمع عذبة ، وعذبة الرخ نرقة تشد على رأسه .

النصارى ، فبعث إلى الشام وبيت المقدس وحشر له ثلثمائة وثمانية عشر أسقفا فأتوه ببنية فقص عليهم أمره فشرعوا له دين النصرانية ؛ فهذا هو السنودس الأول .

وقيل : إن أمه كانت قد تنصرت وأخت ذلك عنه قبل هذه الرؤيا . وكان

ملكه إلى أن هلك إحدى وثلاثين سنة ، وقيل خمسا وعشرين .

ثم ملك بعده قسطنطين بن قسطنطين . فكان مدة ملكه أربعا وعشرين سنة .

وأبنتى كائس كثيرة وشيد دين النصرانية .

ثم ملك بعده ابن عمه بوليانس المعروف بالحنيفي ويسمى الرباط . قال :

ولما ملك رجع عن دين النصرانية وغير رسومها وغزا العراق في ملك سابور بن أردشير فاتاه سهم غرب فذبحه . ولما هلك جزع من كان معه من الملوك

والبطارقة ففرزوا إلى بطريق كان معظما عندهم يقال له يونياس ، وقيل : إنه

كان كاتباً للملك الماضي ، فأبى عليهم إلا أن يرجعوا إلى دين النصرانية ، فأجابوه

إلى ذلك فملك عليهم يونياس المذكور .

قال : ولما ملك كان له مراسلات مع سابور ومهادنة واجتماع ، ثم أنصرف

بجيوش النصرانية موادعا لسابور وأخلف عليه ما أتلف الملك الماضي من أرضه

بأموال حملها إليه وهدايا من الطاف الروم ، وشيد النصرانية وأعاد معالمها ، ومنع

من عبادة الأصنام والتماثيل ، وقتل من كان على عبادتها . فكان ملكه سنة .

(١) كذا في مروج الذهب للسعدي ، وفي نسخة أ « بقرياس » وفي نسخة ب « لقيانس » .

(٢) سهم غرب ، بالإضافة وعلى الوصف ، : أي لا يدري رايه .

(٣) في مروج الذهب للسعدي : « مريانس » .

ثم ملك بعده أوالس قال : ولما ملك كان على دين النصرانية ثم رجع عنه ،
وهلك في بعض حروبه ، فكان مُلكه الى أن هلك أربع عشرة سنة . وقيل :
إن في أيامه استيقظ أهل الكهف . .

ثم ملك بعده غراطيانس ^(١) . فكانت مدة مُلكه خمس عشرة سنة ، ولسنة من
مُلكه كان اجتماع النصرانية ، وهو آخر الاجتماعات ، فآتموا القول في روح القدس ،
وهو السنودس الثاني .

ثم ملك بعده بدرسيس الأكبر ، وتفسير هذا الأسم عطية الله . قال :
ولما ملك قام بدين النصرانية وعظم أمرها وآبقتي الكنائس ، ولم يكن من
أهل بيت المقدس ولا من الروم ؛ بل كان أصله من الألبان ، وهم بعض الأمم
السالفة . قل : وقد كانت ممن ملكت الشام ومصر والمغرب والأندلس . وقد
تنازع الناس فيهم ، فذكر الواقدي في كتاب فتوح الأمصار أن بدءهم من أهل
أصبهان ، وأنهم ناقلة من هنالك ، وهذا يُوجب أنهم من قبل ملوك فارس .
قال : وذكر عبيد الله بن خرداذبة نحو ذلك ، وساعدهما على ذلك جماعة من
أهل السير والأخبار .

قال المسعودي : والأشهر من أمرهم أنهم من ولد يافث بن نوح ، وهم
اللذارقة ملوك الأندلس واحدهم لذريق ، وقد تُنوزع في دياناتهم ، فمنهم من رأى
أنهم على دين المجوس ، ومنهم من رأى أنهم على مذهب الصابئة وغيرهم من عبدة
الأصنام . قال : وكان مُلك بدرسيس الى أن هلك تسع عشرة سنة .

ثم ملك بعده أوقاديس ^(٢) . فكان مُلكه أربع عشرة سنة [وكان] على دين النصرانية ^(٣) .

(١) في مروج الذهب : (ج ١ ص ١٥٥ طبع بلاط) : « غراطيانس » .

(٢) في مروج الذهب : (أوباديس) . (٣) الكلمة من مروج الذهب .

ثم ملك بعده بدرسيس الأصغر ، وذلك بمدينة أفسس ، وجمع مائتي أسقف وهو الأجتاع الثالث من الأسنودسات ، ولعن فيه نستورس البطرك ، وإليه تنسب النسطورية من النصرى . وكان ملك هذا الملك الى أن هلك اثنتين وأربعين سنة .

ثم ملك بعده مرقياوس وزوجته بلجارية . فكانت ملكة معه . وكان ملكهما سبع سنين ، وفي أيامهما كان خبر اليعاقبة ووقوع الخلاف بينهم في الثالث . قال : وأكثر اليعاقبة من النصرى بالعراق وتكريت والموصل والجزيرة ومصر وأقباطها إلا اليسير فإنهم ملكية ، والنوبة والأرمن يعاقبة ، ومطران اليعاقبة بين الموصل وبغداد وتكريت ، وكان لهم بالقرب من رأس عين واحد فسات ، وأنتقل مطرانها الى بلاد حلب وقنسرين والعواصم .

قال المسعودى : وكسى اليعاقبة [رسمه ^(٣)] أن يكون بمدينة أنطاكية ، وكذلك لهم كرسى بمصر .

ثم ملكا بعدهما ليون الأصغر بن ليون . فكان ملكه ست عشرة سنة ، وفي أيامه أكرم مسعدة^(٤) اليعقوبى بطرك الإسكندرية ، وأجمع له من الأسقافة ستمائة وثلاثون أسقفا . وفي تاريخ الروم أن عدة المجتمعة ستمائة وستون رجلا ، وذلك بخلقدونية ، وهذا الأجتاع هو السنودس الرابع عند الملكية . واليعاقبة لا تعتد بهذا السنودس .

(١) فى مروج الذهب : (مرقيانوس) .

(٢) رأس عين : مدينة كبيرة مشهورة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين وديسر ، وبينها وبين نصيبين نحو عشر فرساجا ، وقريب من ذلك بينها وبين حران وهى إلى ديسر أقرب بينهما نحو عشرة فراسخ (وأجمع معجم البلدان لياقوت) .

(٣) التكلة من مروج الذهب للمسعودى .

(٤) كذا فى مروج الذهب ، وفى الأصول (أنرج لسفره ...) وهو تحريف .

قال : واليعاقبة أضيفت الى يعقوب البرذعى وبه عُرِفَت ، وكان من أهل أنطاكية ، وكان يعمل البراذع بها .

- ثم ملك بعده ابن له على دين الملكية . فكانت مدة مُلكه الى أن هلك سنة .
 ثم ملك بعده يير وهو من بلاد الأرمينان ، وكان ملكه سبع عشرة سنة ، وكان يميل الى رأى اليعاقبة ، وكان له حروب مع خَوارجَ خرجوا عليه فى دار مُلكه فظفِر بهم .

ثم ملك بعده نسطاس ، وكان يذهب الى مذهب اليعاقبة ، وهو الذى بنى مدينة عمورية ، وأصاب كنوزا ودفائن عظيمة . وكان ملكه تسعا وعشرين سنة .
 ثم ملك بعده نوسطيانس تسع سنين .

- ثم ملك بعده سطيانس . فكان ملكه تسعا وثلاثين سنة ، وبني كنائس كثيرة ،
 وشيّد دين النصرانية وأظهر مذاهب الملكية ، وبني كنيسة الرها . وهى إحدى عجائب مباني العالم .

- قال : وقد كان فى هذه الكنيسة مندبل يعظّمه أهل دين النصرانية ، وهو أن اليسوع الناصرى حين أخرج من ماء المعمودية نُسِفَ به ، فلم يزل هذا المندبل يتداول الى أن قُتِرَ على كنيسة الرها ، فلما اشتد أمر الروم على المسلمين وحاصروا الرها فى سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة أعطى هذا المندبل للروم فوقعت الهدنة عليه ، وفرح الروم به فرحا عظيما .

ولما هلك هذا الملك ملك بعده قوسطيس وهو ابن أخيه ، وكان ملكه الى أن هلك ثلاث عشرة سنة .

ثم ملك بعده طباريس . فكان ملكه أربع سنين ، وأظهر في مدة ملكه أنواعا من اللباس والآلات وآنية الذهب والفضة وغير ذلك من آلات الملوك .

ثم ملك بعده مورقيس ، وقيل فيه موريقس . فكانت مدة ملكه عشرين سنة ، وهو الذى نصر كسرى أبرويز على بهرام جوبين على ما قدمناه ، ثم قُتل وأنتصر أبرويز لولده وبعث بجيوش الفرس ، وكانت له حروب ذكرناها .

ثم ملك بعده قرقاس .^(١) فكان ملكه الى أن قُتل أيضا ثمانى سنين .

ثم ملك بعده هرقل وكان بطريقا فى بعض الجزائر قبل ذلك . قال : ولما ملك عمر بيت المقدس وذلك بعد أن كشف الفرس عن الشام ، وبني الكنائس . ولسبع سنين خلت من ملكه كانت هجرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر ملوك الروم بعد ظهور الإسلام

قال المسعودى : وجدت فى كتب التواريخ تنازعا فى مولد النبى صلى الله عليه وسلم وفى عصر من كان من ملوك الروم ، فمنهم من ذهب الى ما قدمناه ، ومنهم من رأى أن مولده صلى الله عليه وسلم كان فى ملك نوسطينوس . وكان ملكه سبعا وعشرين سنة .

ثم ملك بعده نوسطينوس الثانى ، وكان ملكه عشرين سنة .

ثم ملك بعده هرقل بن نوسطينوس ، وهو الذى ضرب الدنانير والدرهم الهيرقلية . وكان ملكه خمس عشرة سنة .

ثم ملك بعده ابنه مورق بن هرقل ، وهو الذى كتب الزيجات فى النجوم ، وعليه يعمل أهل الحساب . وفى تواريخ ملوك الروم فىمن سلف وخلف أن الملك

(١) فى مروج الذهب : (قرماس) بالميم .

للروم كان في وقت ظهور الإسلام وخلافة أبي بكر وعمر هِرَقْلُ . وليس هذا الترتيب فيما عداها من كتب تواريخ أهل السَّير . وفي تواريخ أصحاب السَّير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجر وملك الروم قيصر بن فوق .

ثم ملك بعده قيصر بن قيصر ، وذلك في أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

- ٥ ثم ملك بعده هرقل بن قيصر في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهو الذي حاربه أمراء الإسلام الذين فتحوا الشام على ما نذكره إن شاء الله تعالى في خلافة عمر رضي الله عنه .

ثم ملك بعده مورق بن هِرَقْل في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه .

ثم ملك بعده فوق بن مورق في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأيام

- ١٠ معاوية بن أبي سفيان .

ثم ملك بعده فلقط بن مورق بقیة أيام معاوية بن أبي سفيان ، وكانت بينهما مراسلات ومُهادنات ، وكان مُلكه في آخر أيام معاوية وأيام يزيد ابنه ومعاوية ابن يزيد ومروان بن الحكم وصَدْرًا من أيام ابنه عبد الملك بن مروان .

ثم ملك بعده لاوي بن فلقط في بقیة أيام عبد الملك بن مروان .^(٢)

- ١٥ ثم ملك بعده جيرون بن لاوي في أيام الوليد بن عبد الملك وسليمان بن عبد الملك أخيه وعمر بن عبد العزيز ، ثم اضطرب مُلك الروم لما كان من أمر مسَلَمَة بن عبد الملك بن مروان وغزوا المسلمين لهم في البر والبحر ، فَلَكَوا عليهم رجلا من غير

(١) في مروج الذهب : (فلقط) بالقاف .

(٢) في مروج الذهب : (لاون) .

أهل بيت المُلك من أهل مَرَعَش ^(١) يقال له جرجس . فكان مُلكه تسع عشرة سنة .
ولم يزل مُلك الروم في اضطراب الى أن مَلَكَ عليهم قسطنطين بن اليون ، وذلك
في خلافة أبي العباس السفاح وأبي جعفر المنصور .

ثم ملك بعده اليون بن قُسطنطين ، وكانت أمه أرسى ملكة معه ومشاركة له
في المُلك لصغر سنه . وملك في أيام المهدي والهادي .

ثم ملك بعده قسطنطين بن اليون بن قسطنطين ، وكانت أمه مشاركة له وسملت
عينها بعد موته .

ثم ملك بعده تقفور بن استبراق ، وكان لهذا الملك مراسلات وحروب مع
الرشيد ، وغزاه الرشيد فأعطى القود من نفسه من بعد بني كان منه في بعض
مراسلاته ، فأصرف الرشيد عنه ثم غدر ونقض ما كان أعطاه من الأتقياد ، فكتم
الرشيد أمره لعارض علة كان وجدها بالرقّة ^(٢) ، ثم تجهّز وغزاه فنزل على هرقلة ^(٤) ، وذلك
في سنة سبعين ومائة ، فحاصرها سبعة عشر يوماً فأصيب خلق من المسلمين وقبيلت
الأزواد والعلوفات ، ثم فتحها عنوة . وقيل : إنهم بادروا لها فتحها بطلب الأمان
فأمّنوا . والأشهر أنه فتحها عنوة .

ثم ملك بعده استبراق بن تقفور بن استبراق . وكان مُلكه في أيام الأمين ،
ولم يزل ملكا حتى غلب على المُلك قسطنطين بن فلقط ، وكان مُلكه في خلافة
المأمون .

(١) مرعش : بلدة من الشام . (٢) في مروج الذهب : « جرجيس » .

(٣) الرقة : مدينة على الفرات من ديار مصر ، ويقال لها : « الرافقة » .

(٤) هرقلة : هي في شرق نهر يزل من جبل العللايا الى آخر سنوب ، وهي عليه في قرب البحر ،

وفي شرقها جبل الكهف عند الروم .

(١) ثم ملك بعده توقيل وذلك في خلافة المعتصم ، وهو الذي فتح زِبْطرة وغزاه المعتصم بعد فتح عمورية .

ثم ملك بعده ميخائيل بن توقيل ، وذلك في خلافة الواثق والمتوكل والمتنصر والمستعين ، ثم كان بين الروم تنازُعٌ في الملك ، فلدكوا عليهم توقيل بن ميخائيل ابن توقيل .

(٢) ثم غلب على الملك بسيل الصقلبي ولم يكن من أهل بيت الملك . وكان ملكه في أيام المعتز والمهتدي وبعض أيام المعتد .

٨٧
١٣

ثم ملك بعده اليون بن بسيل . فكان ملكه بقية أيام المعتد وصَدْرًا من أيام المعتضد الى أن هلك .

١٠ ثم ملك بعده الإسكندروس فلم يحمّد الروم أمره فخلعوه .
ولمكوا عليهم أخاه لاوى بن اليون بن بسيل الصقلبي . فكان ملكه بقية أيام المعتضد وأيام المكتفى وصَدْرًا من أيام المقتدر .

(١) زبْطرة : ضبطها ياقوت بكسر الزاي ، وضبطها صاحب تقويم البلدان بفتحها وفتح الباء وسكون الطاء . قال ابن حوقل : وأما زبْطرة فإنها حصن من أقرب الثغور الى بلد الروم ، تحربها الروم . وقال صاحب تقويم البلدان : وزبْطرة اليوم تراب خالية من الزرع والسكان ولم يبق منها غير رسم سورها وليس بالكثير ، وهي في أرض مستوية والجبال تحيط بها والشجرة من جميع جهاتها على القرب منها وهي في الجنوب عن مطبة على نحو مرحلتين ، وهي في جهة الغرب عن حصن منصور على مرحلتين أيضاً وبينها وبين حصن منصور الجبل والدر بند ، ولقد اجترت بها في عام فتحنا مطبة في المحرم سنة خمس عشرة وسبعمائة وكان في شهر نيسان واصطدنا من أرض زبْطرة بين شجر البلوط صيودا كثيرة وهي أراب كجار الى الغاية لا يوجد في الشام أراب تفاربهن في القدر . (راجع تقويم البلدان ص ٢٣٤ طبع أوروبا) .

٢٠ (٢) كذا في الطبري (ص ١٨٥٨ ، ١٨٥٩ من القسم الثالث طبع أوروبا) ومرجع الذهب للسعودي وفي الأصول : « الصقلي » .

ثم هلك وخلف ولدا صغيرا يقال له قسطنطين فلك وغلب على مشاركته في الملك
أرمينوس بطريق البحر صاحب حربته . قال : فزوج قسطنطين الصبي بآبنته ،
وذلك في بقية أيام المقتدر وأيام القاهر والراضى والمتقى ، وذلك في سنة اثنين
وثلاثين وثلاثمائة .

قال المسعودى : فملوك الروم في هذا الوقت ثلاثة ، فالأكبر منهم والمدبر
للأمور أرمينوس المتغلب على الملك ، ثم قسطنطين بن لاوى بن اليون بن بسيل ،
والثالث ابن لأرمينوس يُحاطب بالملك اسمه اسطفانس وجعل أرمينوس أبنا له آخر
صاحب الكرمى بالقسطنطينية ، وهو البطريك الأكبر الذى يأخذون عنه دينهم ،
وقد كان خصاه قبل ذلك أبوه وقزبه الى الكنيسة . وهذا آخر من ذكره المسعودى
من ملوك الروم ولم نجد من ضبط أمرهم بعده على آتساق فنذكره .

قال : فعدت ملوك الروم المنتصرة من قسطنطين بن هلاى الذى أظهر دين
النصرانية بالروم الى هذا الوقت أحد وأربعون ملكا ، ولم يعد [ابن] أرمينوس .
وسنهم خمسمائة سنة وسبع سنين .

وقال فى ملوك رومية : والذى وجدت فى أكثر كتب التواريخ مما آتفقوا
عليه أن عدة ملوك الروم الذين ملكوا مدينة رومية ، وهم الذين ذكرهم فى كتابه
وذكرناهم نحن فى كتابنا هذا ، تسعة وأربعون ملكا ، وجميع عدد سنين ملكهم ، من أول
من ملكهم على حسب ما ذكرناه من الخلاف فى صدر هذا الفصل إلى قسطنطين
ابن هلاى ، أربعائة سنة وثلاثون سنة وسبعة أشهر وستة أيام . والله أعلم .

(١) الكلمة من المسعودى .

(٢) فى المسعودى : (اثان وأربعون) .

ذكر أخبار ملوك الصقالية والنوكبرد

- قال المسعودي : الصقالية من ولد ماراي بن يافث بن نوح ، وإليه يرجع سائر أجناس الصقالية وبه يُحَقَّقُونَ في أنسابهم . ومنهم من ينقاد إلى دين النصرانية اليعاقبة ، ومنهم من لا كتاب له ولا ينقاد إلى شريعة . وهم أجناس :
 منهم جنس كان الملك فيهم قديماً في صدر الزمان ، وكان ملكهم يدعى ماجك ، وهذا الجنس يدعى لبنانا ، وكان يتلو هذا الجنس قديماً في صدر الزمان سائر أجناس الصقالية وهم اصطبرانة ، وملكهم يدعى بصقلامح . وكنس يقال له نايجين ، وملكهم يدعى عرابية ، وهذا الجنس أشجع الصقالية ، وكنس يدعى مناي ، وملكهم رتبيل ، ثم جنس يقال له سرتين ، وهو جنس مهيب عندهم ، ثم جنس يقال له مراوة ، ثم جروانيق وصاصين وخشانين وزانجاين .

- قال : والجنس الذي يدعى سرتين يحرقون أنفسهم بالنار ، وإذا مات لهم ملك أورئيس يحرقونه ويحرقون دوابه ، ولم أفعال كأفعال الهند .
 قال : ومن الصقالية جنس أتحق بالخزر والروس . قال : والأول من ملوك الصقالية ملك الدير ، وله مدن واسعة وعمائر كثيرة ، وهو يحارب الروم والفرنج والنوكبرد وغيرهم من الأمم ، والحرب بينهم سجال : ثم يلي هذا الملك من بلاد الصقالية ملوك الترك . قال : والصقالية أجناس كثيرة ، ثم اختلفت الكلمة بين أجناسهم فزال نظامهم وملك كل جنس منهم عليهم ملكا .
 هذا ما أورده المسعودي من أخبار الصقالية . والله أعلم .

(١) في المسعودي : (ج ٣ ص ٦٢ طبع أوربا) « ولبنانا » .

(٢) في المسعودي طبع أوربا : « عزة » .

(٣) في المسعودي : « متين » .

وأما التوكبرد فقال المسعودي فيهم : لانهم أيضا من ولد يافت وبلادهم متصلة ببلاد المغرب ، ولهم جزائر كثيرة فيها أمم من الناس . وهم ذو باس شديد ومنعة ، ولهم مدن كثيرة ويجمعهم بلد واحد .

قال : وأسماء ملوكهم في سائر الأعصار أريكس ، والمدينة العظمى من مدنها ودار مملكتهم تبت^(١) وهي مدينة عظيمة يخرقها نهر عظيم من أعظم الأنهار اسمه سايط والمدينة على جانبه .

٨٨

١٣

قال : ومن مدنها التي كان المسلمون ببلاد الأندلس قد غلبوهم عليها وسلبوها منهم وسكنوها ثم استعادها التوكبرد بعد ذلك من المسلمين مدينة تارة ومدينة طارينو ومدينة سيرنية ، ولم يذكر من أمرهم خلاف ذلك فذكره .

ذكر خبر ملوك الإفرنجية والجلالقة

قال المسعودي : لاخلاف أن الإفرنجية والجلالقة والصقالية والتوكبرد والأسبان والترک والخزر ورجان واللان وباجوج وماجوج وغير من ذكرنا من سكن بلاد الشمال من ولد يافت بن نوح .

قال : والإفرنجية أشد هؤلاء الأجناس باسا ، وأمنعهم وأكثرهم عدة ، وأوسعهم ملكا ، وأحسنهم نظاما ، وأتقيادا للوكلهم ، وأكثرهم طاعة .

قال : والجلالقة أشد من الإفرنجية وأعظم منهم نكاية . والرجل الواحد من الجلالقة يقاوم عدة من الإفرنجية . ثم قال : وكلمة الإفرنجية متفقة على ملك واحد

(١) كذا في المسعودي (ج ١ ص ١٩٧ طبع بلاق) ووردت في الأصول هكذا : «تبت» .

(٢) راجع (ج ١ ص ١٩٦ طبع بلاق) .

لا تنازع بينهم في ذلك ، ومُدُنهم تزيد على مائة وخمسين مدينة غير الكُور .
وكانت أوائل بلادهم قبل ظهور الإسلام في البحر في جزيرة رودس وجزيرة
إقريطش ، ثم ملكوا بلاد الغرب وأستولوا عليها .

قال : وأول ملوك الإفرنجية قلوبا وكان مجوسياً فنصرتة أمراته عرضة .^(١)

ثم ملك بعده ابنه لذريق .

ثم ملك بعده ابنه دفسوت .^(٢)

ثم ملك بعده ابنه قادله .

ثم ملك بعده ابنه بيبق .

ثم ملك بعده قادله . وكانت ولايته ستاً وعشرين سنة ، وذلك في أيام الحَكَم

صاحب الأندلس ، وتدافع أولاده بعده ووقع الأختلاف بينهم حتى تفانت
الإفرنجية بسببهم .

وسار لذريق بن قادله فملك ثمانيا وعشرين سنة وستة أشهر ، وهو الذي

أقبل إلى طرطوشة فحاصرها .

ثم ملك بعده قادله بن لذريق تسعا وثلاثين سنة وستة أشهر .

ثم ملك بعده ابنه لذريق ستة أعوام ، ثم خرج عليه قائد للإفرنجية يسمى يوسَة

فلك الإفرنجية وأقام في الملك ثمانى سنين . وهو الذى صالح المجوس على بلده سبع

سنين بستائة رطل ذهبا وستائة رطل فضة يؤدبها صاحب الإفرنجية إليهم .

(١) في المسعودى طبع أوربا : « قلودية » .

(٢) في المسعودى طبع أوربا : « دقشرت » .

ثم ولى بعده قادله وأقام في الملك إحدى وثلاثين سنة وثلاثة أشهر .
 ثم ولى بعده لذريق بن قادله وأستمر في الملك إلى سنة ست وثلاثين وثلثمائة .
 هذا ما أورده المسعودي من أخبارهم في كتابه المترجم بمروج الذهب
 ومعادن الجوهر .

ثم أتسعت بعد ذلك ممالكهم وأنبسطت أيديهم وأستولوا على أكثر بلاد
 الغرب وغيرها .

ذكر طوائف السودان وشيء من أخبارهم ونسبهم

قال المسعودي : لما تفرق ولد نوح في الأرض سار ولد كوش بن كنعان
 نحو المغرب حتى قطعوا نيل مصر . ثم أفرقوا فسارت طائفة منهم ميممين المشرق ،
 وهم الثوبة والحبشة والزنج . وسار فريق منهم نحو المغرب ، وهم أنواع كثيرة :
 الزغاوة والكائم ومرنك وكوكو والجمي وغانة وغير ذلك من أنواع الأحابش والدامم ،
 ثم أفرق الذين يميموا بين المشرق والمغرب ، فصارت الزنج من المكين والمسكون ودبرا
 وغيرهم من أنواع الزنج .

قال : ومن مدنهم بربرا وهي مدينة على خليج من البحر الحبشي يسمى الخليج
 البربري ، طوله خمسمائة ميل وعرضه مائة ميل .

- (١) الذي في مروج الذهب للمسعودي يخالف ما هنا في بعض المواضع فراجع .
 (٢) كذا في المسعودي (طبع أوروبا) وفيه (طبع بلاق) « الغافو » وفي الأصول « القافو » .
 (٣) كذا في المسعودي (طبع بلاق) وفي الأصول « اكي » .
 (٤) كذا بالأصل ، والذي في مروج الذهب (طبع أوروبا) « المكير والمشكر » ، وفيه (طبع بلاق)
 « المكين والمسكون وبربرا » .

قال : وليست هذه بربراً هي التي تُنسب إليها البرابرة الذين بالمغرب من أرض إفريقية . قال : ولبأس هؤلاء الزنج جلود النمورة ، وهي جلود كبيرة تُحمَل من أرضهم الى بلاد الإسلام . قال : وأقاصي بلاد الزنج بلاد سفالة وأقاصيه بلاد الواق واق ، وهي أرض كثيرة الذهب كثيرة العجائب والخصب ، حارة . وأخذها الزنج دارمملكة وملكوا عليهم ملكاً اسمه « وقليبي » وهي نسبة لسائر ملوكهم في سائر الأعصار .

قال : ويركب وقليبي وهو ملك من ملوك الزنج في ثلثمائة ألف راكب ، ودوابهم البقر ، وليس في أرضهم خيلاً ولا بغالاً ولا إبل ولا يعرفونها ، وإنما يركبون البقر بالسروج والثلج ، ويقاتلون عليها وهي تعدو بهم كالخيل .

٨٩
١٣

قال المسعودي : رأيت بالرّي نوعاً من هذه البقر تبرك كما تبرك الحمل وتحمّل وتثور بأحمالها ، وتحمّل عليها الميتة من الخيل والإبل وغيرها فتنهض بجملها . والغالب على هذا النوع من البقر حمرة الحدق وسائر البقر تنفر منها . قال : ولا يقع البرد في بلاد الزنج . قال : ومنهم ناسٌ مُحدّدو الأسنان يأكل بعضهم بعضاً . قال : ومساكن الزنج من حد الخليج المشعب من أعلى النيل الى بلاد سفالة والواق واق ، ومقدار مسافة مساكنهم واتصالها في الطول والعرض سبعمائة فرسخ : بر وأودية وجبالاً وريماً .

١٥

قال المسعودي : ومعنى تسمية ملك الزنج « وقليبي » أي ابن الرب الكبير ؛ لأنه آخثارهم للملكهم والمدل فيهم ، فتي جار الملك عليهم في حكمه أو حاد عن الحق قتلوه وحرّموا عقبة الملك . وزعموا أنه إذا فعل ذلك فقد بطل أن يكون ابن الرب الذي هو ملك السماء والأرض ، ويسمّون الخالق عز وجل (مكليجو) وتفسيره الرب الكبير .

٢٠

قال: والزنج أولو فصاحة في ألسنتهم وفيهم خطباء بلغتهم؛ يقف الرجل الزاهد منهم فيخطب على الخلق الكثير منهم يرغبهم في القرب من ربهم ويتبعهم على طاعته، ويُرهبهم من عقابه، ويذكّرهم من سلف من ملوكهم وأسلافهم، وليس لهم شريعة يرجعون إليها بل رسوم لملوكهم، وأنواع من السياسات يرجعون إليها ويتسوسون بها رعيتهم، وأكثر أكلهم الموز، وهو كثير ببلدهم، وغالب أقاتهم الذرة ونبت^(١) يقال له الكلارى يُقتلع من الأرض كالكمأة والراسن، وياكلون العسل واللحم.

قال: ومن هوى منهم شيئا من نبات أو حيوان أو جمادٍ عبده. وجزائرهم لا تحصى كثرة وفيها النارجيل.

وأما النوبة وما قيل فيها فأفترقت فرقتين في شرقي النيل وغربيه وأناخت على شطيه واتصلت بديارها بديار مصر، واتسعت مساكنها على شاطئ النيل مصعدة. ومدينتهم دُقله. والفريق الآخر من النوبة يقال له غلوة وينزل مدينة الملك وأسمها سُرته.

وأما البجة وما قيل فيها فإنها نزلت بين بحر القلزم ونيل مصر وتشعبوا فرقا وملكوا عليهم ملوكا، وفي أرضهم معادن الذهب. قال: وأنضاف إلى البجة طائفة من العرب من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان وتزوجوا من البجة.

وأما الحبشة وما قيل فيها فإن دار ملوكهم كعب، وهي مدينة عظيمة، وهي دار مملكة النجاشي. وللحبشة مدن كثيرة وعمائر واسعة، ويتصل ملك النجاشي بالبحر الحبيشي، وله ساحل فيه مدينة كبيرة، وهو مقابل لبلاد اليمن. فن مدن الحبشة

(١) في السمودي: « ويشبه هذا الكلارى القلقاس الذي يكون بالشام ومصر ».

على الساحل : الزَّبَلَعُ والدَّهْلَكُ وناصِع ، وفي هذه المُدُن جماعةٌ من المسلمين إلا أنهم في ذمة الحبشة .

قال : وبين ساحل الحبشة ومدينة غَلاققَة ، وهى ساحل زبيد من أرض اليمن ، ثلاثة أيام عرض البحر . قال : ومنه عَبَرَت الحبشة الى اليمن حين ملكته في أيام ذى نُوَّاس ، وهذا الموضع هو أقل هذا البحر عرضا .

قال : وهنالك جزائر بين الساحلين منها : جزيرة العقل فيها ماء يُشرب فيفعل فى القسائح والذكاء فعلا جميلا ، وبها جزيرة أسقطرة . وأما غير هؤلاء من الحبشة فمنهم من أمعن فى المغرب مثل : الزَّغَاوَة والكَوَّكُو والقراقر ومديدة ومريس والمبرس والملائنة والقوماطين ودُوَيْلَة والقرمة . قال : ولكل طائفة من هؤلاء الطوائف وغيرهم ملكٌ يرجعون إليه .

الباب الرابع

من القسم الرابع من الفن الخامس

في أخبار ملوك العرب ويتصل بهذا الباب خبر سبيل العرَم

ذكر أخبار ملوك حِطَّان

قال المؤرخون : لم يكن للعرب مُلكٌ حقيقيّ ، وإنما كان من مَلِكِ حِمير في بلاد اليمن سُمِّيَ مَلِكًا ، وقد كانوا في بعض الأوقات يخرجون من بلادهم ويسيجون في الأرض حتى بلغوا أقصى المغرب ، وبلغوا من حدود المشرق سَمَرْقَنْدَ ، وبلغوا باب الأبواب ، ودخلوا بلادَ الهند ولم يستقرّوا في غير بلادهم ، فلا يعدّ ذلك مُلكًا ، وإنما هو غارة .

فأولُ ملوك حِطَّانَ عبدُ شمس ، وهو سبأ بن يَشْجَب بن يَعْرُب بن حِطَّان ابن عابر بن شايخ بن أرغشدد بن سام بن نوح ، وإنما سُمِّيَ سبأً لأنه أول من أدخل بلاد اليمن السبئي . قال عبد الملك بن عبدون في كتابه المترجم بكامة الزهر وصدفة الدر : إن عبد شمس هذا ملك أربعمائة سنة وأربعمائة وثمانين سنة . قال : وقد اختلف في أول من ملك منهم ، فقيل يَعْرُب بن حِطَّان . قال : وهو أول من نطق بالعربية ، وأول من حيّاه ولده بتحية الملك : أَيُّتِ اللّٰهُن ، وأنهم صباحا . والأشهر أن عبد شمس سبأ هو أول ملوكهم . والله أعلم .

ثم ملك بعده ابنه حِمير بن سبأ ، قال : وكان أشجع الناس في وقته ، وأفرسهم وأجملهم . وقيل : إنه إنما سُمِّيَ حِميرًا لكثرة لباسه الأحمر من الثياب ، وكان يلقَّب

بالعَرَبِجَج ، وهو أول مَنْ وضع تاجَ الذهب على رأسه من ملوك اليمن . وكان مُلكه خمسين سنة ، وذلك في عصر قيذار بن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام .

ثم ملك بعده أخوه كَهْلَان بن سبأ . فكان مُلكه إلى أن هلك ثلاثمائة سنة .

وآختلف فيمن ملك بعده ، فقيل : ملك بعده أبو مالك بن عسكر بن سبأ . فكان

- ٥ ملكه ثلاثمائة سنة . وقيل ملك بعد كَهْلَان الرَّائِش وهو الحارث بن شداد ، وكان الحارث أول مَنْ غزاهم ، وأصاب الغنائم ، وأدخلها اليمن ، وبينه وبين حمير خمسة عشر أباً ، وسُمِّي الرَّائِش لأنه لما أدخل الغنائم والأموال والسبي بلاد اليمن فراش الناس [في أيامه] . وفي عصره مات لقمان النصور . قال : وذكر الرَّائِش هذا نبينا صلى الله عليه وسلم في شعره ، فقال من قصيدته :

- ١٠ ويملك بعدهم رجلٌ عظيمٌ نبيّ لا يُرخص في الحرام
يسمى أحمداً ياليت أني أعمر بعد مخرجه بعام

قال : وكان ملكه مائة وخمسا وعشرين سنة . هكذا نقل عبد الملك بن عبدون وذكر الخلاف في أبي مالك والرَّائِش على ما ذكرناه . وأما غيره فإنه لم يذكر كَهْلَان ابن سبأ ولا أبا مالك ، بل قال : إن حمير عهد إلى ابن أبنه المِلطاط بن عمرو بن حمير . قال : وفي أيامه أنقرض ملك صحار وجاسم أبني دارم وبادوا .

- ١٥ قالوا : ثم ملك بعده أبنه أبرهة ويقال له ذو المنار . قالوا : سُمِّي بذلك لأنه أول مَنْ أقام المنار في مغازيه على الطريق ، وذلك أنه أوغل في بلاد المغرب والسودان ، وأخذها ليهتدى بذلك في قفوله . وكان ملكه مائة وثلاثين سنة ،

(١) كذا في الأصول . وفي شرح قصيدة ابن عبدون الذي ينقل عنه المؤلف « سدر » وفي تاريخ

٢٠ الطبرى (ص ٤٤٠ من القسم الأول طبع أوربا) « ابن أبي سدد » .

(٢) التكملة من شرح قصيدة ابن عبدون .

وقيل مائة وثلاثا وثمانين سنة . هكذا ذكر ابن قتيبة في كتاب المعارف أن الذي ملك أبرهة . وقال المسعودي : إن الذي ملك بعد الرأس جبار بن غالب بن زيد ابن كهلان وقال : إن ملكه كان مائة وعشرين سنة . والله أعلم .

ثم ملك بعد أبرهة على ما ذكر ابن حمدون في تذكرة ابنه إفريقيش ، وهو ذوا الأذعار . قال : سُمي بذلك لأنه نرح نحو بلاد المغرب وأوقع بقوم لهم خاتق منكرة فُدَّعِر الناس منهم وفزقوا . قال ابن عبدون : وغزا إفريقيش بلاد المغرب حتى أتى طنجة ونقل البربر من أرض فلسطين ومصر والساحل إلى مساكنهم ببلاد المغرب . وكان البربر بقية من قتل يوشع بن نون . قال : وإفريقيش هو الذي بنى إفريقية وبه سُميت .

ثم ملك بعده ابنه العبد ويلقب ذا الشناتر ، وهي الأصابع في لغة حمير . قال : ونرح نحو العراق فأحضر في طريقه . هكذا ذكر ابن حمدون . وقال عبد الملك : إن الذي ملك بعد إفريقيش أخوه العبد بن أبرهة . قال : وهو ذوا الأذعار ، سُمي بذلك لأنه كان فيما ذكر أهل الأخبار غزا بلاد النسناس فقتل منهم مقتلة عظيمة ، ورجع إلى اليمن من سبيهم بقوم وجوههم في صدورهم فُدَّعِر الناس منهم فسُمي بذى الأذعار . وكان ملكه خمسا وعشرين سنة . وقد قدمنا أن ذوا الأذعار هو إفريقيش . والله أعلم .

ثم ملك بعده الهدهاد بن عمرو بن شرحبيل . هكذا قال ابن حمدون والمسعودي ، إلا أن المسعودي لم يذكر عمرا وقال الهدهاد بن شرحبيل . وسماه ابن قتيبة هداد بن شرحبيل بن عمرو بن الرأس ، وهو أبو بلقيس صاحبة سليمان عليه السلام . وكانت مدة ملكه عشرين سنة ، وقيل سبعة ، وقيل ستة . وقد قدمنا

خبر بلقيس وأنها ابنة ذى أشرح ، وأن والدها لم يكن ملكا وإنما كان وزيراً للملك حمير وهو شراحي الحميري . والله تعالى أعلم .

وَأَخْتَلَفَ فِيمَنْ مَلَكَ بَعْدَ الْمُهْدَاهِدِ ، قَالَ الْمَسْعُودِيُّ : تُبَّعَ الْأَوَّلُ . وَكَانَ مُلْكُهُ أَرْبَعًا سِنِينَ . وَقَالَ ابْنُ قَتَيْبَةَ أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ ، وَقَالَ : مَلَكَ بَعْدَ الْمُهْدَاهِدِ ابْنَتُهُ بَلْقَيْسُ وَهِيَ صَاحِبَةُ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ . وَكَانَ مُلْكُهَا مِائَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً . وَقَدْ أَتَيْنَا عَلَى أَخْبَارِهَا فِيمَا سَلَفَ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ فِي قِصَّةِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

ثم ملك بعدها ياسر بن عمرو بن شرحبيل وهو ناسر النعم ، قالوا : سُمِّيَ بِذَلِكَ لِإِنْعَامِهِ عَلَى الْعَرَبِ ، وَكَانَ شَدِيدَ السُّلْطَانِ ، وَسَارَ غَازِيَا وَأَوْغَلَ فِي بِلَادِ الْمَغْرِبِ حَتَّى بَلَغَ وَادِي الرَّمْلِ وَلَمْ يَلْفِئْهُ أَحَدٌ قَبْلَهُ ، وَهُوَ رَمْلٌ جَارٍ ، وَلَمْ يَجِدْ وَرَاءَ ذَلِكَ مَجَازًا لِكثْرَةِ الرَّمْلِ وَجَرِيَانِهِ ، فَبَيْنَمَا هُوَ مُقِيمٌ إِذْ أَنْكَشَفَ الرَّمْلَ فَأَمَرَ بَعْضَ أَهْلِ بَيْتِهِ أَنْ يَعْبُرُوا وَأَصْحَابُهُ فَعَبَرُوا فَلَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ وَهَلَكُوا عَنْ آخِرِهِمْ ، فَأَمَرَ بِصَنْمٍ مِنْ نَحَاسٍ فَنُصِبَ عَلَى صَخْرَةٍ عَظِيمَةٍ عَلَى شَفِيرِ الْوَادِي وَكُتِبَ عَلَى صَدْرِهِ بِقَلَمِ الْمَسْنَدِ : هَذَا الصَنْمُ لِنَاسِرِ النَّعْمِ الْحَمِيرِيِّ لَيْسَ وَرَاءَهُ مَذْهَبٌ وَلَا يَتَكَلَّفَنَّ أَحَدٌ ذَلِكَ فَيُعْطَبُ ، وَرَجَعَ مِنْ هُنَاكَ . وَكَانَ مُلْكُهُ نَحْمَسًا وَثَمَانِينَ سَنَةً عَلَى رِوَايَةِ ابْنِ قَتَيْبَةَ . وَقَالَ الْمَسْعُودِيُّ : نَحْمَسًا وَثَلَاثِينَ .

ثم ملك بعده أبو كركب شمير بن إفريقيش ، ويسمى يرعش لآرتماش كان به . قال : وخرج نحو العراق في زمن بستاسف أحد ملوك الفرس فأعطاه بستاسف الطاعة ، وسار نحو الصين حتى نزل في طريقه ببلاد الصغد ، فأجتمع أهل تلك

(١) راجع (ج ١٤ ص ١١١ - ١٢٤) من هذه الطبعة .

(٢) المراد بالمسند : الخط الحميري .

الأرض بمدينة سمرقند فأحاط بهم شمر وأفتحها عنوة وأسرف في القتل ونهب المدينة
وهدمها فسميت شمر كند، وعُربت بعد ذلك فقالوا : سمرقند . ومعنى شمر كند ،
أى خربها شمر . وفيه يقول دُعيل بن عليّ يفتخر باليمن من قصيدة :

هموا كتبوا الكتاب بباب مرو^(١) وباب الشاش كانوا كاتبينا
وهم سَمُوا بشمر سمرقنداً وهم غرسوا هناك التبتينا

قال : ولما فرغ من بلاد الصغد سار نحو الصين فأيقن ملكها بالبوار ،
فأحاث وزير له بأن جدع أنفه وأتى الى شمر، وهو بمفازة بينها وبين الصين عشر
مراحل ، ومث إليه بأن ملك الصين فعل به ذلك لأنه نصحه ألا يحارب شمر
وخالف رأيه ، فسأله شمر عن الطريق والماء ، فقال له : بينك وبين الماء ثلاث
مراحل ، فتروّد لثلاثة أيام ، فلما قطعها أعوزه الماء وكشف له الرجل أمره فمات
هو وأصحابه عطشا .

قال ابن قتيبة : وكانت مدة ملكه مائة وسبعا وثلاثين سنة . وقال المسعودي :
ثلاثا وخمسين سنة .

ثم ملك بعده آبنه أبو مالك بن شمر ، قال : وتأهب للأخذ بشأر أبيه فبلغه أن
بالمغرب واديا من الزبرجد ، فعمله الشرة على طلبه وترك ما عزم عليه فمات في طريقه .
ثم ملك بعده آبنه تبع الأقرن بن أبي مالك بن شمر . قال : وطلب ثأر جدّه
وأتى سمرقند فعمرها وجدد بناءها ، ثم أتى الصين وأحرب مدينتها وأبنتى هناك

(١) الشاش : مدينة جلييلة من عمل سمرقند ، وهي في أرض سهلة وعامة دورها يجري فيها الماء ،
وهي من أتره بلاد ماوراء النهر . وفي معجم البلدان لياقوت أثناء كلامه على سمرقند روى اليبين هكذا :

هموا كتبوا الكتاب بباب مرو وباب الصين كانوا الكاتبينا
وهم خربوا سمرقنداً بشمر وهم غرسوا هنا التبتينا

مدينة أسكن فيها ثلاثين ألف رجل . قال الحمدوني في كتابه المترجم بالتذكرة :
 هم إلى اليوم هناك في زى العرب ، ولهم بأس وشدة — يعنى يوم صنف كتابه
 وهو في سنة ثلاث وخمسين وخمسة أو نحو ذلك — قال : وفي أوانه كان بوار
 طسم وجديس على ما ذكره في وقائع العرب .

٩٢
١٣

قال : وفي أوانه أيضا كان سيل العرم وتفرق سبأ . وسيأتى ذكر ذلك في موضعه .
 إن شاء الله تعالى .

قال ابن قتيبة : وكان ملك تبع الأقرن ثلاثا وخمسين سنة . قال المسعودي : إن
 ملكه كان مائة وثلاثا وستين سنة . ولم يذكر الملك الذي كان قبله ، ونسب هذا
 الملك أنه ابن شيمر .

- ١٠ . ثم ملك بعده على مارواه ابن حمدون — وهو إن شاء الله أشبه بالصواب — أسعد
 ابن عمرو . قال : وملك والمثلث متشئت فاستفز قومه فنهضوا معه في ملوك اليمن
 حتى قتلهم مليكا مليكا ، وانتظم له ملك اليمن ، فوجه بآبن عم له يقال له القيظون
 إلى الحجاز فبغى وظلم فقتله اليهود . ولما بلغ أسعد ذلك غضب وحلف ليقتلن كل
 يهودى في الأرض ، وتجهز في مائة ألف حتى ورد يثرب ، فأجتمع الأوس والخزرج
 وأخبروه بقصة ابن عمه وبقدره وظلمه فعفا عن اليهود وقال : لست أرضى بالظلم
 ١٥ . ولو علمت ذلك منه لقتلته ، وأتاه بنو هذيل بن مدركة فرغبوه في الكعبة وما فيها
 من الذهب والجوهر ، فقدم مكة لذلك ، فأجتمع إليه أحرار اليهود وقالوا : إن هذا
 البيت العتيق الذى ليس لله عز وجل بيت في الأرض غيره وقد رام إفساده كثير
 من الملوك فأبادهم الله . وفي هذه البلدة يكون مولد نبي آخر الزمان اسمه محمد وأحد
 ٢٠ . من ولد إبراهيم الخليل عليه السلام ، وهو خاتم الرسل ، وإتما أراد من ذلك على

ذلك هلاكك ، ف ضرب أعناق الهذليين وأقام بمكة ستة شهور يتحرف كل يوم ألف ناقة ، وكسا البيت وعلق عليه بابا من الذهب .

ولما هلك ملك بعده ابن عمه مرثد بن عبد كلال بن تبع الأقرن المعروف بذي الأعواد . قال : وكان ملكه أربعين سنة . ولما هلك ملك بعده أولاده وكانوا أربعة مشتركين في الملك على كل واحد منهم تاج . قال : وخرجوا إلى مكة ليقلعوا الحجر الأسود ويبنوا بيتا بصنعاء يكون حج الناس إليه ، فأجتمعت كنانة وقتلوا أمرهم فهر بن مالك وألقتوا فقتل ثلاثة من الملوك وأسر الرابع .

ولما أسر هؤلاء ملكت بعدهم أختهم أبضعة أبنة ذى الأعواد . قال : وكانت فاجرة فقتلها قومها .

ثم ملك بعد أولاد ذى الأعواد ملكي كرب بن عمرو بن سعد بن عمرو ، وكانت مدة ملكه عشرين سنة ، وتخرج عن سفك الدماء فلم يغز ولم يخرج من اليمن .

ثم ملك بعده تبع أسعد بن ملكي كرب . قال : ولما ملك غزا بني معد بتهامة في ثلثمائة ألف طالبا لدماء الملوك الأربعة ، وأجتمع بنو معد وعقدوا الرياسة لأمية ابن عوف الكنانى المعروف بالعنسى ، ثم نفست ربيعة أن تكون الرياسة في مضر فقعدت عنهم ، فضعت مضر عن تبع وسألوه الصلح على أن يؤدوا إليه عقل الملوك الأربعة ، عن كل ملك ألف ناقة . وكذلك كانت دية الملوك في الجاهلية . وديات من قتل معهم من الجنود لكل رجل مائة ناقة ، فقبل تبع ما بذلوه وأنصرف إلى أرضه ووقع الشر بين الحيين : ربيعة ومضر ، فأرسلت ربيعة إلى تبع رسلا فعقد بينهم حلفا وعقدا ، وهو الحلف الباقي بين ربيعة واليمن إلى أن جاء الإسلام . وأقام تبع هذا بأرض الشام ما شاء الله ، ثم سار إلى الهند في البحر وباشرا الحرب بنفسه فبرز

١٠

١٥

٢٠

إليه ملك الهند ، وهو ابن قوز الذي قتل الإسكندر أباه فقتله تبع بيده ، وتحصنت اليهود بمديتهم وحاصروهم تبع شهرا حتى سألوه الأمان فأمنهم وقفل إلى بلاده .

ثم ملك بعده ابنه حسان بن تبع . قال : فغزا العراق في ثلثمائة ألف وأتى في طريقه مكة ، وقد عادت إليها خراصة عند وفاة فهير بن مالك ، فأعطاه بنو زيار الطاعة . وروى عنه شعربخبر فيه ببعثة نبيينا صلى الله عليه وسلم :

شيدتُ على أحمد أنه رسولٌ من الله باري النَّسمِ
فلو مُدَّ عُمرِي إلى عُمرِهِ لَكُنْتُ وزيراً له وأبناً عمِّ

قال : ولما ورد العراق وجد الفرس وسلطانهم وإيه وقد مات هُرْمُزُ وولدت أمرأته غلاما ، وهو سابور ذو الأكتاف ، ومربيّه أحدُ عطاءِ الفرس ، فلم يقم بضبط الملك ، فأستقبلوه بالطاعة وأقروا له بالخراج ، فأقام بالعراق حولا وعزم على غزو الصين فساء ذلك خير وقالوا : نغيب عن أولادنا وعيالنا ولا ندرى ما يحدث بهم ، فمشوا إلى عمرو أخى حسان الملك وبعثوه على قتل أخيه على أن يملكوه عليهم ويعود بهم إلى بلادهم ، وأعطوه اليهود والمواثيق إلا رجل يُقال له ذورعين ، فقال لهم : إنكم إن قتلتم ملككم ظلما نخرج الأمر منكم فلم يحفلوا به ، فأقبل بصحيفة مخنومة وقال لعمرو بن تبع : لتكن هذه الصحيفة ودبعة لي عندك إلى وقت حاجتي إليها ، وأقبل عمرو ليلا إلى أخيه حسان وهو نائم في فراشه فقتله وأنصرفت حمير إلى بلادها . هكذا نقل ابن حمدون في تذكرة .

وقال أبو علي أحمد بن محمد بن مسكويه في كتابه المترجم بتجارب الأمم في أخبار الفرس : إن ملك الفرس يوم ذاك هو قباز بن فيروز وهو أبو كسرى أنوشروان ، وإن الملك الذي غزاه من ملوك حمير هو تبع والد حسان ، وكان معه لما غزا

الْفُرْسُ أَبْنَهُ حَسَانَ وَأَبْنُ أَخِيهِ شَمِيرٌ . قَالَ : فَسَارَتْحِي حَتَّى نَزَلَ الْحِيرَةَ وَوَجَّهَ أَبْنَ
أَخِيهِ شَمِيرًا ذَا الْجَنَاحِ إِلَى قُبَادِ فَقَاتَلَهُ فَهَزَمَهُ شَمِيرٌ حَتَّى لَحِقَ بِالرِّيِّ ، ثُمَّ أَدْرَكَهَا بِهَا فَقَتَلَهَا .

قَالَ : ثُمَّ إِنَّ تَيْمًا أَمْضَى شَمِيرًا ذَا الْجَنَاحِ وَأَبْنَهُ حَسَانَ إِلَى الصُّغْدِ وَقَالَ : أَيُّكَ
سَبَقَ إِلَى الصِّينِ فَهُوَ عَلَيْهَا . وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي جَيْشٍ عَظِيمٍ يُقَالُ لِمِنْهَا
سِتْمَاةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعُونَ أَلْفًا ، وَبَعَثَ ابْنُ أَخِيهِ — وَأَسْمَهُ يَعْفُرُ — إِلَى الرُّومِ .

قَالَ : فَأَمَّا يَعْفُرُ فَإِنَّهُ سَارَ حَتَّى أَتَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ ، فَأَعطَوْهُ الطَّاعَةَ وَالْأَتَاوَةَ
وَمَضَى إِلَى رُومِيَّةٍ فَاخْصَرَهَا ، ثُمَّ أَصَابَهُمْ جُوعٌ وَوَقَعَ فِيهِمُ الطَّاعُونَ فَتَفَرَّقُوا ، وَعَلِمَ
الرُّومُ بِذَلِكَ فَوَثَبُوا عَلَيْهِمْ فَلَمْ يُفَلِّتْ مِنْهُمْ أَحَدٌ .

وَأَمَّا شَمِيرٌ ذُو الْجَنَاحِ فَإِنَّهُ سَارَ حَتَّى أَتَتْحِي إِلَى سَمَرْقَنْدٍ فَاخْصَرَهَا فَلَمْ يَنْظُرْ مِنْهَا شَيْئًا ،
فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ طَافَ بِالْحَرَسِ حَتَّى أَخَذَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِهَا فَأَسْتَمَالَ قَلْبَهُ ثُمَّ سَأَلَهُ عَنِ
الْمَدِينَةِ وَمَلِكِهَا فَقَالَ : أَمَّا مَلِكُهَا فَأَحَقُّ النَّاسِ لَيْسَ لَهُ هِمٌّ إِلَّا الْأَكْلُ وَالشَّرْبُ
وَالْجَمَاعُ ، وَلَكِنْ لَهُ بِنْتُ هِيَ الَّتِي تَقْضِي أَمْرَ النَّاسِ ، فَمَنَاهُ وَوَعَدَهُ حَتَّى طَابَتْ نَفْسُهُ ،
ثُمَّ بَعَثَ مَعَهُ هَدِيَّةً إِلَيْهَا وَقَالَ : أَخْبِرْهَا أَنِّي إِنَّمَا جِئْتُ مِنْ أَرْضِ الْعَرَبِ لِلَّذِي بَلَغَنِي
مِنْ عَقْلِهَا لِتَنْكِحَنِي نَفْسَهَا ، فَأَصِيبُ مِنْهَا غَلَامًا يَمْلِكُ الْعَرَبَ وَالْعَجَمَ ، وَإِنِّي لَمْ أَجِئْ
الْثَمَسُ مَالًا ، وَإِنَّمَا مَعِيَ مِنَ الْمَالِ أَرْبَعَةُ أَلْفِ تَابُوتِ ذَهَبٍ وَقِضَّةُ هَاهُنَا ، وَأَنَا
أَدْفَعُهَا إِلَيْهَا وَأَمْضِي إِلَى الصِّينِ ، فَإِنِ كَانَتْ لِي الْأَرْضُ كَانَتْ أَمْرًا لِي ، وَإِنِ
هَلَكْتُ كَانَ الْمَالُ لَهَا . فَلَمَّا أَتَتْحِي رِسَالَتُهُ إِلَيْهَا قَالَتْ : قَدْ أَجَبْتُهُ فَبِيعْتُ بِالْمَالِ ،
فَارْسَلْتُ إِلَيْهَا بِأَرْبَعَةِ أَلْفِ تَابُوتِ ، فِي كُلِّ تَابُوتِ رَجُلَانِ ، وَكَانَ بِسَمَرْقَنْدٍ أَرْبَعَةُ
أَبْوَابٍ عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْهَا أَرْبَعَةُ أَلْفِ رَجُلٍ . قَالَ : وَجَعَلَ شَمِيرٌ الْعَلَامَةَ بَيْنَهُ
وَبَيْنَهُمْ أَنْ يَضْرِبَ لَهُمُ بِالْحُجُلِ ، وَتَقَدَّمَ بِذَلِكَ إِلَى رُسُلِهِ الَّذِينَ وَجَّهَهُمْ ، فَلَمَّا صَارُوا

٥

١٠

١٥

٢٠

بالمدينة ضرب لهم بالجلجل فخرجوا وأخذوا بالأبواب، ونهد شمر^(١) في الناس فدخل
المدينة وقتل أهلها، وأحتوى على ما فيها . ثم سار إلى الصين فلبى الترك فهزمهم،
وأتى إلى حسان بن تبع بالصين فوجده قد سبقه إليها بثلاث سنين .

قال : وفي بعض الروايات وهي المجمع عليها : إن حسان وشمرًا أنصرفا
في الطريق الذي كانا أخذنا فيه حتى قدما على تبع بما حازا من الأموال بالصين
وصنوف الجوهر والطيب والسبي، ثم أنصرفوا جميعا إلى بلادهم، فكانت وفاة تبع
باليمن . وكان ملكه مائة سنة وإحدى وعشرين سنة .

قال : وأما في الرواية الأخرى فإن تبعًا أقام وواطأ أبنه حسان وأبن أخيه
شمر أن يملكا الصين ويحملا إليه الغنائم، ونصب بينه وبينهم المنار، فكان إذا
حدثت حدث أو قدوا النار، فأتى الخبر في ليلة .

قال : وقد ذكر بعض الرواة أن الذي سار في المشرق من التبابعة تبع الأخير؛
وهو تبع تبان أسعد أبو كرب بن ملك بن زيد بن عمرو بن ذى الأذعار، وهو
أبو حسان . أتتهى ما أورده ابن مسكويه من أخبارهم، فلنرجع إلى مساق
ما قدمناه مما نقله ابن حمدون .

قال : ثم ملك بعده حسان بن تبع أخوه، فقتله عمرو بن تبع . قال : وأنصرف
بالقوم إلى بلادهم فسلط الله عليه السمر فكان لا ينام، فجمع الكهنة والقياف
والعزافين فسألهم عن ذلك فلم يعرفوه، فقال له رجل منهم : إنه يقال من قتل أخاه
ظلمًا سلط الله عليه السمر وحرم النوم، فأحال بالذنب على خمير وجعل يقتل من
أشار عليه بقتل أخيه واحدًا بعد واحد، ثم أرسل إلى ذى رعين ليُلحقه بمن قُتل من

(١) نهد : نهض ووضى .

أصحابه، فقال : أيها الملك إني خالفتُ القومَ فيما زينوا لك من قتل أخيك . قال :
ومن يعلم ذلك؟ قال : الصحيفةُ التي أودعتها عندك ، فأخرجها فقرأها فإذا فيها :

أَلَا مَنْ يَشْتَرِي سَهْرًا بَنَوِيْمَ خَلِيٌّ مِنْ بَيْتِ قَرِيْرٍ عَيْنِ
فَإِنْ تَكُ حَمِيْرٌ غَدَرْتُ وَخَانَتْ فَعُذْرَةُ الْإِلَهِ لِذِي رُعَيْنِ

قال : نفلي عمرو سبيله .

قال : ولما قتل عمرو أشراف قومه وصناديدهم تضعضع أمر حمير ووهي
ملكها، فطمع فيه بنوكهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، فوثب ربيعة
ابن نصر بن الحارث بن عمرو بن عدى بن مرة بن زيد بن مدحج بن كهلان
في قومه وجمعهم من أقطار الأرض، وجمع له عمرو بن تبع والتقوا فقتل عمرو بن تبع .

وملك بعده ربيعة بن نصر المقدم ذكره قال : وكان قد رأى رؤيا أزعجته
وعبرت له أن الحبشة تملك بلاده؛ فوجه ابن أخيه جذيمة بن عمرو بن نصر ومعه
أبنة عدى بن ربيعة وهو صبي ، ووجه معهما حرمة ونخزائه، وكتب لهم إلى سابور
ذي الأكلاف، فأسكنهم سابور الحيرة وملكهم ما حولها .

قال : ولما بلغ عدى بن ربيعة الحلم زوجه جذيمة أخته رقاش فولدت
له عمرو بن عدى . وهؤلاء ملوك الحيرة على ما ذكره في أخبارهم .

قال : ولما مات ربيعة بن نصر تجمعت حمير فأذنت كهلان بحرب أو إعادة
الملك فيهم ، ودخل بينهم السفراء فسأموا الملك إلى حمير فمكت حمير عليها أبرهة
ابن الصبأح بن طبيعة بن شيبه الحمد بن مرثد بن الحسير بن سيف بن مصلح

(١) في تاريخ أبي الفداء (ص ١١٨ طبع أوربا) ومروج الذهب للسهودي (ص ٢١٦ طبع بلاط)

« وكيمة » ، وفي مروج الذهب (ج ٣ ص ١٥٥ طبع أوربا) « وليعة » باللام .

ابن عمرو بن مالك بن زيد بن سعد بن عوف بن عدى بن مالك بن زيد بن سعد
ابن زُرعة بن ذى المنار .

قال : فملك عليهم ومكث طول أيام سابور ذى الأكتاف ثم مات .

- فلك بعده ابن عمه صُهبان بن محرت . قال : فبعث عماله على أرض العرب ،
وَأَسْتَعْمَلَ عَلَى وَدِ سَعْدِ بْنِ عَدْنَانَ بْنِ خَالِهِ الْحَارِثِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ كِنْدَةَ
ابن عدى بن مُرّة بن زيد بن مَدْحِج بن كَهْلَانَ ، وكان الحارث يلقب بأكل المزار ،
وهو جد أمرئ القيس الشاعر بن مُجْر بن الحارث ، وهو جد الأشعث بن قيس
ابن معد يكرب بن جبلة بن عدى بن الحارث المذكور ؛ فقسّم الحارث مملكته
بين ولده ، وكانوا ثلاثة : فلك أبنه مُجْرًا على أسد وكنانة ، وملك شُرْحَيْل على قيس
وتميم ، وملك [سامة^(١)] على ربيعة ، فكنوا كذلك حينما حتى مات أبوه الحارث
فوثبت بنو أسد على مُجْر فقتلوه ، ووثبت قيس وتميم على شُرْحَيْل فطرده ،
فغضب صُهبان وتجهز للسير إلى مِضْر ، فأستغاث مِضْر بربيعة وجاءت وفودهم
إليهم وأستنصروهم ، ورئسهم كليب بن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جثم
ابن بكر بن حبيب بن عمرو بن عثم بن تغلب بن وائل ، وأجتمعت ربيعة ومِضْر
والرياسة على الحيين لكليب ؛ فقاتلوا صُهبان وعظاء قومه ، وهو اليوم المشهور
في العرب ، فقتل صُهبان . وفي هذا اليوم يقول عمرو بن كلثوم :

وَنَحْنُ غَدَاةٌ أَوْقِدَ فِي خَزَايِزِ^(٢) رَقْدَنَا فَوْقَ رِفْدِ الرَّافِدِيَا

فَكَا الْأَيْمِينَ إِذَا أَلْقَيْنَا وَكَانَ الْأَيْسَرِينَ بَشُوا أَيْنَا

(١) التكلة عن النقاض (ص ١٠٧٣ طبع أوروبا) .

(٢) خزاز (يفتح أوله) : جبل لفتى أهر وله حضبات حمر ، وفي أصله ماء لفتى يقال له (خزازة)

وهو في ناحية منج دون أمرة وفوق عاقل على يسار طريق البصرة إلى المدينة (راجع معهم ما استعجم) .

فَأَبَوْا بِالنَّهَابِ وَالسَّبَايَا وَأُنَبَّا بِالْمُلُوكِ مُصَفِّدِينَ

قال : ولما قُتِلَ صُهَيْبَانُ بنُ مُحَرَّرِثِ مَلِكِ بَعْدَهُ الصَّبَّاحُ بنُ أِبْرَهَةَ بنِ الصَّبَّاحِ .
قال : وَكَانَ نَجْدًا جَلْدًا ، فَسَارَ إِلَى مَعَدِّ فِي مِثْقَى أَلْفٍ يَطْلُبُ ثَارَ صُهَيْبَانَ . قال :
وَتَجَمَّعَتْ مَعَدُّ وَرِئِيسَهُمْ كَلَيْبٌ أَيْضًا ، وَكَانَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ بِمَوْضِعٍ يُسَمَّى الْكُلَّابَ ،
فَأَنْهَزَمَتِ الْيَمِينُ . وَهَذَا الْيَوْمَانِ الْيَوْمَانِ مِنْ مَفَاخِرِ زُرَّارٍ عَلَى الْيَمِينِ ، وَأَمْتَمْتُمْ مَعَدُّ بَعْدَ
ذَلِكَ عَلَى الْيَمِينِ حَتَّى قَتَلَ كَلَيْبٌ بنَ رَبِيعَةَ .

قال : ولما مات الصَّبَّاحُ مَلِكٌ بَعْدَهُ ابْنُ عَمِّ لَهْ فَاسِقٌ ، وَقَبِيلُ : إِنْ الَّذِي مَلِكٌ
لَحْنِيئَةٌ ذَوْ شَنْتَارٍ ، قال : وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ الْمُلْكِ ، فَأَغْرِي بِحَبِّ الْأَحْدَاثِ
مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ ، فَكَانَ يَطْلُبُهُمْ بِمَا يُطَالَبُ بِهِ النِّسْوَانُ ، وَكَانَ لَا يَسْمَعُ بِأَحَدٍ مِنْ
فَتَيَانَ الْعَرَبِ وَأَوْلَادِ الْمُلُوكِ حَسَنَ الصُّورَةِ إِلَّا آسْتَدْعَاهُ وَطَالِبُهُ بِهَذَا الْفِعْلِ الْقَبِيحِ ،
وَلَمْ يَزَلْ عَلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ الْمَذْمُومَةِ حَتَّى نَشَأَ غَلَامٌ مِنْ أَبْنَاءِ مَلُوكِ حِمِيرٍ اسْمُهُ زُرْعَةُ
ابْنِ كَعْبٍ وَيُدْعَى ذَا نَوَاسٍ ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ لَهُ ذَوَابْتَانِ تَنْوَسَانِ عَلَى عَاتِقِهِ ،
وَكَانَ وَضِيئًا ، فَاسْتَدْعَاهُ لِمِثْلِ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ غَيْرَهُ ، بِفِعْلِ تَحْتِ إِخْصِيهِ سَكِينًا ،
فَلَمَّا خَلَا بِهِ الْمَلِكُ وَابْنَهُ ذَو نَوَاسٍ فَقَتَلَهُ ثُمَّ حَرَّرَ رَأْسَهُ ، وَكَانَ لَهُ كُوَّةٌ يُشْرِفُ مِنْهَا عَلَى
عَيْبِهِ إِذَا قَضَى حَاجَتَهُ مِنَ الْعِلَامِ الَّذِي يَكُونُ عِنْدَهُ وَيَضَعُ مِسْوَاكَ فِي فِيهِ ، فَلَمَّا
قَتَلَهُ ذَو نَوَاسٍ جَعَلَ السَّوَاكَ فِي فِيهِ ، وَجَعَلَ رَأْسَهُ فِي تِلْكَ الْكُوَّةِ الَّتِي كَانَ يُشْرِفُ
مِنْهَا عَلَى عَيْبِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ عَلَى الْعَيْبِ فَقَالُوا [لَهُ] : ذَو نَوَاسٍ ، أَرَطَّبُ أُمَّ يَبَّاسٍ ؟ .
فَقَالَ لَهُمْ : سَلْ نَحْمَاسَ ، اسْتَرْطَبَانَ ذَو نَوَاسٍ . اسْتَرْطَبَانَ لِابَّاسٍ . وَتَفْسِيرُ ذَلِكَ :

(١) زيادة من السيرة لابن هشام (ص ٢٠ طبع أوربا) .

(٢) وردت هذه العبارة في السيرة لابن هشام بالفاظ فيها تقديم وتأخير .

سلوا الرأس التي في الكؤوة تحبركم وأتركوا ذا نواس ، قال : فأجمعت حَمِير عليه أمرها وقالوا : ينبغي أن نملكه لأنه أراحنا من هذا الفاسق .

فملك عليهم ذونوأس زُرعة هذا . قال : ولما ملك وأستتب له الأمر فارق

عبادة الأوثان ودخل في دين اليهودية وقتل من كان في بلاد اليمن على دين عيسى

ابن مريم عليه السلام ممن أمتنع من موافقته ، ثم قصد نَجْران وبها عبد الله بن الناصر

وأصحابه وهم على دين عيسى عليه السلام ، فسألمهم الدخول في اليهودية فأمتنعوا ،

فقتل عبد الله بن الناصر بالسيف وأضرم للباقيين نارا عظيمة فألقاهم فيها ، وهم أصحاب

الأخدود الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه العزيز فقال : ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ

الَّذِينَ ذَاتَ الْوُقُودِ . إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ . وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ .

وَمَا تَقَمُّوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ^(١) . قال : ولم ينج منهم إلا نفر قليل .

وكان سبب تهوذه أن حَمِير كان لها بيت نار فيه أصنامهم ، وكان يخرج من

تلك النار عتق يمد مقدار فرسخين ، فحضر عنده قوم من اليهود وقالوا : أيها الملك

إن هذا العتق من النار شيطان ، فطلب منهم تبيان ذلك ، فنشروا التوراة وقرأوها

فترجع ذلك العتق وطُفِئَت تلك النار ، فأعظم ذونوأس ذلك ودخل في دين اليهودية .

قالوا : ثم إن أحد الناجين من نَجْران - ويُعرف بدوس بن ذى ثعلبان - ^(٢)

قصد قيصر ملك الروم مُستنجدا به ، ومُعظَّمًا عنده ما جرى على قومه وهم على دينه ،

فاعتذر إليه ببعد دياره وقال : سأكتب لك إلى ملك على دينك قريب من ديارك ،

فكتب إلى النجاشي ملك الحبشة ، فلما عرَض عليه الكتاب وحَدَّثه بما جرى على

أهل ملته غضب وحمي لأهل دينه ، ونَدَب من جنوده سبعين ألف رجل مع

(١) ابن عمه أرباط ، وتقدم إليه بأن يقتل كل من باليمن على دين اليهودية ، فركب أرباط في البحر حتى انتهى الى عدن فأحرق السفن وقال : يامعشر الحبشة ، العدو أمامكم ، والبحر وراءكم ، ولا منجى لكم إلا الصبر حتى تظفروا أو تموتوا كراما . قال : وألتقوا وأقتلوا فأنهزمت خيبر بعد حربٍ عظيمةٍ وقتل منهم خلقا كثيرا . قال : وأتجسم ذو نواس البحر بفروسه وقال : والله الغرق أفضل من أسر السودان ، ففرق . وكان ملكه مائتي سنة وستين سنة ، وهو آخر من ملك اليمن من قحطان . بجمع ما ملكوا من السنين ثلاثة آلاف سنة وأثنتان وثمانون سنة .

وأستولت الحبشة على ملك اليمن ففرق أرباط الأموال على أشرف الحبشة وحرّم الضعفاء ، بجمع أبرهة أحد قواد الحبشة جمعا منهم وخرج على أرباط وحرابه فقتله أبرهة بيده وأستولى أبرهة على ملك اليمن .

١٦
٣

ولما بلغ خبرهما النجاشي غضب لقتل أرباط وحآف لأطاق أرض أبرهة سهلها وجبلها برجلي ، ولأجزت ناصيته يدي ، ولأهريق دمّه بكفّي ، وتجهّز لاسير الى أرض اليمن ، فبلغ ذلك أبرهة ففلا جرائين من تراب السهل والجبل ، وعمد الى ناصيته بجزها ووضعها في حق ، وأحتجم وجعل دمّه في قارورة وختم عليه وعلى الحق الذي فيه ناصيته بالمسك ، وبعث بذلك الى النجاشي وكتب إليه يعتذر مما فعله أرباط وأنه خالف سيرتك في العدل ، وقد بلغني ما حلفت ، وقد بعثت إليك بجرأين من تراب السهل والجبل ، فطأها هنالك برجلك ، وجز ناصيتي بيدك ، وأهريق دمي بكفك ، وبرّ في يمينك ، ولطف غضبك عني فإنما أنا عبد من عبيدك ، وعامل من

(١) في الأصول : « أرباط » بالياء الموحدة ، وهو تحريف ، وما أنشأه قحطان عن المسعودي

في مروج الذهب (ج ٣ ص ١٥٧ طبع أرباط) وسيرة ابن هشام (ص ٢٥ طبع أرباط) .

(٢) كما في المسعودي وسيرة ابن هشام . وفي الأصول : « لأذن » بالحاء وهو تحريف .

عمالك . فأعجب النجاشي عقل أبرهة وأقره على مكانه ورضى عنه ؛ فبقى إلى زمان كسرى أنو شروان وهو صاحب الفيل .

وكانت قصته أنه نظر إلى أهل اليمن يتأهبون للحج ، فسأل عن أمرهم ، فأخبر أنهم يخرجون حجاجا إلى مكة فقال : أنا أكفيهم تحشم هذا السفر البعيد بيعةً أيديها بصنعاء فيكون حج اليمن إليها ، وأمر بنتائها فيبيت . وقد تقدم وصفها في القرن الأول في المباني ، ونصب عند المذبح ذرة عظيمة تُضئ في الليلة الظلماء كما يضئ السراج ، ثم نادى في أهل مملكته بالتحج إليها ، فغضب العرب لذلك ، فأطلق رجلان من خنعم فأحدا في البيت الذي بناه ولطخاه بالعدرة .

وقيل : إن الذي فعل ذلك رجلٌ من كنانة ، فآتهم أبرهة قريشا بذلك ، وكان حينئذ بصنعاء تجارٌ من قريش فيهم هشام بن المغيرة ، فأحضرهم وسألهم عن أحدت في بيعته ، فأنكروا أن يكونوا علموا بشيء من ذلك ، فقال أبرهة : ظننت أنكم فعلتم ذلك غضبا لبيتكم الذي يحج إليه العرب ، فقال هشام بن المغيرة : إن بيتنا حرمٌ تجتمع فيه السباع مع الوحوش ، وجوارح الطير مع البغاث ، ولا يعرض منها شيء لصاحبه ، وإنما ينبغي أن يحج إلى بيعتك هذه من كان على دينك ، فأما من كان على دين العرب فلا يؤثر على ذلك شيئا . فأقسم أبرهة ليسيرت إلى البيت فيهدمه حجرا حجرا . فقال له هشام بن المغيرة : إنه قد رام ذلك غير واحد من الملوك فما وصلوا إليه لأن له ربا يمنعه . فخرج أبرهة في أربعين ألفا وسار بالفيل ، فغضبت لفعله همدان وجمعت إليها قبائل من اليمن - وكان ملكهم رجلا من أشراف اليمن يقال له ذو نفر - فأستقبلوه فخار به فهزمهم وظفر بذي نفر ملك همدان ونُقيل بن

(١) راجع الجزء الأول (ص ٣٨٢ من هذه الطبعة) .

حبيب سيد خنعم أسيرين فأمر بضرب عنقهما . فقالا : أيها الملك ، استبقنا لنُذكَ
على الطريق فإننا من أدلّ العرب ، ففعل ذلك . فلما صاروا في مفرق الطريقين :
مكة والطائف ، قال ذو نفر لابن حبيب : كفى بنا عارا أن نطلق بهذا الأسود
الى بيت الله تعالى فيهدمه ! قال ابن حبيب : هلم بنا لتأخذ به طريق الطائف
فيشتغل بثقيف وعلّه يرى ما يسوءه ، فلم يشعر أهل الطائف صباحا إلا بالجيوش
قد وردت عليهم ، فخرج أبو مسعود الثقفي في نفر منهم ، فأعلم أبرهة أنها ليست
طريقه ، وسار أبرهة حتى أتى مكة وأستاق السوائم ونزل على حدّ الحرم ، فكان فيما
ساق مائتا ناقة لعبد المطلب بن هاشم ، فركب عبد المطلب فرسه وقصد العسكر
ودخل على أبرهة فأعجبه جماله وأكرمه ونزل عن سريره كان عليه وجلس دونه حتى
لا يرفع عبد المطلب إليه ، ثم قال له : ما حاجتك ؟ قال : حاجتي أن يردّ على الملك
مائتي بعير أصابها لي . فلما قال له ذلك ، قال له أبرهة : قد كان بلغني شرفك
في العرب وفضلك فأحببتك ، ثم دخلت على فرايت من جمالك ووسامتك ما زادني
حبا ، فنقصت عندي في سؤالك إياي مائتي ناقة وتركت أن تسألني في الرجوع عما
هممتُ به من هدم هذا البيت الذي هو شرفك وعزك ! قال عبد المطلب : أيها
الملك ، إن لهذا البيت ربا سمينعه منك وأنا رب إيلي ، وقد رام هدمه من لا يحصى
من الملوك فرجعوا بين أسير وقتيل ، فردّ إبله ، واجتمع الى عبد المطلب أشراف
قومه فقالوا : اجعل له مالا نجعله له ليرجع عما هم به من هدم هذا البيت . قال لهم
عبد المطلب : وما عسى أن نجعل له من المال مع عظم ما هو فيه من الملك والسلطان !
أطمئنوا ، الله أمددكم ، فوالله لا يصل إليه أبدا . ثم أنشد عبد المطلب يقول :

يارب إن المرء يم * نغ جاره فأمنع حلالك

(١) كذا في نسخة ١٠ . وفي نسخة ب « لله أيركم » .

لَا يَغْلِبُنْ صَالِيَهُمْ * بَنِيَّ وَمَا جَمَعُوا بِحَالِكَ
 إِنْ كُنْتَ تَارِكُهُمْ وَقَبْدٌ * لَمَتْنَا فَأَمْرٌ مَا بَدَلَكُ^(١)

- ثم علا جبل أبي قبيس هو وحكيم بن حزام ونفر من سادات قريش، وهرب الناس فلقحوا برعوس الجبال، وأمّ أبرهة البيت وقدم أمامه الفيل، وكان أكبر فيل رآه الناس كالجبل العظيم، وأسمه بلسان الحبشة مجود؛ فلما انتهى الفيل إلى طرف الحرم برك، فكانوا ينخسونه، فإذا أخذوا به يمينا وشمالا هروا، وإذا أغموه برك. فلم يزل كذلك بقية يومهم. فلما قارب المساء نظروا إلى طير قد أقبلت من نحو البحر لا تحصى كثرة أصغر من الحمام، فمجبوا من كثرتها ولم يعرفوها ولا رأوا على خلقتها طورا، وكان مع كل طير ثلاثة أحجار: حجران في رجله، وحجر في منقاره، على مقدار الحمص، ففرقت على رؤسهم وأظلت عسكرهم، ثم قذفت بالحجارة عليهم، وهبت ريح شديدة فزادت الحجارة صعوبة وقوة، فكان الحجر منها إذا وقع على رأس الرجل منهم نفذ حتى يخرج من دبره، فإذا سقط على بطنه نرج من ناحية ظهره؛ فكان ما أخبر الله عز وجل عنهم في سورة الفيل: ﴿بَجَعَلَهُمْ كَعَصِفٍ أَمَا كُولٍ﴾^(٢). وخرج عبد المطلب وأصحابه فلاؤا أيديهم من المال، وأرسل

- ١٥ (١) هذه الآيات الثلاثة وردت هكذا في الأصول، وورد البيتان الأول والثاني منهما في غير الأصول باختلاف في بعض الألفاظ؛ إذ ورد البيت الأول في اللسان «مادة حل» وسيرة ابن هشام (ص ٣٥ طبع أوربا) هكذا:

لَا هَمَّ إِتِ الْعَبِيدِ * نَعِ رَحْلَهُ فَا مَنَعِ حَلَاكِ

ورود البيت الثاني في اللسان (مادة محل) وسيرة ابن هشام هكذا:

- ٢٠ لَا يَغْلِبُنْ صَالِيَهُمْ * وَمَحَالِسُ عَدَا حَالِكَ

والحلال (بالكسر): القوم المقيمون المتجاورون؛ يريد بهم هنا سكان الحرم. والمحال (بالكسر): هنا: الكيد والقوة.

(٢) سورة الفيل آية ٥

إلى قريش بجأوه من الجبال وغمّوا ما شاءوا ، فعظمت قريش في أعين العرب
وسمّوهم آل الله ، وأزداد عبد المطلب وأصحابه شرفاً . ووُلِدَ رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد قدومهم بخمس وخمسين ليلة . وكان ذلك بعد عشرين سنة من ملك
أنوشروان .

وملك اليمن بعد أبرهة أبنته يكسوم .

ثم ملك بعده مسروق بن أبرهة ، وهو الذي زال ملكه على يد سيف بن ذي يزن
على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذِكْرُ خَيْرِ سَيْفِ بْنِ ذِي يَزْنَ

وَعَوْدُ الْمَلِكِ إِلَى حِمِيرِ

وذلك أن حمير لما رأته ملك الحبشة قد دام عليهم وتوارثوه فيهم ، اجتمع
ساداتهم إلى سيف بن ذي يزن — وهو من أولاد ذي نُوَاسِ الذي غلب الحبشة على
اليمن في أيام ملكه — وبدلوا له أن يجمعوا له نفقةً تُقِيمُه ليسير إلى بعض الملوك
فيستنجده ففعل ذلك ، وسار حتى وافى القسطنطينية إلى قيصر ملك الروم ، فاستنجده
فقال له قيصر : إن الجيوش على ديني ، وما كنت لأعينك عليهم ، وأمر له بعشرة
ألف درهم ، فأبى أن يقبلها وقال : إذا لم تنصُرني فلا حاجة لي إلى مالك .
وأنصرف إلى كسرى وأستنجده ، فقال له كسرى : بعدت بلادك عن بلادنا مع قلة
خيرها ، إنما فيها الشاء والبعير وما لا حاجة لي فيه . فقال له سيف : لا ترهّدن
أيها الملك في بلادى فإنها فرضة العرب ، وأرض التابعة الذين ملكوا أقطار أقاليم
الأرض ، ودان لهم أهل الشرق والغرب . قال كسرى : ما كنت لأغرر بجندى

- فَمَا لَا يَنْفَعُنِي وَأَمْرَ لَهُ بَعَشْرَةَ آلَافِ دَرَاهِمٍ . فَلَمَّا آتَى بَابَ الْقَصْرِ تَرَاهَا فِي النَّاسِ حَتَّى أَتَى عَلَيْهَا ، فَبَلَغَ ذَلِكَ كَسْرِي فَغَضِبَ وَقَالَ لَهُ : مَا الَّذِي حَمَلَكَ عَلَى اسْتِخْفَافِكَ بِصَلَاتِي حَتَّى تَتَرْتَهَا فِي النَّاسِ ؟ قَالَ : مَا أَصْنَعُ بِالْمَالِ وَتَرَابُ أَرْضِي ذَهَبٌ وَفِضَّةٌ ! ثُمَّ خَنَقْتَهُ الْعَبْرَةَ ، فَفَرَّقَ لَهُ كَسْرِي وَوَعَدَهُ بِالْإِنتِصَارِ لَهُ ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِعُضِّ زُرَائِهِ فَقَالَ : إِنْ فِي سِجُونِكَ بَشَرًا كَثِيرًا مِنْ أَسْتَوْجَبَ الْقَتْلَ ، فَمُرُّ بِإِطْلَاقِهِمْ ، وَقُوِّمِ بِالْمَالِ وَالْكِرَاعِ^(١) وَالسَّلَاحِ ، وَوَجِّهْهُمْ مَعَ هَذَا الْعَرَبِيِّ ، فَإِنْ ظَفِرُوا كَانَ ذَلِكَ زِيَادَةً فِي مُلْكِكَ ، وَإِنْ قُتِلُوا كَانَ ذَلِكَ جَزَاءً عَنْ جِرَائِمِهِمْ . فَأَعْجَبَ كَسْرِي هَذَا الرَّأْيَ وَعَمِلَ بِهِ وَقَدَّمَ عَلَيْهِمْ وَهَرِيرَ بْنَ كَاخَانَ ، وَكَانَ مِنْ فُرْسَانَ الْعَجَمِ وَأَهْلِ الْبُيُوتَاتِ ، وَقَدْ أَنَافَ عَلَى الْمِائَةِ مِنَ السَّنِينَ ، وَكَانَتْ عِدَّتُهُمْ ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَسِتِّمِائَةَ رَجُلٍ ، فَرَكَبُوا الْبَحْرَ فِي سَبْعِ سُفُنٍ ، وَأَرْسَلُ سَيْفٌ إِلَى الْيَمَنِ وَمَحَالِيفِهَا ، فَأَتَوْهُ مِنْ أَقْصَى الْيَمَنِ وَأَدَانِيهَا حَتَّى صَارُوا فِي عَشْرِينَ أَلْفًا ، وَتَجَهَّزَ إِلَيْهِمْ مَسْرُوقٌ ، فَلَمَّا أَلْتَقِيَا قَالَ وَهَرِيرُ لِسَيْفٍ : أَرِنِي مَلِكَهُمْ ، فَأَرَاهُ إِيَّاهُ ، وَهُوَ عَلَى فَيْلٍ وَعَلَى رَأْسِهِ التَّاجُ وَفِيهِ يَاقُوتَةٌ حَمْرَاءُ مَدْلَاءَةٌ عَلَى جَبِينِهِ ، فَلَبِثَ سَاعَةً ثُمَّ تَحَوَّلَ إِلَى فَرَسٍ ثُمَّ تَحَوَّلَ إِلَى بَعَلَّةٍ ، فَقَالَ وَهَرِيرُ : ذَلِكَ الْأَسْوَدُ وَبَادِ مُلْكُهُ ، وَأَنَا أَرْمِيهِ فَتَأْمَلِ الرَّمِيَةَ ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَصْحَابَهُ تَصَدَّعُوا عَنْهُ وَحَاصُوا يَمِينًا وَشِمَالًا فَاعْلَمْ أَنِّي قَتَلْتُهُ ، وَإِنْ لَمْ يَتَحَرَّكُوا مِنْ مَنَازِلِهِمْ فَلَمْ أَصْنَعْ شَيْئًا ؛ وَرَمَاهُ ، فَفَلَقَ السَّهْمُ الْيَاقُوتَةَ نِصْفَيْنِ وَخَرَجَ مِنْ مَوْخَرِ رَأْسِ مَسْرُوقٍ ، وَأَضْطَرَبَتِ الْحَبَشَةُ وَمَاجُوا ، وَحَمَلَ عَلَيْهِمْ وَهَرِيرُ وَمَنْ مَعَهُ وَالْعَرَبُ فَوَلَّوْا مِنْهُمْ مِينَ ، وَدَخَلُوا صَنْعَاءَ وَقَتَلُوا كَلَّ أَسْوَدَ يُوجَدُ فِي الْيَمَنِ . وَكَتَبَ وَهَرِيرُ إِلَى كَسْرِي بِالْفَتْحِ ، فَكَتَبَ

٩٨
١٣

(١) الكراع : الخيل :

(٢) حاصوا ، خاص عنه : قال وعدل .

إليه كسرى أن يسأل عن سَيْفِ بْنِ ذِي يَزَنَ ، فإن كان من أبناء الملوك فأقره على ملكه وأنصرف عنه ، وإن لم يكن من أبنائهم فأضرب عنقه وأقم في الأرض متولياً لهم .

قال : فسلم وهيرز إليه ملكه وخلف من كان معه من العجم بصنعاء وأنصرف إلى كسرى ، وملك سيفُ اليمن لكسرى ، وتداولتها الولاة بعده من قبل كسرى . وكان ملك الحبشة على اليمن اثنتين وسبعين سنة ثم أترع عنهم .

ذكر أخبار ملوك الشام من ملوك قحطان

قال عبد الملك بن عبدون في كتابه المترجم بكامة الزهر وصدفة الدر : (٢) ومن أهل اليمن من نخرج منها فلك الشام ، وهم آل جفنة وأولهم : الحارث بن عمرو بن عامر ابن حارثة [بن أمري القيس بن مازن بن الأزدي بن العوث بن نبت بن مالك] بن زيد (٣) ابن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، ويكنى الحارث بأبي شير . ثم تداولها منهم سبع وثلاثون ملكاً . ومدة ما ملكوا من السنين ستمائة سنة وست عشرة سنة إلى أن كان آخرهم جبلة بن الأيهم ، وهو الذي تنصّر في أيام عمر ابن الخطاب رضي الله عنه بعد أن كان قد أقبل إلى عمر وأسلم .

(١) كذا وردت هذه القصة في الأصول وكتب التاريخ والطبري في إحدى رواياته منسوبة إلى سيف ابن ذي يزن . وفي مروج الذهب والرواية الأخرى في تاريخ الطبري أنه منسوبة إلى معد يكرب بن سيف ابن ذي يزن .

راجع تاريخ الطبري (ص ٩٤٩ - ٩٥٨ من القسم الأول طبع أوربا) ومروج الذهب (ص ١١٢ - ١٧٦ ج ٣ طبع أوربا) .

(٢) راجع هذا الكتاب (ص ٨٧ طبع أوربا) .

(٣) الزيادة من كامة الزهر .

ثم إنه كان في الطواف فداس رجلٌ طَرَفَ رِداءه فطلمه جَبَلَةٌ ، فاتى الرجلُ عمرَ رضى الله عنه فطلب جَبَلَةً لِيَقِيدَهُ منه فتصّر جَبَلَةٌ ولحق بهرقل صاحب القسطنطينية ، فأقطعه هِرَقْلُ الأموال والضياع والرِباع ، ثم نَدِمَ جَبَلَةٌ على ما كان منه وقال :

- ٥ تَنصَّرَتِ الأشرافُ من أجل لَطْمَةٍ * وما كان فيها لو صَبَرْتُ لها ضَرَّرَ
تَكْتَفَى منها بِلِجَاجٍ وَتَحْوَةٌ * فَبِعْتُ لها العَيْنَ الصَّحِيحَةَ بِالْعَوْرِ
فِيالِيتِ أُمِّي لم تَلدني وليتني * رَجَعْتُ إلى القَوْلِ الَّذِي قاله عُمَرُ
وَيالِيتي أُرعى المَخاضَ بِقَفْرَةٍ * وَكُنْتُ أُسيرا في رِبيعةٍ أو مُضَرَ
وَياليتَ لي بِالشامِ أَدنَى مَعيشَةٍ * أَجالسُ قَوْمِي ذاهِبِ السَّمعِ والبَصْرِ
- ١٠ وحكى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعث إلى هِرَقْلِ رسولا يدعوهُ إلى الإسلام أو إلى الجزية فأجاب إلى الجزية ، فلما أراد الرسول الأَنصراف قال له هِرَقْلُ : أَلَقِيَتِ أبنَ عَمِّكَ هذا الَّذِي عندنا - يعنى جَبَلَةٌ - الَّذِي أَنانا راغبا في ديننا ؟ فقال : ما لَقِيَتُهُ . قال أَلقِه ، قال الرسول : فَذهبتُ إلى بابِ جَبَلَةٍ فإذا عليه من القهارمة والمجآب والبهجة وكثرة الجمع مثل ما على باب هِرَقْلِ . قال :
- ١٥ فتلَطَّفت في الدخول عليه حتى أَذِنَ لي ، فَدخلتُ فَرأيتُهُ أَصهَبَ اللحية ، وكان عهدى به أسودَ اللحية والرأس ، فَأَنكرتُهُ وإذا هو قد ذرَّ سِحَالَةَ الذهبِ على لحيته حتى صار أَصهَبَ ، وهو قاعدٌ على سريرٍ من قوارير ، قوائمه أربعة أسود من الذهب . قال : فلما عَرَفتني رفعتني معه على السرير . قال : وجعل يسألني عن المسلمين وعن عُمَرَ رضى الله عنه ؛ فَذَكَرْتُ خيرا وعرفته أن المسلمين كَثُرُوا .

ثم أنحدرت عن السرير فقال لي : لم تأبى الكرامة التي أكرمناك بها ؛ قلت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا . قال : نعم ! صلى الله عليه وسلم ، ولكن نَقَّ قلبك من الدنس ولا تُبَالِ على ما قعدت . فلما سمعته يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم طمعتُ فيه فقلتُ له : ويحك يا جبلة ! ألا تُسَلِّمُ وقد عرفتُ الإسلامَ وفضلَه ؟ قال : أبعَد ما كان مني ؟ قلتُ : نعم . قال : إن كنتَ تضمن لي أن يزوجني عمرُ أبتَه ويؤنِّبني الإمرةُ بعده رجعتُ إلى الإسلام . قال الرسول : فضمَّنتُ له التزويجَ ولم أضنَّ له الإمرة . قال : ثم أوما إلى خادم كان على رأسه فذهب مُسرعا فإذا خدامٌ قد جاءوا يحملون الصناديق فيها الطعام ، فوضعتُ ونصبتُ موائدَ الذهبِ وصحافَ الفضة ، وقال لي : كُلْ . فقبضتُ يدي وقلتُ : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الأكل في آنية الذهب والفضة . قال : نعم ! صلى الله عليه وسلم ، ولكن نَقَّ قلبك وكُلْ فيما أحببت . قال : فأكل في الذهب وأكلت في الخُلج^(١) ، ثم جرى بطسات الذهب وأباريق الفضة فنسَل يده فيها وغسَلتُ في الصُفر^(٢) . ثم أوما إلى خادم فمز مُسرعا فإذا خدَمٌ معهم كراسيَّ الذهب مُرصَّعةٌ بالجواهر ، فوضعتُ عشرةً عن يمينه وعشرةً عن شماله ، ثم جاءت الجوارى عليهنَّ تيجانُ الذهب مُرصَّعةٌ بالجواهر ، فقعدنَّ عن يمينه وعن شماله على تلك الكراسي ، ثم جاءت جاريةٌ كأنها الشمسُ حسنا على رأسها تاج ، على ذلك التاج طائرٌ وفي يدها اليمنى جامَةٌ فيها مسكٌ فتيبت ، وفي يدها اليسرى جامَةٌ فيها ماء ورد ؛ فأوماتِ الجاريةُ أو صَفرتِ بالطائر الذي على تاجها فوقع في جامِ ماءِ الوردِ

(١) الخُلج (فارسي معرب) : مخربين صفرة وحررة يكون بأطراف الهند والصين ورقة كالطراف.

وزمزه أحمر وأصفر وأبيض . وأصل معناه المتنوع الألوان تتخذ من خشب الأواني .

(٢) الصفر (بالضم) : النعاس الأصفر .

فَأَضْرَبَ فِيهِ ، ثُمَّ أَوْمَأَتْ إِلَيْهِ أَوْصَفَتْ فَوَقَعَ فِي جِامِ الْمَسْكِ فَتَمَتَّعَ فِيهِ ، ثُمَّ
أَوْمَأَتْ فَطَارَ حَتَّى نَزَلَ عَلَى تَاجِ جَبَلَةٍ ، فَلَمْ يَزَلْ يُرْقِرُفُ حَتَّى نَفِضَ مَا عَلَيْهِ فِي رَأْسِهِ ،
فَضَحَكَ جَبَلَةٌ سُرُورًا بِهِ ، ثُمَّ أَلْفَتَتْ إِلَى الْجَوَارِي اللَّوَاتِي عَنْ يَمِينِهِ وَقَالَ لهنَّ : يَا
أَحْسِبُنَا ، فَأَنْدَفَعْنَ يَغْنَيْنَ بِجَفَقِ عِيدَانِهِنَّ وَيَقُلْنَ :

لِلَّهِ دَرٌّ عَصَابَةٍ نَادَمْتُهُمْ * يَوْمًا يَجِلُّ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ ^(١)
يَسْقُونَ مِنْ وَرْدِ الْبَرِيصِ عَلَيْهِمْ * ^(٢) بَرْدِي بَصْفَقُ بِالزَّحِقِ السَّلْسَلِ ^(٣)
يُقَشُونَ حَتَّى مَا تَهَزَّ كِلَابُهُمْ * لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ
بِيضُ الْوُجُوهِ كَرِيمَةٌ أَحْسَابُهُمْ * شُمُّ الْأَنْوْفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ
أَوْلَادُ جَفَنَةَ عِنْدَ قَبْرِ أَبِيهِمْ * قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ ^(٤)

١٠ قال : فضحك حتى بدت نواجذُه ثم قال : أتدري من يقول هذا ؟ قلت لا ؛
قال : حسان بن ثابت ، ثم أشار إلى الجوارى اللواتي عن يساره فقال لهنَّ : يَا
أَبِكُنَا ، فَأَنْدَفَعْنَ يَغْنَيْنَ بِجَفَقِ عِيدَانِهِنَّ وَيَقُلْنَ :

لِمَنِ الدَّارُ أَقْفَرَتْ بُعَايِنِ * ^(٥) بَيْنَ أَعْلَى الْيَرْمُوكِ فَاتِحَمَانِ ^(٦)
ذَلِكَ مَعْنَى لَأَلِ جَفَنَةَ فِي الدَّهْرِ * مَرَّ وَحَقُّ تَعَاقُبِ الْأَزْمَانِ ^(٧)

١١ (١) جلق (بكسر تين وتشديد اللام) : هو اسم لكورة الغوطة كلها ، وقيل : بل هي دمشق
قسمها ، وقيل : موضع من قرى دمشق . (٢) البريص : اسم غوطة دمشق .
(٣) بردى : نهر دمشق . (٤) ابن مارية : هو الحارث بن أبي شمر الغساني ، وكان أثيرا عندهم .
(٥) ممان (بضم أوله) : حصن كبير من أرض فلسطين على نعمة أيام من دمشق في طريق مكة .
(٦) اليرموك : واد بناحية الشام ، وكانت فيه الواقعة المشهورة التي عرفت بيوم اليرموك في زمن عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه ، وكان من أعظم فروح المسلمين .
(٧) الخمان (فتح أوله وتشديد ثانيه) : موضع بالشام .

(١) قد أراني هناك دهرًا مكيَّنًا * عند ذى التاج مقعدى ومكاني
قال : فبكي حتى سالت دموعه على لحيته ، ثم قال : أتدرى من يقول هذا ؟
قلت : لا ، قال : حسَّان ، ثم أنشد : تنصرت الأشراف الأبيات ثم سألني عن
حسَّان أحمى هو؟ قلت : نعم ، فأمر له بكسوة ولى بمثلها ، وأمر بمالٍ لحسَّان ونوقٍ
موقرةٍ برأ ثم قال : إن وجدته حيا فادفع الهدية إليه ، وإن وجدته ميتا فادفعها إلى
أهله وأنحر النوق على قبره .

قال : فلما أخبرت عُمر بنخبره وما أشرت على وما صمَّنت له قال : فهلا صمَّنت
له الأمر فإذا أفاء الله به قضى الله علينا بحكمه ! ثم جهزنى عُمر إلى القسطنطينية
إلى هرقل ثانية وأمرنى أن أضمن له ما أشرت ، فلما دخلت القسطنطينية وجدت
الناس قد أنصرفوا من جنازته ، فعلمت أن الشقاء غلب عليه في أم الكتاب .

ذكر أخبار ملوك الحيرة

وهم من آل قحطان

وأولهم مالك بن فهم بن غنم بن دؤس بن الأزدي بن العوث بن نبت بن مالك
ابن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . وكان قد خرج من
اليمن مع عمرو بن عامر حين أحسوا بسيل العرم ، وقد ذكرنا أن الملك ربيعة
ابن نصر كان قد بعثهم إلى سابور فأسكنهم الحيرة وملكوها ما حولها . والله أعلم .
قال : وكان ملك مالك على الحيرة عشرين سنة .

(١) رواية الديوان (ص ٥٥ ضع أوربا) :

قد أراني هناك حتى مكين * عند ذى التاج مجلى ومكاني

ورواية الأغاني (ج ١٤ ص ٦ طبع بلاق) :

قد أراني هناك حفا مكينا * عند ذى التاج مقعدى ومكاني

(٢) ورد هذا النسب في تاريخ أبي الفدا (ص ١٢٠ طبع أوربا) ببعض تغيير بالزيادة والنقصان .

ثم ملك بعده أبنته جَدِيمَةٌ وهو الوضاح . قال : وكان يقال له ذلك لَبْرِصٍ كان به ؛ ويقال أيضا فيه الأبرش ، وكان ينزل الأنبار ، وكان لا يُنادِمُ أحداً من الناس ذهاباً بنفسه على الندماء ، وكان ينادِمُ الفَرَقْدَيْنِ فإذا شَرِبَ قدحاً صَبَّ [في الأرض]^(٢) لهذا قدحاً ولهذا قدحاً . ويقال : إنه أول من عمِلَ المِنْتَجِنِقِ من الملوك ، وأول من حُدِثَ له النَّعَالُ . وأول من وُقِدَ بين يديه الشمع ، وهو الذي قتلته الزبّاء بحيلة .

ثم ملك بعده ابنُ أخته عمرو بن عَدِيٍّ بن ربيعة . قالوا : وعمرو هذا هو الذي استهوته الجنُّ دهرًا طويلاً ثم رَجِعَ ؛ فبينا مالك وعَقِيلُ ابنا فارج وقيل - قالج - يقصدان جَدِيمَةَ المَلِكِ بهديّةٍ إذ نزل على ماءٍ ومعهما قَيْنَةٌ يقال لها : أم عمرو ، فتمرض لها عمرو ، وقد طالت أظفارُهُ وشعرُهُ وساءت حالته وهيئته ، بغلس إليهما - وكانا يأكلان - فدَدَ إليهما يَدَهُ مُسْتَطَعِمًا فناولته تلك الحاريةُ طعاماً فأكله ، ثم مدَّ يده ثانية فقالت : إن يُعْطَ العبدُ كُرَاعًا يَتَّبِعَ ذراعاً ! ثم ناولت صاحبيها من شرابها وأوكأت سقاءها ، فقال عمرو :

صَدَدَتِ الكَأْسَ عَنَّا أُمُّ عَمْرٍو * وكان الكَأْسُ مَجْرَاهَا الِيمِينَا
وما شَرُّ الثَّلَاثَةِ أُمُّ عَمْرٍو * بصاحِبِكِ الَّذِي لا تَصْبِحِينَا^(٤)

(١) في تاريخ أبي الفداء (ص ١٢٠ طبع أوروبا) أن الذي ملك بعد مالك بن فهم أخوه عمرو ابن فهم ، ثم ملك بعده جديمة بن مالك .

(٢) التكلة من عيون الأخبار (ج ٣ ص ٢٧٤ طبعة دار الكتب المصرية) .

(٣) أوكأت سقاءها : شدت فهِ بغير أُرْخِيط ، أى ربطته .

(٤) هذان البيتان من معلقة عمرو بن كلثوم المشهورة . وبعضهم يروى هذين البيتين لعمر بن أخت جديمة الأبرش كما ورد هنا والأغانى (ج ١٤ ص ٧٣ طبع بلاق) .

فقالوا له : مَنْ أنت ؟ فَأَنْتَسِبَ لهما ، ففَصِرَحا به وأقبلا على خاله — وقد كان جعل الجعائل لمن يأتيه به — فلما أتياه به قال جَدِيمة لها : لكما حُكْمُكا . فقالا : مُنادمُك . فكانا كما أَخْتارا ، وسار بهما المثل . ويقال : إنهما نادَماه أربعين سنة ، فإِعادا عليه حديثا مما حَدثاه به مرّة أخرى ، بل كانا يحدّثانه بمجديث جديد لم يسمعه منهما قَبْلُ .

وعمرُو هذا هو الذي أخذ بئار خاله جَدِيمة من الرِّبَاءِ وَقَتَلها . وذلك أن قَصِيرَ ابنِ سعد كان من غلمانِ جَدِيمة قال لعمرو : اضْرِبْ ظهري وأفطعْ أرنبةَ أنفي وأتركني والرِّبَاءِ ، فإني سأحتال لك عليها ، ففعل به ذلك ، ففَصِرَ إلى الرِّبَاءِ وصار في جملة رجالها وأراها النصح والأجتهاد في حذر الأجر ، وأنه غاش لعمرو ابنِ عَدِيٍّ ؛ وجعل يتجر لها ويذهب لعمرو في السرِّ فيعطيه الأموال فيأتيها بها ، كأن ذلك من أجتهاده وحِدْقِه في التجارة حتى أطمأنت له ؛ فذهب إلى عمرو وأخذه وأخذ معه ألفي رَجُلٍ وجعلهم في جَوالِقٍ على ألفِ جمل ، ومعهم دروعُهُم وسيوفُهُم وجاء بهم على طريق يقال له الغوير ، ولم يكن يسلكة قبل ذلك ، فلما قَرَّبَ من حصنها تقدم إليها وأعلمها أنه قد أتاها بمالِ صامِتٍ ، فأشرفت من أعلى قصرها تنظر إلى الجمال ، فرأتها وكأنها تترع أرجلها من أوحالٍ ليثقل ما عليها ، فقالت : « عَسَى الغويرُ أبوساً » . فذهبت مثلاً . ثم قالت :

ما لِلْمَطايَا مَشِيها وَتِيدا * أجنُداً يَجْمَنُ أمَ حَديدا
أمَ صَرفانا بَردا شَديدا * أمَ الرِّجالِ جُما قُودا

(١) الغوير : موضع على الفرات .

(٢) صرفانا باردا : قال في شرح القاموس (مادة صرف) : « الصرفان (محرّكة) : الموت عن

ابن الأعرابي ، وقال ابن عباد : هو النحاس ، وفي اللسان : الرصاص القلبي ، وبهنا فسر قول الرِّبَاءِ : =

وقد كان قصيراً قال لها قبل ذلك كالناصح : ما ينبغي لملك إلا أن يكون له موضع ليوم ، فإنه لا يدري ما تُحْدِثُهُ الأيام ؛ فأرته سرباً في ناحية قصرها قد نفذت فيه إلى حصن أختها - وكانا على صَفْتِي الفُرَات - قال : فلما دخلت الإبل على البواب ضجير لكثرتها ، حتى إذا كان آخرها طَعَنَ في جوالق بُعُودَ كان في يده ، فقابلت الطعنة خاصرة الرجل الذي كان في الجوالق فخنق فقال البواب : لشنا لشنا ؛ أى شئ^(١) ه
في الجوالق ، فنارت الرجال من الجوالق بأيديهم السيوف ، فهربت الزبَاء إلى ذلك السَّرْب فإذا هي بقصير عند النفق ومعه عمرو بن عدى ، والسيوف في يده ، فصَّتْ خاتماً كان في يدها فيه سم ساعة وقالت : « يَيْدِي لا يَيْدِ عمرو » . وفي ذلك يقول المَتَمِّسُ :

١٠ وفي طَلَبِ الأوتارِ ما حَزَّ أَنْفَهُ * قَصِيرٌ ورَّامَ الموتِ بالسيفِ يَهْسُ

== « ما للجبال مشيا وثيذا ... » وذكر البيهقي ، متابعا في ذلك ما جاء في اللسان (مادة صرف) مع بعض تفسير في اللفظ . ثم قال بعد ذلك : « وقيل الصرفان هنا : تمر رزين مثل البرني لأنه صلب المضاع عنك ، والناس يدخرونه » .

ولعل تفسير البيهقي بالتمر أنسب ؛ فإن شارح القاموس قال بعد ذلك : قال أبو عبيد : ولم يكن يهدى للزبَاء شئ . أحب إليها من التمر الصرفان وأنشد :

ولما أتتها السير قالت أبارد من التمر أم هذا حديد وجندل

وقد ذكر صاحب اللسان قول أبي عبيد والبيت الذي أنشده . وقال الجوهري في الصحاح (مادة صرف) : والصرفان : الرصاص ، والصرفان أيضا : جنس من التمر قالت الزبَاء :

* ما للجبال مشيا وثيذا ... الخ *

٢٠ (١) كذا في شرح قصيدة ابن عبدون (ص ٩٣ طبع ليدن) وفي الأصول : « الملك » .

(٢) كذا في الأصول ، وفي مروج الذهب (ج ١ ص ٢٢٥ طبع بلاق) . « فقال البواب : بشنا

بشنا بالنطية ، أى في الجوالق شر » . وفيه (ج ٣ ص ١٩٧ طبع أوربا) : « فقال البواب : بشنا لشقا ، أى شر في الجوالق »

وعمره هذا هو الذي يقال فيه : « شَبَّ عمرو عن الطُّوقِ » . وكانت مدَّة ملكه مائة سنة .

ثم ملك بعده أبنته عمرو القيس . فكان ملكه ستين سنة .

ثم ملك بعده أبنته عمرو بنُ امرئ القيس وهو مُحرقُّ العرب . وكان ملكه خمسًا وعشرين سنة ، وكانت أمه مارية التي يُضربُ المثلُ بِقُرْطِيَّهَا .

١٠١
١٣

ثم ملك بعده النعمان بن المنذر فارس حليلة ، وهو الذي بنى الخورنق وكرَّس الكراديس . وكان أعور ، ويقال : إنه أشرف في بعض الأيام على ما حَوْل الخورنق فقال : أكل ما أرى إلى نَفَاد؟ قيل : نعم . قال : فأى خير في ملك يكون آخره إلى نَفَاد ! ثم أخلع من ملكه ولبس المسُوح وسار في الأرض . وقد ذكره عدى بن زيد فقال :

وتَفَكَّرَبَّ الخورنق إذ أشد * رَفَّ يوماً وللهدى تفكيرُ
سره حاله وكثرة ما يم * ملك والبحر معرضاً والسديرُ

(١) في الأصل : « الحرب » . وما أثبتناه عن مروج الذهب . وفيه وفي تاريخ أبي الفدا ص ١٢٢ طبع أوربا) أن الذي يسمى محرقاً هو عمرو القيس بن عمرو بن امرئ القيس ، وإنما سمي محرقاً لأنه أول من عاقب بالنار .

(٢) كما في الأصل ، وفي مروج الذهب : أن الذي ملك بعده النعمان بن امرئ القيس ، ثم المنذر ابن النعمان بن امرئ القيس ، ثم النعمان بن المنذر .

(٣) كما في مروج الذهب وشرح قصيدة ابن عبدون ، وفي الأصل : « حمله » .

(٤) الخورنق : قصر بناه ستمار على ثلاثة أميال من الحيرة .

(٥) كردس الفائدة خيله : أى جعلها ككتيبة كتيبة . والكراديس : كتاب الخيل ، واحدها كردوس .

(٦) في تاريخ أبي الفداء : أن الذي كان أعور هو النعمان بن امرئ القيس بن عمرو .

(٧) معرضاً : معرض بمعنى متسع ، ومنه أعرض الثوب ، أى اتسع وعرض .

فَارْعَوَى قَلْبَهُ وَقَالَ : فَمَا غَيْبٌ * طَلَّةٌ حَتَّى إِلَى الْمَمَاتِ يَبْصِيرُ؟

وكان مُلْكُهُ خمساً وثلاثين سنة .

ثم ملك الأسودُ بنُ النعمان . فكان ملكه عشرين سنة . ويقال : إن الأسودَ هذا هو الذي آتتصر على غَسَّانَ وأسرَ عِدَّةً من ملوكهم ، وأراد أن يعفو عنهم ، وكان للأسودِ ابنٌ عمٌّ يقال له : أبو أذينة ، قد قَتَلَ آلَ غَسَّانَ له أخاً في بعض الوقائع ، فقال قصيدته المشهورة يُغَيِّرُ بهم الأسودُ بنُ النعمان :

- ما كُلُّ يومٍ ينالُ المرءُ ما طَلَبَا * ولا يُسَوِّغُهُ المِقْدَارُ ما وَهَبَا ^(١)
وأحزَمُ الناسِ مَنْ إن فُرْصَةً عَرَضَتْ * لم يجعلِ السببَ المَوْصُولَ مُقْتَضِبَا
وأنصَفُ الناسِ في كلِّ المِوَاطِنِ مَنْ * سَقَى المُعَادِينَ بالكاسِ الذي شَرِبَا
وليس يَظْلِمُهُمْ مَنْ رَاحَ يَضْرِبُهُمْ * بحِدِّ سَيْفٍ به مَنْ قَبْلَهُمْ ضُرِبَا
والعَفْوُ إلا عن الأَكْفَاءِ مَكْرُمَةٌ * مَنْ قال غيرَ الذي قد قُتِلَ كَذِبَا
قَتَلتَ عَمراً وَتَسْتَبِيحُ يَزِيدَ لَقَدْ * رأيتَ رأيا يَمْزُجُ الوَيْلَ والحَرْبَا
لا تَقَطِّعَنَّ ذَنْبَ الأَفْعَى وتُرْسِلِهَا * إن كنتَ شَهْمًا فَاتَّبِعْ رَأْسَهَا الذَّنْبَا
هُمُ جَرَدُوا السَيْفَ فَأَجْلَهُمُ لَهْ جَزْرًا ^(٢) * وأوقدُوا النارَ فَأَجْلَهُمُ لها حَطْبَا
إن تَعَفَّ عنهم تقولُ الناسُ كُلُّهُمْ * لم يَعْفُ حِلْمًا ولكن عَفْوَهُ رَهْبًا ^(٣)
وكان أحسنَ مِنْ ذا العَفْوِ لو هربوا * لكنهم أُنْفُوا مِنْ مِثْلِكَ الهَرْبَا
هُمُ أهْلَةُ غَسَّانَ ومَجْدُهُمْ * عال فإن حالوا مُلْكًا فلا عَجْبَا
وعَرَضُوا بِفِدَاءٍ وإصْفِينِ لَنَا * خَيْلًا وإبلا يَرُوقُ المُجَمَّ والعَرَبَا

(١) المقدارها : القدر (بالتحريك) .

(٢) جزرا : قطعا .

(٣) رهبا : خروفا .

يَجْلِبُونَ دَمًا مِنَّا وَتَحْلِبُهُمْ * رِسَالًا لَقَدْ شَرَفُونَا فِي الْوَرَى حَلَبًا^(١)
عَلَامٌ تَقْبَلُ مِنْهُمْ فِدْيَةً وَهُمْ * لَا فِضَّةَ قِيلُوا مِنَّا وَلَا ذَهَبًا

فلما أنشده هذه القصيدة رجع عن رأيه في العفو عنهم وقبول الفداء منهم
وقتلهم . والله أعلم .

ثم ملك بعده المنذر بن الأسود ، وكانت أمه ماء السماء . وكانت مدة ملكه^(٢)
أربعًا وثلاثين سنة .

ثم ملك بعده عمرو بن المنذر . فكان ملكه أربعًا وعشرين سنة .

ثم ملك بعده المنذر بن عمرو بن المنذر . وكان ملكه ستين سنة .

ثم ملك بعده قابوس بن المنذر . فكانت مدة ملكه ثلاثين سنة .

ثم ملك بعده أخوه المنذر بن المنذر بن ماء السماء .

ثم ملك بعده النعمان بن المنذر ، وهو الذي قيل له : « أبلت اللعن » وهو
آخر من ملك من آلهم . وكان ملكه اثنتين وعشرين سنة . وها نحن نذكر ما قيل
في سبب ملكه وزواله .

قالوا : وكان عدى بن زيد العبّادى وأبنته زيد بن عدى سبب ولايته
وسبب هلاكه . وذلك أن عدياً وأخويه ، وهما عمّار وعمرو ، كانوا في خدمة
الأكاسرة ولهم من جهتهم قطائع ، وكان قابوس الأكبر عمّ النعمان بعث إلى
كسرى أبرويز عدى بن زيد وأخويه ليكونوا في كتابه يترجمون له ، فلما مات

(١) الرسل (بالكسر) : اللين . والحلب (بالفتح) : استخراج ما في الضرع من اللبن .

(٢) ذكر أبو الفدا في تاريخه (ص ١٢٦ طبع أوروبا) ما يخالف ذلك فانظره .

(٣) أسماها ماوية بنت عوف بن جشم ، وإنما لقبت ماء السماء لحسنها وجمالها . (راجع تاريخ أبي الفدا .

ص ١٢٦ طبع أوروبا وشرح قصيدة ابن عبدون ص ٩٦ طبع لندن) .

المنذر ترك من الأولاد أثنى عشر رجلا ، وهم الأشاهب ^(١) ، سموا بذلك لجمالهم ،
وفيهم يقول الأعشى :

وبنو المنذر الأشاهب بالبح * بيرة يمشون غدوة كالسيوف ^(٢)

- فجعل المنذر أبنه النعمان في حجر عدى بن زيد هذا ، وجعل أبنه الأسود
في حجر رجل يقال له : عدى بن أوس بن مريتا ، وبنو مريتا قوم لهم شرف ،
وهم من نخم ، وترك المنذر بقية بذييه ، وهم عشرة ، يستقل بكل واحد منهم
بنفسه ، وجعل المنذر على أمره كله إياس بن قبيصة الطائي ، فلما مات قابوس طلب
كسرى من يملكه على العرب ، فدعا عدى بن زيد فقال له : من بيني من بني المنذر ،
وما هم ؟ وهل فيهم خير ؟ فقال : بقيتهم في ولد هذا الميت ، يعني المنذر ، وهم رجال
نجباء ، فكتب إليهم بالقدوم عليه ، فقدموا فانزلهم ، على عدى بن زيد ، وكان عدى
يرى موضع النعمان لأنه في حجره ويختاره على بقية إخوته في الباطن ، وهو يظهر لهم
خلاف ذلك ويفضلهم عليه في الظاهر ، ويكرم نزلهم ويخلو بهم ويربهم أنه لا يرجو
النعمان ، كل ذلك ، ليطمئنوا إليه ويرجعوا إلى رأيه ، ثم خلا بكل منهم على أفراده
وقال لهم : إن سألكم الملك : أتكفوني العرب فقولوا : نكفيهم إلا النعمان ، وقال
للنعمان : إن سألك الملك عن إخوانك فقل له : إن عجزت عنهم فإني عن غيرهم أعجز .

١٠٤
١٣

- (١) الشبهة في الأصل : بياض يخاطه سواد ، وقيل : البياض الذي يظلم على السواد ، وقد يقال
على مطلق البياض كما قالوا : ستة شهباء : أي بياضا لكثرة الثلج وعدم النبات . وفي القاموس : « والأشاهب
بنو المنذر لجمالهم » قال شارحه السيد مرتضى : « سموا بذلك لبياض وجوههم » .
(٢) كذا في شعر الأعشى (ص ٢١٢ طبع أوربا) وفي الأصول : « بالسيوف » .
(٣) بنو مريتا : قوم من أهل الحيرة من قبائل العباد ، وهم الذين ذكروهم أمرؤ القيس في قوله :
فسلو في يوم معركة أصيبوا * ولكن في ديار بني مريتا
وليس مريتا بكلمة عربية (انظر تاج العروس واللسان مادة مرن) .

قال : وكان عدى بن أوس بن مريّنا داهيةً أربيا ، وكان يُوصى الأسود
 ابن المنذر ويقول : قد عرفتُ أنّي لك راج ، وأنّ طابتي اليك وزغبتي أن تخالف
 عدى بن زيد فيما يشير به عليك ، فإنه والله لا ينصح لك أبدا ، فلم يلتفت الأسود
 الى قوله . فلما أمر كسرى عدى بن زيد أن يدخلهم عليه قدمهم رجلا رجلا ،
 وكسرى يرى رجالا قلما رأى مثلهم ، فإذا سألهم هل تكفونى العرب قالوا : نكفيك
 العرب كلّها إلا النعمان . فلما دخل النعمان عليه رأى رجلا دميما قصيرا أحمر الشعر
 فكلمه وقال : هل تستطيع أن تكفينى العرب ؟ قال نعم ، قال : فكيف تصنع
 بإخوتك ؟ قال : أيها الملك إن عجزتُ عنهم فأتى عن غيرهم أعجز ، فلكه وكساه
 وألبسه تاجا قيمته ستون ألف درهم . فلما خرج وملك على العرب قال عدى
 ابن أوس بن مريّنا للأسود بن المنذر : دونك فإنك خالفتَ الرأى .

قال : ثم إن عدى بن زيد صنع طعاما فى بيعة وأرسل الى ابن أوس أن أتني
 مع من أحببت فإن لى حاجة ، فأناه فى أناس فتغدّوا فى البيعة ، فقال عدى بن زيد
 لعدى بن أوس : يا عدى إن أحق من عرف الحق ثم لم يلم عليه من كان مثلك ،
 إنى عرفتُ أنّ صاحبك الأسود كان أحب إليك أن يملك من صاحبي النعمان ،
 فلا تلمنى على شيء كنت على مثله ، وأنا أحبّ ألا تحقد على شيئا لو قدرت عليه
 ركبته ، وأحبّ أن تعطىنى من نفسك ما أعطيك من نفسى ، فإن نصيبى من هذا
 الأمر ليس بأوفر من نصيبك . فقام عدى بن زيد الى البيعة وحلف ألا يهجوه
 ولا يبيغيه غائلة أبدا ، ولا يروى عنه خيرا ، وحلف عدى بن أوس على مثل يمينه
 ألا يزال يهجوه أبدا ويبيغيه الغوائل ما بقى . وخرج النعمان حتى أتى منزله بالحيرة ،
 وأفترق العديان على وحشة ، فقال عدى بن أوس للأسود : إن لم تظفر أ فلا تعجز
 أن تطلب بئارك من هذا المعدى الذى عمل بك ما عمل ؟ فقد كنت أخبرتك

أن معدداً لاتنام عن مكراها، وأمرتك أن تخالفه فعصيتني . قال : فما تريد ؟ قال :
 ألا تأتيك فائدة من ملكك ولا أرضك إلا عرضتها عليّ ، ففعل . وكان عدى بن
 أوس كثير المال ، فلم يمتز به يوم إلا بعث فيه إلى النعمان هدية أو تحفة . فلما توالى
 ذلك وكثرت هداياه عند النعمان صار من أكرم الناس عليه ، وصار لا يقضى في ملكه
 شيئاً إلا برأى عدى بن أوس . فلما رأى من يطيف بالنعمان منزلة ابن أوس عنده
 تابعوه ولزموه ، فكان يقول لمن يثق به من أصحاب النعمان : إذا رأيتموني
 أذكر عدى بن زيد عند الملك بخير فقولوا : إنه لكما يقول ولكنه لا يسلم عليه أحد ،
 وإنه يقول : إن الملك - يعني النعمان - إنما هو عامله ، وإنه هو الذي
 وآه ما وآه .

١٠ . فلم يزالوا بهذا وأشباهه حتى أضغوا النعمان عليه . ثم إنهم كتبوا كتاباً عن عدى
 إلى قهرمان كان له ، ودسوا من أخذ الكتاب وأتى به النعمان فقرأه فغضب ، وأرسل
 إلى عدى بن زيد يقول : عزمتُ عليك إلا زرتني فإني قد اشتقتُ إليك ، وكان
 عند كسرى ، فاستأذنه في زيارة النعمان فأذن له ، فلما أتاه لم ينظر إليه حتى حبسه ،
 فجعل يقول الشعر ويستعطفه به ، فكان مما قاله :

١٥ . أبلغ النعمان عني مالكا^(٢) * إنه قد طال حبي وأنتظاري^(٣)
 لو بغير الماء حلقي شرق * كنت كالغصان بالماء أعتصاري

١٠٥
١٣

(١) القهرمان : الوكيل ، أو أمين الدخل والخرج .

(٢) مالكا : المالك (بفتح اللام وضمها) : الرسالة ، لأنها تولك في الفم (تلك) ، قال
 ابن بري : وقد يقال مالكة ، وروى عن محمد بن يزيد أنه قال : مالك جمع مالكة . (انظر اللسان
 مادة ألك) . وقال البغدادي في خزنة الأدب (ج ٣ ص ٥٩٧) : والمالك (يسكون الحزنة وضم اللام) :
 الرسالة ، وقال الزجاج : مالك جمع مالكة .

٢٠ .

(٣) اعتصاري : قال الجوهري : الاعتصار : أن يَفص الإنسان بالطعام فيعتصر بالماء ، وهو
 أن يشربه قليلاً قليلاً ليسيفه ، وأشد هذا البيت . وقال البغدادي في الخزنة (ج ٣ ص ٥٩٦) : =

وقال أشعارا كثيرة كانت تبلغ النعمان فندم على حبسه وعلم أنه كيد فيه ، فكان يرسل إليه ويبيده ويمنيه ، فلما طال سجنه وأعياه التضرع إلى النعمان كتب إلى أخيه أبي — وهو عمار — وهو مع كسرى يخبره بحاله ، ويبعثه على السعي في خلاصه ، فدخل أبي على كسرى وكلمه ، فكتب إلى النعمان في أمره وبعث رسولا بكتابيه ، فقال له أبي : إبدأ بعدي وأنظره قبل أن تجتمع بالنعمان ، ورشاه على ذلك ، ففعل الرسول ذلك ودخل إلى الحبس واجتمع بعدي وقال له : ماتحب أن أصنع ؟ قال : أحب ألا تخرج من عندي ، وأعطيني كتاب كسرى لأرسله من قبلي . قال : لا أستطيع ذلك . قال : فإنك إن خرجت من عندي قمت . فقال : لا بد أن آتي النعمان وأوصله الكتاب من يدي ، فأنطلق إلى النعمان وأوصله الكتاب فقبله وقال : سمعاً وطاعة ، ووصله بأربعة آلاف مثقال [ذهبا] وجارية [حسناء] ^(١) وقال : إذا كان من غد فادخل عليه وأخرج به بنفسك . وكان أعداء عدي أتوا النعمان وأخبروه أن رسول كسرى دخل إلى عدي وأنه إن خرج من الحبس لم يسبق منا أحداً ، ولم تنج أنت ولا غيرك ، فأمرهم النعمان بقتله ، فدخلوا عليه لما خرج الرسول من عنده وعموه حتى مات ، فلما أصبح الرسول دخل السجن فقال له الحرس : إن عدياً قد مات منذ أيام ، ولم نجرؤ أن نخبر النعمان فراقاً منه لعلمنا بكرهيته لذلك ، فرجع الرسول إلى النعمان فقال :

= وتحقيقه أن الاعتزاز الأتجاه . كما قال أبو القاسم علي بن حمزة البصري فيما كتبه على النبات لأبي حنيفة الدينوري . وساق البغدادي كلام أبي القاسم هذا بنصه ، ثم قال : وقد صار هذا البيت مثلاً للتأذي ممن يري إحسانه . وقد أورد ابن الأثير في مجمع الأمثال المثل : « لو بغير الماء نضعت » وقال : إنه يضرب لمن يوق به ثم يوق السواتر من قبله واستشهد بهذا البيت . وفي الأصول : « انتصاري » وهو تحريف .

(١) التكلفة من الأغاني (ج ٢ ص ١٢١ طبع دار الكتب المصرية) .

(٢) يريد أنهم غلوا وجهه بنو . حتى اختنق .

لأني كنتُ بدأتُ به فدخلتُ عليه وهو حيٌّ . فقال له النعمان : بيعتُك الملك إلى فتدخل إليه قبلي ، كذبت ! ولحكك آرتشيت وتهده ، ثم استدعاه بعد ذلك وزاده جائزة وكسوة^(١) وأستوثق منه وصرّفه إلى كسرى . فلما رجع إليه قال له : قدمات قبل مقدمي على النعمان .

- ٥ قال : ثم ندم النعمان على قتل عدى ندما شديدا وأجترأ أعداء عدى على النعمان وهاهم ، ثم ركب النعمان في بعض أيامه للصيد فلقي أبنا لعدى بن زيد ، فكلّمه فإذا هو غلامٌ ظريفٌ فقريح به النعمان وقربه ووصّله وأعتذر إليه ، ثم جهزه إلى كسرى^(٢) وكتب إليه : إن عديا كان ممن أُعين به الملك في نصيحته ورأيه ، فأنقضت مدته وأنقطع أجله ، ولم يُصَبَّ به أحدٌ أشد من مصيبتى ، وإن الملك لم يكن ليفقد رجلا من عبيده إلا جعل الله له منه خلفا ، وقد أدرك له ابنٌ ليس هو دونه ، وقد سرحته إلى الملك فإن رأى أن يجعله مكان أبيه ويصرف عمه إلى عملي آخر فعمل . فأجابه كسرى إلى ذلك ورتبه في وظيفة أبيه ، وسأله عن النعمان فأحسن الثناء عليه ، فمكث سنوات على منزلة أبيه وأعجب به كسرى . وكان لصاحب هذه الرتبة على العرب وظيفة في كل سنة من الأفراس والمهارة والكفاءة^(٣) والأقبط والأدوم وغير ذلك ، وهو يلي ما يكتب عن كسرى إلى العرب .

١٥

قال : ثم تمكن زيد بن عدى بن زيد عند كسرى حتى كان يجتمع به في أوقات خلواته ، فدخل عليه في بعض الأيام فكلّمه فيما دخل بسببه ، ثم جرى ذكر النساء . وكانت عند الأكامرة صفاتُ امرأة ، ومن رشمهم أن يطلبوا للملك من هي متصفّة

(١) عبارة الأغاني : « وتوثق .ه الأبخركسرى إلا أنه قدمات قبل أن يقدم عليه » .

٢٠

(٢) جهزه : أعد له معدات السفر .

(٣) المهارة : جمع المهر ، والمهر أول ما يفتح من الخيل والجر الأهلية وغيرها .

بتلك الصفات . وكانت الصفة أن المنذر الأكبر أهدي إلى أنوشروان جارياً كان
أصابها لما أغار على الحارث الأكبر الفسائي ، فكتب إلى أنوشروان بصفة الجارية
فقال : هي معتدلة الخلقى ، نية اللون والنفر ، بيضاء قرأه وطفاء دنجاء حوراء عينا^(١٢)
[قنواء]^(٣) [شماء]^(٤) [بزجاء]^(٥) [زجاء أسيلة الخد]^(٦) ، [شبيهة القبيل]^(٧) [جثة الشعر]^(٨) ، عظيمة^(٩)
الهامة ، بعيدة مهوى القوط عطاء ، عريضة الصدر ، كاعب الندى ، ضخمة مشاش^(١٠)
المنكب والعضد ، حسنة المعصم ، لطيفة الكف ، سبطة البنان ، لطيفة طي البطن ،
نحيصة الخصر ، غرقي الوشاح ، رداح الأقبال ، رابية الكفل ، مفعمة الساق ، لقاء^(١٣)
القمذين . ربا الروادف ، ضخمة الماكنتين^(١٤) ، عظيمة الركبة ، مشبعة الخللخال ، لطيفة^(١٥)

- (١) الوطاء : غزيرة الأهداب وشعر الحاجبين .
(٢) الدصح : شدة سواد العين وشدة بياض بياضها .
(٣) زيادة من الأغاني (ج ٢ ص ٢٣ طبعة دار الكتب المصرية) ، والقنواء : وصف من القنا
وهو ارتضاع في أعلى الأنف وأحد يداها في وسطه وسبوغ في طرفه .
(٤) الشم في الأنف : ارتضاع القصبه وحسنا .
(٥) زيادة من الأغاني . والبرجاء : الجميلة الحسة الوجه .
(٦) الزبواء : دقيقة الحاجبين في طول . (٧) زيادة من الأغاني .
(٨) الجثلة : كثيفة الشعر سوداؤه . (٩) العطاء : الطويلة العنق .
(١٠) المشاش : رموس العظام مثل المتكبين والركبتين والمرقطين .
(١١) غرقي الوشاح : دقيقة الخصر .
(١٢) الروداح : المعجزات الثقبلة الأوراك التامة الخلق . والأقبال (بالفتح) : ما استقبلك من
شرف والواحد قبل (بالتحريك) .
(١٣) مفعمة الساق : منتفها .
(١٤) الماكنتان : المصنعتان التان على رموس الوركين ، الواحدة مأكمة .
(١٥) مشبعة الخللخال : كثافة من السن ، وفي اللسان : امرأة شبي الخللخال : ملائمتها .

الكمب [والقدم ، قُطُوفُ المني] ، ^(١) مِكْسَالُ الضحى ، ^(٢) بَضَّةُ المتجرّد ، ^(٣) سَمُوعٌ للسيد ،
 ليست بجنسها ولا سفعاء ، ^(٤) رقيقة الأنف ، ^(٥) عزيرة النفس ، لم تغد في بؤس ، حية
 رزينة ، ^(٦) حليلة ركيئة ، ^(٧) كريمة الخصال ، تقتصر بنسب أيها ، وبفصلتها دون جماع
 قبيلتها ، قد أحكتها التجارب في الأدب ، وأنها رأى أهل الشرف ، وعملها عمل أهل
 الحاجة ، ^(٨) صناع الكفين ، ^(٩) قطيعة اللسان ، رهوة الصوت [ساكتته] ، ^(١٠) تزين البيت
 وتزين العبد وإن أردتها أشتت ، وإن تركتها أتته ، ^(١١) تحملي عيناها ، وتجر وجنتها ،
 وتذبذب شفتها ، ^(١٢) وتبادرك الوشبة [إذا قمت] ، ولا تجلس إلا بأمرك إذا
 جلست . ^(١٣) فقبلها أنوشروان وأمر بإثبات هذه الصفة في ديوانه ، فكانت تتوارث

١٠٦
١٣

- (١) زيادة من الأغاني . والقطوف : وصف من القطاف وهو تقارب الخطو .
 (٢) المكسال : المرأة التي لا تكاد تبرح مجلسها ، وهو مدح لها مثل نؤوم الضحى .
 (٣) البضة : الناعمة ، يقال : امرأة بضة المتجرّد (بالفتح) أي بضة عند الجرّد ، فالمتجرّد على هذا
 مصدر . ومن قال : بضة المتجرّد (بالكسر) أراد الخدم .
 (٤) الخنساء من الخنساء (بالتحريك) وهو أنحر الأنف إلى الرأس وارتفاعه عن الشفة وليس بطويل
 ولا مشرف ، وقيل هو قريب من الفطس وهو لصوصق تنصبه بالوجه وضخم الأرنبة .
 (٥) السفعاء من السفع (بالتحريك) وهو السواد والشحوب . وفي الحديث : «أذا وسفعاء
 الخدين الحائرة على ولدها يوم القيامة كهاتين» ضم أصابعه ، أراد بسفعاء الخدين أنها بذلك نفسها
 وركت الزينة والزلف حتى شحب لونها وأسودت ، إقامة على ولدها بعد وفاة زوجها .
 (٦) ركيئة : ساكنة وقورة . ^(٧) عبارة الأغاني هنا : «تقتصر على نسب أيها دون
 قبيلتها ، وتستغنى بفصلتها دون جماع قبيلتها» . (٨) في الأغاني : «الأمور» .
 (٩) كذا في الأصول بهاء التانيث ، وفي القاموس واللسان : «وأمرأة قطع الكلام بغيرها إذا
 لم تكن سليطة» . (١٠) رهوة الصوت : رففته سهلته .
 (١١) في الأغاني : «الول» .
 (١٢) في اللسان : والمحلق من الأبعين : ما حور مقلتها بياض لم يخاطه سواد .
 (١٣) في الأغاني : «دوارينه» .

حتى انتهى الملك إلى كسرى أبرويز بن هرمز، فلما قرئت هذه الصفة عليه قال له زيد بن عدى: أيها الملك، أنا أخبر بال المنتذر، وعند عبدك النعمان من بناته وبنات عمه وأهله أكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة. فقال له كسرى: اكتب فيهن إليه. فقال: أيها الملك، إن شر شيء في العرب وفي النعمان [خاصة] أنهم يتكلمون — [زعموا] في أنفسهم — عن العجم، فأبعثني إليه وأبعث معي رجلا [من ثقافتك] يفقه العربية، فبحث معه رجلا جلدًا [فهمًا]، فخرج به زيد حتى أتى الخيرة ودخل على النعمان؛ فلما دخل عليه عظم الرسول أمر كسرى وقال له: إنه قد احتاج إلى نساء لأهله وولده فأراد كرامتك [بصهره] وبعث إليك فيهن. فقال النعمان: وما صفة هؤلاء النسوة؟ قال: هذه صفتهن قد جئناك بها، وقرأها علي زيد بن عدى، فشقي ذلك على النعمان وقال لزيد وللرسول: أما في مها السواد وعين فارس ما تبلغون به حاجتكم؟ فقال الرسول لزيد: ما المها والعين؟ قال: البقر. فقال زيد للنعمان: إنما أراد الملك كرامتك، ولو علم أن ذلك يسق عليك لما كتب إليك، فانزلها [يؤمن عنده] ثم كتب إلى كسرى. إن الذي طلب الملك ليس عندي. ثم قال لزيد: أعذرتني عنده. فلما رجعا إلى كسرى قال لزيد: أين ما كنت أخبرتني به؟ قال: قد كنت أخبرتك بصفتهم بنسائهم على غيرهم، وإن ذلك من شقائهم، فسئل هذا الرسول عن مقالة النعمان فإني أكره أن أواجه الملك بما قاله، فقال للرسول: وما قال؟ قال إنه قال: أما في بقير السواد [وفارس] ما يكفى الملك حتى يطلب

(١) زيادة من الأغاني . (٢) زيادة من الأغاني .

(٣) كذا في الأغاني . وفي الأصول: « على » . (٤) زيادة من الأغاني .

(٥) زيادة من الأغاني . (٦) زيادة من الأغاني . (٧) زيادة من الأغاني .

(٨) زيادة من الأغاني .

- ما عندنا ! فَعُرِفَ الغَضْبُ في وجه كسرى ثم قال : رَبُّ عَيْدٍ قد قال هذا فصار
 أمره الى التَّبابِ ، فبلغ كَلَامُهُ النِّمَانَ . وسَكَتَ كسرى على ذلك أَشْهُرًا ، وهو يَسْتَعِدُّ^(١)
 ويتوقَّعُ حتى آتاه كِتَابُ كسرى يَسْتَدْعِيهِ ، فَأَنْطَلَقَ النِّمَانُ حتى آتَى جبالَ طَبِيِّ وهو^(٢)
 مَتَرُوجٌ منهم ، فَأَرَادَهُمْ أَنْ يَمْنَعُوهُ فَأَبَوْا ذلك وقالوا : لولا صِهْرُكَ لقتلناكَ ، فإنه لا حاجة^(٣)
 لنا في مُعَادَاةِ كسرى ، فأقبل يَعْرِضُ نفسه على العرب فلا يقبلوه ، حتى نزل بِذِي قَارِ^(٤)
 بَنِي شَيْبَانَ مِرًّا فَلَقيَ هَانِيَّ بنَ قَيْصَةَ [بن هَانِيٍّ] بن مسعود فأودعه سلاحه وتوجه^(٥)
 إلى كسرى فَلَقيَ زَيْدَ بن عديّ على قنطرة سَابَاطٍ ، فقال له : امْحُ نَمِيمُ ! فقال : أنت
 يازيدُ فعلتَ هذا ! أما والله لئن أفلتَ لَأَسْقِيَنَّكَ بكأسِ أبيك ! فقال له زَيْدٌ : امِضْ
 نَعِيمٌ ، فقد واقه وضعتُ لك عنده أُخِيَّةٌ لا يَقْطَعُهَا المَهْرُ الأَرْنُ . قال : فلما بلغ كسرى^(٦)
 أنه بالباب أمر به فقيَّدَ وأبعده الى خَانِقِينَ ، فلم يزل بالسجن حتى مات بالطاعون .^(٧)

(١) التباب : الهلاك والخسران . (٢) يريد النمان .

(٣) كان عنده منهم فرقة بنت سعد بن حارة بن لأم ، وزينب بنت أوس بن حارة كما في الأغاني .

(٤) ذوقار : ماء بكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط ، وفيه كانت الرقعة المشهورة

بين بكر بن وائل والفرس .

- (٥) زيادة من القاموس (ص ٦٣٩ طبع أوروبا) وهناك في الأغاني (ج ٢ ص ١٢٦ طبع
 دارالكتب المصرية) حديث دارين النمان وبين قيصبة بن هاني- توجه على أثره النمان لمقابلة كسرى ، فانظره .

(٦) ساباط : موضع بالمدائن لكسرى أبرويز .

(٧) الأخيبة (بتشديد الياء) كآيبة ، ويقال أخيبة بخفيف الياء . وأخيبة بالمد والتشديد : عود يعرض

- في الحائط ويدفن طرفاه فيه ويصير وسطه كالمرورة تشد إليه الدابة . وقال ابن السكيت : الأخيبة :
 أن يدفن طرفا قطعة من الحبل في الأرض وفيها عصبه أو حجر ويظهر منه مثل عروة تشد إليها الدابة ، وإنما
 تسمى الأخيبة في مهارة الأرضين لأنها أرض بالخيل من الأوتاد الناشئة عن الأرض .

(٨) الأرن : الذئبية .

(٩) خانقين : بلدة من نواحي السواد في طريق همدان من بغداد ، بينها وبين قصرشيرين ستة

فراسخ لمن يريد الجبال ، وبها عين للفظ عظيمة كثيرة الدخل .

قال ابن مسكويه في كتاب تجارب الأمم : والناس يظنون أنه مات بساباط
ليبت قاله الأعشى . ^(١) والصحيح ما قلناه .

وقال ابن عبدون : إن النعمان لما أقبل إلى المدائن ^(٢) صف له كسرى ثمانية آلاف
جارية عليهن المصبغات وجعلهن صفين ، فلما صار النعمان بينهما قن له : أما فينا للملك
غنى عن بقر السواد ؟ وأن كسرى أمر بالنعمان فحس بساباط المدائن ، ثم أمر به
فرمى بين أرجل القبلة فوطئته حتى مات . وفي ذلك يقول سلامة بن جندل وذكر
[قتل] كسرى أبرويز [للنعمان] فقال : ^(٣)

هو المدخل النعمان بيتاً سماؤه * محور القبول بعد بيت مسردق ^(٤)

ثم ملك بعده إياس بن قبيصة وأتى الله تعالى بالإسلام . فهؤلاء ملوك العرب
بالين والشام والحيرة .

(١) البيت هو :

فذاك وما أنجى من الموت ربه * بساباط حتى مات وهو محزرق

والحزرق : المضيق عليه في حبه . ويروى : « محزرق » بتقديم الزاء على الزاي . قال في اللسان :
« روى ابن جني عن التوزي قال : قلت لأبي زيد الأنصاري : أتم تشدون قول الأعشى «
حتى مات وهو محزرق » وأبو عمرو الشيباني ينشده بتقديم الزاء على الزاي فقال : إنها نبطية ، وأم
أبي عمرو نبطية فهو أعلم بها منا » .

(٢) راجع شرح قصيدة ابن عبدون (ص ١٣١ طبع أوربا) .

(٣) المدائن : الموضع الذي كان مسكن الملوك من الأكاسرة ، فكان كل واحد منهم إذا ملك بنى
لنفسه مدينة إلى جنب التي قبلها وسماها باسم فسميت المدائن بذلك . وكان فتحها في أيام عمر بن الخطاب
رضي الله عنه على يد سعد بن أبي وقاص في صفر سنة ٥١٦ هـ .

(٤) هو من بنى عامر بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم جاهلي
قديم ، وهو من فرسان تميم المعدودين (راجع الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ١٤٧ طبع أوربا) .

(٥) التكلة من لسان العرب مادة « سردق » .

(٦) في اللسان مادة « سردق » ورد هذا البيت وفيه « صدور القبول » بدل « محور » . والبيت
المسردق : هو الذي يكون أعلاه وأسفله مشدودا كله .

ذكر خبر سد مأرب وسيل العريم^(١)

قد ذكر الله عز وجل ذلك في كتابه العزيز فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْأَلِهِمْ آيَةً جِتَّانٍ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُوا لَهُ بَلَدَةً طَيِّبَةً وَرَبُّ غَفُورٌ فَاعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِيمِ﴾ الآية^(٢). روى عن فروة بن مسيك عن رسول

- الله صلى الله عليه وسلم أنه لما أنزل في سبأ ما أنزل قال رجل: يا رسول الله، وما سبأ؟ أرض أو امرأة؟ فقال: «ليس بأرض ولا امرأة، ولكنه رجل ولد عشرة من العرب فتيا من منهم ستة وتشاءم منهم أربعة، فأما الذين تشاءموا فظخم وجذام وغسان وعامللة، وأما الذين تيامنوا فالأزد والأشعرون وخمير وكندة ومدحج وأنمار» فقال رجل: يا رسول الله، وما أنمار؟ قال: «الذين منهم خثعم وبجيلة».

١٠٧
١٣

أخرجه أبو داود في سننه والترمذي في جامعه .

وكانت أرض مأرب من بلاد اليمن متصلة العمارة مسيرة ستة أشهر، وقيل أزيد من شهرين للراكب المجتهد، وكانوا يقتبسون النار بعضهم من بعض مسيرة ستة أشهر؛

(١) السد (بالفتح والضم) : الجبل والحاجز وبهما قرئ قوله تعالى : «حتى إذا بلغ بين السدين» .

(٢) «في مسألتهم» قراءة نافع، وقراءة حفص : «في مسكنهم» .

(٣) الآياتان ١٥ و ١٦ من سورة سبأ .

(٤) كذا في تهذيب التهذيب (ج ٧ ص ٢٦٥ طبع الهند) وتفسير القرطبي (ج ١٤ ص ٢٨٢ طبع دار الكتب المصرية) . وهو فروة بن مسيك بن الحارث بن سلمة بن الحارث بن كريت، ويقال بدل كريت ذوثب بن مالك بن منه بن عطيف المرادي ثم الفطيف . له صحبة ، أسلم ستة تسع وسكن الكوفة ، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وإليه وعنه روى أبو سيرة النخعي وهانئ بن عروة المرادي وطامر الشعبي

وسعيد بن أبيض بن جمل وغيرهم . وفي الأصول : «عروة» وهو تحريف .

(٥) الأشعرون : نسبة إلى الأشعر، وهو أبو قبيلة من اليمن ، وهو أشعر بن سبأ بن يشجب بن يعرب ابن قحطان ، وتقول العرب : جاءك الأشعرون ، بحذف ياء النسب (راجع لسان العرب مادة شعر) .

وفي تفسير القرطبي (ج ١٤ ص ٢٨٢ طبع دار الكتب) : «الأشعريون» ببايات ياء النسب .

فكانت المرأة إذا أرادت أن تجتني من ثمارها [شيئاً] وضعت المِثْكَلَ على رأسها
وخرجت تمشي بين الأشجار وهي تفزل وتعمل ماشاءت ، فلا ترجع إلا وقد آمتلاً
مِثْكَلُهَا مما يتساقط فيه من الثمار .

واختلِفَ في مأرب ، فقيل : إنه أسمٌ ملك تلك الأرض فسميت به ، قال الشاعر :
من سبأ الحاضرين مأرب إذ * يننون من دون سبيله العرما
وقيل : هو أسمٌ لقصر الملك ، وفيه يقول أبو الطمَّحان :

الم تروا مأرباً ما كان أحصنه * وما حوآليه من سورٍ وبنان
قال : وكان أول من نرح من اليمن بسبب سيل العرم عمرو بن عامر مزيقياً ،
وقد ذكرناه في الأنساب ، وإك سبب تسميته مزيقياً أنه كان يلبس في كل يوم
حُلةً وقيل حلتين ، وهو الأشهر ، ثم يمزقهما عشية نهاره لثلاً يابسهما غيره ، فكان
هذا دأبه في كل يوم .

(١) التكلة من شرح قصيدة ابن عبدون .

(٢) المِثْكَل . زنبيل يعدل من الخوص يحمل فيه التمر وغيره .

(٣) هو النابغة الجعديّ : وهو أبو ليلى قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب

ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة . شاعر إسلامي ، وكان أوصف الناس للتخيل .

(٤) سبأ (بفتح الهمزة) على أنه منسوع من الصرف لأنه أسم قبيلة ، وبهذه الرواية قرأ أبو عمرو

وآبن كثير . وفي طبقات الشعراء لابن سلام (ص ٢٧ طبع أورب) : « أخبرنا ابن سلام قال : قلت
ليونس : كيف تقرأ : (وجئتك من سبأ بنيل يقين) ؟ فقال : قال الجعديّ وهو أفصح العرب :

من سبأ الحاضرين مأرب إذ * يننون من دون سبيله العرما

وهو على قراءة « أبي عمرو ويونس » . والعرم (بالكسر) : هو هنا الأحباس تبنى في أوساط الأودية
وهو جمع واحد عرمة . وهذا البيت من قصيدة للجعديّ ذكرها ابن قتيبة في كتابه « الشعر والشعراء »

(ص ١٦٣ طبع أوربا) .

(٥) راجع (ج ٢ ص ٣١٤ من هذه الطبعة) .

وكان سببُ خروجه من اليمن وأطلاعه على خير سبيلِ العَريمِ قبلَ حدوثه دُونَ غيره من الناس أنه كان له امرأةٌ كَاهِنَةٌ يُقال لها : طُرَيْفَةُ الخَيْرِ، وكانت قد رأت في منامها أن سحابةً غَشِيَتْ أَرْضَهُمْ فَأَرَعَدَتْ وَأَبْرَقَتْ ثم أصعقت فأحرقت كل ما وقعت عليه، ففزعَتْ طُرَيْفَةُ الخَيْرِ لذلك فزعاً شديداً وأتت إلى زوجها عمرو بن عامر وقالت : ما رأيتُ اليومَ أزال عني النوم . فقال لها : ما رأيتِ ؟ قالت : رأيتُ غيماً أَرَعَدَ وَأَبْرَقَ طويلاً ثم أصعقَ فما وقع على شيءٍ إلا أحترق . قال : فلما رأى ما داخلها من الرُّوعِ وَالْفَزَعِ سَكَنها .

ثم إن عمراً بعد ذلك دخل حديقةً له ومعه جاريةٌ من بعض جواريه ، فبلغ ذلك أمرته طُرَيْفَةُ ففرجتُ إليه ومعها وصيْفٌ لها أسمه سنان ، فلما برزت من بيتها عَرَضَ لها ثلاثُ مناجدٍ متصبباتٍ على أرجلها ، واضعاتٍ أيديها على أعينها . قال :
 ١٠ والمناجد : دوابٌ تشبه اليرابيع . فلما نظرت طُرَيْفَةُ إليهما قعدت إلى الأرض ووضعت يديها على عينيها وقالت لغلماها : إذا ذهبت هذه المناجد فأخبرني ، فلما ذهبت أعلامها فأطلقتُ مسرعةً ، فلما عارضها خليج الحديقة التي فيها عمرو وثبت سُلْحَفَةٌ من الماء فوقعتُ في الطريق على ظهرها وجعلتُ تروم الانقلاب ولا تستطيع ، وتستعير بيديها وتمثو التراب على بطنها من جناباته وتَقْدِفُ بالبول . فلما رأتها طُرَيْفَةُ الخَيْرِ جلست إلى الأرض . فلما عادتِ السُّلْحَفَةُ إلى الماء مَضَتْ طُرَيْفَةُ حتى دَخَلَتِ الحديقة على عمرو حين أنتصفَ النهار في ساعةٍ شديدةِ الحز فإذا الشجرُ يتكافأ من غير ريح ، فلما رآها عمرو استحي منها وأمر الجارية بالتحنى

(١) كذا في شرح قصيدة ابن جبدون (ص ٩٩ طبع أوربا) وفي الأصل : « سنا » .

(٢) ورد في اللسان (مادة خلد) : « الخلد والخلد : ضرب من الفئرة أو هو القارة العمياء وجمعها

مناجد على غير لفظ الواحد ، كما أن واحدة الخفاض من الإبل خلفه » .

ثم قال لها : ما أتى بك يا طريفة ؟ فكهنت وقالت : والنور والظلماء ، والأرض
والسما ، إن الشجر لهالك ، ولعودت الماء كما كان في الزمن السالك . قال لها عمرو :
ومن خبرك بهذا ؟ قالت : أخبرني المناجيد بسنين شدائد ، يقطع فيها الولد الوالد .
قال : فما تقولين ؟ قالت : أقول قول النُدمان لهُفا ، لقد رأيتُ سُلحفاةً تجرف
التراب جرفاً ، وتَقْدِفُ بالبول قَدفاً ، فدخلت الحديقة فإذا الشجرُ من غير ريح
يتكافأ . قال عمرو : وما ترى في ذلك ؟ قالت : هي داهيةٌ دهياءٌ من أمور جسيمة ،
ومصائب عظيمة . قال : وما هو وبلك ؟ قالت : أجل ، إن فيه الويل ، ومالك
فيه من نيل ، وإن الويل فيما يحيى به السيل . فألقى عمرو نفسه على فراشه وقال :
ما هذا يا طريفة ؟ قالت : هو خطبٌ جليل ، ونحزىٌ طويل ، وخلفٌ قليل ،
والقليل خيرٌ من تركه . قال : وما علامة ما تذكريين ؟ قالت : اذهب إلى السدِّ
فإن رأيتَ جُرْدًا يكثر يديه في السدِّ الحفر ، ويقلب برجليه مَرَّاجِلَ الصَّخَرِ ، فأعلم أن
العمر غمر ، وإن [قد] وقع الأمر . قال : وما هذا الذي تذكريين ؟ قالت : وعدُّ^(١)
من الله نزل ، وباطلٌ بطل ، ونكالٌ بنا نكل . قال : فأطلق عمرو إلى السدِّ ففرسه

فإذ الجرد يقليب برجليه صخرة ما يقليبها خمسون رجلا ، فرجع إليها وهو يقول :

أبصرتُ أمراً عادى منه ألمٌ * وهاج لي من هوله برح السقم

من جردٍ كفصل خنزير الأجم * أو كبش صرم من أفويق الغم

يقلب صخرًا من جلايد العرم * له مخالب وأنياب قضم

* ما فاتته صخر من الصخر قضم *

(١) الغمر : الماء الكثير . وفي الأصول : « الغفر غفر » وهو تحريف . وما أثبتناه عن شرح قصيدة

ابن عبدون (ص ١٠٠ طبع أوربا) . وفي التطبيق على هذه الكلمة بأسفل الصفحة إشارة إلى اختلاف
الروايات فيما بين : الغفر غفر والحفر عفر والمفر غفر .

(٢) زيادة من شرح قصيدة ابن عبدون .

فَقَالَتْ طُرَيْفَةَ : وَإِنْ مِنْ عَلَامَةٍ مَا ذَكَرْتُ لَكَ أَنْ تَجْلِسَ فَأَمْرٌ بِزُجَاجَةٍ بَيْنَ يَدَيْكَ ؛ فَإِنَّ الرِّيحَ تَمْلَأُهَا بِتَرَابِ البَطْحَاءِ مِنْ سَهْلِ الوَادِي وَرَمْلِهِ ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الجَنَانَ مُظَلَّلَةٌ مَا يَدْخُلُهَا شَمْسٌ وَلَا رِيحٌ . فَأَمْرٌ عَمَرُوا بِزُجَاجَةٍ فَوَضَعَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَمْ تَمُكِّثْ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى آمَلَتْ مِنْ تَرَابِ البَطْحَاءِ . فَقَالَ لَهَا عَمْرُو : مَتَى يَكُونُ هَلَاكُ السَّدِّ؟ فَقَالَتْ : فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ سَبْعِ سِنِينَ . فَقَالَ : فَفِي أَيِّهَا يَكُونُ؟ فَقَالَتْ : لَا يَعْلَمُ ذَلِكَ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَوْ عَلِمَهُ أَحَدٌ لَعَلَّمْتُهُ ، وَلَا تَأْتِي عَلَى لَيْلَةٍ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ السَّبْعِ سِنِينَ إِلَّا ظَنَنْتُ أَنَّ هَلَاكًا فِي غَدَاهَا أَوْ مَسَائِهَا .

ثم رأى عمرو بعد ذلك في منامه سبيل العريم وقيل له : آية ذلك أن ترى الحصباء قد ظهرت في سَعَفِ النخل وكرَّبه ، فنظر إليها فوجد الحصباء قد ظهرت فيها فعلم أن ذلك واقع ، وأن بلادهم ستخرب لا محالة ؛ فكتم ذلك وأخفاه وأجمع على بيع كل شيء له بأرض مأرب ويخرج منها هو وولده ، ثم خشي أن ينكر الناس حاله فصنع وليمة جمع الناس لها وقرقر مع أحد أولاده أنه يأمره بأمر في ملائ القوم فيخالفه فإذا لطمه عمرو فيلطمه الآخر ، ففعل ذلك . فلما لطمه أبنته — وكان اسمه مالكا — صاح عمرو : وأذلاه ! يوم نخر عمرو يمينه صبي ويضرب وجهه ! وحلف ليقنته ، فسأله القوم ألا يفعل ، لحلف ألا يقيم بموضع صنع به فيه هذا ، وليبيع أمواله حتى لا يورث بعده . فقال الناس بعضهم لبعض : اغتبنوا غصبة عمرو واشتروا منه قبل أن يرضى ، فابتاع الناس منه جميع ما هو له بأرض مأرب ، وفشا بعض حديثه فباع أناس من الأزد ، فلما كثر البيع استنكر الناس ذلك فأمسكوا عن الشراء ، فلما اجتمعت لعمر وأمواله أخبر الناس بشأن سبيل العريم ونرج من اليمن ، ونرج

(١) المراد بالحصباء هنا أشبه بالبور التي تخرج بالبدن وتظهر في الجلد .

(٢) الكرب (محركة) : أصول السعف التلاظ المراض التي تقطع معها .

لخروجه منها خلق كثير فزلوا أرض عك حتى مات عمرو بن عامر وتفترقوا بعده في البلاد؛ فمنهم من صار الى الشام، وهم أولاد جفنة بن عمرو بن عامر، ومنهم من صار الى يثرب، وهم أبناء قبيلة الأوس والخزرج، وأبوها حارثة بن نعلبة بن عمرو ابن عامر، وصارت أزد الشراة الى أرض الشراة، وأزد عمان الى عمان، ومالك بن فهم الى العراق .

ثم خرجت بعد عمرو بيسير من أرض اليمن طيء فنزلت بجبلى طيء : أجا وسلمى ، ونزل ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر تهامة، وسموا خراة لانخراعتهم [من أخواتهم ^(١)] ، وتمزقوا في البلاد كما أخبر الله تعالى عنهم فقال : ﴿ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴾ ثم أرسل الله عز وجل السيل على السد فهب به .

وأختلف في العريم ماهو؟ فقيل : السد واحده عريمة ، وقيل : هو الجرد . وكان السد فيما يذكر قد بناه لثمان الأكبر بن عاد، وكان صفه لمجارة السد بالترصاص فربما في فرسخ . ويقال : إن الذي بناه كان من ملوك حمير . وقد ذكر ذلك ميمون ابن قيس الأعشى فقال :

وفي ذلك للوثى أسوة * وما رب عفى عليها العريم
رُحام بنته لهم حمير * إذا جاء مواره لم يرم
فصاروا أيادي ما يقدر * ن منه على شرب طفيل فطم
فأروى الزروع وأعشابها * على سعة ماؤها إذ قسم

(١) زيادة من شرح قصيدة ابن عبدون .

الباب الخامس

من القسم الرابع من الفن الخامس

في أيام العرب ووقائعها في الجاهلية ، وأنها لمن مآثرها السنية ، وإذا تأملها المتأمل دلته على مكارم أخلاقهم وكرم نجارهم ، وحققت عنده أنهم ما أجمعوا عن طلب أوتارهم ، وعلم مكافاتهم للأقران ، وسماحتهم بالنفوس والأبدان ، وإقدامهم على الموت ، ومبادرتهم عند الإمكان خشية القوت .

وقيل لبعض الصحابة رضى الله عنهم : ما كنتم تتحدثون به إذا خلوتم في مجالسكم؟ فقال : نتناشد الشعر وتحدث بأخبار جاهليتنا .

وقال بعضهم : وددت أن لنا مع إسلامنا كرم أخلاق آبائنا في الجاهلية .
 ألا ترى أن عنزة الفوارس جاهل لا دين له ، والحسن بن هانئ إسلامي ، فمنع
 ١٠ عنزة كرمه ما لم يمنع ابن هانئ دينه ، فإن عنزة يقول :

وأغض طرفي إن بدت لي جارتى * حتى يوارى جارتى ماواها

$\frac{109}{13}$

وقال أبو نؤاس الحسن بن هانئ :

كأن الشباب مطيبة الجهل * ومحسن الضحكات والمزحل

١٥ والباعثي والناس قد هجموا * حتى أبيت خليفة البعل^(١)

وسأذكر من وقائعهم ما يقوى الجنان ، ويبعث الجبان .

(١) في ديوانه : « رقدوا » بدل هجموا .

ذكر وقعة طَسَمَ وجَدِيسُ

وطَسَمُ بْنُ لَأَوْدِ بْنِ إِرَمَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَجَدِيسُ بْنُ عَابِرِ بْنِ إِرَمَ
ابنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهَمَّ الْعَرَبُ الْعَارِبَةُ، عَلَى مَا ذَكَرَ بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ .
وَكَانَ مَنزَلُهَا الْبَيْمَامَةَ، وَأَسْمُهَا فِي وَقْتِهِمْ جَوْ، وَكَانَ الْمَلِكُ عَلَيْهِمَا رَجُلًا مِنْ طَسَمٍ يُقَالُ لَهُ:
عَمَلِيْقُ، وَكَانَ غَشُومًا ظَلُومًا . وَكَانَ سَبَبُ فَنَائِمَا أَنْ عَمَلِيْقًا أَتَتْهُ ذَاتَ يَوْمٍ أَمْرَأَةٌ
أَسْمُهَا هَزْرَبْلَةُ بِنْتُ مَائِزِ بْنِ زَوْجِهَا أَسْمُهُ مَاشُ . وَكَانَ قَدْ طَلَّقَهَا وَأَرَادَ أَنْ يَأْخُذَ وَلَدَهُ
مِنْهَا، فَتَرَفَعَا إِلَيْهِ لِيُحْكَمَ بَيْنَهُمَا، فَقَالَتْ هَزْرَبْلَةُ: «أَيُّهَا الْمَلِكُ، هَذَا ابْنِي حَمَلْتُهُ تِسْعًا،
وَوَضَعْتُهُ دَقْعًا، وَأَرْضَعْتُهُ شَفْعًا، وَلَمْ أَنْلِ مِنْهُ نَفْعًا، حَتَّى إِذَا تَمَّتْ أَوْصَالُهُ، وَأَسْتَوَتْ
خِصَالُهُ، أَرَادَ أَنْ يَأْخُذَهُ مِنِّي قَهْرًا وَيَسْلُبْنِيهِ سِرًّا، وَيَتْرِكُ يَدِي مِنْهُ صِفْرًا» . فَقَالَ
الزَّوْجُ: «قَدْ أَخَذْتِ الْمَهْرَ كَامِلًا، وَلَمْ أَنْلِ مِنْكِ طَائِلًا، إِلَّا وَوَلَدًا جَاهِلًا، فَأَفْعَلُ
مَا كُنْتُ فَاعِلًا» . فَأَمَرَ الْمَلِكُ أَنْ يُجْعَلَ الْوَلَدُ فِي غَدَانِهِ، فَقَالَتْ هَزْرَبْلَةُ:

أَتَيْنَا أَخَا طَسَمٍ لِيُحْكَمَ بَيْنَنَا * فَأَبْرَمَ حُكْمًا فِي هَزْرَبْلَةَ ظَالِمًا
لَعَمْرِي لَقَدْ حُكِمْتَ لَا مُتَوَرِّعًا * وَلَا فِيمَا عِنْدَ الْحُكُومَةِ عَلِيمًا
نَدِمْتُ فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى مُتَخَرِّجٍ * وَأَصْبَحَ زَوْجِي عَائِرَ الرَّأْيِ نَادِمًا

- (١) البيمامة: مدينة بالبادية من بلاد العوالي، وبها قد تني مسيلة الكذاب، وهي بلاد بني حنيفة،
وهي عن البصرة ست عشرة مرحلة، وعن الكوفة مثل ذلك. (راجع تقويم البلدان لأبي الفدا).
(٢) في الأغاني (ج ١١ ص ١٦٤ طبع دارالكتب المصرية): «قرقس» .
(٣) في الأغاني: «ودنا فضاله» . (٤) في الأغاني: «كرها»، ويركض من بعده ورها» .
(٥) في الأغاني: «إلا وليدا حاملا» .

- (٦) في الصبح المنسبر (ص ٧٥ طبع أوربا): «حكمت» بفتح الناء على الخطاب . ورواية
الشرط الثاني فيه هكذا: * ولا كنت ممن يبرم الحكم عابسا *
ورواية الأغاني هكذا: * ولا كنت فيما تبرم الحكم عابسا *

فلما بلغ عمليقاً ذلك غَضِبَ وأقسم أنه لا تُهْدَى عَرُوسٌ في جَدِيسٍ لبعليها حتى يكون هو الذي يبدأ بها قبل زَوْجها . فلم يزل على ذلك دهراً حتى أُهْدِيَتْ عَفِيرَةٌ^(١) بنت عَفَّارِ الجَدِيسِيَّةِ أخت الأَسْوَدِ بنِ عَفَّارِ سَيِّدِ جَدِيسٍ إلى بعليها ، ويقال : إنَّ اسمها الشُّمُوسُ ، فُحِمَّتْ إلى عَمِليقٍ ، فلما أفرغها وخرَّ سبيلها خرجت على قومها في دماها شاقَّةً جيبها عن قُبُلِها ودُبُرِها وهي تقول :

لا أَحَدٌ أَذَلَّ من جَدِيسٍ * هكذا يُفَعَّلُ بالعَرُوسِ
يرضَى بهذا بالقَوِي حُرٌّ * أَهْدَى وقد أعطى وسبقَ المَهْرُ
لأخذة الموتِ كذا لنفسه * خَيْرٌ منَّ أنْ يُفَعَّلَ ذا بَعْرِسِهِ
ثم قالت تحرَّضَ جَدِيساً على طَسَمِ :

أَيضاحٌ ما يُوْتَى إلى فِتْيَانِكُمْ * وأنتم رجالٌ فيكمُ عددُ الرَّمْلِ^(٢)
أَيضاحٌ تَمَشِي في الدِّماءِ فِتْيَانِكُمْ * صَبِيحَةَ زُفَّتْ في النِّساءِ إلى البعلِ
فإن كستمو لا تفضَّبوا عند هذه * فكونوا نساءً لا تَفِيقُ من الكُحْلِ
ودونكم طيبُ العروسِ فإِنما * خُلِقْتُمْ لأثوابِ العرائسِ وللغسلِ
فلو أننا كُنَّا رجالاً وكنتم * نساءً لَكُنَّا لا تُفَرِّزُ على الذَّلِّ
فُجِبَحا ومُحَقَّقا للذي ليس دافعا * ويختالُ يَمَشِي بيننا مِشِيَّةَ الفحلِ
فوتوا كراماً وأصبروا لعدوكم * لحربٍ تَلْطَى بالضَّرامِ من الجَزْلِ
ولا تجزَّعوا في الحربِ بأقومِ إنَّها * تقومُ بأقومِ كرامٍ على رِجْلِ

(١) ورد في الأغاني (ج ١١ ص ١٦٥ طبع دار الكتب المصرية) : « عفيرة » مضبوطا بالقلم (بفتح العين وكسر الفاء) وصوابه كما ورد في لسان العرب والقاموس وشرحه مادة عفر (ضم العين وفتح الفاء بصيغة التصغير بفتح هاء) وهو ما أئتمناه هنا . (٢) كذا في الأصول والصحح المنير وشرح قصيدة ابن عبدون والكامل لابن الأثير (ج ١ ص ١٥٤ طبع أوروبا) . وفي الأغاني (ج ١١ ص ١٦٨ طبع دار الكتب المصرية) : « عاد » . (٣) كذا في الأصول ، وفي الأغاني والصحح المنير وشرح قصيدة ابن عبدون : « النمل » .

(١)

فَأَجْتَمَعَتْ جَدِيدِسٌ فَقَالَ لَهُمُ الْأَسْوَدُ بْنُ عَفَّارٍ، وَكَانَ مُطَاعًا فِيهِمْ: لِتَطِيعُنِي [فَمَا أَمْرُكُمْ بِهِ] أَوْ لَا تَكُونَنَّ عَلَيَّ سَيْفِي حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ ظَهْرِي . قَالُوا : فَإِنَّا نَطِيعُكَ . قَالَ : إِن تَطْمَئِنَّا لَيْسُوا بِأَعَزَّ مِنْكُمْ ، وَلَكِنْ مُلْكُ صَاحِبِهِمْ هُوَ الَّذِي يُدْعِنُنَا إِلَيْهِمْ بِالطَّاعَةِ ، وَلَوْ آمَتْنَعْتُمْ مِنْهُمْ لَكَانَ لَكُمْ النُّصَفُ^(٢) . قَالُوا : إِن الْقَوْمَ أَكْثَرُ مِنَّا عَدَدًا وَعُدَدًا . قَالَ : إِنِّي صَانِعٌ طَعَامًا فَأَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ، فَإِذَا جَاءُوكُمْ مُتَفَضِّلِينَ فِي الْحُلَلِ نَهَضْنَا إِلَيْهِمْ بِأَسْيَافِنَا . فَقَالَتْ عَفِيرَةُ لِأَخِيهَا : لَا تَفْعَلْ ! فَإِنَّ الْعُدْرَةَ ذَلَّةٌ وَعَارٌ ، وَلَكِنْ كَاثِرُوا الْقِسْمَ فِي دِيَارِهِمْ فَتَنْظَرُوا أَوْ تَمُوتُوا كِرَامًا . قَالَ : بَلْ نَمَكُّهُمْ فَتَكُونُ أَمَكَّنَ مِنْهُمْ . ثُمَّ صَنَعَ الْأَسْوَدُ طَعَامًا وَأَمَرَ قَوْمَهُ أَنْ يَخْتَرِطُوا سِيُوقَهُمْ ثُمَّ يَدْفِنُوهَا فِي الرَّمْلِ . وَدَعَا عَمَلِيْقًا وَقَوْمَهُ ، فَلَمَّا أَتَوْا اسْتَنَارَتْ جَدِيدِسُ السِّيُوفَ وَشَدُّوا عَلَيْهِمْ فَمَا أَفَلَتْ مِنْهُمْ إِلَّا رِيَّاحُ بْنُ مُرَّةَ ، فَفَزَّ إِلَى حَسَّانَ بْنِ تَبَعٍ فَاسْتَاغَاثَ بِهِ وَأَخْبَرَهُ بِمَا صَنَعْتَهُ جَدِيدِسُ بِطَسْمَ فَوَعَدَهُ النَّصْرَةَ ، ثُمَّ نَادَى حَسَّانَ فِي حَمِيرٍ بِالْمَسِيرِ وَأَخْبَرَهُمْ بِمَا صَنَعَتْ جَدِيدِسُ بِطَسْمَ ؛ فَقَالُوا : وَمَا جَدِيدِسُ وَطَسْمُ ؟ قَالَ : هُمَا أَخَوَانٌ . قَالُوا : فَمَا لَنَا فِي هَذَا مِنْ أَرْبٍ . قَالَ حَسَّانُ : أَرَأَيْتُمْ لَوْ كَانَ هَذَا فِيكُمْ أَكَانَ حَسَنًا لِلْمَلِكِ أَنْ يُهْدِرَ دِمَاءَكُمْ . وَمَا عَلَيْنَا فِي الْحُكْمِ إِلَّا أَنْ نُنْصِفَ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ . فَقَالُوا : الْأَمْرُ أَمْرُكُمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ فَمُرْنَا بِمَا أَحْبَبْتَ . فَأَمَرَهُمْ بِالْمَسِيرِ ، فَسَارُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا مِنَ الْيَمَامَةِ عَلَى ثَلَاثِ لَيَالٍ قَالَ رِيَّاحُ بْنُ مُرَّةَ لِحَسَّانَ بْنِ تَبَعٍ : أَيُّبَتَ اللَّعْنِ ! إِن لِي أَخَانًا مَتَرُوجَةً فِي جَدِيدِسٍ تَنْظُرُ الرَّاكَبَ عَلَى مَسِيرَةِ ثَلَاثِ لَيَالٍ وَأَخَافُ أَنْ تُنْذِرَ قَوْمَهَا ، فَأَمَرَ كُلَّ إِنْسَانٍ أَنْ يَقْتُلَ شَجَرَةً مِنَ الْأَرْضِ وَيَجْعَلَهَا أَمَامَهُ ، فَأَمَرَهُمْ حَسَّانُ بِذَلِكَ . ثُمَّ سَارُوا ، فَنَظَرَتْ أُخْتُ رِيَّاحٍ فَقَالَتْ : يَا جَدِيدِسُ ! لَقَدْ سَارَتْ إِلَيْكُمْ الشَّجَرُ . فَقَالُوا لَهَا :

(١) التكلة من شرح قصيدة ابن عبدون . (٢) النصف (بالتحريك) : إعطاء الحق .

(٣) كذا في شرح قصيدة ابن عبدون . وفي الأصل : « يضع » .

وما ذلك؟ قالت: أرى شجراً، من ورائه بشراً، وإني لا أرى رجلاً من وراء شجرة ينهش كيفاً أو يخصف نعلاً، فكذبوها وغفلوا عن أخذ أهبة الحرب حتى صبحتهم حمير. ففي ذلك تقول زرقاء الجمالة:

- حُدُوا لَهُمْ حِذْرَكُمْ يَا قَوْمُ يَنْفَعَكُمْ * فليس ما قد أراه اليوم يحتقر
إني أرى شجراً من خلفه بشر * فكيف تجتمع الأشجار والبشر
صُفُوا الطوائف منكم قبل داهية * من الأمور التي يخشى وتنتظر
إني أرى رجلاً في كفِّه كيف * أو يخصف النعل خصفاً ليس يعتذر
ثُورُوا بِاجْمَعِكُمْ فِي وَجْهِ أَوْلِهِمْ * فإن ذلك منكم - فأعلموا - ظفر
وَعُورُوا كُلَّ مَاءٍ دُونَ مَنَزِلِهِمْ * فليس من دونه نخس ولا ضرر
أَوْ عَاجِلُوا الْقَوْمَ عِنْدَ اللَّيْلِ إِنْ رَقَدُوا * وَلَا تَخَافُوا لَهَا حَرْبًا وَإِنْ كَثُرُوا

- فلما كان حساناً على مسيرة ليلة عاباً جيشه ثم صبحهم فاستباح الجيامة قتلاً وسبياً،
وهرب الأسود حتى نزل بطيء فأجاروه من كل من يطلبه وهم لا يعرفونه. وقبيلته
في طيء مذكورة. ثم إن حساناً أمر بالجيامة فترع عيبتها فإذا في داخلها عروق سود،
فسألها عن ذلك فقالت: حجر أسود كنت أكتحل به يقال له الإنميد فنبت لي
بصرى. وقيل: إنها أول من أكتحل بالإنميد؛ فأمر بها فصليت على باب جؤ.
وقيل: سُمي جؤ بالجيامة من ذلك الوقت. وفي ذلك يقول رباح بن مرة لما
أخذ بثاره:

(١) يعتذر: تريد أنه لا عذر له في خصفها. وفي شرح قصيدة ابن عبدون: «يعتسر» وأشير
في الهامش إلى رواية «يعتسر». وفي الصبح المنير (ص ٨٢ طبع أوربا): «يعتذر» وأشير
في الهامش إلى رواية «يعتسر».

(٢) كذا في الصبح المنير وشرح قصيدة ابن عبدون. وفي الأصول: «دونهم»
(٣) كذا في الأصول وشرح قصيدة ابن عبدون. وفي الصبح المنير: «لهم».

عَدَرَ الْحَيَّ مِنْ جَدِيدِيسِ بَطْمَم * آلَ طَسْمَمِ كَمَا تُدَدَانِي تُدِينِي
 قَدْ أَتَيْنَاهُمْ يَوْمَ كِيَوْمِ * تُرْكُوا فِيهِ مِثْلَ مَا تُرْكُونِي
 لَيْتَ طَنَّمَا عَلَى مَنَازِلِهَا تَه * لَمْ أُنِّي قَضَيْتُ عَنِّي دُبُونِي
 وقد كثرت الشعراء قصبة هذه المرأة وجوّ . فن ذلك قول الأعشى على
 رواية ابن قتيبة :

قَالَتْ أَرَى رَجُلًا فِي كَفِّهِ كَتِفٌ * أَوْ يَخْصِفُ النَّعْلَ لَهْفِي آيَةً صَنَعًا^(١)
 فَكَذَّبُوهَا بِمَا قَالَتْ فَصَبَّحَهُمْ * ذُو آلِ حَسَّانَ يُزْجِي السَّمَّ وَالسَّلْعَا^(٢)
 فَاسْتَزَلُّوا آلَ جَوٍّ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ * وَهَدَمُوا رَافِعَ الْبَيْتَانِ فَأَتَضَعَا^(٣)
 وروى ابن إسحاق :

كُونِي كَمَثَلِ التِّي إِنْ غَابَ وَاحِدُهَا^(٤) * أَهْدَتْ لَهُ مِنْ بَعِيدِ نَظْرَةٍ جَزَعًا
 ثم أتى بالأبيات التي ذكرها ابن قتيبة . وقال المصيب بن علس :

لَقَدْ نَظَرْتُ عَيْنٌ إِلَى الْخِزَعِ نَظْرَةً * إِلَى مِثْلِ مَوْجِ الْمُتَعَمِّمِ الْمُتَلَاظِمِ
 إِلَى خَيْرِ إِذْ وَجَّهُوا مِنْ بِلَادِهِمْ * تَضَيِّقُ بِهِمْ لِأَيِّ فِرْوَجِ الْخَمَارِمِ^(٥)

(١) كذا في الصبح المنير ، تريد أنها تلهفت حين لم تستبهه أي الفعلان فعل . وفي الأصول وشرح
 قصيدة ابن عبدون : « لهما آية » .

(٢) السلع (بالتحريك) : شجر مرّ وله ثمر مثل عناقيد العنب صغار ، فإذا أينع أسود فتأكله
 القرود ولا تأكله الناس ولا السائمة ، وفي الصبح المنير : « ... يزجي الموت والشرا » . والشرا
 (بالكسر) : الأوتار ، واحده شرعة .

(٣) في الأصول وشرح قصيدة ابن عبدون : « فأسما » وما أئتناه عن الصبح المنير ، وفيه :

« شاخص » بدل « رافع » . وفي شرح قصيدة ابن عبدون : « يافع » .

(٤) في الصبح المنير : « إذ غاب وافدها » .

(٥) الخارم : واحده مخرم (بكسر الراء) وهو مقطع أنف الجبل .

وفيها يقول التِّرْبُ بنُ تَوَلَّبٍ :

وفاتَّهَمَ عَنزُ غَدَاةٍ تَبَيَّنَتْ * من بعد مرأى في الفضاءِ ومُسَمَّعٍ
 قالت أرى رجلاً يَقلِّبُ نَعْلَهُ * تَقْلِبَ ذِي وَصَلٍ لَهُ وَمُسَمَّعٍ
 ورأت مَقْدَمَةَ الخَمِيسِ ودُونَهَا * رَكُضَ الحِيَادِ إِلَى الصُّبْحِ يُتَّبَعُ

ذِكْرُ حُرُوبِ قَيْسِ فِي الجَاهِلِيَّةِ

يَوْمُ مَنَعِجٍ لَفْنَى عَلَى عَبَسٍ

- (١) يَوْمُ مَنَعِجٍ . هُوَ يَوْمُ الرِّدْهَةِ وَفِيهِ قُتِلَ شَاسُ بْنُ زُهَيْرِ بْنِ جَدِيمَةَ بْنِ رَوَاحَةَ العَبَسِيُّ ؛
 قَتَلَهُ رِيَّاحُ بْنُ الأَشْثَلِ العَنَوِيُّ . وَذَلِكَ أَنَّ شَاسًا أَقْبَلَ مِنَ عِنْدِ النِّعْمَانِ بْنِ المُنْذِرِ وَقَدْ
 أَجْزَلَ حِبَاءَهُ . وَكَانَ مِنْ حِبَائِهِ قَطِيفَةٌ حَمْرَاءُ ذَاتِ هُدْبٍ وَطِيبٌ ؛ فَوْرَدَ مَنَعِجًا — وَهُوَ
 ١٠ مَاءٌ لَفْنَى — فَأَنَاحَ رَاحِلَتَهُ إِلَى جَانِبِ الرِّدْهَةِ وَعَلَيْهَا خِبَاءُ لِرِيَّاحِ بْنِ الأَشْثَلِ ، وَجَعَلَ
 يَغْتَسِلُ وَأَمْرَأَةٌ رِيَّاحٌ تَنْظُرُ إِلَيْهِ ، وَهُوَ كَالثَّوْرِ الأَبْيَضِ ، فَأَتْرَعَهُ رِيَّاحٌ بِسَهْمٍ فَقَتَلَهُ ،
 وَضَمَّ مَتَاعَهُ وَنَحَرَ نَاقَتَهُ وَأَكَلَهَا وَغَيَّبَ أُنْثَى . وَفُقِدَ شَاسُ بْنُ زُهَيْرٍ ، حَتَّى وَجَدُوا
 القَطِيفَةَ الحَمْرَاءَ بِسُوقِ عَكَاظٍ قَدْ بَاعَتَهَا أَمْرَأَةٌ رِيَّاحٌ ، فَعَلِمُوا أَنَّ رِيَّاحًا صَاحِبَ
 نَارِهِمْ ، فَغَزَّتْ بَنُو عَبَسٍ غَنِيًّا قَبْلَ أَنْ يَطْلُبُوا قَوْدًا أَوْ دِيَّةً ، مَعَ الحُصَيْنِ بْنِ زُهَيْرِ
 ١٥ ابْنِ جَدِيمَةَ وَالحُصَيْنِ بْنِ أَسِيدِ بْنِ جَدِيمَةَ . فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ غَنِيًّا قَالُوا لِرِيَّاحٍ : ائْتِجْ ، لَعَلَّنَا

(١) منعج (بفتح فسكون فكسر) : واد يأخذ بين حفر أبي موسى والنباج ويدفع في بطن فلج .

(٢) الردهة : (بسكون الدال المهملة) : الفقرة في الجبل أوفى الصخرة يستنقع فيها الماء .

(٣) في الكامل لابن الأنسیر (ج ١ ص ١١ ؛ طبع أوربا) : « رباح » بالباء الموحدة ، وفي

الأغانى (ج ١١ ص ٧٦ طبع دار الكتب المصرية) . « رباح من الأسك » .

(٤) الهدب بسكون الدال المهملة وضمتها) : أطراف الثوب عما يلي طرته .

نُصالح القوم على شيء [أو نرضيهم بديهة] ^(١) . فخرج رياح رديفاً لرجل من بني كلاب،
وهما يظنان أنهما قد خالفا وجهه القوم؛ فترصد ^(٢) على رؤوسهما فصرصر، فما راعهما
إلا خيل بني عبس، فقال الكلابي لرياح: انحدر من خلفي وألتبس نققاً في الأرض
فإني شاغل القوم عنك، فأنحدر رياح من عجز الجمل حتى أتى ضفة ^(٣) فأحتفر تحتها
مثل مكان الأرب ووج فيه، ومضى صاحبه، فسألوه فقال: هذه غني جامعة،
وقد آستمكتم منهم، فصدقوه واخلوا سبيله، فلما ولي رأوا مركب الرجل خلفه
فقالوا: من الذي كان خلفك؟ فقال: لا كذب! رياح بن الأشل، وهو في أولئك
الصعدات. ^(٤) فقال الحصبينان لمن معهما: قد مكنتنا الله من ثأرنا ولا نريد أن يشركنا
فيه أحد، فوقفوا عنهما، ومضياً ليعلا يريغان رياحا بين الصعدات، فقال لهما: هذا
غز الكا الذي تريغانه، فابتدراه فرمى أحدهما بسهم فأقصده ^(٥)، فطمعنه الآخر فأخطاه،
ومرت به الفرس، فاستدبره رياح بسهم فقتله ثم أتى قومه. ففى ذلك يقول
الكبيت بن زيد الأسدي، وكانت له أمان من غني:

أنا ابن غني والداي كلاهما * لأمينٍ منهم في الفروع وفي الأصل

(١) الكلمة من كتاب الأغاني (ج ١١ ص ٧٩ طبع دار الكتب المصرية).

(٢) الرديف: الراكب خلف الراكب.

(٣) الصرد: طائر أبيض ضخم الرأس يكون في الشجر، نصفه أبيض ونصفه أسود؛ وهو من سباع
الطير، ضخم المقار عظيم البرنز، كانت العرب تطير من صوته.

(٤) كذا في الأغاني. والصفة: جانب النهر أو الوادي. وفي الأصل: «صعدة».

(٥) في الأغاني: «... في الأول من السمرات».

(٦) أقصده: الإقصاء: أن تضرب الشيء أو ترميه فيموت مكانه، ويقال: أقصدت الرجل

إذا طلعت أو رميته بهم فلم تخطى. مقالته فهو مقصد «بالبناء للجوهل».

هم أستودعوا زهرا نسيب بن سالم ^(١) * وهم عدلوا بين الحُصَيْنَيْنِ بالنَّيْلِ
وهم قتلوا شأسَ الملوك ورَعَمُوا * أباه زُهَيْرًا بِالْمَدَلَّةِ وَالتَّكَلِّ

يَوْمِ النَّفَرَاتِ ^(٢)

لبنى عامر على بنى عبس

- فيه قُتِلَ زُهَيْرُ بْنُ جَدِيَّةَ بْنِ رَوَاحَةَ الْعَبْسِيِّ . وَكَانَتْ هَوَازِنُ تُؤَدِّي إِلَيْهِ إِثَاوَةَ ،
فَاتَتْهُ عَجُوزٌ رَهَيْشُ مِنْ بَنِي نَضْرَ بْنِ مَعَاوِيَةَ بَسَمْنٌ فِي نَحْيٍ ^(٤) ، وَشَكَّتْ سَتِينَ تَتَابَعَتْ
عَلَى النَّاسِ ، فَذَاقَهُ فَلَمْ يَرْضَ طَعْمَهُ ، فَدَعَّهَا بِقَوْسٍ فِي يَدِهِ عَطِلٌ فِي صَدْرِهَا ^(٦) ،
فَأَسْتَلَقَتْ عَلَى قَفَاهَا مُنْكَشَفَةً ^(٧) ، فَتَسَأَلَى خَالِدُ بْنُ جَعْفَرٍ وَقَالَ : وَاللَّهِ لِأَجْمَلِنَ ذِرَاعِي
فِي عُنُقِهِ حَتَّى يُقْتَلَ أَوْ أُقْتَلَ . وَكَانَ زُهَيْرٌ مُقَدَّمًا فَتَفَرَّدَ مِنْ قَوْمِهِ بِبَيْتِهِ وَبَنَى أُخُوَيْهَ
أَسِيدَ وَزَيْنَبَاجَ يَرِيغَ الْغَيْثِ فِي عَشْرَ أَوَايَاتٍ لَهُ وَشَوْلٌ ؛ فَاتَاهُ الْحَارِثُ [بِنِ عَمْرٍو] ^(١١)

- (١) كذا في الأصول والعقد الفريد (ج ٣ ص ٦١ طبع بلاق) وفي الجزء الثاني من العقد الفريد
المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٤١٣ أدب ورقة ٦٨ ورد هذا الشطر هكذا: «هم
استودعوا زهرا نسيب بن سالم» .
(٢) كذا في معجم ما استعجم ، وقد ذكره في رسم «ركبة» وأشار إلى قتل زهير بن جذينة .
قال : قري (بفتح أوله ويسكن ثانيه بعدد راء مهمله مقصور على وزن فعل ، ويمد : موضع في بلاد
خطفان . وكذلك في العقد الفريد المخطوط . وفي الأصول والعقد الفريد المطبوع : «النفرات»
(بالقاف) . وفي الأغاني (ج ١١ ص ٨٤ ، ٨٥ طبع دار الكتب المصرية) : «النفرات» .
وكلاهما محرف . (٣) رهيش : ضعيفة أو مهزولة . (٤) النحي : الزق الذي يجعل فيه السم .
(٥) دعها : دفعها بعنف . (٦) قوس عطل : لا وتر فيها .
(٧) يريده انكشفت عورتها . (٨) تآلى : حلف . (٩) يريغ : يطلب .
(١٠) العشرة من النوق : التي مضى لخلها عشرة أشهر ثم لا يزال يطلق عليها هذا الأسم إلى ما بعد
الوضع ، فهي بعد الوضع عشرة أيضا . قال ابن الأثير : قد اتسع في هذا حتى قيل لكل حامل عشرة .
والشول : جمع شائلة ، على غير قياس ، وهي النساة التي أتى عليها من يوم نتاجها سبعة أشهر تحف لينها
وأرتفع ضرعها . (١١) زيادة من الأغاني .

أَبْنُ الشَّرِيدِ، وَكَانَتْ تُمَاضِرُ بَنَةَ [عَمْرُو بْنِ] الشَّرِيدِ تَحْتَ زُهَيْرٍ، فَلَمَّا عَرَفَ الْحَارِثُ
 مَكَانَهُ أَنْذَرَ عَلَيْهِ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَهْطَ خَالِدِ بْنِ جَعْفَرٍ، فَرَكِبَ مِنْهُمْ سِتَّةً
 فَوَارَسَ فِيهِمْ خَالِدُ بْنُ جَعْفَرٍ وَصَخْرُ بْنُ الشَّرِيدِ وَخُنْدَجُ بْنُ الْبَكَّاءِ وَمَعَاوِيَةُ بْنُ عُبَادَةَ
 ١١٢
 ١٣
 ابْنُ عُقَيْلِ فَارِسِ الْمَزَارِ . وَيُقَالُ لِمَعَاوِيَةَ : الْأَخِيلُ ، وَهُوَ جَدُّ لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةِ . فَقَالَ
 أَسِيدُ زُهَيْرٍ : أَعَلَمْتَنِي رَاعِيَةً غَنِمِي أَنهَا رَأَتْ عَلَى رَأْسِ الثَّيِّبَةِ أَشْيَاحًا وَلَا أَحْسَبُهَا
 إِلَّا خَيْلَ بَنِي عَامِرٍ ، فَالْحَلْقُ بِنَا بِقَوْمِنَا . فَقَالَ لَهُ زُهَيْرٌ : " كُلُّ أَرْبٍ تَقُورٌ " وَكَانَ
 أَشْعَرَ الْقَفَا ، فَذَهَبَتْ مِثْلًا ، فَتَحَمَّلَ أَسِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ زُهَيْرٌ وَأَبْنَاءَهُ وَرِقَاءُ
 وَالْحَارِثُ . وَصَبَّحَتْهُمُ الْفَوَارِسُ فَأَرَمَدَتْ زُهَيْرُ فَرَسُهُ الْقَعْسَاءُ وَلَحِقَهُ خَالِدٌ وَمَعَاوِيَةُ
 الْأَخِيلُ ، فَطَعَنَ مَعَاوِيَةُ الْقَعْسَاءَ فَقَلَبَتْ زَهِيرًا ، وَخَزَّ خَالِدٌ فَرَفَعَ الْمُغْفَرَ عَنْ رَأْسِ
 زُهَيْرٍ وَقَالَ : يَا لِعَامِرٍ ائْتَلُونَا جَمِيعًا ! وَأَقْبَلَ مَعَاوِيَةُ فَضْرَبَ زُهَيْرًا عَلَى مَقْرُقِ رَأْسِهِ
 ١٠
 ضَرْبَةً بَلَغَتْ الدَّمَاعَ ، وَأَقْبَلَ وَرِقَاءُ بْنُ زُهَيْرٍ فَضْرَبَ خَالِدًا وَعَلَيْهِ دَرْعَانُ فَلَمْ تُغْنِ
 شَيْئًا ، وَأَجْهَضَ أَبْنَا زُهَيْرِ الْقَوْمِ عَنْ زُهَيْرٍ وَأَحْتَمَلَاهُ وَقَدْ أَتَّخَذَتْهُ الضَّرْبَةُ فَمَنْعُوهُ الْمَاءَ
 (٣)
 فَقَالَ : اسْقُونِي وَإِنْ كَانَتْ نَفْسِي فِيهِ ، فَسَقَوْهُ فَمَاتَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، فَقَالَ
 فِي ذَلِكَ وَرِقَاءُ بْنُ زُهَيْرٍ :

رَأَيْتُ زُهَيْرًا تَحْتَ كُلِّ خَالِدٍ * فَأَقْبَلْتُ أَسْمَى كَالْعَجُولِ أَبَادِرُ (٤)
 فَشَلَّتْ يَمِينِي يَوْمَ أَضْرِبُ خَالِدًا * وَيَمْنَهُ مَنَى الْحَدِيدِ الْمُظَاهِرُ

(١) الأرب : كثرة الشعر وطوله . والبعر الأرب ، وهو الذي يكثر شعر حاجبيه ، ينفر إذا ضربت
 الرمح شعرات حاجبيه .

(٢) أرمدت : عدت عدو الزم ، أى التعام .

(٣) أى نجاهم عنه ، ونجياهم عليه .

(٤) العجول من النساء والإبل : الرواة التي فقدت ولدها التكلى لمبطنها في جبتها وذهاها جزءا .

(١) قِيَالَتِ أَنِي قَبَلَ أَيَامِ خَالِدٍ * وَيَوْمِ زُهَيْرٍ لَمْ تَلِدْنِي تُمَاضِرُ
لِعَمْرِي لَقَدْ بَشَّرْتِ بِي إِذْ وُلِدْتِنِي * فَاذَا الَّذِي رَدَّتْ عَلَيْكَ الْبَشَائِرُ
وقال خالد بن جعفر في قتله زهيرا :

بل كيف تكفرتني هوازنُ بعدما * أعتقتهُم قَتَوَالِدُوا أَحْرَارَا
وقتلتُ رَهْمُ زُهَيْرَا بعدما * جَدَعَ الْأَنْوْفَ وَأَكْثَرَ الْأَوْتَارَا
وجعلتُ مَهْرَ بَنَاتِهِمْ وَدِيَاتِهِمْ * عَقَلَ الْمُلُوكَ هَجَاتِنَا وَبِكَارَا^(٢)

يَوْمُ بَطْنِ عَاقِلٍ

لذُبْيَانَ عَلَى بَنِي عَامِرٍ

فيه قُتِلَ خَالِدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ عَاقِلٍ . وَذَلِكَ أَنَّهُ قَدِمَ عَلَى الْأَسْوَدِ بْنِ الْمُنْذِرِ^(٤)
أَخِي النَّهْمَانَ وَمَعَهُ عُرْوَةُ الرَّحَالِ بْنِ عَتَبَةَ بْنِ جَعْفَرٍ ، فَالْتَقَى خَالِدُ بْنُ جَعْفَرٍ وَالْحَارِثُ
أَبْنُ ظَالِمِ بْنِ غَيْطِ بْنِ مِرَّةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ ذُبْيَانَ عِنْدَ الْأَسْوَدِ بْنِ الْمُنْذِرِ ، فَبَعَلَ خَالِدُ
يَقُولُ لِلْحَارِثِ بْنِ ظَالِمٍ : يَا حَارِي ، أَمَا تَشْكُرُ يَدِي عِنْدَكَ أَنْ قَتَلْتُ عَنْكَ سَيِّدَ قَوْمِكَ
زُهَيْرَا وَتَرَكْتُكَ سَيِّدَهُمْ ؟ فَقَالَ : سَأُجْزِيكَ شُكْرَ ذَلِكَ . فَلَمَّا نَزَحَ الْحَارِثُ قَالَ
الْأَسْوَدُ لِحَالِدٍ : مَا دَعَاكَ إِلَى أَنْ تَتَحَرَّشَ بِهَذَا الْكَلْبِ وَأَنْتَ ضَيْفِي ؟ فَقَالَ : إِنَّمَا
هُوَ عَبْدٌ مِنْ عَيْبِدِي ، وَلَوْ وَجَدْتَنِي نَائِمًا مَا أَيْقَظْتَنِي . وَأَنْصَرَفَ خَالِدُ إِلَى قُبَّتِهِ فَلَامَهُ

(١) هي تماضرت عمرو بن الشريد بن رباح .

(٢) في الأغاني : « أبكارا » .

(٣) بطن عاقل : موضع على طريق حاج البصرة بين رامتين وإمارة .

(٤) كذا في الأصول والعقد الفريد المخطوط ، وهو موافق لما جاء في الكامل لابن الأثير في إحدى

روايته ، وفي الرواية الأخرى أن الملك الذي اجتمع عنده خالد بن جعفر والحارث بن ظالم ثم قتل الحارث
خالدا في جواره ثم قتل أبسه بعد ذلك فأخذ يطارد الحارث لقتله أبته ومن استجار به ، هو النهمان
ابن امرئ القيس ملك الحيرة .

عُرْوَةُ الزَّحَالِ، ثم نَامَا وَأَشْرَجَتْ عَلَيْهِمَا الْقُبَّةُ^(١)، وكان مع الحارثِ تَبِيعٌ له من بنى مُحَارِبٍ يقال له نِحْرَاشُ، فلَمَّا هَدَّأت العيونُ أخرج الحارثُ ناقته وقال لِنِحْرَاشِ: كن لي بمكان كذا، فإن طلع كوكبُ الصبحِ ولم آتِكْ فَأَنْظُرْ أَحَبَّ البلادِ اليك فَأَعْمِدْ لها؛ ثم أنطلق الحارثُ حتى أتى قُبَّةَ خَالِدِ فَهَتَكَ شَرَجَهَا ثم وَلَجَّهَا وقتله، فنَادَى عُرْوَةُ عند ذلك: واجوَّارَ الملك! فأقبل إليه الناسُ، وسمع الأسودُ الهُتَافَ وعنده امرأةٌ من بنى عامرٍ يقال لها: المُتَجَرِّدَةُ، فشَقَّتْ جَيْبَهَا. ففي ذلك يقول عبد الله ابنُ جَعْفَدَةَ:

شَقَّتْ عَلَيْكَ العَامِرِيَّةُ جَيْبَهَا * أَسْفًا وَمَا تَبَكَّى عَلَيْكَ ضَلَالًا
يا حَارِ لو نَبَّهْتَهُ لَوَجَدْتَهُ * لا طَائِشًا رَعِشًا ولا مِعْزَالًا^(٤)
وأغْرَوْرَقَتْ عَيْنَايَ لما أَخْبَرْتِ * بالجَعْفَرِيِّ وَأُسْبِلْتَ إِسْبَالًا
فلنَقْتُلَنَّ بِخَالِدِ سَرَوَاتِكُمْ * ولنَجْعَلَنَّ لِلظَّالِمِينَ نَكَالًا
فإذا رَأَيْتُمْ عَارِضًا مَتَلِّلًا * مَنَّا فإِنَّا لا نُحَاوِلُ مَالًا

يَوْمُ رَحْرَحَانَ

لعامر على تميم

ولَمَّا هَرَبَ الحارثُ بنُ ظالمٍ وَنَبَّتْ به البلادُ بَلًا الى مَعْبَدِ بنِ زُرَّارةٍ فَأَجَارَهُ، فقالت بنو تميم لمعبد: مالك أويتَ هذا المشثومَ الأتكدَ وأغريتَ بنا الأسودَ؟ وخذلوه غير بنى ماوية وبنى عبدالله بن دارم. وبلغ الأحوص بن جعفر بن كلاب مكان الحارث بن ظالم، وأنه عند معبد بن زُرَّارة، ففزا معبدًا فالتقوا بِرَحْرَحَانَ^(٥) فَهَزِمَتْ

(١) أشرجت: جمعت . (٢) في الكامل لابن الأثير: «الجعفرية» .

(٣) الرمش (ككفف): الجبان . (٤) الميزال: من لارمحله .

(٥) رحرحان: اسم جبل قريب من عكاظ خلف عرفات .

بنو تميم وأسر معبد بن زُرارة، أسره عامر والطفيل أبنا مالك بن جعفر بن كلاب، فوفد لقيط بن زُرارة عليهما في فدائه فقال لهما : لكما عندي مائتا بعير، فقالا : أبانَهشَل، أنت سيد الناس، وأخوك معبد سيد مضر فلا تقبل فيه إلا دية ملك، فإني أن يزيدهم وقال : إن أبانا أوصانا ألا نزيد أحدا في ديتنا على مائتي بعير، وقال : لا توكلوا العرب أنفسكم ولا تزيدوا بفداءكم على فداء رجل منكم، ورحل لقيط عن القوم .

قال : فمِنَعُوا مَعْبِدًا الْمَاءَ وَضَارُوهُ حَتَّى مَاتَ هَزَالًا . وقيل : بل أبى معبد أن يُطعمَ شيئاً أو يُشربَ حتى مات هزَالًا . ففى ذلك يقول عامر بن الطفيل :

قَضَيْتُمَا الْجَوْنَ عَنْ عَبَسٍ وَكَانَتْ * مَنِيَّةُ مَعْبِدٍ فِينَا هُزَالًا

وقال جرير :

١٠ وَايَلَةَ وَاوْدَى رَحْرَحَانَ رَفَعْتُمُ^(١) * فِرَارًا وَلَمْ تَلُؤُوا رَفِيقَ النَّعَائِمِ
تَرَكَتُمُ أَبَا الْقَعْقَاعِ فِي الْغُلِّ مَعْبِدًا * وَأَيُّ أَخٍ لَمْ تُسَلِّمُوا لِلْأُدَاهِمِ

وقال أيضا :

وَيَرْحَرِحَانَ غَدَاةَ كُبَيْلِ مَعْبِدٍ * نَكِحْتَ فَنَاتِكُمْ بِغَيْرِ مَهْوَرٍ

يَوْمَ شِعْبِ جَبَلَةَ

١٥ لِعَامِرٍ وَعَبَسٍ عَلَى ذُبْيَانَ وَتَمِيمٍ

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : يومُ جَبَلَةَ أَكْبَرُ أَيَّامِ الْعَرَبِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا أَنْقَضَتْ وَقْعَةَ رَحْرَحَانَ جَمَعَ لَقِيْطُ بْنُ زُرَّارَةَ لِبْنِي عَامِرٍ وَأَبَّ عَلَيْهِمْ . وَبَيْنَ يَوْمِ

(١) كذا في القناص (ص ٢٢٩ ضع أوربا) . وفي الأصل : « فرتم » .

(٢) جَبَلَةَ : هَضْبَةٌ حَمْرَاءُ بَيْنَ الشَّرِيفِ وَالشَّرِيفِ : مَاءٌ لِبْنِي تَمِيمٍ . وَالشَّرِيفُ :

٢٠ مَاءُ لِبْنِي كَلَّابٍ . (٣) عِظَامُ أَيَّامِ الْعَرَبِ ثَلَاثَةٌ : يَوْمُ كَلَّابِ رَبِيعَةَ ، وَيَوْمُ جَبَلَةَ هَذَا ، وَيَوْمُ ذِي قَارٍ . وَكَانَتْ هَذِهِ الْأَيَّامُ كَذَلِكَ لِكَثْرَةِ مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمَقَاتِلِينَ .

رَحْرَحَانُ وَيَوْمَ جَبَلَةَ سَنَةَ . وَيَوْمَ جَبَلَةَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ بِأَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَهُوَ عَامُ
 مَوْلِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَكَانَتْ بَنُو عَبَّاسٍ يَوْمئِذٍ فِي بَنِي عَامِرٍ حُلَفَاءَ
 لَهُمْ ، فَاسْتَعَدَى لَقَيْطُ بْنُ ذُبَيْبَانَ لِعَدَاوَتِهِمْ لِبَنِي عَبَّاسٍ مِنْ أَجْلِ حَرْبِ دَاخِسَ ،
 فَاجَابَتْهُ غَطَفَانُ كُلُّهَا غَيْرَ بَنِي بَدْرٍ ، وَتَجَمَّعَتْ لَهُمْ تَمِيمٌ كُلُّهَا غَيْرَ بَنِي سَعْدٍ ، وَنَحَرَجَتْ
 مَعَهُ بَنُو أَسَدٍ لِحَلْفِ كَانِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ غَطَفَانِ ، ثُمَّ أَتَى لَقَيْطُ بْنُ الْجَوْنِ الْكِنْدِيَّ ^(١) وَهُوَ
 مَلِكُ هَجْرٍ [وَكَانَ يُحِبُّ مَنْ بَهَا مِنَ الْعَرَبِ] فَقَالَ لَهُ : هَلْ لَكَ فِي قَوْمٍ عَادِينَ قَدْ مَلَأُوا
 الْأَرْضَ نَعْمًا وَشَاءً ، فَأَرْسَلَ مَعِيَ أَبْنِيكَ فَمَا أَصْبَنَا مِنْ مَالٍ وَسَبِيٍّ فَلَهُمَا ، وَمَا أَصْبَنَا مِنْ
 دَرَمٍ فَلِي ، فَاجَابَهُ الْجَوْنُ إِلَى ذَلِكَ وَجَعَلَ لَهُ مَوْعِدًا رَأْسَ الْحَوْلِ ، ثُمَّ أَتَى لَقَيْطُ بْنُ النِّعْمَانَ
 ابْنَ الْمُنْذِرِ فَأَسْتَجِدَّهُ وَأَطْمَعَهُ فِي الْغَنَائِمِ ، وَكَانَ لَقَيْطُ بْنُ وَجِيهًا عَدُوًّا لِلْمُلُوكِ ، فَلَمَّا كَانَ
 عَلَى قَرْنِ الْحَوْلِ مِنْ يَوْمِ رَحْرَحَانَ أَقْبَلَتْ الْجِيُوشُ إِلَى لَقَيْطِ ، وَأَقْبَلَ سِنَانُ بْنُ أَبِي حَارِثَةَ
 الْمُرِّيَّ فِي غَطَفَانَ وَجَاءَتْ بَنُو أَسَدٍ ، وَأَرْسَلَ الْجَوْنُ أَبْنِيَهُ مَعَاوِيَةَ وَعَمْرًا ، وَأَرْسَلَ
 النِّعْمَانُ أَخَاهُ لِأَمَّةِ حَسَّانَ بْنِ وَبْرَةَ الْكَلْبِيِّ . فَلَمَّا تَوَافَوْا خَرَجُوا إِلَى بَنِي عَامِرٍ وَقَدْ
 أَنْذَرُوا بِهِمْ وَتَأَهَّبُوا لَهُمْ ، فَقَالَ الْأَحْوَصُ بْنُ جَعْفَرٍ ، وَهُوَ يَوْمئِذٍ رَحَى هَوَازِنَ
 لَقَيْسِ بْنِ زُهَيْرٍ : مَا تَرَى ؟ فَإِنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّهُ لَمْ يُعْرَضْ لَكَ أَمْرَانِ إِلَّا وَجَدْتَ
 فِي أَحَدِهِمَا الْمُخْرَجَ ! فَقَالَ قَيْسُ بْنُ زُهَيْرٍ : الرَّأْيُ أَنْ نَزْهَلَ بِالْعِيَالِ وَالْأَمْوَالِ حَتَّى

- (١) فِي الْأَغَانِي (ج ١١ ص ١٦٠ طبع دار الكتب المصرية) : « بَسِيعٌ وَنَحْمِسِينَ سَنَةً » .
 وَفِي النَّقَائِضِ (ص ٦٧٦ أورد) « بَسِيعٌ وَنَحْمِسِينَ سَنَةً » .
 (٢) الْجَوْنُ : هُوَ مَعَاوِيَةُ بْنُ أَكْلِ الْمُرَارِ الْكِنْدِيُّ سَمِيَ بِذَلِكَ لِشِدَّةِ سَوَادِهِ . وَفِي الْأَصْلِ :
 « الْجَوْنُ الْكَلْبِيُّ » .
 (٣) هَجْرٌ : مَدِينَةٌ بِالْبَحْرَيْنِ .
 (٤) التَّكْلَمَةُ مِنَ الْعَقْدِ الْفَرِيدِ لِأَبْنِ عَبْدِ رَبِّهِ (ج ٣ ص ٦٣ طبع بلاط) .
 (٥) النَّعْمُ (بِفَتْحَتَيْنِ) : الْإِبِلُ خَاصَّةً .

(١) تدخل شَعْبَ جَبَلَةَ فتقاتل القوم [دونها] من وجه واحد ، فإنهم داخلون عليك الشَّعْبَ ، وإن لَقِيْطًا رجلٌ فيه طَيْشٌ فسيقتحم عليك الجبل ، فأرى أن تأمر بالإبل فلا ترعى ولا تُسْقَى وتُعَقَل ، ثم تجعل الذراري وراء ظهورنا وتأمر بالرجالة فتأخذ بأذنان الإبل ، فإذا دخلوا علينا الشَّعْبَ حَلَّتْ الرجالة عُقْلَ الإبل ثم لَزِمَتْ أذنانها فإنها تتحدر عليهم وتنجح إلى مراعيها ووردها ، ولا يردُّ وجوهها شيء ، ويخرج الفرسان في أثر الرجالة الذين خلف الإبل فإنها تُحَطِّم ما لَقِيَتْ وتُقْبِل عليهم الخيل وقد حُطِّموا من عَلي . فقال الأحوص : نِعَمَ ما رأيت وأخذ برأيه ، وكان مع بني عامرٍ يومئذ بنو عَبَس ، وغنِيٌّ في بني كلاب ، وباهلةٌ في بني صَعْب ، والأبناء أبناء صَعَصَعَة . وكان رهط المعقَّر البارقي يومئذ في بني مُمَيْر بن عامر ، وكانت قبائل بجيلة كلَّها فيهم

غير قيس .

قال أبو عبيدة : وأقبل لَقِيْطٌ والملوكُ ومن معهم فوجدوا بني عامرٍ قد دخلوا شَعْبَ جَبَلَةَ فترلوا على فيه ، فقال لهم رجلٌ من بني أسد : خذوا عليهم فم الشَّعْب حتى يعطشوا ويجمعوا ، فأتوا حتى دخلوا عليهم الشَّعْب ، وكانوا قد عقَّلوا الإبل [وعطشوها] ثلاثة أمخاس ، وذلك اثنتا عشرة ليلة لم تُطعم شيئاً ، فلما دنوا حلَّوا عُقْلَها فأقبلت تهوى ، فظنَّ القوم عند ذلك أن الشَّعْب قد هدَّ عليهم ، والرجالة في آثارها آخذين بأذنانها فدقت كلُّها لَقِيْت ، فأنهزموا لا يلبثون على أحد ، وقُتِل لَقِيْطٌ وأسر حاجبُ بن زُرارة ، أسره ذُو الرُقَيْبَة ، وأسر سنانُ بن أبي حارثة المرِّي أسره عُرْوَة الرِّحَال ، فجز ناصيته وأطلقه ، وأسر عمرو بن أبي عمرو بن عدس ، أسره قيس بن المُسْتَفِق ، فجز ناصيته وخلاه طمعا في المكافأة فلم يفعل ، وقُتِل معاوية بن

١١٤
١٣

٢٠

(١) التكلة من العقد الفريد لابن عبد ربه (ج ٣ ص ٦٣ طبع بلاق)

(٢) التكلة من العقد الفريد (ج ٣ ص ٦٤ طبع بلاق)

الْحَوْنُ وَمُنْقَدُ بْنُ طَرِيفِ الْأَسَدِيِّ، وَمَالِكُ بْنُ رَبِيعِ بْنِ جَنْدَلِ بْنِ نَهْشَلٍ، قَالَ
جَرِيرٌ فِي ذَلِكَ :

كَأَنَّكَ لَمْ تَشْهَدْ لَقِيْطًا وَحَاجِبًا * وَعَمْرَوُ بْنُ عَمْرٍو إِذْ دَعَا بِأَلِ دَارِمِ
وَيَوْمَ الصَّفَا كَتَمَ عَيْدًا لِعَامِرٍ * وَبِالْحَزْنِ أَصْبَحْتُمْ عَيْدَ اللَّهَازِمِ
بِعْنَى بِالْحَزْنِ يَوْمَ الْوَقِيْطِ . وَقَالَ أَيْضًا فِي بَنِي دَارِمِ :

وَيَوْمَ الشَّعْبِ قَدْ تَرَكَوْا لَقِيْطًا * كَأَنَّ عَلَيْهِ نَحْمَلَةَ أَرْجُوَانَ
وَكُبْلَ حَاجِبٍ بِسَمَاءٍ حَوْلًا * فَكَمْ ذَا الرُّقِيْسَةِ وَهُوَ عَائِي
وَقَالَتْ دَخْتَنُوسُ أُخْتُ لَقِيْطِ تُرِي لَقِيْطًا :

فَرَّتْ بَنُو أَسَدٍ فَرَا * رَ الطَّيْرِ عَرَّ أَرْبَابَهَا
عَنْ خَيْرِ خِنْدَفٍ كُلِّهَا * مِنْ كَهْلِهَا وَشِبَابِهَا
وَأَتَمَّهَا حَسَبًا إِذَا * صُمَّتْ إِلَى أَحْسَابِهَا^(١)

يَوْمَ الْحَرِّيْبَةِ

وَفِيهِ قُتِلَ الْحَارِثُ بْنُ ظَالِمٍ

قَالَ أَبُو عَيْبَةَ : لَمَّا قُتِلَ الْحَارِثُ بْنُ ظَالِمِ خَالِدِ بْنِ جَعْفَرِ الْكَلَابِيِّ أَتَى صَدِيقًا
لَهُ مِنْ كِنْدَةَ . فَالْتَفَّ عَلَيْهِ وَطَلَبَهُ الْمَلِكُ نَخْفَى ذِكْرَهُ ، ثُمَّ شَخَّصَ مِنْ عِنْدِ الْكِنْدِيِّ
وَأَضْمَرْتَهُ الْبِلَادُ حَتَّى اسْتَجَارَ بَرِيَادُ أَحَدِ بَنِي عَجَلِ بْنِ لُجَيْمٍ ، فَقامَ بَنُو ذُهَلِ بْنِ ثَعْلَبَةَ^(٢)
وَبَنُو عَمْرٍو بْنِ شَيْبَانَ فَقَالُوا لِمَعْجَلٍ : أَخْرِجُوا هَذَا الرَّجُلَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ فَإِنَّهُ لَا طَاقَةَ

(١) هذه رواية الأصل والمقد الفرید (ج ٣ ص ٦٤ طبع بلاق) ورواية التفاض (ص ٦٦٦ طبع
أردبا) والأغاني (ج ١١ ص ١٤٦ طبع دارالكتب المصرية) هكذا :

بكر النعي بخير خند * يدف كهلهما وشبابها

وبخيرها نسبا إذا * عدت إلى أنسابها

(٢) اضمرت الأرض الرجل : غيبته إما بسفر أو بموت .

لنا بالشَّهَاءِ وَدَوَسَرَ، وهما كَتَيْبَتَانِ لِلْأَسْوَدِ بْنِ الْمَنْدَرِ، فَأَبَتْ عَجَلٌ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا رَأَى الْحَارِثُ بْنُ ظَالِمٍ ذَلِكَ كَرِهَ أَنْ تَقْعَ الْفِتْنَةُ بَيْنَهُمَا بِسَبِيهِ، فَأَرْتَحِلُ مِنْ بَنِي عَجَلٍ إِلَى جَبَلِ طَيْءٍ فَأَجَارُوهُ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ :

لَعَمْرِي لَقَدْ حَلَّتْ فِي الْيَوْمِ نَاقِي * إِلَى نَاصِرٍ مِنْ طَيْءٍ غَيْرِ خَازِلِ
فَأَصْبَحْتُ جَارًا لِلْمَجْرَةِ فِيهِمْ * عَلَى بَاذِيحٍ يَعْلُو يَدَ الْمُتَطَاوِلِ
إِذَا أَجَا لَقْتُ عَلَى شِعَابِهَا * وَسَلَّمِي فَأَنَّى أْتَمُّ مِنْ تَنَاوِلِي^(١)

فَكَثَّ عِنْدَهُمْ حِينًا . ثُمَّ إِنَّ الْأَسْوَدَ بْنَ الْمَنْدَرِ لَمَّا أُعْجِزَهُ أَمْرُهُ أَرْسَلَ إِلَى جَارَاتِهِ كُنَّ لِلْحَارِثِ بْنِ ظَالِمٍ اسْتَأْقِهِنَّ وَأَمْوَالَهُنَّ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْحَارِثُ، فَخَرَجَ مِنَ الْجَبَلَيْنِ فَأَنْدَسَ فِي النَّاسِ حَتَّى عَلِمَ مَكَانَ جَارَاتِهِ وَمَرَعَى إِبِلِهِنَّ فَأَتَاهُنَّ وَأَسْتَنْقِذَهُنَّ وَأَسْتَأْقِ إِبِلَهُنَّ فَالْحَقَهُنَّ بِقَوْمِهِنَّ . وَأَنْدَسَ فِي بِلَادِ غَطَفَانَ حَتَّى أَتَى سِنَانَ بْنَ أَبِي حَارِثَةَ الْمُتْرِيَّ وَهُوَ أَبُو هَرَمٍ بْنُ سِنَانَ مَدُوحُ زُهَيْرٍ . وَكَانَ الْأَسْوَدُ بْنُ الْمَنْدَرِ قَدْ اسْتَرَضَعَ ابْنَهُ شُرْحَيْلَ عِنْدَ سَلْمَى أَمْرَأَةِ سِنَانَ، وَهِيَ مِنْ بَنِي غَنَمِ بْنِ دُودَانَ بْنِ أَسَدٍ، فَكَانَتْ لَا تَأْمَنُ عَلَى ابْنِ الْمَلِكِ أَحَدًا، فَاسْتَعَارَ الْحَارِثُ بْنُ ظَالِمٍ سَرَجَ سِنَانَ، وَهُوَ فِي نَاحِيَةِ الشَّرْبَةِ، فَأَتَى بِهِ سَلْمَى أَمْرَأَةَ سِنَانَ وَقَالَ لَهَا : يَقُولُ لَكَ بَعْلُكَ : ابْعَثِي ابْنَكَ مَعَ الْحَارِثِ فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ اسْتَأْمِنَ لَهُ الْمَلِكُ، وَهَذَا سَرَجُهُ لَكَ آيَةً . قَالَ : فَرَزَيْتَهُ وَدَفَعْتَهُ إِلَيْهِ، فَأَتَى بِهِ نَاحِيَةَ مِنَ الشَّرْبَةِ فَقَتَلَهُ وَهَرَبَ مِنْ فُورِهِ، وَهَرَبَ سِنَانَ بْنُ أَبِي حَارِثَةَ . فَلَمَّا بَلَغَ الْأَسْوَدَ قَتْلَ ابْنِهِ شُرْحَيْلَ غَزَا بَنِي دُبْيَانَ فَقَتَلَ وَسَبَى، وَأَخَذَ الْأَمْوَالَ، وَأَغَارَ عَلَى بَنِي دُودَانَ رَهَطَ سَلْمَى، فَقَتَلَهُمْ وَسَبَاهُمْ، ثُمَّ وَجَدَ بَعْدَ ذَلِكَ نَعْلَى شُرْحَيْلَ فِي جَانِبِ الشَّرْبَةِ عِنْدَ بَنِي مُحَارِبِ بْنِ خَصْفَةَ، فَغَزَاهُمْ وَأَسْرَهُمْ وَأَحْمَى لَهُمُ الصِّفَا وَقَالَ : إِنِّي أَحْذِيكُمْ نِعَالًا، فَأَمْسَاهُمْ عَلَيْهَا، فَسَقَطَتْ أَقْدَامُهُمْ . ثُمَّ إِنَّ سَيَّارَ بْنَ عَمْرٍو بْنَ جَابِرِ

(١) أَجَا رَسَلِي : جَبَلَانِ لَطِي . .

(٢) عِبَارَةُ الْأَغَانِي (ج ١١ ص ١٠٧ طبع دار الكتب المصرية) : « فَأَنَابَ فِي غَمَارِ النَّامِرِ » .

الفَزَارِيُّ - احتمل للأسود ديةً أبته ألف بعير ورهنه بها قوسه ، فوفاه بها وقال في ذلك :

ونحن رهنا القوس مُتت فُوديتَ * بألف على ظهرِ الفَزَارِيِّ أَقرعَا
بعشِيرِ مِيثِينٍ للسلوكِ وفي بها ^(١) * لِيُحَمَدَ سَيَّارُ بْنُ عَمْرٍو فَأسرعَا

قال : ثم هرب الحارث فلحق بمعبد بن زُرارة فاستجار به فأجاره ، وكان من سببه وقعة رَحْرَحان التي تقدم ذكرها . ثم هرب حتى لحق بمكة وفريش لأنه يقال : إن مُرةً بن عوف بن سعد بن ذُبَيان إنما هو مُرةً بن عوف بن لؤي بن غالب ، فتوسل إليهم بهذه القرابة وقال في ذلك :

إذا فارقْتُ ثعلبةً بنَ سَعِيدِ * وإخوتهم نُسبتُ إلى لؤي
إلى نَسَبِ كَرِيمٍ غيرِ وَغَلِ * وحيٍّ من أكارِمِ كلِّ حَيٍّ
فإن يكُ منهم أصلى فمنهم * قوانينُ الإلهِ بنو قَصِيٍّ

فقالوا له : هذا نَسَبِ رَحِمِ كَرشَاءِ إذا استغنيتم عنها أدبرتم . قال : فشخص [الحارث] ^(٢) عنهم غَضْبَانِ وقال في ذلك :

ألا لستم منا ولا نحنُ منكمُ * برثنا إليكم من لؤي بنِ غالبِ ^(٣)
غدونا على نَشْرِ الحجازِ وأنتمُ * بمنشعبِ البَطحاءِ بين الأَخاشِبِ ^(٤) ^(٥) ^(٦) ^(٧)

وتوجه إلى الشام فليحَقَّ بيزيد بن عمرو الغساني فأجاره وأكرمه . وكانت ليزيد ناقةً مَحْجاةً ، في عتقها مَدِينَةً وَزِنَادَ وَصُرَّةَ مِلْحٍ ، يمتحن بها رعيته لينظر من يمتري عليه ،

(١) في الأغاني (ج ١١ ص ١١١ طبع دار الكتب المصرية) وترانة الأدب (ج ٣ ص ٣٠٤)

« سعى بها ... ليوفى » وقد صححها المرحوم الشقيطي : « سعى لها » . (٢) الرشاء : الجبل .

(٣) زيادة من العقد الفريد (ج ٣ ص ٦٧ طبع بلاق) . (٤) كذا في العقد الفريد . والنشر :

المتن المرتفع من الأرض ، أو ما أرتفع عن الوادي إلى الأرض وليس بالنليظ . (٥) انشعب

الطريق : تفرق . (٦) البطحاء : كل موضع منع . (٧) الأخاشب : جبال مكة .

- فَوَحِيَتْ أَمْرًا لُحَارِثٍ فَأَشْتَمَتْ شَجْمًا فَأَنْطَلِقَ إِلَى النَّاقَةِ فَأَتَقَحَّرَهَا وَأَنَاهَا بِشَحْمِهَا
 وَفُقِدَتْ النَّاقَةُ فَأَرْسَلَ إِلَى الْخُمْسِ التَّغْلِيَّ، وَكَانَ كَاهِنًا، فَسَأَلَهُ عَنْهَا، فَأَخْبَرَهُ أَنَّ الْخَارِثَ
 صَاحِبَهَا، فَهَمَّ بِهِ الْمَلِكُ ثُمَّ تَدَمَّ مِنْ ذَلِكَ، فَأَوْجَسَ الْخَارِثُ فِي نَفْسِهِ شَرًّا فَأَتَى الْخُمْسَ
 التَّغْلِيَّ فَقَتَلَهُ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ دَعَا بِهِ الْمَلِكُ فَأَمَرَ بِقَتْلِهِ، فَقَالَ: إِنَّكَ قَدْ أَجْرَيْتَنِي
 فَلَا تَغْدِرْنِي، قَالَ الْمَلِكُ: لَا ضَيْرَ إِنْ غَدِرْتُ بِكَ مَرَّةً فَقَدْ غَدِرْتُ بِمِثْرَارًا، وَأَمَرَ
 ابْنَ الْخُمْسِ بِقَتْلِهِ، وَأَخَذَ ابْنُ الْخُمْسِ سَيْفَ الْخَارِثِ، فَأَتَى بِهِ سَوْقَ عُكَاظَ فِي الْأَشْهُرِ
 الْحَرَمِ، فَأَرَاهُ قَيْسَ بْنِ زَهْرٍ الْعَبْسِيِّ فَضْرَبَهُ بِهِ قَيْسٌ فَقَتَلَهُ .

ذِكْرُ حَرْبِ دَا حِيسَ وَالْغَبْرَاءِ

وهي من حروب قيس

- ١٠ قال أبو عبيدة: حربُ داحيسَ والغبراءِ بين عيسَ وذُبْيَانَ ابْنَيْ بَغِيضَ
 ابْنِ رَيْثِ بْنِ غَطَفَانَ . وكان السبب الذي هاجمها أن قيسَ بنَ زهيرٍ وحملَ
 ابنَ بدرٍ تراهنا على داحيسَ والغبراءِ أيهما يكون له السبقُ . وكان داحيسٌ حَمَلًا
 لقيسَ بنِ زهيرٍ . والغبراءُ حَجْرٌ لِحَمَلِ بْنِ بَدْرِ، فتواضعا الرَّهَانُ على مائةِ بعيرٍ، وجعلوا

(١) تدم: استنكف . (٢) اسم « مالك » كما في الأغاني (ج ١١ ص ١١٩)

- ١٥ طبع دار الكتب المصرية .

- (٣) وردت هذه العبارة في الأغاني (ج ١١ ص ١١٩ طبع دار الكتب المصرية) هكذا: « فأتى
 به سوق عكاظ في الحرم ... » وضبط لفظ « الحرم » بالقلم بفتح الحاء والراء المهمتين . وبهذا الضبط
 يتبادر إلى ذهن القارئ أنه قتله بالحرم (أي الكعبة) ويؤيد هذا تكرار هذه الكلمة بهذا الضبط في السطر
 التالي لها، وهذا خطأ، والصواب أنه قتله في الأشهر الحرم (بضم الحاء والراء المهمتين) بسوق عكاظ ،
 وهي سوق بصرى بين نخلة والطائف، كانت تقوم هلال ذي القعدة وتستمر عشرين يومًا، تجتمع قبائل
 العرب فيعاب كظون، أي يتفانرون ويتناشدون .

(٤) الحجر: الفرس الأثني لم يدخلوا فيه الهاء لأنه اسم لا يشركها فيه المذكور . وأحجار الخليل :

ما يتخذ منها لنسل لا يفرد لها واحد .

مُنْهَى الْغَايَةَ مَائَةَ غَلْوَةٍ، وَالْمُضْمَارُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ قَادَاهُمَا إِلَى رَأْسِ الْمِيدَانِ بَعْدَ أَنْ صَمَّرَاهُمَا أَرْبَعِينَ لَيْلَةً . وَكَانَ فِي طَرَفِ الْغَايَةِ شِعَابٌ كَثِيرَةٌ، فَأَكَنَّ حَمَلُ بْنُ بَدْرِ فِي تِلْكَ الشَّمَابِ فِتْيَانًا عَلَى طَرِيقِ الْفَرَسَيْنِ وَأَمْرَهُمْ إِنْ جَاءَ دَاحِيسٌ سَابِقًا أَنْ يَرُدَّوهُ عَنِ الْغَايَةِ ، ثُمَّ أَرْسَلُوهُمَا ، فَلَمَّا أَحْضَرَا خَرَجَتْ الْأَنْثَى عَنِ الْفَحْلِ فَقَالَ حَمَلُ بْنُ بَدْرِ : سَبَقْتِكُ يَا قَيْسُ ، فَقَالَ قَيْسُ : رُوَيْدًا يَعْذُونَ الْجَدَدَ إِلَى الْوَعْتِ وَتَرْتِخُ أَعْطَافَ الْفَحْلِ ، فَلَمَّا أَوْغَلَا عَنِ الْجَدَدِ وَخَرَجَا إِلَى الْوَعْتِ بَرَزَ دَاحِيسٌ عَنِ الْغَبْرَاءِ فَقَالَ قَيْسُ : « جَرِي الْمَدَّيَاتِ غَلَابٌ ^(١) » فَذَهَبَتْ مِثْلًا . فَلَمَّا شَارَفَ دَاحِيسٌ الْغَايَةَ وَدَنَا مِنَ الْفَيْتَةِ وَثَبُوا فِي وَجْهِ دَاحِيسٍ فَرُدَّوهُ عَنِ الْغَايَةِ ، فَقَى ذَلِكَ يَقُولُ قَيْسُ بْنُ زُهَيْرٍ :

وَمَا لَأَقِيْتُ مِنْ حَمَلِ بْنِ بَدْرِ * وَإِخْوَتِهِ عَلَى ذَاتِ الْإِصَادِ ^(٢)
هُمُ نَخَّرُوا عَلَى بَغِيرِ نَخِيرِ * وَرَدُّوهُ دُونَ غَايَتِهِ جَوَادِي

وَنَارَتْ الْحَرْبُ بَيْنَ عَبَسٍ وَذُبْيَانَ ابْنِي بَغِيضٍ ، فَوَكَّدَتْ أَرْبَعِينَ سَنَةً لَمْ تُنْتِجْ نَاقَةً وَلَا فَرَسًا فِيهَا لِاشْتِغَالِهِمْ بِالْحَرْبِ . فَبَعَثَ حُدَيْفَةُ بْنُ بَدْرِ ابْنَهُ مَالِكًا إِلَى قَيْسِ بْنِ زُهَيْرٍ يَطْلُبُ مِنْهُ حَقَّ السَّبْقِ ، فَقَالَ قَيْسُ : كَلَّا لَا مِطْلَكَ بِهِ ، ثُمَّ أَخَذَ الرَّيْحَ فَطَعَنَهُ فِدْقَ صُلْبِهِ ، وَرَجَعَتْ فَرَسُهُ غَائِرَةً ، وَأَجْتَمَعَ النَّاسُ لِحُمُولِ دِيَةِ مَالِكِ مَائَةَ نَاقَةٍ عَشْرًا ^(٤) وَزَعَمُوا أَنَّ الرَّبِيعَ بْنَ زِيَادِ الْعَبْسِيِّ حَمَلَهَا وَحَدَّهَ فَقَبِضَهَا حُدَيْفَةُ وَسَكَّنَ النَّاسَ .

(١) المذكية من الخليل : التي قد أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان .

(٢) الغلاب : المغالبة ، أى إن المذكي يقالب مجاربه فيغلبه لقوته .

(٣) ذات الإصَاد : موضع يبلاد بني فزارة .

(٤) العشراء : التي أتى هل حملها عشرة أشهر من ملقحها .

ثم إن مالك بن زهير نزل اللقطة من أرض الشربة فأخبر حذيفة بمكانه ، فعدا عليه قتلته ، ففي ذلك يقول عنترة :

فَلله عَيْنًا مَنْ رَأَى مِثْلَ مالِكِ * عَقِيْرَةَ قَوْمِ أَنْ جَرَى فَرَسَانِ
فَلَيْتَهُمَا لَمْ يَجْرِيَا قَيْدَ غَلْوَةٍ * وَلَيْتَهُمَا لَمْ يُرْسَلَا لِرِهَانِ

فَقالت بنو عبس : مالك بن زهير بمالك بن حذيفة وردوا علينا مالنا ، فأبى حذيفة أن يرده شيئا ، وكان الربيع بن زياد مجاورا لبني فزارة .

قال : فلما قُتِلَ مالك بن زهير جعل بنو فزارة يتساءلون ويقولون : ما فعل

حماركم ؟ قالوا : صدناه ، فقال لهم الربيع : ما هذا الوحي ؟ قالوا : قتلنا مالك ابن زهير ، قال : بس ما فعلتم بقومكم ! قُتِلتم الدية ورضيتم بها ثم غدرتم ! فقالوا :

لولا أنك جارنا لقتلناك ، وكانت حخرة الحار ثلاثا ، فقالوا له : بعد ثلاث ليال أخرج عنا ، فخرج وآتبعوه فلم يلحقوه حتى لحق بقومه ، وأتاه قيس بن زهير فعاقده . ثم نهضت بنو عبس وحلفاؤهم بنو عبد الله بن غطفان إلى بني فزارة وذُبيان ورئيسهم الربيع بن زياد ، ورئيس بني فزارة حذيفة بن بدر .

يوم المَرِيقِبِ

لبني عبس على بني ذُبيان

١٥

فَأَلْتَقَوْا بِذِي المَرِيقِبِ مِنْ أَرْضِ الشَّرْبَةِ فَأَقْتَلَوْا ، فَكانت الشوكة في بني فزارة قُتِلَ مِنْهُمُ عَوْفُ بْنُ بَدْرِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ أَبِي الحَصِينِ ، أَحَدِ بَنِي عَدِيِّ بْنِ فَزَارَةَ وَجَماعَةٍ كَثِيرَةٍ . وَفي هذه الوقعة يقول عنترة الفوارس :

وَلَقَدْ عَلِمْتِ إِذِ آلتَقْتِ فُرْسَانَهَا * يَوْمَ المَرِيقِبِ أَنَّ ظَنِّكَ أَحْمَقُ

٢٠

- (١) اللقطة : موضع قريب من الحاجر من منازل بني فزارة .
(٢) الشربة : موضع بين السليبة والرَبْدة ، وقيل : إذا جاوزت القرعة وماوان تريد مكة وقف في الشربة .
(٣) المريقب : تصغير مرقب : موضع من الشربة .

يوم ذى حُسى
لذبيان على عبس

ثم إن ذبيان تجمعت لِمَا أصابت بنو عبس منهم يوم المَرِيقَب فَرَارَةٌ بن ذبيان
ومرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان وأحلافهم، فقتلوا فتوافقوا بذى حُسى، وهو وادى
الصفاء من أرض الشَّرْبَةِ، فهزمت بنو عبس وخافت ألا تقوم بجاعة بني ذبيان
وأتبعوهم حتى لحقوهم، فقالوا: التفاني أو تقيّدونا، فأشار قيس بن زهير على
الربيع بن زياد ألا يناجزهم، وأن يُعطوهم رهائن من أبنائهم حتى ينظروا في أمرهم،
فراضوا أن يكون رهنهم عند سبيع بن عمرو أحد بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان،
فدفعوا إليه ثمانية من الصِّبيان، فأنصرفوا وتكافأ الناس، فكث رهنهم عند سبيع
حتى حضرته الوفاة، فقال لابنه مالك بن سبيع: إن عندك مكُومَةٌ لا تبيد إن أنت
احتفظت بهؤلاء الأغيّلة، وكأني بك لو متّ قد أتاك خالك حُدَيْفَةُ بن بدر
فعصر لك عينه وقال: هلك سيدنا ثم خدعك عنهم حتى تدفعهم إليه فيقتلهم، فلا
تشرّف بعدها أبدا، فإن خِفْتَ ذلك فأذهب بهم إلى قومهم. فلما هلك سبيع
أطاف حُدَيْفَةُ بابنه مالك وخدعه حتى دفعهم إليه، فأتى بهم اليمعريّة، بفعل يُرِز^(٣)
كل يوم غلاما فينصبه غَرَضًا ويقول له: نادِ أباك، فينادى أباه حتى
يقتله.

(١) ذوحسى: موضع بالعالية في أرض غطفان.

(٢) لا تبيد: لا تقطع ولا تذهب. وفي الأصل «لا خير».

(٣) اليمعريّة: ماء بواد من بطن نخل من الشربة لبني نطبة.

يوم اليعمرية

لعيس على ذبيان

- قال : فلما بلغ ذلك من فعله بنى عيس أتوهم باليعمرية فلقوهم بمحزتها فقتلوا منهم اثني عشر رجلا ، منهم مالك بن سبيع الذي نبذ بالغملة إلى حذيفة ، وأخوه يزيد بن سبيع ، وعامر بن لوزان ، والحارث بن زيد ، وهرم بن ضمضم أخو حصين . ويقال ليوم اليعمرية : يوم ذى نفر لأنهما متجاوران .

يوم الهبأة

لعيس على ذبيان

- قال : ثم اجتمعوا فالتقوا في يوم قائظ إلى جنب جفر الهبأة وأقتلوا من أول النهار إلى أن أنتصف ، وحجز الحر بينهم ، وكان حذيفة بن بدر يحرق نخديه الركن ، فقال قيس بن زهير : يا بنى عيس ، إن حذيفة غدا إذا آحدمت الوديقة مستنقع في جفر الهبأة فعليكم بها ، فخرجوا حتى وقعوا على أثر صارف : فرس حذيفة ، والحيفاء : فرس حمل بن بدر ، فقفوا أثرهما حتى توافوا مع الظهيرة على الهبأة ، فبصرهم حمل بن بدر فقال : هذا قيس بن زهير قد أتاكم ، فوقف قيس وأصحابه على جفر الهبأة وهو يقول : لبيك لبيك ! يعني إجابة الصبية الذين كانوا ينادونهم إذ يقتلون ! وفي الجفر حذيفة وحمل وبدر ومالك بنو بدر ، وورقاء بن يلال

(١) الهبأة : أرض ببلاد غطفان . وجفر الهبأة : مستنقع في هذه الأرض .

(٢) الوديقة : شدة الحر .

(٣) كذا في كتاب النقايس (ص ٩٥ طبع أوروبا) والأغانى (ج ١٦ ص ٣١ طبع بلاق) .

وفي الأصول والعقد الفريد : « هلال » .

من بنى ثعلبة بن سعد . وحنش بن عمرو ، فوقف عليهم شداد بن معاوية
 العبسي ، فحال بينهم وبين خيلهم ، ثم تواقف فرسان بنى عبس فقال حمل :
 ناشدتك بالرحم يا قيس ، فقال : لبيك لبيك ! فعرف حذيفة أنه لن يدعهم فأتتهر
 حملا فقال : إياك والماتور من الكلام ، فذهبت مثلا ، وقال لقيس : ان
 قتلتني لا تصلح غطفان بعدها أبدا ! فقال : أبعدا الله ولا أصلحها ، وجاءه
 قرواش ^(٢) بمعبلة فقصم ضلبه ، وقتل الربيع بن زياد حمل بن بدر ، فقال قيس بن
 زهير يرثيه :

١١٧
١٣

تَعَلَّمْ أَنْ خَيْرَ النَّاسِ مَيِّتٌ * عَلَى جَفْرِ الْهَبَاءِ مَا يَرِيمُ ^(٣)
 وَلَوْلَا ظُلْمُهُ مَا زِلْتُ أَبْيَكِي * عَلَيْهِ الدَّهْرَ مَا بَدَّتِ النُّجُومُ
 وَلَكِنِّ النَّتَى حَمَلُ بْنُ بَدْرِ * بَنَى وَالْبَغْيُ مَرْتَعُهُ وَخِيمُ
 أَظُنُّ الْحِلْمَ دَلَّ عَلَى قَوْمِي * وَقَدْ يُسْتَجْهَلُ الرَّجُلُ الْحَلِيمُ
 وَمَارَسْتُ الرِّجَالَ وَمَارَسُونِي * فَمُعْجُزٌ وَأَخْرُ مُسْتَقِيمُ

ومثلوا بحذيفة بن بدر كما مثل بالعلمة ، فتمطعوا مذاكيره وجعلوها في فيه
 وجعلوا لسانه في آسته ، ففي ذلك يقول قائلهم :

فَإِن قَتِيلًا بِالْهَبَاءِ فِي آسْتِهِ * صَحِيفَتُهُ إِنِّ عَادَ لِلظُّلْمِ ظَالِمُ
 مَتَى تَقْرَأُهَا تَهْدِيكُمْ مِنْ ضَلَالِكُمْ * وَتُعَرِّفُ إِذَا مَا فُضَّ عَنْهَا الْخَوَائِمُ

(١) كذا في كتاب القلائص والأغانى . وفي الأصول : « وهب » وفي العقد الفريد :

« حسن بن وهب » وهو محترف .

(٢) المعبلة : نصل عريض طويل .

(٣) ما يريم : أى ما يريح .

وقال عمرو بن الأسلم :

إِنَّ السَّمَاءَ وَإِنَّ الْأَرْضَ شَاهِدَةٌ ^(١) * وَاقَهُ يُشْهَدُ وَالْإِنْسَانُ وَالْبَلَدُ
أَنْزِي جَزِيَّتُ بَنِي بَدْرِ بِسَعِيهِمْ * عَلَى الْهَبَاءِ قَتْلًا مَا لَهُ قَوْدُ
لَمَّا أَلْتَقَيْنَا عَلَى أَرْجَاءِ جَمِيئِهَا * وَالْمَشْرِفِيَّةِ فِي أَيْمَانِنَا قَدْ
عَلَوَتْهُ بِحَسَامٍ ثُمَّ قُلْتُ لَهُ : خُذْهَا حَذِيفُ فَإِنَّ السَّيِّدَ الصَّمَدُ

فلما أصيب أهل الهباءة واستعظمت غطفان قتل حذيفة، تجمعوا، وعرفت
بنو عيس أن ليس لهم مقام بأرض غطفان، فخرجوا إلى اليمامة فقتلوا بأخوانهم من
بني حنيفة، ثم رحلوا عنهم فقتلوا بني سعد بن زيد مائة .

يوم الفُروُق

لبني عيس

ثم إن بني عيس غدروا بجوارهم فأتوا معاوية بن الجون فاستجاسوا عليهم
وأرادوا أكلهم، فبلغ ذلك بني عيس ففزعوا ليلاً، وقدموا طعنهم، ووقفت فرسانهم
بموضع يقال له الفُروُق، وأغارت بنو سعد ومن معهم من جنود الملك على محلتهم
فلم يجدوا إلا مواقد النيران فأتبعوهم حتى أتوا الفُروُق، فإذا بالخييل والفرسان وقد
تواترت الطُعن عنهم، فانصرفوا عنهم، ومضى بنو عيس فقتلوا بني ضبة فأقاموا
فيهم . وكان بنو حذيفة من بني عيس يسمون بني رواحة، وبنو بدر من فزارة
يسمون بني سودة، ثم رجعوا إلى قومهم وصالحوهم، فكان أول من سعى في الجمالة
حرملة بن الأشعر بن صرمة بن هزرة، فمات، فسمى فيها أبنته هاشم بن حرملة،
وإليه أشار الشاعر :

أَحْيَا أَبَاهُ هَاشِمُ بْنُ حَرْمَلَةَ * يَوْمَ الْهَبَاءِ تَيْنِ وَيَوْمَ الْيَعْمَلَةِ

تَرَى الْمَلُوكَ حَوْلَهُ مَرْعِلَةً * يَقْتُلُ ذَا الذَّنْبِ وَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ !

(١) في الأصول : « الرع » .

يوم قَطْن

فلما توافقوا للصلح وقفت بنو عبس بقطن^(١) وأقبل حصين بن ضمضم فلقى تيجان أحد بني مخزوم بن مالك فقتله بأبيه ضمضم . وكان عترة بن شداد العبسي قتله بذى المُرَيْقَب ، فأشارت بنو عبس وحلفاؤهم بنو عبد الله بن غطفان وقالوا : لا نصالحكم ما بل البحر صُوفَةً وقد فدرتم بنا غير مرة ، وتناهض الناس : عبس وذبيان ، فالتقوا بقطن ، فقتل يومئذ عمرو بن الأشجع عتبة ، ثم سفرت السفراء ، بينهم ، وأتى خارجة بن سنان أبا تيجان بابنه فدفعه إليه وقال : في هذا وفاء من أبنيك ! فأخذه فكان عنده أياما ، ثم حمل خارجة لأبي تيجان مائة بعير فأذاها إليه وأصطلحوا وتعاقدوا .

يوم غدير قلبي

قال أبو عبيدة : فاصطلح الحَيان إلّا بنى ثعلبة بن سعد بن ذبيان ، فإنهم أبوا ذلك وقالوا : لا نرضى حتى يودوا قتلانا أو يهدردم من قتلها ، فخرجوا من قطن حتى وردوا غدير قلبي ، فسبقتهم بنو عبس إلى الماء فمنعوهم حتى كادوا يموتون عطشا ، فأصلح بينهم عوف ومعقل أبنا سبيع من بنى ثعلبة وإياهما يعني زهير بقوله :
تَدَارَكْتُمَا عَبْسًا وَذُبْيَانَ بَعْدَمَا * تَقَانُوا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشِمِ^(٢)
فوردوا حربا وخرجوا عنه سلما . تمّ خبر داخيس والغبراء .

(١) قطن : جبل لبني أسد .

(٢) منشم : اختلف فيها ، فقيل : إنها امرأة عطارة من خزاعة ، فتحالف قوم فأدخلوا أيديهم في عطرها على أن يقاتلوا حتى يموتوا ، فصار هؤلاء مثل أولئك في شدة الأمر . وقال أبو عمرو الشيباني : هي امرأة من خزاعة كانت تبيع عطرا ، فإذا حاربوا اشتروا منها كافورا لموتاهم ، فقتلوا مواجها ، وكانت تسكن مكة . وقال ابن الكلبي : هي امرأة من جرهم . وقال أبو عمرو بن العلاء : منشم ، إنما هو من التمشيم في الشمر . ومنه قولهم : لما نشم الناس في عثمان . (أى طعنوا فيه ونالوا منه) راجع شرح ديوان زهير للإمام نعلب ص ١٥ طبع دار الكتب المصرية .

يَوْمُ الرَّقْمِ

لَعَطْفَانِ عَلَى بَنِي عَامِرٍ

(١)

- غزيت بنوعامر فأغاروا على بلاد غطفان بالرقم - وهو ماء لبني مرة - وعلى
 بنى عامر : عامر بن الطفيل - ويقال يزيد بن الصبيح - فركب عتبة بن حصين
 في بنى قزارة، ويزيد بن سنان في بنى مرة - ويقال الحارث بن عوف - فانهزمت
 بنو عامر ، فرعمت غطفان أنهم أصابوا من بنى عامر يومئذ أربعة وثمانين رجلا ،
 فدفعوهم إلى أهل بيت من أشجع ، كانت بنوعامر قد أصابوا فيهم ، فقتلواهم أجمعين .
 وانهزم الحكم بن الطفيل في نفر من أصحابه ، فيهم خوات بن كعب حتى
 أتتهوا إلى ماء يقال له : الموروات ، فقطع العطش أعناقهم فاتوا ، وحق الحكم
 ابن الطفيل نفسه مخافة المثلة ، فقال في ذلك عروة بن الورد :

- ١٠ عَجِبْتُ لَهُمْ إِذْ يَحْتَقُونَ نَفْسَهُمْ * وَمَقْتَلُهُمْ تَحْتَ الْوَعَى كَانَ أَعْدَاً

(٢)

يَوْمُ التَّاءِ

(٣)

لعيس على بن عامر

- يقال : خرجت بنوعامر تريد أن تدرك بثأرها يوم الرقم ، فهجموا على عيس
 بالتاء وقد أنذروا بهم ، فالتقوا ، وكان على بنى عامر : عامر بن الطفيل ، وعلى
 بنى عيس : الربيع بن زياد ، فأقتلوا قتالا شديدا ، فانهزمت بنو عامر ، وقُتل منهم
 هزار بن مرة ، قتله الأحنف بن مالك ، ونهشل بن عبيدة بن جعفر ، قتله أبو زغبة
 ابن حارث وعبد الله بن أنس بن خالد ، وهزمت بنوعامر هزيمة قبيحة .

(١) في معجم ما استعجم للبكري : « الرقم بفتح أوله وتانيه : موضع بالحجاز قريب من وادي

القرى » . (٢) أى كان أعدر لهم من خقتهم أنفسهم (راجع شرح ديوان عروة ص ١٣٥

٢٠ طبع أوربا) . (٣) التاء : نخيلات لبني عطارد .

(١)
يَوْمَ شَوْاحِطٍ

لبنى مُحَارِبِ عَلِيِّ بْنِ عَامِرٍ

غَزَتْ سَرِيَّةً مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْمَةَ بِلَادِ غَسَّانِ ، فَأَغَارُوا عَلَى لَيْلِ
لبنى مُحَارِبِ بْنِ خَصْفَةَ ، فَأَدْرَكَهُمُ الطَّلَبُ ، فَقَتَلُوا مِنْ كِلَابِ تِسْعَةِ نَفَرٍ وَأَرْتَدُوا^(٢)
إِلَيْهِمْ فَلَمَّا رَجَعُوا وَتَبَتْ بَنُو كِلَابِ عَلَى جَسِيرٍ - وَهُمْ مِنْ بَنِي مُحَارِبِ ، وَكَانُوا حَارِبُوا
إِخْوَتَهُمْ ، فَفَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِمْ فَخَالَفُوا بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْمَةَ - فَقَالُوا : تَقْتُلُوهُمْ
بِقَتْلِ بَنِي مُحَارِبِ مَنْ قَتَلُوا مِنَّا ، فَنَامَ خَدَّاشُ بْنُ زُهَيْرٍ دُونَهُمْ حَتَّى مَنَعَهُمْ مِنْ ذَلِكَ
وقال :

أَيَا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلَّغْنِ * عَقِيلًا وَأَبْلَغْنِ إِنْ لَقَيْتَ أَبَا بَكْرٍ
فِيَا أَخَوَيْنَا مِنْ أَيْبِنَا وَأُمَّنَا * إِلَيْكُمْ إِلَيْكُمْ لِأَسْبِيلِ إِلَى جَسِيرِ^(٣)
دَعُوا جَانِبِي إِنِّي سَاتِرُكَ جَانِبَا * لَكُمْ وَأَسْعَايِنِ الْيَمَامَةَ وَالْقَهْرَ
أَنَا فَارِسُ الضَّحِيَاءِ عَمْرُوبِ بْنِ عَامِرٍ * أَبِي الدِّمِّ وَأَخْتَارِ الْوَفَاءِ عَلَى الْغَدْرِ

(٤)
يَوْمَ حَوْزَةِ الْأَوَّلِ

لِسُلَيْمِ عَلَى غَطَفَانَ

قال أبو عبيدة . كان بين معاوية بن عمرو بن الشريد وبين هاشم بن حرملة
أحد بني مرة : - مرة غطفان - كلام بعكاظ ، فقال معاوية : والله لوددتُ أني قد
سمعتُ بظعائن يندبنك ، فقال هاشم : والله لوددتُ أني قد برئتُ الرطبة - وهي بجمة

(١) شواحط : جبل مشهور بين مكة والمدينة .

(٢) في معجم ما استعجم للبكري في كلامه على شواحطه : « سبعة نفر » .

(٣) القهر : موضع باليمامة . (٤) حوزة : واد بالهجاز .

(١) معاوية ، وكانت الدهر تنطف ماءً ودُهنا وإن لم تُدهن — فلما كان بعد [حين] تهباً معاوية ليغزو هاشماً ، فنهاه أخوه صخر ، فأبى وغزاهم يوم حوزة ، فرآه هاشم ابن حرملة قبل أن يراه معاوية ، وكان هاشم ناقها من مريض أصابه ، فقال لأخيه دُرَيْد بن حرملة : إن هذا إن رآني لم آمن أن يشد عليّ ، وأنا حديث عهد بشكّة ، فاستطرد له [دوني] حتى يجعله بيني وبينك ، ففعل ، فحمل عليه معاوية^(٢) وأردفه هاشم^(٣) ، فاختلفا طعنتين فأردى معاوية^(٤) هاشماً عن فرسه الشفاء ، وأنفذها هاشم سنانه عن عانة معاوية ، وكرّ عليه دُرَيْد وظنّه قد أردى هاشماً ، فضرب معاوية بالسيف فقتله ، وشدّ خُفاف بن عمرو على مالك بن حمار الفزاريّ [فقتله]^(٥) .

قال : وغارت الشفاء فرس هاشم حتى دخلت في جيش بنى سليم فأخذوها وظنوا أنها فرس الفزاريّ الذي قتله خُفاف ، ورجع الجيش ، فلما دنوا من صخر أخى معاوية قال لهم : ما صنع معاوية ؟ قالوا قتل ! قال : فما هذه الفرس ؟ قالوا : قتلنا صاحبها ! قال : إذا قد أدركتم ناركم ، هذه فرس هاشم بن حرملة .

قال : فلما دخل رجب ركب صخر بن عمرو الشفاء صبيحة يوم حرام ، فأتى بنى مُرة ، فلما رأوه قال لهم هاشم : هذا صخر خفيوه وقولوا له خيراً ، وهاشم مريض من الطعنة التي طعنه معاوية ، فقال : من قتل أخى ؟ فسكتوا ، فقال : لمن هذه الفرس التي تحتي ؟ فسكتوا ، فقال هاشم : هلمّ أبا حسان إلى من يُجبرك ! قال : من قتل أخى ؟ فقال [هاشم]^(٥) : إذا أصبتي أو دُرَيْداً فقد أصبت نارك ! فقال : هل كفتموه ؟ قال : نعم ، في بُردين : أحدهما بخمس وعشرين بكرة

(١) التكلة من العقدة الفريد .

(٢) التكلة من العقدة الفريد .

(٣) أردفه : تبعه .

(٤) أرداه : أسقطه .

(٥) التكلة من العقدة الفريد .

وأروه قبره ، فلما رأى القبر جزع عنده ثم قال : كأنكم أنكرتم ما رأيتم من جزى ،
فوالله ما بت منذ عقلت إلا واترا أو موتورا ، وطالبا أو مطلوبا حتى قُتل معاوية ،
فما ذقتُ طعامَ نوم بعده .

يوم حوزة الثاني

١١٩
١٣

قال : ثم غزاهم [صحفر] فلما دنا منهم مضى على السماء ، وكانت غراءً مُحجَّلةً ، فسود
غُرتها وتحجَّلتها ، فلما رأته بنتُ لهاشم قالت لهاشم دُرَيْدُ : أين السماء؟ قال : هي
في بني سليم . قالت : ما أشبهها بهذه الفرس ! فقال : هذه بهيم^(١) والسماءُ غراءٌ مُحجَّلةٌ ،
ثم أضطجع فلم يشعر حتى طعنه صحفر ، قال : فثاروا وتنادروا ، وولى صحفر وطلبته
غطفان عاتمة يومها ، وعارض دونه أبو شجرة بن عبد العزى ، وكانت أمه خنساء
أخت صحفر ، وصحفر خاله . فرد الخليل عنه حتى أراح فرسه ونجا إلى قومه ، فقال
خُفاف بن نُدبة لما قتل معاوية : قتلني الله إن برحت من مكاني حتى أثار به !
فشدَّ على مالك سيّد بني شَمخ فقتله ، وقال صحفر في قتله دُرَيْدًا :

ولقد دفعتُ إلى دُرَيْدٍ طَعْنَةً * نَجْلَاءَ تَرْغُلٍ مِثْلَ غَطِّ الْمِنْخَرِ^(٢)
ولقد قتلتم نساءً وموحداً * وتركتُ مرّةً مِثْلَ أَمْسِ الدَّائِرِ

قال أبو عبيدة : وأما هاشم بن حرملة فإنه خرج متجعجا فلقى عمرو بن قيس
الجُشمي ، فتبعه وقال : هذا قاتل معاوية ، لا وآلت نفس إن وآل ، فلما دنا منه^(٣)
أرسل عليه مِجْلَةً ففلقَ قِحفه فقتله .

(١) البهيم : الأسود ، وما لاشية فيه من الخليل للذكر والأنثى .

(٢) ترغل : تخرج الدم قطعا قطعا .

(٣) وآل : نجا .

يَوْمُ ذَاتِ الْأَثَلِ

قال أبو عبيدة : ثم غزا صخر بن عمرو بن الشريد بن أسد بن خزيمه فاكتسح
إبلهم ، فأتى الصريح بن أسد ، فركبوا حتى تلاحقوا بذات الأثل ، فاقتلوا
قتالا شديدا ، فطعن ربيعة الأسدي صخر في جنبه وفات القوم بالغنيمه ، ومرض
صخر من الطعنة قريبا من الحوّل حتى مله أهله ، فسمع امرأة من جاراته تسأل
سأمتي أمراته : كيف بعلك ؟ قالت : لاحت فيرجي ، ولا ميت فينسي ، لقد لقينا
منه الأمرين ! وكانت أمه إذا سئلت عنه تقول : أرجوله العافية إن شاء الله !
فقال في ذلك :

أرى أم صخر لا تمل عيادي * وملت سلمي مضجعي ومكاني
فأى أمرى ساوى بأم حليّة * فلا عاش إلا في أذى وهوان
وما كنت أخشى أن أكون جنازة^(١) * عليك ومن يفتّر بالحدّان
لعمري لقد نبهت من كان نائما * وأسمعت من كانت له أذنان
أهم بأمر الحزم لو أستطيعه * وقد حيل بين العير والزوان

قال : فلما طال عليه البلاء — وقد نتأت قطعة من جنبه مثل اليد في موضع
الطعنة — قالوا له : لو قطعتم أرجونا أن تبرأ ، فقال شأنكم ! فقطعوها ففات ،
فقالت أخته الحنساء ترثيه :

وقائلة والنعش قد فات خطوها * لتدركه يالهف نهي على صخر!
إلا تكلت أم الذين غدوا به * إلى القبر ماذا يملون إلى القبر!

(١) إذا نمل المريض على قومه وأغضوا به فهو جنازة عليهم . هكذا ورد في لسان العرب مادة (جنز)

واستشهد بهذا البيت على ذلك .

(١)
يَوْمُ اللّوَى

لَعَطْفَانِ عَلَى هَوَازِنَ

قال أبو عبيدة : غزا عبد الله بن الصَّحَّة — وأسمُ الصَّحَّة : معاويةُ الأصغر —
من بني غزِيَّة بن جُشم بن معاوية بن بكر بن هَوَازِن — وكان لعبد الله ثلاثة أسماء
وثلث كُنَى ، فأسمُه : عبدُ الله ، وخالِد ، ومعبِد ، وكنيته أبو فرعان ، وأبو دُفافة ،
وأبو وفاء ، وهو أخو دُرَيْد بن الصَّحَّة لأبويه — فأغار على عَطْفَان فأصاب منهم
إبلا عظيمة فأطردھا ، فقال له أخوه دُرَيْد : النجاء فقد ظَفِرْت ، فأبى عليه وقال :
لأبرح حتى أنتقع نقيعتي — والنقيعة : ناقةٌ ينجرها من وسط الإبل فيصنع منها طعاما
لأصحابه ، ويقسم ما أصاب عليهم — فأقام وعصى أخاه ، فنبعثه نَزارة فقاتلوه
وهو بمكان يقال له اللوى ، فقتل عبد الله ، وأرثتْ دريد فبقى في القتلى ، فلما كان
في بعض الليل أتاه فارسان ، فقال أحدهما لصاحبه : إني أرى عينية تبص ، فأنزل
فأنظر إلى سبته ، فنزل فكشف ثوبه فإذا هي ترمز ، فطعنه ، فخرج دمٌ قد أحقن .
قال دريد : فأنفتُ عندها ، فلما جاوزوا نهضتُ ، فما شعرتُ ، لا وأنا بين
عرقوبتي بحمل امرأة من هَوَازِن ، فقالت : مَنْ أنتَ ؟ أعوذ بالله من شرك !
قلتُ : لا ، بل مَنْ أنتِ ؟ وملك ! قالت : امرأةٌ من هَوَازِنَ سيارَةٌ . قلتُ : وأنا
من هَوَازِنَ ، أنا دُرَيْد بن الصَّحَّة . قال : وكانت في قوم مختارين لا يشعرون
بالوقمة ، فضمتُه وعالجته حتى أفاق .

(١) اللوى : واد من أودية بني سليم .

(٢) المرت : من حمير من المعركة جريحا وبه رمق .

(٣) السبة : الآمت . (٤) ترمز : تعطرب .

يوم الظعينة

بين دُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّةِ وَرَبِيعَةَ بْنِ مَكْدَمٍ

قال أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : نخرج دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ فِي فِوَارِسٍ مِنْ
بَنِي جُشَمٍ حَتَّى إِذَا كَانُوا فِي وَادٍ يُقَالُ لَهُ : الْأَنْحَرَمُ ، وَهُمْ يَرِيدُونَ الْغَارَةَ عَلَى بَنِي كِنَانَةَ ،
إِذْ رُفِعَ لَهُ رَجُلٌ فِي نَاحِيَةِ الْوَادِي وَمَعَهُ ظُعِينَةٌ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ قَالَ لِفَارِسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ :
صَحَّ بِهِ : خَلَّ الظُّعِينَةَ وَأَنْجُ بِنَفْسِكَ ، فَأَنْتَهَى إِلَيْهِ الْفَارِسُ ، فَصَاحَ بِهِ وَأَلْحَّ عَلَيْهِ ،
فَأَلْقَى زِمَامَ الرَّاحِلَةِ وَقَالَ لِلظُّعِينَةِ :

سِيرِي عَلَى رِسْلِكَ سَيْرَ الْآمِنِ * سَيْرَ رَدَاحِ ذَاتِ جَاشِ سَاكِنِ

إِنِّ أَنْتَانِي دُونَ قِرْنِي شَائِنِي * أَبْلِي بَلَائِي وَأَخْبِرِي وَعَائِنِي

ثم حمل عليه فصرعه وأخذ فرسه وأعطاه للظعينة ، فبعث دُرَيْدُ فَارِسًا آخِرَ لِيَنْظُرَ
مَا صَنَعَ صَاحِبُهُ ، فَلَمَّا أَنْتَهَى إِلَيْهِ وَرَأَاهُ صَرِيحًا صَاحَ بِهِ فَصَاحَ عَنْهُ ، فَظَنَّ أَنَّهُ لَمْ
يَسْمَعْ ، فَنَشِيهُ ، فَأَلْقَى زِمَامَ الرَّاحِلَةِ إِلَى الظُّعِينَةِ وَرَجَعَ وَهُوَ يَقُولُ :

خَلَّ سَبِيلَ الْحَزَةِ الْمُنْبِعَةِ * إِنَّكَ لَأَقِ دُونَهَا رَبِيعَةَ

فِي كَفِّهِ خَطِيئَةٌ مُطِيعَةٌ * أَوْ لَا تُخْذُهَا طَعْنَةً سَرِيعَةً

١٥ * وَالطَّعْنُ مِنْ فِي الْوَعَى شَرِيعَةٌ *

ثم حمل عليه فصرعه ، فلما أبطأ على دُرَيْدِ بَعَثَ فَارِسًا [ثَالِثًا] لِيَنْظُرَ مَا صَنَعَا ،
فَلَمَّا أَنْتَهَى إِلَيْهِمَا رَأَاهُمَا صَرِيعَيْنِ وَنَظَرَ إِلَيْهِ يَقُودُ ظُعِينَتَهُ وَيُجْرُ رُحْمَهُ . فَقَالَ لَهُ :
خَلَّ سَبِيلَ الظُّعِينَةِ ، فَقَالَ لِلظُّعِينَةِ : أَفِصْدِي قَصَدَ الْبُيُوتِ ، ثُمَّ أَقْبِلْ عَلَيْهِ فَقَالَ :

مَاذَا تُرِيدُ مِنْ شَتِيمِ عَائِسِ * أَلَمْ تَرَ الْفَارِسَ بَعْدَ الْفَارِسِ

٢٠ * أَرْدَاهُمَا عَامِلٌ رُحْمِ يَائِسِ *

(١) الكلمة من أمالي القائل (ج ٢ ص ٢٧١ طبع دار الكتب المصرية)

ثم حمل عليه فصرعه وأنكسر رُحْمُه ، وأرتاب دُرَيْدٌ وظنَّ أنهم قد أخذوا الظَّعِينَةَ
 وقتلوا الرجل ، فليحَقَّ ربيعةَ وقد دنا من الحَيِّ ، فوجد أصحابه قد قُتِلوا ، فقال :
 أيها الفارس ، إن مثلك لا يُقْتَلُ ، ولا أرى معك رُحْمًا والخيلُ نائرةٌ بأصحابها ، فدُونَكَ
 هذا الرُّحْمُ فإني منصرفٌ إلى أصحابي فمُشَبِّطهم عنك ، فأنصرف دُرَيْدٌ وقال لأصحابه :
 إن فارسَ الظَّعِينَةَ قد حماها وقتل فرسانكم وأترع رُحْمِي ، ولا مطمَعَ لكم فيه
 فأنصِرُوا ، فأنصرفَ القوم ، فقال دُرَيْدٌ :

ما إن رأيتُ ولا سمعتُ مثله * حامي الظَّعِينَةَ فارسًا لم يُقتلِ
 أُرْدَى فوارسَ لم يَكُونُوا نُهْزَةً * ثم استمرَّ كأنه لم يفعلِ
 مُهَلَّلًا تَبَدُّوا أَسْرَةً وَجْهِهِ * مثل الحُسامِ جلته كَفَّ الصَّيْقَلِ
 يُرْجَى ظَعِينَتَهُ وَيَسْحَبُ رُحْمَهُ * مُتَوَجِّهًا يَمْنَاهُ نَحْوَ الْمَنْزِلِ
 وَتَرَى الْفَوَارِسَ مِنْ خَافَةِ رُحْمِهِ * مِثْلَ الْبِغَاثِ خَشِينٍ وَقَعِ الْأَجْدَلِ (١)
 يَا لَيْتَ شِعْرِي مَنْ أَبُوهُ وَأُمُّهُ * يَا صَاحِجَ مَنْ يَكُ مِثْلَهُ لَا يُجْهَلِ
 وقال ربيعةُ بنُ مُكَدَّمٍ :

إِنْ كَانَ يَنْفَعُكَ الْيَقِينُ فَسَائِلِي * عَنِّي الظَّعِينَةَ يَوْمَ وَاوِي الْأَحْرَمِ
 إِذْ هِيَ لِأَوَّلِ مَنْ أَتَاهَا نُهْبَةٌ * لَوْلَا طِعَانُ رَبِيعَةَ بْنِ مُكَدَّمٍ
 إِذْ قَالَ لِي أَدْنَى الْفَوَارِسِ مَيْتَةٌ * حَلَّ الظَّعِينَةَ طَائِعًا لَا تَنْدَمِ
 فَصَرَفْتُ رَاحِلَةَ الظَّعِينَةِ نَحْوَهُ * عَمْدًا لِيَعْلَمَ بَعْضُ مَا لَمْ يَعْلَمِ
 وَهَتَكْتُ بِالرُّحْمِ الطَّوِيلِ إِهَابَهُ * فَهَوَى صَرِيحًا لِلْيَسَدَيْنِ وَاللَّقَمِ

(١) قال أبو علي: القائل: البغاث (بضم الباء الموحدة وكسرهما) والضم أكثر وأشهر (راجع

وَمَنِّحْتُ آخَرَ بَعْدَهُ جَيَّاشَةً * نَجْلَاءَ فَاغِيرَةَ كِشْدِقِ الْأَعْجَمِ

ولقد شففتُهما بآخر ثالث * وأبى الفرار لي الغداة تكريمي

ثم لم تلبث بنو كنانة أن أغارت على بني جشم^(١)، فقتلوا وأسروا دريد بن الصمة فأخفى نفسه، فبينما هو عندهم محبوس إذ جاءه نسوة تهادين إليه، فصرخت إحداهن وقالت: هلككم وأهلككم! ماذا جز علينا قومنا! هذا والله الذي أعطى ربيعة رُحمه يوم الظعينة! ثم ألفت عليه نوبها وقالت: يا آل قراس، أنا جارة له منكم، هذا صاحبنا يوم الوادي! فسأله: من هو؟ فقال: أنا دريد بن الصمة فمن صاحي؟ قالوا: ربيعة بن مكرم، قال: فما فعل؟ قالوا: قتلته بنو سليم! قال: فما فعلت الظعينة؟ قالت المرأة: أنا هي، وأنا أمرأته، فحبسه القوم وأمروا أنفسهم، فقال بعضهم: لا ينبغي لدريد أن تكفر نعمته على صاحبنا! وقال آخرون: والله لا يخرج من أيدينا إلا برضا المخارق الذي أسره، فانبعت المرأة في الليل، وهي ربيطة بنت جذل الطعان، تقول:

سَنَجْزِي دُرَيْدًا عَنْ رَبِيعَةَ نِعْمَةً * وَكُلَّ أَمْرِي يُجْزِي بِمَا كَانَ قَدَمًا

فإن كان خيرا كان خيرا جزاؤه * وإن كان شرا كان شرا مدمما

سَنَجْزِيهِ نَعْمَى لَمْ تَكُنْ بِصَغِيرَةٍ * بِإِعْطَانِهِ الرَّيْحَ الطَّوِيلَ الْمُقْوَمًا

[فقد أدركت كفاه فينا جزاءه * وأهل بان يجزي الذي كان أنعمًا^(٢)]

فلا تكفروه حَقَّ نِعْمَاهُ فِيكُمْ * وَلَا تَرْكَبُوا تِلْكَ الَّتِي تَمَلَأُ النَّعْمَا

فلو كان حيا لم يضق شوابه * ذرعا غنيا كان أو كان معدما

(١) بنو كنانة: رهط ربيعة بن مكرم.

(٢) بنو جشم: رهط دريد.

(٣) الزيادة من أمالي القالي.

[ففكوا دُرَيْدًا من إَسَارِ مُحَارِقِ * ولا تَجْمَعُوا البُؤْسَى إلى النَّشْرِ سَلْمًا ^(١)]
 فلما أصبحوا أطلقوه ، فكسّته وجهّزته وولّحّ بقومه ، فلم يزل كافيًا عن غزوه
 بنى فِرَاسٍ حتى هَلَكَ .

يومُ الصَّلْعاء

لهوَازِنَ على غَطَفان

قال : فلما كان في العام المقبل غزاهم دُرَيْدُ بن الصَّمَّةِ بالصَّلْعاء ^(٢) ، فخرجت
 إليه غَطَفان فقال دريد لصاحبه : ما ترى ؟ قال : أرى خيلا عليها رجال كأنهم
 الصبيان ، أسنتها عند آذان خيلها . قال : هذه فزارة ، ثم قال : أنظر ما ترى ؟
 قال : أرى قوما كأن عليهم ثيابا غُمِست في لِبَابِ المِعزَى ، قال : هذه أشجع ،
 ثم قال : أنظر ما ترى ؟ قال : أرى قوما يمجزون رماحهم سودا ، يخذون الأرض
 بأقدامهم ، قال : هذه عبس ، أتاكم الموت الزؤام فابتوا ، فالتقوا بالصلعاء
 فاقتلوا ، فكان الظفر لهوزان على غطفان ، وقتل دُرَيْدُ ذُوَابَ بن زيد بن قارب .

ذكر حرب قيس وكنانة

يومُ الكَدِيدِ لسُلَيْمِ ^(٣) على كِنانة

فيه قُتِلَ ربيعةُ بنُ مُكَدَّمِ فارسِ بنِ كِنانة ، وهو من بنى فِرَاسِ بنِ غَنَمِ بن مالك
 ابن كِنانة ، وهم أنجدُ العرب ، كان الرجل منهم يعدل بعشرة من غيرهم ، وكان

(١) الزيادة من أمال القالى . (ج ٢ ص ٢٧٣ طبع دارالكتب المصرية) .

(٢) الصلعاء ، (فتح أوله وإسكان ثانيه بعده عين مهمله مدود) : أرض لبني عبد الله بن غطفان
 ولبنى فزارة بين النقرة والحاجر تطوؤها طريق الحاج الجادة الى مكة .

(٣) الكديد (فتح أوله وكسر ثانيه بعده دال مهمله أيضا) : موضع بين مكة والمدينة بين منزلي أبح
 وعسفان وهو ماء عين جارية عليها نخيل كثير .

ربيعة بن مكرم يُعَقَّر على قبره في الجاهلية ، ولم يُعَقَّر على قبر أحد غيره ، وقتلته بنو سُليم يوم الكديد ، ولم يحضر يوم الكديد أحدٌ من بني الشريد .

يومُ فزارة

لكنانة على سُليم

- ٥ قال أبو عبيدة : لما قتلت بنو سُليم ربيعة بن مكرم فارس كنانة ورجعوا ، أقاموا ماشاء الله ، ثم إن ذا التاج مالك بن خالد بن صخر بن الشريد - وأسم الشريد عمرو ، وكانت بنو سُليم قد توجوا مالكا وأمره عليهم - فغزا بني كنانة ، فأغار على بني فراس ^(١) بيزرة ، ورئيس بني فراس عبد الله بن جدل ، فدعا عبد الله إلى البراز ، فبرز إليه هند بن خالد بن صخر بن الشريد ، فقال له عبد الله : من أنت ؟ قال : أنا هند بن خالد ، قال عبد الله : أخوك أسن منك ، يريد مالك ابن خالد ، فرجع فأخبر أخاه ، فبرز له ، فشَدَّ عبد الله على مالك بن خالد فقتله ، فبرز إليه أخوه كرز بن خالد بن صخر ، فشَدَّ عليه عبد الله أيضا فقتله ، فشَدَّ عليه أخوهما عمرو بن خالد بن صخر ، فتجالدا طعنتين ، فخرح كل واحد منهما صاحبه وتحاجزا .

(٢)

يومُ الفيفاء

لسُليم على كنانة

- ١٥ قال أبو عبيدة : ثم إن بني الشريد حرموا على أنفسهم النساء والدُّهن أو يدركوا نأرهم من كنانة ، فغزا عمرو بن خالد بن صخر بن الشريد بقومه حتى أغار على

(١) كذا في معجم ما استمع لي للبكري . و بزرزة (بضم أوله وإسكان ثانيه بعده راء) : موضع في ديار

بني كنانة . وفي الأصول والعقد الفريد « بزرزة » بتقديم الراء على الزاي وهو محرف بيف .

(٢) أصل الفيفاء : المغازاة لآماء فيها وأطلقت على موضع في

بني فراس ، فقتل منهم نفرا ؛ منهم : عاصم بن المعلّى ، ونضلة ، والمعارك ، وعمبرو
ابن مالك ، وحِصْن ، وشُريح ؛ وسبي سبيا فيهم ابنة مُكدم أخت ربيعة ، فقال
عبّاس بن مُرداس في ذلك :

أَلَا أَلْبَغْنُ عَنِّي أَبْنَ جَدْلٍ وَرَهْطَهُ * فكيف طابناكم بكَرِّزٍ وَمَالِكِ
غَدَاةَ بَحَعْنَاكُمْ بِحِصْنٍ وَبِأَبْنِهِ * وبأبنِ المَعْلَى عاصمِ والمَعَارِكِ
ثَمَانِيَةَ مِنْهُمْ نَارَنَا هُمْ بِهِ * جميعا وما كانوا بَوَاءَ بِمَالِكِ
نُذِيهِمْ - وَالْمَوْتُ بِنْتِي سُرَادِقًا * عليكم - شَبَاهَدُ السُّيُوفِ الْبَوَاتِكِ
تَلُوْحُ بِأَيْدِينَا كَمَا لَاحَ بَارِقُ * تَلَأُ فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ حَالِكِ

ذِكْرُ حَرْبِ قَيْسٍ وَتَمِيمٍ

يَوْمُ السُّؤْبَانَ لِبْنِي عَامِرٍ عَلَى بَنِي تَمِيمٍ ^(٢)

قال أبو عبيدة : أغارت بنو عامر على بني تميم وضبة فاقتتلوا ، ورئيس ضبة
حسان بن وبرة ، وهو أخو النعمان بن المنذر لأمه ، فأسره يزيد بن الصعيق ،
وأنهزمت تميم ؛ فلما رأى ذلك عامر بن مالك بن جعفر حسده ، فشد على ضرار بن

(١) البواء : الكف .

(٢) كذا في كتاب القامخ (ص ٣٨٦ طبع أوربا) ومعجم ما استعجم للبكري (ص ٧٥٩ طبع
أوربا) وورد فيه : « السؤبان بضم أوله وإسكان ثانيه بعده باء . معجمة بواحدة على وزن فلان : واد
في ديار بني تميم ... ويوم من أيام حروب بني عامر وبني تميم يسمى يوم السؤبان ، وفي ذلك سمي عامر
ابن مالك ملاعب الأسة ، وفيه تروطيل ، قال أوس من حجر :

فوذ أبو لَيْسِلٍ طَفِيلِ بْنِ مَالِكِ * بمنعرج السوبان لو يتفصع
بلاعِبِ أَطْرَافِ الْأَسَةِ عَامِرِ * وصار له حظ الكتيب أجمع

ثم قال :

كأنهم بين الشيط وصارة * وجرم والسوبان خشب مبرع

- عمرو الضبي^(١) ، وهو الرديم^(٢) ، فقال لأبنيه : إذا هم أغنيتني ، فشد عليه فطعته ، فتحوّل عن سرجه إلى جنب أبدانه ، ثم لحقه ، فقال لأحمد بنيه : أغنيتني ، ففعل مثل ذلك ، ثم لحقه ، فقال لأبن له آخر ، ففعل مثل ذلك ، فقال : ما هذا إلا ملاعب الأسنّة ! [فسُمي عامر من يومئذ ملاعب الأسنّة]^(٣) فلما دنا منه قال له ضرار : إني لأعلم ما تريد ، أتريد اللب^(٤) ؟ قال نعم ! قال : إنك لن تصل إليّ ومن هؤلاء عين تطرف ، كلهم بنو عامر . قال له عامر : فأحلني على غيرك ، فدلّه على حبيش بن الدلف وقال : عليك بذلك الفارس ، فشدّ عليه فأسره ، فلما رأى سواده وقصره ، جعل يتفكّر ، وخفّ ابن الدلف أن يقتله ،

= قوله : يتقصع ، أي يدخل الفاصم . « ٥١ » .

- ١٠ . وفي معجم البلدان لرفعت : « السلان : بضم أوله وتشديد نيه ، وهو فعلان من السل والنون زائدة : موضع بين البصرة والنجاة ... قال أبو أحمد العسكري : يوم السلان السين مضمومة : يوم بين بني ضبة وبني عامر صعصعة طعن فيه ضرار بن عمرو الضبي وأسر جيش بن دلف فعزل ذلك بهما عامر مالك ، وفي هذا اليوم سمى ملاعب الأسنّة » ٥١ .
- ١٥ . وورد في العقد الفريد (ج ٣ ص ٧٩ طبع بلاق) : « السريان » وورد هكذا أيضا في العقد الفريد (ج ٦ ص ٤١ طبع مطبعة الأستقامة بالقاهرة) بتحقيق الأستاذ محمد سعيد الريان وكتب بهامشه : « كذا بالأصل ، ولا نعرفه » وورد في نسخة أ « السيوبات » وفي نسخة ب هكذا « السوبات » بإهمال بعض الحروف ، وقد تبين مما وضحت أنه كلاهما محرف ، والنصواب ما ذكرناه .
- (١) كذا في كتاب النقائض (ص ١٨٨ طبع أوربا) . وفي الأصول : « القيسي » وهو خطأ .
- (٢) كذا في كتاب النقائض . وسمى « رديما » لأنه كان يحرس عن بعيرين يقرن بينهما لثقله .
- ٢٠ . وفي الأصول : « الرويم » وهو تحريف .
- (٣) التكلة من العقد الفريد (ج ٣ ص ٧٩ طبع بلاق) . وكتاب النقائض (ص ٣٨٦ طبع أوربا) ومعجم ما استمع للبركي (ص ٧٥٩ طبع أوربا) .
- (٤) اللب : موضع المنحرف من كل شيء .

فقال : ألسْتَ تريد اللَّبَّ ؟ قال بلى ، قال : فأنتى لك به . وفادى حَسَّانُ بْنُ وَبَرَةَ نفسه من يزيد بن الصَّعِقِ بألفِ بعير ، [فداءَ الملوك] ^(٢) فكثُرَ مالُ يزيدِ ونبه .
قال أبو عبيدة : ثم أغار بعد ذلك يزيد بن الصَّعِقِ على عِصافيرِ النعمانِ بذى لَبَّانٍ ، وذو لبَّانٍ : عن يمينِ العرنيين .

يوم أقرن

ابنى عَبَسَ على بنى دارم

قال : غزا عمرو بنُ عُدُسٍ من بنى دارمِ ، وهو فارسُ بنى مالكِ بنِ حنظلة ، فأغار على بنى عَبَسَ ، فأخذ إبلا ونساءً ثم أقبل ، حتى إذا كان أسفل من نِيَّةِ أَقْرُنِ نزل فأبنتى بجارية من السَّبْيِ ، ولحِقَهُ الطلبُ فأقتتلوا ، فقتل أنسُ الفوارسُ بن زيادِ العَبْسِيُّ - عمراً : وأنهزمتُ بنو مالكِ بن حنظلة ، وقتلتُ بنو عَبَسَ أيضا حنظلة بن عمرو - وقال بعضهم : قُتِلَ في غير هذا اليوم - وأرتدوا ما كان في أيدي بنى مالك .

^(٤) يوم المروت

ابنى العنبر على بنى قشير

أغار ^(٥) بيجير بنُ سَلَمَةَ بن قشِيرِ على بنى العنبرِ بن عمرو بن تميم ، فأتى الصريحُ بن عمرو بن تميم حتى لحقوه وقد نزل المَرْتوتُ ، وهو يقسمُ المرباعَ ويُعطى من معه ،

(١) كذا في العقد الفريد . وفي الأصول : « بمائة » .

(٢) التكلة من العقد الفريد .

(٣) كذا في معجم ما استعجم (ص ١١٧ طبع أوروبا) وفي الأصول « شاء » .

(٤) المروت (فتح أوله وتشديد ثانيه) : واد بالعالية بين ديار بنى قشير وديار بنى تميم .

(٥) كذا في كتاب النقااض (ص ٧٠ طبع أوروبا) ومعجم ما استعجم للبكري (ص ٢٤ طبع أوروبا)

وفي الأصول والعقد الفريد : « بيجير » بالميم المعجمة وهو بحر يرف .

قتلاحق القوم وأقتلوا ، فطعن قَعْنَبُ بْنُ عَتَّابِ المثلِّمُ بنَ عامر القُشَيْرِي فصرعه فأسره ، وحمل الكدَّام ، وهو يزيد بن أزيهر المازني على بجير بن سامة فطعنه فأرداه عن فرسه ، ثم أسره ، فأبصره قَعْنَبُ بْنُ عَتَّابِ ، فحمل عليه بالسيف فضربه فقتله ، وأنهمز بنو عامر .

يَوْمُ دَارَةِ مَأْسَلٍ

لنقيم على قيس

غزاه عُنْبَةُ بْنُ شُتَيْرِ بْنِ خَالِدِ الْكِلَابِيِّ بنى ضَنْبَةَ ، فاستاقَ نَعْمَهُمْ ، وقتل حُصَيْنَ بْنَ ضِرَّارِ الضَّبِّيَّ زيدا الفوارس ، بجمع أبوه ضِرَّارَ قومه وخرج نائرا بأبنه حُصَيْنَ ، وزيدُ الفوارس يومئذ حدثٌ لم يُدْرِكْ ، فأغار على بنى عمرو بن كلاب ، وأفلت منه عُنْبَةُ بن شُتَيْرٍ وأسر أباه شُتَيْرَ [بن خالد]^(١) وكان شيخا كبيرا ، فأتى به قومه فقال : يا شُتَيْرَ ، اخترتَ واحدةً من ثلاث ، قال : اعرضها عليّ ، قال : إنما أن تردُّ أباي حُصَيْنًا ! قال : إني لا أنسُرُ الموتى ! قال : وإنما أن تدفع إلى أبنك عُنْبَةَ أقتله به ! قال : لا يرضى بذلك بنو عامر ، قال : وإنما أن أقتلك . قال : أما هذه فنعم ! فأمر ضِرَّارُ أبنه أذمَّ أن يقتله ، فلما قدمه ليضرب عنقه نادى شُتَيْرَ : يا آل عامر ، صبرا بصبي ! كأنه أنف أن يُقتل بصبي ، فقال في ذلك شمعة :
١٥

وخَيْرنا شُتَيْرًا مِنْ ثَلَاثٍ * وما كان الثَلَاثُ له خِيَارًا
جَعَلْتُ السِّيفَ بَيْنَ اللَّيْتِ مِنْهُ^(٢) * وَبَيْنَ قُصَاصِ لِمَنْهِ عِدَارًا

(١) الكلمة من العقد الفريد .

(٢) البيت (بالكسر) : صفع العتق .

أيامُ تميمٍ على بكر
(١)
يومُ الوقيط

قال فراس بن خنيدف : تجمعت اللهازم لتغير على تميم وهم غارون ، فرأى ذلك ناشب بن بشامة العنبري الأعور ، وهو أسير في بني سعد بن مالك من بني نعلبة ، فقال لهم : أعطوني رسولا أرسله إلى بني العنبر أوصيهم بصاحبكم خيرا ليولوه ما تولوني من البر . وكان حنظلة بن طفيل المرثدي أسيراً في بني العنبر ، فقالوا : على أن توصيه ونحن حضور ، قال نعم ، فاتوه بغلام ، فقال : أيتمونني بأحمق ، وما أراه مبلغاً عني ! قال الغلام : لا والله ما أنا بأحمق ، وقل ما شئت فإني مبلغه ، فلا الأعور كفه من الرمل فقال : كم في كفي منه ؟ قال : شيء لا يحصى كثرة ، ثم أوا إلى الشمس فقال : ما تلك ؟ قال : هي الشمس . قال : فأذهب إلى أهل فابلنهم عني التحية وقل لهم : ليحسنوا إلى أسيرهم [ويكرموه] فإني عند قوم محسنين إلى [مكرمين لي] وقل لهم ليبروا بحمل الأحرار : ويركبوا ناقى العيساء ، ويرعوا حاجتي في بني مالك ، وأخبرهم أن العوسج قد أوزق ، وقد أشتكت النساء ، ولعصموا همام بن بشامة فإنه مشوم مخدود . ويطيعوا ابن الأخنس فإنه حازم ميمون .

١٢٣
١٣

(١) الوقيط : المكان الصلب الذي يستنقع فيه الماء ، أطلق على موضع .

(٢) الغار : العاقب .

(٣) في أمال القز (ج ١ ص ٦ طبع دار الكتب المصرية) « بفتح بيميد أسود » وبعض عباراته تخالف عما هنا فراجع .

(٤) الكلمة من كتاب القناض (ص ٣٠٦ طبع أوروبا) والعقد الفريد (ج ٣ ص ٨١ طبع بلاق) .

(٥) العيساء : الذقة يخالط بياضها شقرة .

(٦) العوسج : شوك .

(٧) المخدود : المنوع .

٥
١٠
١٥

قال : قَاتَاهُم الرَسُولُ فَأَبْلَغَهُمْ ، فَقَالَ بَنُو عَمْرٍو بِنِ تَمِيمٍ : مَا نَعْرِفُ هَذَا الْكَلَامَ ، وَلَقَدْ جَنَّ الْأَعْوَرُ ، وَاللَّهِ مَا نَعْرِفُ لَهُ نَاقَةَ عَيْسَاءَ ، وَلَا بَجَلًا أَحْمَرَ ! فَشَخَّصَ الرَسُولُ ، ثُمَّ نَادَاهُمْ هُدَيْلٌ : يَا بَنِي الْعَنْبَرِ ، قَدْ بَيَّنَّ لَكُمْ صَاحِبَكُمْ ، أَمَّا الرَّمْلُ الَّذِي قَبِضَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يُخْبِرُكُمْ أَنَّهُ أَمَّاكُمْ عَدَدٌ لَا يُحْصَى ، وَأَمَّا الشَّمْسُ الَّتِي أَوْمَأَ إِلَيْهَا فَإِنَّهُ يَقُولُ : إِنْ ذَلِكَ أَوْضَعَ مِنَ الشَّمْسِ ، وَأَمَّا جَمَلُهُ الْأَحْمَرُ فَهُوَ الصَّامَانُ ^(١) : يَا مَرْكَمُ أَنْ تَعْرُوهُ ^(٢) ، وَأَمَّا نَاقَتُهُ الْعَيْسَاءُ فَهِيَ الدَّهْنَاءُ ^(٣) ، يَا مَرْكَمُ أَنْ تَحْرُزُوا فِيهَا ، وَأَمَّا أَبْنَاءُ مَالِكٍ فَإِنَّهُ يَا مَرْكَمُ أَنْ تُنْذِرُوا بَنِي مَالِكِ بْنِ زَيْدٍ مَنَاءً ، وَأَنْ تَمْسُكُوا الْحِلْفَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ ، وَأَمَّا الْعَوَجُ الَّذِي أَوْرَقَ ، فَيُخْبِرُكُمْ أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ لَبَسُوا السِّلَاحَ ، وَأَمَّا تَشْكِي النِّسَاءِ فَيُخْبِرُكُمْ بِأَنَّ قَدْ عَمِلْنَ حِجْلًا يَفْزُونَ بِهِ .

- ١٠ قال : فَتَحْرَزَتْ عَمْرٍو فَفَرَكَبَتِ الدَّهْنَاءَ وَأَنْذَرُوا بَنِي مَالِكٍ فَقَالُوا : مَا نَدْرِي مَا تَقُولُ بَنُو عَمْرٍو ، وَلَسْنَا مُتَّحِلِّينَ لِمَا قَالَ صَاحِبُهُمْ . قال : فَصَبَّحَتِ اللَّهَازِمُ بَنِي حَنْظَلَةَ فَوَجَدُوا عَمْرًا قَدْ جَلَّتْ ، وَكَانَ عَلَى الْجَيْشِ أَبِيجْرُ بْنُ جَابِرِ الْعَجَلِيِّ ، وَشَهِدَهَا نَاسٌ مِنْ بَنِي تَيْمِ اللَّاتِ ، وَشَهِدَهَا الْفِرْزُ بْنُ الْأَسْوَدِ بْنِ شَرِيكِ فِي بَنِي شَيْبَانَ ، فَأَقْتَلُوا ، فَأَسْرَضِرَّارُ بْنُ الْقَعْقَاعِ بْنِ زُرَّارَةَ ، وَتَنَازَعَ فِي أَسْرِهِ يَشْرِبُ الْعَوْرَاءَ مِنْ تَيْمِ اللَّاتِ ، وَالْفِرْزُ بْنُ الْأَسْوَدِ بِفَزَوْا نَاصِيَتَهُ وَخَلَوْا أَسْرَهُ مِنْ تَحْتِ اللَّيْلِ ، وَأَسْرَعَمْرٍو بْنُ قَيْسٍ مِنْ بَنِي رِبِيعَةَ بْنِ عَجْجَلِ عَنَجَلِ بْنِ الْمَسَامُومِ بْنِ شَيْبَانَ بْنِ عَلَقَمَةَ مِنْ بَنِي زُرَّارَةَ ، ثُمَّ مِنْ عَلَيْهِ ، وَأَسْرَتْ عَمَامَةُ بِنْتُ الطَّوْدِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ زُرَّارَةَ ، وَأَشْتَرَكِ فِي أَسْرِهَا الْحَطِيمُ بْنُ هِلَالٍ ، وَظَرَبَانَ بْنِ زِيَادٍ ، وَقَيْسُ بْنُ خُلَيْدٍ ، فَفَرَدَوْهَا إِلَى أَهْلِهَا ، وَأَسْرَ

(١) الصمان : جمل أحمرق أرض بن تميم .

(٢) تعروه : يفتي ترحلوا عنه .

(٣) الدهناء : سجة أجيل من الرمل ، وهي ديار لعامة تميم .

حنظلة بن المأمون بن شيبان بن علقمة ، أسره طلبةُ بن زياد أحد بني ربيعة بن
عجل ، وأمير حوثة بن بدر من بني عبد الله بن دارم ، فلم يزل في الوثاق حتى قال
أبياتا يمدح فيها بني عجل فأطلقوه ، وأسر نعيم بن القعقاع بن معبد بن زُرارة ،
وعمر بن ناشب ، وأسر مسنان بن عمرو أحد بني سلامة من بني دارم ، وأسر
حاضر بن صخرة ، وأسر الهيثم بن صعصعة ، وهرب عوف بن القعقاع عن إخوته ،
وقتل حكيم النهشلي ، وكان يقاتل ويرتجز :

كُلُّ آمِرِي مُصَبِّحٌ فِي أَهْلِهِ * وَالْمَوْتُ أَذَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ

وفيه يقول عنترة :

وَعَاذَرْنَا حَكِيمًا فِي مَجَالٍ * صَرِيمًا قَدْ سَلَبْنَاهُ الْإِزَارَا

(١)
يوم النِّبَاجِ وَثَيْتَلُ
لبكر على تميم

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : غدا قيس بن عاصم في مُقَاعِسٍ وهو رئيسُ
عليها — ومُقَاعِسُ هم : صريم ، وربيح ، وعبيد ، بنو الحارث بن عمرو بن كعب
ابن سعد بن زيد مناة بن تميم — ومعه سلامة بن ظرب بن نمر الحناني
في الأجارب وهم : حمان ، وربيعة ، ومالك ، والأعرج ، بنو كعب بن سعد
ابن زيد مناة بن تميم ، فغزوا بكر بن وائل فوجدوا بني دُهل بن ثعلبة بن عكابة ،
واللهازم وهم : بنو قيس وتيم اللات بن ثعلبة ، وعجل بن لحيم ، وعنزة بن أسد
ابن ربيعة بالنِّبَاجِ وَثَيْتَلُ ، وبينهما روحة ، فنزاع قيس بن عاصم وسلامة بن
ظرب في الإغارة ، ثم اتفقا على أن يُغَيِّرَ قيس على أهل النَّبَاجِ ، ويُغَيِّرَ سلامة على

(١) النَّبَاجِ : موضع قريب من ثيثل . وثيثل : ماء على عشر مراحل من البصرة .

أهل تَيْتَل . قال : فبعث قيسُ بنَ عاصمِ الأَهمَّ سبقةً له - والسبقةُ : الطليعة -
فأتاه الخبْرُ فلما أصبح قيس سقى خيله ، ثم أطلق أفواه الروايا وقال لقومه : قَاتِلُوا
فإن الموتَ بين أيديكم ، والفلاة من ورائكم . فلما دَنُوا من القوم صُجِحَ سَمُّهُوا ساقياً
يقول لصاحبه : يا قيسُ ، أورد ، فتفاهلوا به ، فأغاروا على النَّباجِ قبل الصبح ،
فقاتلوهم قتالاً شديداً ، ثم إن بكراً أَنهزمت ، فأسر الأَهمُّ حُمرانَ بنَ بشرِ بنِ عمرو
ابنِ مرند ، وأصابوا غنائم كثيرةً ، فقال قيس لأصحابه : لا مقام دون التيتل ،
فالتجاة ، فاتوا تيتل ولم يَغزوا سلامةً وأصحابه بعد ، فأغار عليهم قيسُ بنَ عاصم ،
فقاتلوه ثم أَنهزموا ، فأصاب إبلا كثيرةً ، فقال ربيعةُ بنَ طريف :

فلا يُبِعدنك الله قيسَ بنَ عاصمِ * فانت لنا عزَّ عزيرٌ وموئيلُ
وأنت الذي حرتَ بكر بن وائل * وقد عضلتَ منها النَّباجَ وميتلُ
غداة دعتْ يا آلَ شيانٍ إذ رأت * كراديس يزجيهنَّ ورد محجلُ
وقال قُرةُ بن قيس بن عاصم :

أنا ابنُ الذي شقَّ المزدادَ وقد رأى * سبتلَ أحياءَ اللهازمِ حضراً
فصبحهم بالجيش قيسُ بنُ عاصمِ * فلم ييجدوا إلا الأيسنةَ مضدراً
على الجردِ يعلكنَّ الشكيمَ عوايساً * إذا الماءُ من أعطافهنَّ تحدراً
فلم يرها الرءونَ إلا بجاءةً * نثرنَّ عجاجاً بالسنايكَ أكدرأ

(١) حربه : سلب ماله .

(٢) عضلت الأرض بأهلها : إذا ضافت بهم لكثرتهم .

(٣) كراديس : جمع كردوس ، وهي الخيل العظيمة ، وقيل : القطعة من الخيل العظيمة .

(٤) المزداد : جمع مزادة ، وهي الرواية :

(٥) فرس أجرد : قصير الشعر ، وقيل : الأجرد : الذي رق شعره وقصر ، وهو مدح .

(٦) الشكيم في الجمام : الحديدة المترصة في فم الفرس التي فيها الفأس .

مَقَاهُمْ بِهَا الذِّيفَانِ قَيْسُ بْنُ حَاصِمٍ * وَكَانَ إِذَا مَا أُوْرِدَ الْأَمْرَ أَصْدِرَا
وَحُمْرَانَ أَذْتَهُ إِلَيْنَا رِمَاحَنَا * فَتَنَزَعَ غُلًّا فِي ذِرَاعَيْهِ أَتَمَمَرًا
وَجَنَامَةَ الذُّهْلِيِّ قُدْنَاهُ عَنَوَةً * إِلَى الْحَيِّ مَصْفُودَ الْيَدَيْنِ مُفَكَّرًا.

يوم زرود^(١) الثاني

لبنى يربوع على بنى تغلب

أغار خزيمة بن طارق التغلبي على بنى يربوع وهم بزرد، فأقتلوا قتالا شديداً،
ثم أنهزمت بنو تغلب، وأسّر خزيمة بن طارق، أسره أنيف بن جبلة الضبي
— وهو فارس السليط، وكان يومئذ ثقيلاً في بنى يربوع — وأسيد بن حنّاءة
السليط، فتنازعا فيه، فحكما بينهما الحارث بن فراد، فحكم بناصية خزيمة
للأنيف، على أن لأسيد على أنيف مائة من الإبل. قال: فَقَدَى خُزَيْمَةُ نَفْسَهُ
بِمَاتِي بَعِيرٍ وَفَرَسٍ، فَقَالَ أَنْيْفُ :

أَخَذْتُكَ قَسْرًا يَا خُزَيْمَ بْنَ طَارِقٍ * وَلَا قَيْتَ مِنِّي الْمَوْتَ يَوْمَ زُرُودٍ
وَعَاتَقْتُهُ وَالْحَيْلُ تَدْمِي نُحُورَهَا * فَانزَلْنَاهُ بِالْقَاعِ غَيْرَ حَمِيدٍ

(٢)

يوم ذى طلوح

لبنى يربوع على بكر

كان عميرة بن طارق بن حصينة بن أريم بن عبيد بن ثعلبة، تزوج مربية بنت
جابر، أخت أبحر بن جابر العجل، فأبنتي بها في بنى عجل، فأبى أبحر أخته امرأة

(١) زرود : رمال بطريق الحاج من الكوفة .

(٢) الثقيل : الغريب .

(٣) ذو طلوح : موضع في حزن بنى يربوع بين الكوفة وفيد .

عَمِيرَةٌ يَزُورُهَا فَقَالَ لَهَا : إِنِّي لِأَرْجُو أَنْ آتِيكَ بِنْتِ النَّيْفِ أَمْرًا عَمِيرَةً الَّتِي فِي قَوْمِهَا ، فَقَالَ لَهُ عَمِيرَةٌ : أَرْضِي أَنْ تَحَارِبَنِي وَتَسْبِنَنِي ، فَنَدِمَ أَيْجُرُ وَقَالَ لِعَمِيرَةٍ : مَا كُنْتُ لِأَغْزُوَ قَوْمَكَ ، ثُمَّ غَزَا أَيْجُرَ وَالْحَوْفَزَانَ مَتَسَانِدِينَ ، هَذَا فِيمَنْ تَبِعَهُ مِنْ بَنِي شَيْبَانَ ، وَهَذَا فِيمَنْ تَبِعَهُ مِنَ اللَّهَازِمِ ، وَسَارُوا بِعَمِيرَةٍ مَعَهُمْ قَدْ وَكَلَ بِهِ أَيْجُرُ أَخَاهُ حُرْقُصَةَ بْنَ جَابِرٍ ، فَقَالَ لَهُ عَمِيرَةٌ : لَوْ رَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي فَأَحْتَمَلْتُهُمْ ، فَقَالَ حُرْقُصَةُ : أَفْعَلْ ، فَفَكَرَ عَمِيرَةٌ عَلَى نَاقَتِهِ ، فَسَارَ بِوَمَيْنَ وَلَيْلَةً حَتَّى آتَى بَنِي يَرْبُوعَ ، فَأَنْذَرَهُمُ الْجَيْشَ ، فَأَجْتَمَعُوا حَتَّى اتَّقَوْا بِأَسْفَلِ ذِي طُلُوحٍ ، فَكَانَ أَوَّلَ فَارِسٍ طَلَعَ عَلَيْهِمْ عَمِيرَةٌ ، فَنَادَى : يَا أَيْجُرُ ، هَلَمْ ! فَقَالَ مَنْ أَنْتِ ؟ قَالَ : أَنَا عَمِيرَةٌ ، فَكَذَّبَهُ ، فَسَفَرَ عَنْ وَجْهِهِ ، فَعَرَفَهُ ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ ، وَاتَّقَفَتْ الْخَيْلُ بِالْخَيْلِ ، فَأَسْرَ الْجَيْشُ إِلَّا أَقْلَهُمْ ، وَأَسْرَ حِظْلَةَ ابْنِ بَشْرِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عُدُسَ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دَارِمٍ — وَكَانَ فِي بَنِي يَرْبُوعَ — ١٠ الْحَوْفَزَانَ بْنَ شَرِيكَ ، أَخَذَهُ مَعَهُ أَبُو مُلَيْلٍ ، وَأَخَذَ ابْنُ طَارِقٍ سُودَةَ بْنَ بَيْحِيَّ ابْنَ عَمِّ أَيْجُرٍ ، وَأَخَذَ أَبُو عَنَمَةَ الضَّبِّيُّ الشَّاعِرُ مَعَ بَنِي شَيْبَانَ ، فَأَفْتَكَّهُ مَتَمُّ بْنُ نُورَةَ ، وَأَسْرَ شَرِيكَ بْنَ الْحَوْفَزَانَ ، وَأَسْوَدُ وَفَلْحَسُ ، وَهَمَانُ بْنُ سَعْدِ بْنِ هَمَامٍ ، فَقَالَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ كَرِيْمٌ ذِي طُلُوحٍ :

١٥ وَلَمَّا لَقِينَا خَيْلَ أَيْجُرٍ تَدْعِي * يَدْعُوِي الْجَيْمِ قَبْلَ مَيْلِ الْعَوَاتِقِ
صَبْرًا وَكَانَ الصَّبْرُ مَنَا سَجِيَّةً * بِأَسْيَانَا تَحْتَ الظَّلَالِ الْخَوَاتِقِ
فَلَمَّا رَأَوْا أَنْ لَا هَوَادَةَ عِنْدَنَا * دَعَوْا بَعْدَ كَرِيْبٍ يَا عَمِيرَ بْنَ طَارِقِ

(١) كذا في كتاب النفاضة . وفي الأصول والمقد الفريد : « أبو مليك » .

يَوْمُ الْحَائِرِ وَهُوَ يَوْمُ مَلْهَمٍ

لبنى يربوع على بنى بكر

وذلك أن بنى مليل عبد الله بن الحارث بن عاصم بن عبيد ، وعتقمة أخاه
 أنطلقا يطلبان إبلاً لها حتى وردا ملهم من أرض اليمامة ، ففرج عليهما نفر من بنى
 يشكر ، فقتلوا عتقمة وأخذوا أبا مليل ، فكان عندهم ما شاء الله ثم خَلُّوا سبيله ،
 وأخذوا عليه عهداً وميثاقاً ألا يُخْبَرُ بأمر أخيه أحداً ، فأتى قومه فسألوه عنه
 فلم يخبرهم ، فقال وَبَرُّهُ بِنُ حَمْزِهِ : هذا قد أُخِذَ عليه عهدٌ وميثاقٌ ، فخرجوا يقصِّون
 الأثر ويبنهم شهابُ بنُ عبدِ القيسِ حتى وردوا ملهم ، فلما رآهم أهلُ ملهم^(١) تحصنوا ،
 فخرقت بنو يربوع بعضَ زرعهم ، وعقروا بعضَ تخيلهم ، فلما رأى ذلك القومُ
 نزلوا إليهم فقاتلوهم ، فهزمت بنو يشكر ، وقُتِلَ عمرو بنُ صابر صَبْرًا ، ضربوا عنقه ،
 وقَتَلَ عيينةُ بنُ الحارثِ بنُ شهابِ بنِ مُثَلَّمِ بنِ عبيدِ بنِ عمرو رجلاً آخر منهم ،
 وقَتَلَ مالكُ بنُ نويرةِ حُمُرَانَ بنِ عبدِ الله وقال :

طلبنا بيومٍ مثلِ يومِكِ علقمًا * لعمري لمن يَسْعَى بها كان أكرمًا
 قتلنا ينجبِ العريضِ عمرو بنِ صابر * وحُمُرَانَ أَفْصَدَ نَاهِمًا وَالْمَثَلَمَا
 فَاللهِ عينا مَنْ رَأَى مِثْلَ خَيْلِنَا * وما أدركتُ من خَيْلِهِمْ يَوْمَ مَلْهَمَا

يوم القحح وهو يوم مالة

لبنى يربوع على بكر

أغار بنو أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان على بنى يربوع ورئيسهم مجبة
 ابن ربيعة بن ذهل ، فأخذوا إبلاً لعاصم بن قرط أحد بنى حميد ، وأنطلقوا ، فطلبهم

(١) ملهم : قرية باليمامة لبنى يشكر وأخلاق من بكر .

بنو يربوع، فناوشوهم، فكانت الدائرة على بني ربيعة، وقيل المنهال بن عصمة
النجبة بن ربيعة، فقال في ذلك ابن حمران الرياحي :

وَإِذَا لَقِيتَ الْقَوْمَ فَأَطْعِنْ فِيهِمْ * يَوْمَ اللَّقَاءِ كَطَعْنَةِ الْمِنهَالِ
تَرَكَ الْمَجِيَّةَ لِلضَّبَاعِ مَجْدَلًا * وَالْقَوْمُ بَيْنَ سِوَاظِلٍ وَعِوَالِ

يوم رأس العين

لبنى يربوع على بكر

أغارت طوائف من بني يربوع على بني أبي ربيعة برأس العين فأطردوا النعم،
وأتبعهم معاوية بن قراس في بني أبي ربيعة فأدركوهم، فقتل معاوية وفاتوا بالإبل،
فقال سحيم في ذلك :

أَلَيْسَ الْأَكْرَمُونَ بِنُورِ رِيَّاحٍ * تَمَوَّنِي مِنْهُمْ عَمَّى وَخَالِي
مُهِو قَتَلُوا الْمَجِيَّةَ وَابْنَ تَيْمٍ * تَوَّحُّ عَلَيْهِمَا سُودُ الْمَالِ
وَهُمْ قَتَلُوا عَمِيدَ بَنِي فِرَاسٍ * بِرَأْسِ الْعَيْنِ فِي الْمَجِيحِ الْخَوَالِي
وَنَادُوا يَوْمَ طَخْضَةٍ عَنْ حِمَامٍ * ذِيَادَ غَرَائِبِ الْإِبِلِ النَّهَالِ

يوم العظالي^(١)

لبنى يربوع على بكر

قال أبو عبيدة : وهو يوم أعشاش ويوم الأفاقة ويوم الإياد ويوم مليحة.
قال : وكانت بكر بن وائل تحت يد كسرى وفارس، فكانوا يجيرونهم ويجهزونهم،
فأقبلوا من عند عامل عين التمر في ثلثمائة فارس متساندين، يتوقفون آنحدار بن يربوع
في الحزن - قال : وكانوا يشنون خفافا فإذا أقطع الشتاء آنحدروا إلى الحزن -

(١) سمى يوم العظالي لأنه تعاضل على الرياضة بسطام وهاني بن قبيعة ومفروق بن عمرو في هذا اليوم.

قال : فاحتمل بنو عتيبة وبنو عبيد وبنو زيد من بني سليط ، أول الحى ، حتى أسهلوا بطن مَلِيحَةَ ، فطلعت بنو زيد في الحزن حتى حلوا الحُدَيْقَةَ بالأفاقة ، وحلَّت بنو عبيد وبنو عتيبة ببروضة التمد . قال : وأقبل الجيُش حتى نزلوا هضبة الخصى ، ثم بعثوا رَيْسَهُمْ فصادفوا غلاما شابا من بني عبيد يقال له قرط بن أضيظ ، فعرفه بسطام فقال له : أخبرنى ما ذاك السواد الذى أرى بالحُدَيْقَةَ ؟ قال : هم بنو زيد . قال : أسيّد بن حنّاء ؟ قال : نعم ، قال : كم هم ؟ قال : نحسون بيتا ، قال : فأين بنو عتيبة وبنو أريم ؟ قال : نزلوا روضة التمد . قال : فأين سائر الناس ؟ قال : هم محتجزون بجفاف ^(١) . قال : فمن هناك من بنى عاصم ؟ قال : الأخيْمِرُ وقَعَبٌ ومُعدان أبناء عصمة . قال : فمن فيهم من بنى الحارث بن عاصم ؟ قال : حصينُ ابنُ عبد الله . فقال بسطام لأصحابه : أطيعونى تقبضوا على هذا الحى من زيد ، وتصبحوا سالمين غانمين . قالوا : وما يعنى عنا بنو زيد لا يودون رحلتنا . قال : إن السلامة إحدى الغنيمتين . فقال له مغروق : انتفخ سحرِك يا أخا الصهباء ، قال له هانى : أجبنا . قال : ويلكم إن أسيّدًا لم يظّله بيتٌ قط شاتيا ولا قائظًا ، إنما بيته القفرُ ، فإذا أحسّ بكم أحال على الشقراء ، فركض حتى يشرف مَلِيحَةَ ^(٢) ، فينادى : يا آل يربوع ! فيركب فيلقاكم طعنٌ ينسيكم الغنيمة ، ولا يبصر أحدكم مصرعَ صاحبه ، وقد جئتمونى وأنا تابعكم ، وقد أخبرتكم ما أتم لاقون غدا . فقالوا : نلتقط بنى زيد ، ثم نلتقط بنى عبيد وبنى عتيبة كما نلتقط الكمأة ، ونبعثُ فارسين فيكونان بطريقِ أسيّد ، فيحولان بينه وبين بنى يربوع ، ففعلوا . فلما أحسّ بهم أسيّد ركب الشقراء وخرج نحو بنى يربوع ، فأبتدره الفارسان فطعنه

(١) جفاف ، وتسمى جفاف الطير : أرض لآسد وحظلة راسعة فيها أما كن يكون فيها الطير .

(٢) مَلِيحَة : موضع في بلاد بنى تميم .

أحدهما فآلتي نفسه في شق فأخطاه ، ثم كرّراجما حتى أشرف مُلِحَة ، فنادى :
يا صباحاه ! يا آل يربوع ، غشيم ، فلاحقت الخيل حتى توافوا بالعظالي ، فأقتلوا ،
فكانت الدائرة على بكر ، قُتِل منهم مغروق بن عمرو ، فدُفِن بنية مغروق ، وبه
سُميت ، وغيره . وأما بسطام فألح عليه فارس من بني يربوع ، وكان دارعا على ذات
النسوع^(١) ، وكانت إذا أُجِدَّت لم يتعلق بها شيء من خيلهم ، ففاقت الطلب حتى
أتى قومه .

يوم الغبيط

لبنى يربوع على بكر

ويقال له يومُ الثعالب . قال : غزا بسطامُ بنُ قيس ، ومغروق بن عمرو ،
والحارثُ بنُ شريك - وهو الحوفزان - بلادَ بني تميم ، وهذا اليوم قبل يوم
العظالي ، فأغاروا على بني ثعلبة بن يربوع ، وثعلبة بن سعد بن ضبة ، وثعلبة بن عدى
أبن فزارة ، وثعلبة بن سعد بن ذبيان ، فلذلك قيل له يومُ الثعالب . وكان هؤلاء
جميعا متجاورين بصحراء فلج فأقتلوا ، فأنهزمت الثعالبُ ، فأصابوا فيهم وأستاقوا^(٢)
إبلا من نعمهم ، ولم يشهد عتيبة بن الحارث بن شهاب هذه الواقعة لأنه كان نازلا
يومئذ في بني مالك بن حنظلة . قال : ثم أسروا على بني مالك ، وهم بين صحراء فلج
وبين الغبيط ، فأكتسحوا إبلهم ، فوكبت عليهم بنو مالك ، فيهم عتيبة بن الحارث
أبن شهاب ، ومعه فارسان من فرسان بني يربوع ، وتأنف^(٥) إليهم الأجير بنُ عبدالله ،
وأسيدُ بنُ حنّاءة ، وأبو مرحب ، وجزء بن سعد الرياحي - وهو رئيس

(١) ذات النسوع : فرس بسطام . (٢) أُجِدَّت : سلكت الطريق الوعر .

(٣) الثعالب : أسماء قبائل اجتمعت فيه . (٤) صحراء فلج : واد لبني النضير بن تميم ،
يقع أول الدهناء . (٥) تأنف : يريد تذبذبهم وتحولهم مثل تأنف الأتاني الرماد .

بني يربوع - وربيع، والحليس، وعمارة، بنو عتيبة بن الحارث، ومعدان وعصمة
أبنا قعنب، ومالك بن نُويرة، والمنهال بن عصمة أحد بني رياح بن يربوع، وهو
الذي يقول فيه متمم بن نويرة في شعره الذي يرثى به أخاه مالكا :

لقد كَفَنَ المنهالُ تحتَ رِدَائِهِ فتي غيرَ مِطَانِ العِشِيَاتِ أروَعَا

فأدركوهم بغيظ المدرة، فقاتلوهم حتى هزموهم، وأدركوا ما كانوا استأقوا من
أموالهم، وأسر بسطام، أسره عتيبة، فلم يزل عنده حتى فادى نفسه . قيل : إنه
فدى نفسه بأربعمائة بعير وثلاثين فرسا، ولم يكن غيره عكاظي أعلى فداء منه، على
أن جزأ نصيبته وعاهده ألا يفزؤبني شهاب أبدا .

يوم مُحَطَّط

لبني يربوع على بكر

قال أبو عبيدة : غزا بسطام بن قيس والحوَفَزَانُ الحارثُ متساندين يقودان
بكر بن وائل، حتى وردوا على بني يربوع بالفردوس، وهو بطن لإياد، وبينه وبين
مخَطَط ليلة، وقد نذرت بهم بنو يربوع فالتقوا بالمخَطَط، فأقتلوا، فأنهزمت بكر،
وهرب الحَوَفَزَانُ وبسطام فقاتا ركضا، وقتل شريك بن الحَوَفَزَانُ، قتله شهابُ
أبن الحارث أخو عتيبة، وأسر الأَحِمِر بن عبد الله بن الضريس الشَّيباني .

يوم جدود

غزا الحَوَفَزَانُ وهو الحارثُ بن شريك فأغار على من بالقاعة من بني سعد بن
زيد مناة، فأخذ نساء كثيرا ونساء فيهن الزرقاء من بني ربيع بن الحارث، فأعجب
بها وأعجبت به، فلم يتمالك أن وقع بها، فلما آتتهى الى جدود منعهم بنو يربوع

(١) جدود : اسم موضع في بلاد بني تميم قريب من حزن بن يربوع على سمت الجملة، فيه الماء.

الذي يقال له الكلاب .

أَبْنُ حَنْظَلَةَ أَنْ يَرِدُوا الْمَاءَ ، وَرَيْسُهُمْ عَتِيبَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ ، فَقَاتَلُوهُمْ ، فَلَمْ يَكُنْ لِبَنِي بَكْرِهِمْ يَدٌ ، فَصَالِحُوهُمْ عَلَى أَنْ يُعْطُوا بَنِي يَرْبُوعَ بَعْضَ غَنَائِمِهِمْ حَتَّى يَرِدُوا الْمَاءَ ، فَقَبِلُوا ذَلِكَ مِنْهُمْ وَأَجَازُوهُمْ ، فَلَمَّا آتَى الصَّرِيحُ بَنِي سَعْدٍ ، رَكِبَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ فِي أَثَرِ الْقَوْمِ حَتَّى أَدْرَكَهُمُ بِالْأَشْيَانِ ، فَأَخَذَ قَيْسُ عَلَى الْحَوْفَرَانَ ، وَقَدْ حَمَلَ الزَّرْقَاءُ خَلْفَهُ رَدِيْفًا عَلَى فَرْسِهِ الزَّيْدِ ، وَعَقَدَ شَعْرَهَا عَلَى صَدْرِهِ ، فَأَخَذَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ بِمِثْلِ يَكْتُمُ الْحَوْفَرَانَ ، فَقَالَ لَهُ قَيْسُ : يَا أَبَا حَمَادٍ ، أَنَا خَيْرُكَ مِنَ الْفَلَاةِ وَالْعَطَشِ ، قَالَ لَهُ : مَا يَشَاءُ الزَّيْدُ . فَلَمَّا رَأَى قَيْسُ أَنَّ فَرْسَهُ لَا يَلْحُقُهُ نَادَى الزَّرْقَاءَ فَقَالَ : مِيلِي بِهِ يَا جَعَارَ ، فَجَزَّ الْحَوْفَرَانَ قَرُونَهَا بِالسَّيْفِ وَدَفَعَهَا بِرَمْقِهِ وَأَلْقَاهَا عَنْ عَجْزِ فَرْسِهِ فَرَدَّهَا قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ إِلَى بَنِي رَبِيعٍ .

يَوْمُ سَفَوَانَ

قال أبو عبيدة : التقت بنو مازن وبنو شيان على ماء يقال له سفوان ، فزعمت بنو شيان أنه لهم ، وأرادوا أن يجلوا تميما عنه . فأقتلوا قتالا شديدا ، فظهرت عليهم بنو تميم وشلوهم حتى بلغوا المحدث ، وكانوا قبل ذلك يتوعدون بني مازن ، فقال في ذلك الوداك المازني :

رُويَدَا بَنِي شِيَانَ بَعْضَ وَعِيدِكُمْ * تَلَّاقُوا غَدَا حَيْلِي عَلَى سَفَوَانَ ١٥
تَلَّاقُوا جِيَادًا لَا تَحِيدُ عَنِ الْوَعَى * إِذَا الْخَيْلُ جَلَّتْ فِي الْقَنَا الْمُنْتَدَى
عَلَيْهَا الْكِبَاةُ الْغُرَّ مِنْ آلِ مَازِنٍ * لُبُوثُ طِعَانٍ كُلُّ يَوْمِ طِعَانٍ
تَلَّاقُوهُمْ فَتَعْرِفُوا كَيْفَ صَبْرَهُمْ * عَلَى مَا جَنَّتْ فِيهِمْ يَدُ الْحَدَثَانِ

(١) كذا في العقد الفريد . وفي الأصل : « الغزى » مجربهم يد .

(٢) الأشيانه ؛ في بلاد بني سعد بالبحرين دون هجر .

مَقَادِيمُ وَصَّالُونَ فِي الرَّوْعِ خَطْوَهُمْ * بِكَلِّ رَقِيقِي الشَّفَرَتَيْنِ يَمَانِ
 إِذَا اسْتَنْجِدُوا لَمْ يَسْأَلُوا مَنْ دَعَاهُمْ * لِأَيَّةِ حَرْبٍ أَمْ لِأَيِّ مَكَانٍ

٧
٣

يوم نقا الحسن

(١)
 وهو يوم الشقيقة لبني ضبة على بني شيبان

فيه قتل بسطام . قال أبو عبيدة : غزا بسطام بن قيس بن مسعود بن قيس
 ابن خالد - وقيس بن مسعود هو ذو الجذنين ، وأخوه السليل بن قيس من بني ضبة
 ابن أد بن طابخة - فأغار على ألف بعير لمالك بن المنتفق فيها فخلها قد فقأ عينه ،
 وكان في الإبل مالك بن المنتفق ، فركب فرسا له ونجا ركضاً حتى إذا دنا من قومه
 نادى : يا صَبَاحَاهُ ، فركبت بنو ضبة ، وتداعت بنو تميم ، ففلاحوا بالنقا ،
 فقال عاصم بن خليفة لرجل من فرسان قومه : أيهم رئيسُ القوم ؟ قال : حاميتهم
 صاحب الفرس الأدهم - يعني بسطاماً - فعلا عاصم عليه بالرحم فطعنه ، فلم تخطئ
 صمخ أذنه حتى خرج الرح من الناحية الأخرى ونحر . فلما رأى ذلك بنو شيبان
 خللوا سبيل النعم وولوا الأديبار ، فن قتييل واسير ، وأسر بنو ثعلبة نجاد بن قيس
 أخوا بسطام في سبعين من بني شيبان : وقال شمعة بن الأخضر بن هبيرة :

ويوم شقائق الحسنين لآقت * بنو شيبان آجالاً قصاراً
 شككنا بالرماح وهن زور * صمخى كبشهم حتى استداراً

أيام بكر على تميم

يوم الزويرين

قال أبو عبيدة : كانت بكر بن وائل تنتجع أرض بني تميم في الجاهلية ترعى
 بها إذا أجدبوا ، فإذا أرادوا الرجوع لم يدعوا عودة يصييونها ولا شيئاً يظفرون به

(١) الشقيقة : كل جمد (فتح الجيم المعجمة وسكون الميم) بين حلي رمل . والجد : غلظ وصلابة .

إلا اكتسحوه، فقال بنو تميم : امنعوا هؤلاء القوم من رعى أرضكم، فحشدت تميم ، وحشدت بكر واجتمعت ، فلم يتخلف عنهم إلا الحوفزان بن شريك في أناس من بنى ذهل بن شيان، وكان غازياً ، فقدمت بكر عليهم عمراً الأصمّ - أبا مفروق - وهو عمرو بن قيس بن مسعود بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيان - فحسد سائر ربيعة الأصمّ على الرياسة ، فاتوه فقالوا : يا أبا مفروق ، إنا قد زحفنا لتيمة وزحفوا لنا أكثر مما كنا وكانوا قط . قال : فما تريدون ؟ قالوا : نريد أن نجعل كل حى على حياله ، ونجعل عليهم رجلاً منهم ، فنعرف غناء كل قبيلة ، فإنه أشدّ لأجتهاد الناس . قال : والله إني لأبغض الخلاف عليكم ، ولكن يأتى مفروق فينظر فيما قاتم . فلما جاء مفروق شاوره أبوه ، فقال له مفروق : ليس هذا أرادوا ، وإنما أرادوا أن يحدعوك عن رأيك وحسدك على رياستك ، والله لئن لقيت القوم فظفرت لا يزال لنا الفضل بذلك أبداً ، وإن ظُفرك لا تزال لنا رياسة نُعرف بها ، فقال الأصمّ : يا قوم ، قد استشرت مفروقاً فرأيتُه مخالفاً لكم ، ولستُ مخالفاً رأيه وما أشار به . فأقبلت تميم بجملين مجلّين مقرونين مقيدين وقالوا : لا نولّى حتى يولى هذان الجملان ، وهما الزويران ، فأخبرت بكر بقولهم الأصمّ فقال : وأنا زويركم إن خشوهما فخشوني ، وإن عقروهما فأعقروني ، قال : وآتقى القوم فأقتلوا قتالاً شديداً . فأمرت بنو تميم حراث بن مالك أخا بنى مرة بن همام ، فركض به رجلٌ منهم وقد أردفه ، فآتبعه ابنه قتادة بن حراث حتى لحق الفارس الذى أسر أباه ، فطعنه فأرداه عن فرسه ، وأستنقذ أباه ، ثم أنهزمت بنو تميم . وقال رجلٌ من بنى سدوس :

٢٠. يَاسَلُّمُ إِنْ تَسَالَى عَنَّا فَلَا كَشْفُ * عِنْدَ اللَّقَاءِ وَلسْنَا بِالْمَقَارِيفِ

نَحْنُ الَّذِينَ هَزَمْنَا يَوْمَ صَبْحَنَا * جيشَ الزُّورَيْنِ فِي جَمْعِ الْأَحَالِفِ
ظَلُّوا وَظَلْنَا نِكْرَ الْحَيْلِ وَسَطَهُمْ * بِالشَّيْبِ مِنَّا وَبِالمُرْدِ الْغَطَارِيفِ

يَوْمَ الشَّيْطَانِ

لبكر على تميم

قال أبو عبيدة : لما ظهر الإسلام - قبل أن يسلم أهل نجد والعراق -
سارت بكر بن وائل الى السواد وقالت : نغير على بني تميم بالشَّيْطَانِ (١) ، فإن في دين
أبن عبد المطلب أنه من قتل نفسا قُتِلَ بها ، فَنُغِيِرَ هذه الغارة ثم تُسَلِّمَ عليها .

فَأَرْتَحَلُوا مِنْ لَعَلَعِ الْبَدْرَارِي وَالْأَمْوَالِ ، فَأَتَوْا الشَّيْطَانِ فِي أَرْبَعٍ ، وَبَيْنَهُمَا
مَسِيرَةٌ ثَمَانِيَةٌ أَمْيَالٌ فَسَبَقُوا الْخَبَرَ فَصَبَّحُوهُمْ وَهُمْ لَا يَتَشْعُرُونَ ، وَرئيسهم يومئذ
يُسْرُبُ بْنُ مَسْعُودِ بْنِ قَيْسِ بْنِ خَالِدِ ذِي الْحَدَيْنِ ، فَقتلوا بني تميم قتلا ذريعا وأخذوا
أموالهم . قال : قُتِلَ مِنْ بَنِي تَمِيمِ يَوْمَ الشَّيْطَانِ وَلَعَلَعِ سِتْمَانَةٌ رَجُلٌ ، قال : فوفد
وفدٌ مِنْ بَنِي تَمِيمِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا : أَدْعُ اللَّهَ عَلَى بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ ! فَأَبَى
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

يَوْمُ صَعْفُوقِ

لبكر على تميم

أغارَتِ بَنُو رَبِيعَةَ عَلَى بَنِي سَلِيطِ بْنِ يَرْبُوعِ يَوْمَ صَعْفُوقِ ، فَأَصَابُوا مِنْهُمْ أَسْرَى ،
فَاتَى طَرِيفُ بْنُ تَمِيمِ الْعَنْبَرِيُّ فَرَوَةَ بَنُ مَسْعُودِ ، وَهُوَ يَوْمئِذٍ سَيِّدُ بَنِي رَبِيعَةَ ، فَفَدَى
مِنْهُمْ أَسْرَى بَنِي سَلِيطِ وَرَهَنَهُمْ أَبْنَهُ ، فَأَبْطَأَ عَلَيْهِمْ فَقتلوا أَبْنَهُ .

(١) الشيطان : واديان .

يوم مَبَايِض

لبكر على تميم

قال أبو عبيدة : كانت الفُرسان إذا كانت أيام عَمَاط في الشهر الحرام ،
 وأَمِنَ بَعْضُهُم بَعْضًا ، تَقَنَّعُوا كِي لَا يُعْرِفُوا ، فَكَانَ طَرِيفُ بَنِ تَمِيمٍ لَا يَتَقَنَّعُ ، فَوَافِي
 عَمَاطٍ وَقَدْ كَشَفَتْ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ ، وَكَانَ طَرِيفٌ قَدْ قَتَلَ شَرَاهِيلَ الشَّيْبَانِيَّ أَحَدَ
 بَنِي عَمْرِو بْنِ رَبِيعَةَ ، فَقَالَ نَحِيصَةَ : أَرُونِي طَرِيفًا ، فَأَرَاهُ لِأَيَّاهُ ، فَتَأَمَّلْهُ وَنَظِرْ
 إِلَيْهِ ، فَفَظَنَ لَهُ طَرِيفٌ فَقَالَ : مَا لَكَ تَنْظُرُ ؟ فَقِيلَ : أَتَوَسَّكُ لِأَعْرِفُكَ ، فَلِلَّهِ
 عَلِيٌّ إِنْ لَقَيْتُكَ أَنْ أَقْتُلَكَ أَوْ تَقْتُلَنِي .

قال : فمضى لذلك ما شاء الله ، ثم إن بنى عائدة حلفاء بنى ربعة بن ذهل ،
 ١٠ نخرج منهم رجلا يصيدان ، فعرض لهما رجل من بنى شيبان ، فذعر عليهما
 صيدها ، فوثبا عليه فقتلاه ، فنارت بنو مربة بن ذهل بن شيبان يريدون
 قتلها ، فأبى بنو ربعة ذلك عليهم ، فقال هانئ بن مسعود : يا بنى ربعة ، إن
 إخوانكم قد أرادوا ظلمكم فأمازوا عنهم ، ففارقوهم ، وساروا حتى نزلوا بمبايض :
 — ماء لهم — فأبى عبد لرجل من بنى ربعة ، وسار إلى بلاد تميم ، فأخبرهم أن
 ١٥ حيا جديدا ، أى منسقى من قومه ، من بكر بن وائل نزل على مَبَايِضِ وَهُمْ
 بنو ربعة ، فقال طريف العبدي : هؤلاء فأرى يا آل تميم ، وأقبل معه
 أبو الجداء أخو بنى طهية ، وجاءه فدكى بن أعبد المتقري في جمع من بنى سعد بن
 زيد مائة ، فأندرت بهم بنو ربعة ، فأناخ بهم هانئ بن مسعود ، وهو رئيسهم ،
 إلى علم مَبَايِضِ ، وأقام عليه وشرفوا بالأموال والسرحة ، وصببتهم تميم ، فقال لهم

(١) أمازوا : انفصلوا .

(٢) السرح : المال الراعى .

طريف : أطيعوني وافرغوا من هؤلاء الأكب بصف لكم ما وراءهم ، فقال لهم أبو الجداء - رئيس حنظلة - وقدكي - رئيس بنى سعد بن زيد مناة : أنقِتل أكبا أحرزوا أنفسهم وترك أموالهم ؟ ما هذا برأى ! وأبوا عليه . وقال هانئ لأصحابه : لا يقاتل رجلٌ منكم ، ولحقت تميم بالنعم والبغال فأغاروا عليها ، فلما ملأوا أيديهم من الغنيمة قال هانئ بن مسعود لأصحابه : احمِلوا عليهم ، فهزموهم . وقُتل طريف العنبري ، قتله حميصة الشيباني .

يَوْمُ قَيْحَان

لبكرٍ على تميم

قال أبو عبيدة : لما فدى نفسه بسطام بن قيس من عتيبة بن الحارث إذ أسره يوم الغبيط بأربعمائة بعير فقال : لأدركن عقراً لي ، فأغار بقبجان ، فأخذ الربيع بن عتيبة وأستاق ماله ، فلما سار يومين سُخِّلوا عن الربيع بالشراب ، فبال على قيده حتى لآن ؛ ثم خلعه وأحلَّ منه ، ثم أجال في متن ذات النسوع - فرس بسطام - وهرب ، فركبوا في أثره ، فلما يتسوا منه ناداه بسطام : يا ربيع ، هلمَّ طليقا ، فإني ، وأتوه في نادي قومه يتحدثهم ، فجعل يقول في أثناء حديثه : إيها يا ربيع ! انج يا ربيع ! وأقبل ربيع حتى انتهى إلى أدنى بنى يربوع فإذا هو براع فأستسقاءه وضربت الفرس برأسها فانت ، فسعى ذلك المكان هبير الفرس ، فقال له أبوه عتيبة : أما إذ نجوت بنفسك فإني مخلف لك مالك .

يَوْمُ ذِي قَارِ الْأَوَّلِ

لبكرٍ على تميم

قال : فخرج عتيبة في نحو من خمسة عشر فارسا من بنى يربوع ، فكن في جنبي ذى قار حتى مرَّت بهم إبل بنى الحصين ، وهي بالعدوانة : اسمها لهم ،

فصاحوا بمن فيها من الحامية والرعاية ، ثم استاقوها ، فأخلف للربيع ما ذهب له وقال :

أَلَمْ تَرِنِي أَفَاتُ عَلَى رَبِيعِ * جِلَادًا فِي مَبَارِكِهَا وَخُورًا
وَأَنِّي قَد تَرَكْتُ بَنِي حُصَيْنِ * بَدِي قَارِ يَمُونُ الْأُمُورَا

يَوْمُ الْحَاجِزِ

لبكر على تميم

قال أبو عبيدة : نخرج وائل بن صريم اليشكري من اليمامة ، فلقبه بنو أسيد ابن عمرو بن تميم ، فأسروه وجعلوا يغمسونه في الماء في الركية ويقولون :

* يَا أَيُّهَا الْمَانِحُ دَلُّوِي دُونَنَا *

١٠ حتى قتلوه ، فغزاهم أخوه باعث بن صريم يوم حاجز ، فأخذ ثمانية بن باعث ابن صريم رجلا من بني أسيد وجيها فيهم فقتله ، وقتل على الظنة مائة منهم .

يَوْمُ الشَّقِيقِ

لبكر على تميم

قال أبو عبيدة : أغار أيجر بن جابر العجلي على بني مالك بن حنظلة ، فسي

١٥ سليمي بنت محصن ، فولدت له أيجر ، ففي ذلك يقول أبو النجم :

ولقد كَرَّرْتُ عَلَى طُهْيَةِ كَثْرَةٍ * حَتَّى طَرَفْتُ نِسَاءَهَا بِمَسَاءِ

ذِكْرُ حَرْبِ الْبَسُوسِ

وهي حرب بكر وتغلب أبني وائل

قال أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب : لم تجتمع معد كلها إلا على ثلاثة

٢٠ من رؤساء العرب ، وهم : عامر بن الظرب بن عمرو بن بكر بن يشكر بن الحارث .

١٢٩
١٣

وعاصر هو قائد معد يوم اليباء حين تَمَذَّجَتْ مَذْحِجٌ وسارت الى تهامة، وهي أول واقعة كانت بين تهامة واليمن .

والثاني : ربيعةُ بنُ الحارث بن مرة بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن كلب وهو قائد معد يوم السَّلَان، وهو يوم كان بين أهل تهامة واليمن .

والثالث : كليبُ بنُ ربيعة، وهو الذي يقال فيه : أعز من كليب وائل، وقاد معدًا كلها يوم نَخَزاز، ففَضَّ جُمُوعَ اليمن وهزمهم ، وأجتمعت عليه معدُّ كلها وجعلوا له قَسَمَ الملك وتاجه وتحيته وطاعته ، فغبر ^(١) بذلك حيناً من الدهر، ثم دخله زهوٌ شديدٌ وبنى على قومه حتى بلغ من بغيه أنه كان يحى مواقع السحاب فلا يرعى حِمَاهُ ويقول : وَحُشُّ أَرْضِ كَذَا فِي جَوَارِي فَلَا يُهَاجُ ، ولا توردُ إبلُ أحدٍ مع إبله ، ولا تُوقد نارٌ مع ناره .

وكانت بنو جشم وبنو شيبان في دار واحدة بتهامة ، وكان كليبٌ قد تزوجَ جليلاً بنبةً مرة بن دهل بن شيان أخت جساس بن مرة، وكانت لها ناقةٌ يقال لها : السرابُ ، وبها يُضرب المثلُ في التشاؤم ، فيقال : « أشأم من السراب » و « أشأم من البسوس » وهي معقولة ببناء بيتها في جوار جساس بن مرة، فترت بها إبلٌ لكليب، فلما رأت السرابُ الإبلَ تازعت عقالها حتى قطعته، وتبعَت الإبلُ وأختلطت بها حتى آتته الى كليب، وهو على الحوض، ومعه قوسٌ وكانه، فلما رآها أنكرها، فأترعها بسهم فخرم ضرعها، فنفرت وهي ترغو، فلما رأتها البسوس قَدَفَتْ نمارها عن رأسها وصاحت : وأدلاء ! واجاراه .

(١) غبر : مكث وبقى .

ذكر مقتل كليب وائل

قال : فأجمشت جساسا ، فركب فرسا له مغرورا به ، وتبعه عمرو بن الحارث ابن ذهل بن شيبان على فرسه ، ومعه رمحه ، حتى دخلا على كليب الحمي ، فطعنه جساس فقصم صلبه ، وطعنه عمرو بن الحارث من خلفه فقطع قطنه ، فوقع كليب وهو يفحص برجله وقال لجساس : أغنني بشرية من ماء ، فقال له : تجاوزت شيئا والأحص^(١) ، ففى ذلك يقول عمرو بن الأهم^(٢) :

وإن كليباً كان يظلم قومه * فأدركه مثل الذي تربايت
فلما حشاه الرمح كف ابن عمه * تذاكر ظلم الأهل أى أوان
وقال لجساس اغنني بشرية * وإلا فخير من رأيت مكاني
فقال تجاوزت الأحص وماءه * وبطن شيبث وهو غير زوان

وقال نابغة بنى جعد :

أبلغ عقالا أن خبطة داحس * بكفك فاستأخر لها أو تقدم
كليب لعمري كان أكثر ناصرا * وأيسر ذنبا منك ضرج بالدم
رمى ضرع ناب فاستمز بطعنة * كحاشية البرد اليماني المسهم
وقال لجساس اغنني بشرية * تدارك بها منا على وأنعيم
فقال تجاوزت الأحص وماءه * وبطن شيبث وهو ذو متوسم

قال : فلما قتل كليب آرتحلت بنو شيبان حتى نزلوا بماء يقال له النهي ، وتشمر المهلهل أخو كليب - وأسمه عدي بن ربيعة ، وإنما قيل له المهلهل لأنه

(١) شيبث : ماء معروف لبني تظب .

(٢) الأحص : واد لبني تظب .

أول من هَلَّهَل الشعر ، أى أرقه - فأستعد المهلهل لحرب بكر ، وترك النساء والغزل ، وحرّم القمار والشراب ، وجمع اليه قومه ، فأرسل رجالا منهم الى بنى شيبان يعذر اليهم فيما وقع من الأمر ، فاتوا مرة بنّ ذهل بن شيبان وهو فى نادى قومه ، فقالوا له : إنكم آيتم عظيما بقتلكم كليباً بناب من الإبل ، فقطعتم الرّحم ، وآتتهم الحرمة ، وإنا كرهنا العجالة عليكم دون الإعدار إليكم ، ونحن نعرض عليكم خلاّلاً أربعا ، لكم فيها مخرج ولنا مقنع ، قال مرة : ما هى ؟ قالوا : نجي لنا كليباً أو تدفع لنا جساسا قاتله فقتله به ، أو هماما فإنه كفاء له ، أو تمكنا من نفسك فإنّ فيك وفاء من دمه ، فقال : أما إحيائى كليباً فهذا ما لا يكون . وأما جساس فإنه غلام طعن طعنة على عجل ثم ركب فرسه فلا أدرى أى البلاد أحتوت عليه . وأما همام فإنه أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة ، كلهم فرسان قومهم فلن يُساموه لى فادفعه اليكم يُقتل بجزيرة غيره . وأما أنا فما هو إلا أن تجول الخيل جولة غداً فاكون أول قتيل بينهما ، فما أتعبل من الموت ، ولكن لكم عندى خصلتان : أما إحداهما فهؤلاء بنى الباقون فعلقوا فى عُق أيهم شتم نسعةً فأنطلقوا به الى رجالكم فأذبحوه ذبح الجزور وإلا فألف ناقة سوداء المقل أقيم لكم بها كفيلا من بكر بن وائل ، فغضب القوم وقالوا : لقد أسأت ، تبدل لنا صغار ولدك وتُسومنا اللبن من دم كليب .

١٣٠
١٣

ووقعت الحرب بينهم ، ولحقت جليلة زوجة كليب بأبيها وقومها ، وأعتزلت قبائل بكر بن وائل ، وكرهوا مجامعة بنى شيبان ومساعدتهم على قتال إخوانهم ، وأعظموا قتل جساس كليباً بناب من الإبل ، فظعنن بلحيم عنهم ، وكفت يشكر عن نصرتهم ، وأتقبض الحارث بن عباد فى أهل بيته ، وهو أبو يُجيمر وفارص النعامة . وقال المهلهل يرثى كليباً من أبيات :

٢٠

بات لَيْبِلِي بِالْأَنْعَمِينَ طَوِيلًا * أَرْقُبُ النَّجْمَ سَاهِرًا أَنْ يَزُولَا
 كَيْفَ أَهْدَى وَلَا يَزَالُ قَتِيلٌ * مَنْ بَنَى وَائِلٌ يُنْسَى قَتِيلًا
 فِي قَصِيدَةِ طَوِيلَةٍ .

وقال أيضا يرثيه من أخرى :

نَعَى النِّعَاةُ كَلْبِيًّا لِي فَقُلْتُ لَهُمْ * مَا لَتَ بَنَاءُ الْأَرْضِ أَوْ زَالَتْ رَوَاسِيهَا
 الْقَائِدُ الْخَيْلُ تَرْدَى فِي أَعْتَبِهَا * زَهْوًا إِذَا الْخَيْلُ لَحَّتْ فِي تَعَادِيهَا
 مِنْ خَيْلٍ تَغْلِبَ مَا تَلَقَى أَسْتَبَا * إِلَّا وَقَدْ خَضَّبُوهَا مِنْ أَعَادِيهَا
 يَهْزِهْزُونُ مِنَ الْخَطِيئِ مُدْجَمَةٌ * كُنَّا أَنَا بَيْنَهَا زُرْقًا عَوَالِيهَا
 تَرَى الرِّمَاحَ بِأَيْدِينَا فَنُورِدُهَا * بِيضًا وَنُصَدِّرُهَا حُمْرًا أَعَالِيهَا
 لَا أَصْلَحَ اللَّهُ يَوْمًا مَنْ يُصَالِحُكُمْ * مَا لَاحَتْ الشَّمْسُ فِي أَعْلَى جَبَارِيهَا

يَوْمُ النِّهْيِ

فَالْتَقَوْا بِمَاءٍ يُقَالُ لَهُ : النَّهْيُ ^(٢) ، كَانَتْ بَنُو شَيْبَانَ نَازِلَةً عَلَيْهِ ، وَرَيْسُ تَغْلِبِ الْمَهْلَهْلِ ،
 وَرَيْسُ شَيْبَانَ الْحَارِثُ بْنُ مُرَّةَ ، فَكَانَتْ الدَّائِرَةُ لِبَنِي تَغْلِبَ ، وَلَمْ يُقْتَلْ فِي ذَلِكَ
 الْيَوْمِ أَحَدٌ مِنْ بَنِي مُرَّةَ .

يَوْمُ الذَّنَائِبِ

ثُمَّ أَلْتَقَوْا بِالذَّنَائِبِ ، وَهِيَ أَكْظَمُ وَقْعَةٍ كَانَتْ لَهُمْ ، فَظَفَرَتْ بَنُو تَغْلِبَ وَقُتِلَ مِنْ
 بَكْرٍ مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ ، وَفِيهِ قُتِلَ شَرَّاحِيلُ بْنُ مُرَّةَ بْنِ هَمَامَ بْنِ مُرَّةَ بْنِ شَيْبَانَ ، وَهُوَ
 جَدُّ الْحَوْفَزَانَ ، قَتَلَهُ عَنَابُ بْنُ سَعْدِ بْنِ زَهَيْرِ بْنِ جِشْمَ ، وَقُتِلَ مِنْ بَنِي ذُهَلِ بْنِ

(١) الأثمان (بالعين المهملة ثنية أنعم) : موضع بناحية نعمان ، وهو وادي التنعيم .

(٢) النهي (بالكسر في لغة أهل نجد ، وغيرهم بقوله) بالفتح : الغدير ، وهو أيضا الموضع الذي له

حاجز ينهي الماء أن يفيض منه .

ثعلبة عمرو بن سدوس بن شيبان ، وقُتل من بني قيس بن ثعلبة سعد بن ضبيعة بن قيس وتيم بن قيس بن ثعلبة ، وهو أحد الحرقين ، وكان شيخا كبيرا ، فحمل في هودج ، فلحقه عمرو بن مالك بن الفدوكس بن جشم فقتله .

يوم واردات

ثم اتقوا يوم واردات وعليهم رؤسائهم الذين تقدم ذكرهم ، فظفرت بنو تغلب ، واستحز القتل في بني بكر ، فيومئذ قتل الشعثان : شعثم وعبد شمس أبنا معاوية بن عامر بن ذهل بن ثعلبة وسيار بن الحارث بن سيار ، وفيه قتل همام ابن مرة أخو جساس لأبويه ، فمز به مهلهل مقتولا فقال : والله ما قُتل بعد كليب قتل أعز على فقدنا منك يوم عزيمة .

يوم عزيمة

ثم اتقوا بعزيمة ، فظفرت بنو تغلب ، ثم كانت بينهم معاودة ووقائع كثيرة كل ذلك كانت الدائرة فيها لبني تغلب على بني بكر ، فمنها يوم الحنو ، ويوم عويرضات ، ويوم أنين ، ويوم ضرية ، ويوم القمصيات ، كلها لتغلب على بكر ، أصيبت فيها بكر حتى ظنوا أن لن يستقبلوا أمرهم .

وقال المهلهل يصف هذه الأيام وينعاه على بكر في قصيدة طويلة أولها :

أَلَيْلَتَنَا بِذِي حَسْمٍ أَنْيَرِي * إِذَا أَنْتِ أَنْقَضَيْتِ فَلَا تَحْوَرِي ^(٣)
فَإِنَّ يَكُ بِالذَّنَابِ طَال لَيْلِي * فَقَدْ أَبَكِي مِنَ اللَّيْلِ الْقَصِيرِ ^(٤)

(١) الحارقة : عصة متصلة بالورك . (٢) استحز : اشتد .

(٣) ذو حسم : موضع . (٤) تحورى : ترجمى .

(٥) الذناب : عن يسار طجة مصعدا الى مكة . ومقتل كليب بالذناب ، وبها قيده .

فَلَوَيْشُ الْمَقَابِرُ عَنْ كَلْبٍ * لِأَخْبَرَ بِالذَّنَابِ أَيَّ زَيْرٍ
 وَأَيُّ قَدْ تَرَكْتَ بَوَارِدَاتٍ * يُجِيرًا فِي دَمٍ مِثْلِ الْعَبِيرِ^(١)
 هَتَكَتُ بِهِ بِيوتَ بَنِي عُبَادٍ * وَبَعْضُ الْقَتْلِ أَشْفَى لِلصُّدُورِ
 عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلًا مِنْ كَلْبٍ * إِذَا بَرَزَتْ مَجْبَاهَةُ الْخُدُورِ^(٢)

وقال المهلهل أيضا وقد أشرف في الدماء :

أَكْثَرُ قَتْلِ بَنِي بَكْرِ بِرَبِّهِمْ * حَتَّى بَكَيْتُ وَمَا يَبْكِي لَمْ أَحُدْ
 آلَيْتُ بِاللَّهِ لَا أَرْضَى بِقَتْلِهِمْ * حَتَّى أُهْرَجَ بَكَرًا أَيْمًا وَجُدُوا
 أُهْرَجُ : أَي أَدْعُهُمْ بِهَرَجًا ، لَا يُقْتَلُ بِهِمْ قَتِيلٌ ، وَلَا تُؤْخَذُ بِهِمْ دِيَةٌ .

وقال أيضا :

قَتَلُوا كَلْبِيَا تَمَّ قَالُوا أَرِعُوا * كَذَبُوا وَرَبَّ الْحِلِّ وَالْإِحْرَامِ
 حَتَّى تَيْبَدَ قَيْبَلَةٌ وَقَيْبَلَةٌ * وَيَمَضُّ كُلُّ مُتَقَفٍّ بِالْمَهَامِ
 وَيُقَمِّنَنَّ رَبَاتُ الْخُدُورِ حَوَاسِرًا * يَمَسَّحَنَّ عَرَضَ ذَوَائِبِ الْآيَاتِمِ
 حَتَّى يَبْعَثَ الشَّيْخُ بَعْدَ حَمِيمِهِ * تَمَا يَرَى نَدْمًا عَلَى الْإِبْهَامِ

يَوْمُ قَضَةِ

قال : ثم إن المهلهل أسرف في القتل ولم يبالِ بأي قبيلة من قبائل بكر وقع ، وكانت أكثر بكر قدمت عن نصره بنى شيبان لقتلهم كلبيا ، وكان الحارث بن عباد قد أصرت تلك الحروب ، حتى قُتِلَ أبْنُهُ مُجِيرُ بنِ الحارثِ بنِ عباد ، فلما بلغه قتله قال : نعم القَتِيلُ قَتِيلٌ أَصْلَحُ بَيْنَ أَبِي وَائِلٍ ، وَظَنَّ أَنَّ الْمَهْلَهْلَ قَدْ أَدْرَكَ بِهِ نَارَ

(١) واردات : موضع عن يسار طريق مكة .

(٢) العير : الزفران .

كَلْبٍ وجعله كفوًّا له ، فقيل له : إنما قتله بِشِئْنِ نَعْلِ كَلْبٍ . وكان المهلهل قال
لَمَّا قَتَلَ يُجَيْرِ بنَ الحَارِثِ : بُوْ بِشِئْنِ نَعْلِ كَلْبٍ ، فَلَمَّا سَمِعَ الحَارِثُ ذَلِكَ غَضِبَ ،
وكان له فرس يقال له النعامه ، فركبها وتولى قتال تغلب بنفسه ، فكانت الدائرة
فيه على تغلب ، ففتزقت قبائل تغلب وهرب المهلهل . وقال الحارث بن عبّاد :

قَرَبًا مَرَبَطَ النِّعَامَةَ مِثِّي * لَقِصَّتْ حَرْبُ وَايِلٍ عَن حِيَالِي
قَرَبًا مَرَبَطَ النِّعَامَةَ مِثِّي * شَابَ رَأْسِي وَأَنْكَرْتَنِي رِجَالِي
لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عَلِمَ اللّٰهُ * لَهُ وَإِنِّي بِحِزْمِهَا اليَوْمَ صَال

في قصيدة طويلة نحو المائة بيت كتر فيها :

* قزبا مربط النعامه مني *

١٠ في خمسين بيتا .

وكان أول يوم شهده الحارث يوم قِصَّة ، وهو يوم تحلاق اللم ، وفيه
يقول طرفة :

سَأَلُوا عَنَّا الَّذِي يَعْرِفُنَا * بَقُونَا يَوْمَ تَحْلَاقِ اللَّمِّ
يَوْمَ تُبْدَى الْبَيْضُ عَنَ اسْوُقِهَا * وَتَلْفُ الْخَيْلُ أَعْرَاجَ النَّعْمِ
(١) (٢) (٣) (٤)

١٥ (١) أسوق : جمع لساق ، همزت الواو فيه لتحمل الضمة ، أى يوم تكشف النساء البيض
عن سيقانها من الفزع .

(٢) تلف : تجمع .

(٣) كذا في الأغاني (ج ٥ ص ٤٤ طبع دارالكتب المصرية) وأعراج : جمع عرج (بالفتح
ويكسر) وهو القطيع من الإبل نحو الثمانين أو منها إلى تسعين ، أو هومائة وخمسون وفريقها ، أو من
نحساة إلى ألف . وفي الأصول : « أفراخ » .

(٤) النعم (التحريك وقد نسكن عنه) : الإبل .

٢٠

يوم تَحْلَاقِ اللَّمِّ

ويوم تَحْلَاقِ اللَّمِّ، إنما سُمِّيَ بذلك لأن الحارث بن عَبَاد لما تَوَلَّى الحربَ قال لقومه : اِحْلُوا معكم نساءكم يَكُنَّ من ورائكم ، فإذا وَجَدَنَّ جريحاً منهم قتلوه ، وإذا وَجَدَنَّ جريحاً منا سَقَيْتَهُ وَأَطْعَمْتَهُ ، فقالوا : ومن أين يَمَيِّزُ لِمَنْ ؟ فقال : احلقوا رؤوسكم لَتَمْتَازُوا بذلك ، ففعلوا ، فسميَ به ، فقال جُحَدْرُ بنُ ضُبَيْعَةَ — وكان من شجعانهم — : اتركوا لِمَتِي وأقتل لكم أول فارس يقدمهم ، فتركوه ، وهو الذي قتل عمراً وعمراً التغلبيان ، طعن أحدهما بسنان رجمه ، والآخر بزجه ، ثم صرع بعد ذلك ، فلما رآته نساء بكر دون حلق ظنوه من تغلب فأجهزوا عليه .

وفي هذا اليوم أسر الحارثُ بنُ عَبَادِ المهلهلَ عَدِيَّ بنَ ربيعة وهو لا يعرفه فقال له : دُلَّنِي على عَدِيٍّ وَأَخِي عَنكَ ، فقال له عَدِيٌّ : عليك العهدُ بذلك إن دلتك عليه ، قال نعم ، قال فأنا عَدِيٌّ ، فجز ناصيته وتركه وقال فيه :

لَهَفَ نَفْسِي عَلَى عَدِيٍّ وَلَمْ أَع * يَرِفْ عَدِيًّا إِذْ أَمَكَّنْتَنِي الْيَدَانِ

وكان الحارثُ آلى ألا يصالح تغلباً حتى تكلمه الأرض ، فلما كثرت وقائمه في تغلب ورأت تغلب أنها ما تقصوم له حفرها سرّاً تحت الأرض وأدخلوا فيه رجلاً وقالوا له : إذا مرَّ بك الحارثُ فغنّ بهذا البيت :

أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَأَسْتَقْبِقُ بَعْضَنَا * حَنَانِيكَ بَعْضُ الشَّرَّاهُونَ مِنْ بَعْضِ

فلما مرَّ الحارثُ آندفع الرجلُ وغنّى بالبيت ، فقيل للحارثُ قد بر بقسمك فأبقى بقية قومك ، فأمسك ، فأصطلحت بكر وتغلب .

(١) عالية الرخ : سانه .

(٢) نزع الرخ : حديدية في أسفله .

ثم إن المهلهل فتر بنفسه فنزل بمدح في بني جنب^(١) ، فخطبوا إليه آبنته ، وقيل
أخته ، فمنهم ، فأجبروه على تزويجها وساقوا إليه جلوداً من آدم ، فقال في ذلك :

أعزّز على تغلب بما لقيت * أخت بني الأكرمين من جشم
أنكحها فقدما الأراقم في^(٢) * جنب وكان الجباء من آدم
لوا بآنين^(٣) جاء يخطبها * ضرج ما أنف خاطب يدم
ليسوا بأكفائنا الكرام ولا * يغنون في ذلة ولا عدم

ثم أشترى المهلهل عبدين يفزوان معه ، ففزا بهما حتى طال عليهما ذلك ،
فأختارا الراحة منه ، فأجعا على قتله بموضع قفر ، فلما شعر بما هما به ولم يرتفسه
ملجأ قال لها : أبلغا عني هذا المرسل ، فقالات ، فقال :

من مبلغ عني بأن مهلهلاً * لله دزكاً ودر أبيكماً

فلما قتلاه وأنصرفا نحو بيته فقالا : مات بأرض كذا وكذا وصيته ، فلم يدر
أحد ما أراد ، فقالت آبنته : والله ما كان أبي ردي الشعر ، ولا سفساف الكلام ،
وإنما أراد أن يجبركم أن العبدين قتلاه ، وإنما معنى البيت :

من مبلغ عني بأن مهلهلاً * أصحى قتيلاً بالفلا مجدلاً

لله دزكاً ودر أبيكماً * لا يبرح العبدان حتى يقتلا

فقتل العبدان بعد أن أقرأ بذلك . وقيل : إنه أصبح قتيلاً بين رجلين جمل

هاج . والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) جنب : حى من مدح ، وهم ستة رجال : منه والحارث والعلى وسبعان وشميران وهفان
يقال لهم جنب لأنهم جانبوا أخاهم صدها (راجع معجم البلدان لياقوت ج ١ ص ٧٧ طبع أوروبا) .

(٢) الأراقم : حى من تغلب . (٣) آباين : جبلان ، قيل : يقال لأحدهما : آبان
الأبيض ، وللآخر : آبان الأسود .

الكلابُ الأولُ

قال أبو عبيدة : لما تسافهت بكر بن وائل وطلبها سفهاؤها ، وتقاطعت أرحامها ؛ ارتأى رؤسائهم فقالوا : إن سفهاءنا قد غلبوا على أمرنا ، فأكل القوي الضعيف ، فزى أن نملك علينا ملكا نعطيه الشاة والبعير ، فيأخذ للضعيف من القوي ، ويرد على المظلوم من الظالم ، ولا يمكن أن يكون من بعض قبائلنا فيأباه الآخرون ، فيفسد ذات بيننا ، ولكننا نأتى تبعا فنملكه علينا ، فاتوه [فذكروا له أمرهم] فملك عليهم الحارث بن عمرو آكل المرار الكندي ، فقدم فزل بطن عاقل .^(٢)

ثم غزا ببكر بن وائل حتى أتتزع عامة ما في أيدي ملوك الحيرة الحميين ، وملوك الشام الغسانيين ، وردهم الى أقاصي أعمالهم ، ثم طعن في نيطة فسات فذفن ببطن عاقل . وأختلف أبناه شرحبيل وسلمة في الملك ، فتواعدا الكلاب ، فأقبل شرحبيل في ضبة والرباب كلها ، وبني يربوع ، وبكر بن وائل . وأقبل سلمة في تغلب والنمر وبهراء ومن تبعه من بني مالك بن حنظلة ، وعليهم سفيان بن مجاشع ، وعلى تغلب السفاح ، وإنما قيل له السفاح لأنه سفح أوعية قومه وقال لهم : اندروا الى ماء الكلاب ، فسبقوا ونزلوا عليه ، وإنما خرجت بكر مع شرحبيل لعداوتها لبني تغلب ، فالتقوا على الكلاب ، وأستحر القتل في بني يربوع ، وشد أبو حنن على شرحبيل فقتله ، وكان شرحبيل قد قتل ابنه حنشا ، فأراد أبو حنن أن يأتي برأسه الى سلمة ، فخافه فبعثه مع عسيف له ، فلما رآه سلمة دمعت عيناه وقال له :

١٣٢
١٣

(١) الكلمة من العقد الفريد . (٢) عاقل : واد بنجد .

(٣) الكلاب : اسم ماء بين الكوفة والبصرة . وقيل : ١٠٠ بين جبلة وشمام على سبع ليال من اليمامة .

أنت قتلته؟ قال لا، ولكن قتله أبو حنّس، إنما أَدْفَعُ الثَّوَابَ إِلَى قَاتِلِهِ، فَهَرَبَ أَبُو حَنْسٍ مِنْهُ، فَقَالَ سَلِمَةٌ فِي ذَلِكَ :

أَلَا أَبْلُغُ أَبَا حَنْسٍ رُسُولًا * فَالِكَ لَا تَجِيءُ إِلَى الثَّوَابِ
تَعَلَّمَ أَنَّ خَيْرَ النَّاسِ طَرًّا * قَتِيلٌ بَيْنَ أَحْجَارِ الْكَلَابِ

يَوْمُ الصَّفَقَةِ

وهو يومُ الكُلابِ الثاني

قال أبو عبيدة : كان يومُ الكُلابِ متصلاً بيومِ الصَّفَقَةِ . وكان من حديث الصَّفَقَةِ أَنَّ كَسْرِيَّ كَانَ قَدْ أَوْقَعَ بِنِي تَمِيمٍ ، فَأَخَذَ الْأَمْوَالَ وَسَبَى الذَّرَارِيَّ بِمَدِينَةِ هَجْرٍ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ أَضَارُوا عَلَى لَطِيمَةٍ لَهُ فِيهَا مَسْكٌ وَعَنْبَرٌ وَجَوْهَرٌ كَثِيرٌ ، فَسَمِّيَتْ ^(٢) تِلْكَ الْوَقْعَةُ يَوْمَ الصَّفَقَةِ ، ثُمَّ إِذْ بَنِي تَمِيمٍ أَدَارُوا أَمْرَهُمْ ، وَقَالَ ذُو الْحِجْيِ مِنْهُمْ : إِنَّكُمْ قَدْ أَغْضَبْتُمْ الْمَلِكَ ، وَقَدْ أَوْقَعَ بِكُمْ حَتَى وَهَنْتُمْ ، وَتَسَامَعْتَ بِمَا لَقِيتُمُ الْقَبَائِلَ ، وَلَا تَأْمَنُونَ دَوْرَانَ الْعَرَبِ .

فَجَمَعُوا سَبْعَةً مِنْ رُؤَسَائِهِمْ وَشَاوَرُوهُمْ فِي أَمْرِهِمْ ، وَهُمْ : أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ الْأَسَدِيُّ ، وَالْأَحْمِيزِيُّ بْنُ يَزِيدَ بْنِ مَرَّةِ الْمَازَنِيِّ ، وَقَيْسُ بْنُ عَاصِمِ الْمُتَقَرِّيِّ ، وَأَبِيرَ بْنَ عَصْمَةَ التَّمِيمِيِّ ، وَالنَّعْمَانَ بْنَ جَسَّاسِ التَّمِيمِيِّ ، وَأَبِينَ بْنَ عَمْرٍو السَّعْدِيُّ ، وَالزُّبْرُقَانَ بْنَ بَدْرِ السَّعْدِيِّ فَقَالُوا لَهُمْ : مَاذَا تَرَوْنَ؟ فَقَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ ، وَكَانَ يَكْنَى أَبَا حَنْسٍ : إِذْ النَّاسُ قَدْ بَاغَوْهُمْ مَالِقِينًا ، وَنَحَافٌ أَنْ يَطْمَعُوا فِيْنَا وَإِنِّي قَدْ نَيْفَتُ عَلَى التَّسْعِينَ ، وَقَدْ نَحَلْتُ قَلْبِي كَمَا نَحَلْتُ جَسْمِي ، وَأَخَافُ إِلَّا بِدَرْكِ ذَهْنِي الرَّأْيَ لَكُمْ ، فَلْيَعْرَضْ عَلَيَّ

(١) سُمِّيَ الصَّفَقَةُ ، لِأَنَّ كَسْرِيَّ أَنْوَشِرَوَانَ أَصْفَقَ الْبَابَ عَلَى بَنِي تَمِيمٍ فِي حِصْنِ الْمُشَقَرِّ ، وَيُسَمَّى

أَيْضًا : يَوْمَ الْمُشَقَرِّ ، وَالْمُشَقَرُّ : حِصْنٌ بِالْبَحْرَيْنِ . (٢) هَجْرٌ : اسْمُ الْأَرْضِ بِالْبَحْرَيْنِ .

كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ رَأَيْهِ وَمَا يُحْضِرُهُ فَإِنِّي مَتَى أَسْمَعُ الْحَزْمَ أَعْرَفُهُ ، فَقَالَ كُلُّ مِنْهُمْ مَا عِنْدَهُ ،
 وَأَكْتُمْ [سَاكِتٌ] لَا يَتَكَلَّمُ ، حَتَّى قَامَ النَّمَانُ بْنُ الْجَسَّاسِ فَقَالَ : يَا قَوْمُ ، أَنْظَرُوا مَاءً يَجْمَعُكُمْ
 وَلَا يَعْلَمُ النَّاسُ بِأَيِّ مَاءٍ أَنْتُمْ حَتَّى تَنْفَرَجَ الْخَلْقَةُ عَنْكُمْ ، وَقَدْ صَلَّحْتَ أَحْوَالَكُمْ ، وَأَنْجَبَ
 كَسِيرُكُمْ ، وَقَوَى ضَعِيفُكُمْ ، وَلَا أَعْلَمُ مَاءً يَجْمَعُكُمْ إِلَّا قِدَّةً ، فَقَالَ أَكْتُمْ : هَذَا [هُوَ]
 الرَّأْيُ ، فَأَرْتَحَلُّوا حَتَّى نَزَلُوا الْكَلَّابَ ، وَبَيْنَ أَدْنَاهُ وَأَقْصَاهُ مَسِيرَةُ يَوْمٍ ، وَأَعْلَاهُ مِمَّا
 بَلَى الْبَيْنِ ، وَأَسْفَلُهُ مِمَّا بَلَى الْعِرَاقِ . فَنَزَلَتْ سَعْدُ وَالرَّيَابُ بِأَعْلَى الْوَادِي ، وَنَزَلَتْ
 حَنْظَلَةُ بِأَسْفَلِهِ .

قال : وكانوا لا يخافون أن يغزوا في القيظ ، لبعد تلك الصحارى وشدة
 الحر بها وقلة المياه ، فأقاموا بقية القيظ لا يعلم أحدٌ بمكانهم ، حتى إذا تهوّر
 القيظ بعث الله ذا العيينتين ، وهو من أهل مدينة هجر ، فترقىة وصحاريها ،
 فرأى ما بها من النعم ، فأنطلق حتى أتى أهل هجر فقال : هل لكم في جارية عذراء ،
 ومهرة شوهاء ، وبكرة حمراء ، ليس دونها نكبة ؟ قالوا : ومن لنا بذلك ؟ قال : تلكم
 تميم ألقاء مطروحون بقدة . فمشى بعضهم الى بعض وقالوا : اغنموا من بني تميم .
 فأخرجوا معهم أربعة أملاك . يقال لهم اليزيديون : يزيد بن هوبر ، ويزيد بن
 عبد المسدان ، ويزيد بن المأموم ، ويزيد بن المخرم ، وهم كلهم حارثيون ومعهم
 عبد يغوث الحارثي ، وكان كل واحد منهم على ألفين ، ففضوا حتى إذا كانوا ببلاد
 باهلة قال جرير بن جزء الباهلي لأبيه : يا بني ، هل لك في أكرومة لا يُصاب أبداً
 مثلها ؟ قال : وما ذلك ؟ قال : هذا الحى من تميم قد لجأوا ها هنا مخافة كسرى ،
 وقد قصصت أثر الجليش يريدونهم ، فأركب جملي الأرحبي ، وسر سيرا رويدا

(١) الكلمة من العقد الفريد . (٢) تهوّر القيظ : ذهب . (٣) الشوهاة .
 الخليل : الطويلة الرائعة . (٤) ألقاء : جمع لقي ، وهو ما طرح على الأرض .

(١) عقبة من الليل ، ثم حلّ عنه حبله وأُنْحِه وتوسّد ذراعه ، فإذا سمعته قد أفاض
يجرته وبال فاستنقعت ثفناته في بوله ، فشدّ حبله ثم وضع السوط عليه ، فإنك
لا تسأل جملك شيئا من السير إلا أعطاكه حتى تصبّح القوم . ففعل ما أمره به .

قال الباهلي : خللتُ بالكلاب قبل الجيش فناديت : يا صباحاه ! فإنهم
ليثيون إلى ليسألوني من أنت ؟ إذ أقبل رجلٌ منهم من بني شقيق على مهر قد
كان في النعم فنادى : يا صباحاه ، قد أتى على النعم ، ثم كرّ راجعا نحو الجيش ،
فلقبه عبد يغوث الحارثي وهو أول الرعيل ، فطعنه في رأس معدته فسبق اللبن
الدم ، فقال عبد يغوث : أطيعوني وأمضوا بالنعم وخلّوا العجائز من تميم ساقطة
أنفواها ، فقالوا : أما دون أن تُسكح بناتهم فلا .

وقال ضمرة بن لبيد الحماسي ثم المذحجي الكاهن : أنظروا إذا سُقِمَ النعم فإن
أتكم الخليل عَصَبًا [عَصَبًا] تنتظر العصابة أن تنتظم الأخرى حتى تلتحق بها فإن
أمر القوم هين ، وإن لحق بكم القوم ولم ينتظر بعضهم بعضا حتى يردوا وجوه النعم
فإن أمرهم شديد .

وتقدّمت سعد والرباب في أوائل الخيل وألتقوا بالقوم فلم يلتفتوا إليهم ،
وأستقبلوا النعم ولم ينتظر بعضهم بعضا . ورئيسُ الرباب النعمان بن الجساس ،
ورئيسُ بني سعد قيس بن عاصم ، فالتقى القوم ، فكان النعمان أول صريع ، وأقتل
الفريقان حتى حجز بينهم الليل ، ثم أصبحوا على راياتهم ، فنادى قيس بن عاصم :
يا آل سعد ! يريد سعد بن زيد ، ونادى عبد يغوث : يا آل سعد ! يريد سعد
العشيرة ، فلما سمع قيس ذلك نادى : يا آل كعب ! يريد كعب بن سعد ،
ونادى عبد يغوث : يا آل كعب ! يريد كعب بن عمرو ، فلما رأى ذلك نادى :

(١) عقبة من الليل : أي ساعة .

يا آل مَقَاعِيسِ ! فلما سمع وَعَلَةُ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَرْمِيِّ - وكان صاحبَ لواءِ أهلِ اليمنِ - نادى : يا آلَ مَقَاعِيسِ ، تفاعل به فطرح له اللواءَ ، وكان أولَ من أَنهزمَ ، فحملت عليهم سعدُ والربابُ فهزموهم ، ونادى قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ : يا آلَ تَمِيمٍ ، لا تقتلوا إلا فارساً فإنَّ الرِّجَالَ لَكُمْ ، ثم جعل يرتجز ويقول :

لَمَّا تَوَلَّوْا عُصْبًا شَوَازِبًا * أَقْسَمْتُ لَا أَطْعُنُ إِلَّا رَايَجًا
* إِنِّي وَجَدْتُ الطَّعْنَ فِيهِمْ صَائِبًا *

وأمر قيسُ بْنُ عَاصِمٍ أن يتبعوا المنهزمةَ ، ويعرقبوا مَنْ لحقوه ، ولا يشتغلوا بالقتل عن اتباعهم ، فحزوا دوابهم ، وفي ذلك يقول وَعَلَةُ :

فِدَى لَكُمْ أَهْلِي وَأُمِّي وَوَالِدِي * غَدَاةَ كُلابٍ إِذْ تُحْزِرُ الدَّوَابِرُ

- ١٠ وأسر عبد يغيوث ، أسره مَصَادُ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ وَكَتَفَهُ وَأَرْدَفَهُ خَلْفَهُ ، وكان مَصَادُ قد أصابته طعنة في مابضه ، وكان عِرْقُهُ يهيم ، فنزفه الدم ، فمال عن فرسه مقلوبا . فلما رأى ذلك عبدُ يغيوث قطع كفافه وأجهز عليه وأنطلق على فرسه ، وذلك أولُ النهار ، ثم ظفربه بعد في آخره ، ونادى مناد : قتل اليزيدون ، وشدَّ قَيْبِصَةَ بْنِ ضِرَّارِ الضَّبِّيِّ عَلَى صَمْرَةَ بْنِ لَيْبِدِ الْجَمَّاسِيِّ الكاهن فطعنه فحز صريعا ، فقال له قَيْبِصَةُ : ألا أنباك تأبئك بمصرعك اليوم ، ثم أسر عبدُ يغيوث ، أسره عصمةُ بْنُ أَبِي التَّيْمِيِّ .

قال أبو عبيدة : انتهى عصمةُ بْنُ أَبِي التَّيْمِيِّ إلى مَصَادُ فوجده صريعا ، وكان قبل ذلك رأى عبدَ يغيوث أسيرا في يديه ، فعلم أنه الذي أجهز عليه فأقتص أثره فلحقه وقال : ويحك ! إني رجل أحب اللين ، وأنا خير لك من الفلاة والعطش . قال : ومن أنت ؟ قال : عصمةُ بْنُ أَبِي التَّيْمِيِّ ، فأنطلق به عصمة حتى جناه عند الأهم على

(٢) يهيم : يسيل .

(١) شوازا : ضوامر .

أن جعل له من فدائه جُعلًا ، فتركه الأهم عند أمراته العيشمية ، فأعجبها جمالُه
وكأل خلقته ، وكان عصمةُ الذي أسره غلاما نحيفا ، فقالت له : مَنْ أنت ؟ قال :
أنا سيّدُ القوم ، فضحكت وقالت : قبحك الله سيّدُ قوم حين أسرك مثل هذا ،
ففي ذلك يقول عبدُ يغوث :

وَتَضَحَّكَ مَنِي شَيْخَةٌ عَيْشِمِيَّةٌ * كَأَنَّ لَمْ تَرَى قَبْلِي أَسِيرًا يَمَانِيًا

فآجتمعت الربابُ الى الأهم وقالت : نأرنا عندك ، وقد قُتل مَصاد والنعمان
فأخرجِه إلينا ، فأبى الأهم أن يُخرجه إليهم ، فكاد أن يكون بين الحيين : الرباب
وسعد ، فنته حتى أقبل قيسُ بنُ عامرِ المِنقرِيّ فقال : أَيُوتِي قطع حلفِ الرباب من
قَبِلنا؟ فضرب فاه بقوس فهتَمه ، فسَمَى الأهم ، فقال الأهم : إنما دفعه إلى عصمة
ابن أبيير ، ولا أدفعه إلا لمن دفعه إلى ، فليجئ فيأخذُه ، فأتوا عصمة فقالوا :
ياعصمة ، قُتل سيّدنا النعمان وفارسنا مَصاد ، ونأرنا أسيرك ، فما كان ينبغي لك
أن تستحييه ! فقال : إني مُمِعل وقد أصبتُ الغنى ، ولا تطيب نفسي على أسيري ،
فأشتراه بنو جَسَّاس بمائة بعير ، فدفعه إليهم ، فخشوا أن يهَجَّوهم ، فشدوا على
لسانه نِسعة ، فقال : إنكم قاتلي لا محالة ، فدعوني أذم أصحابي وأنوح على نفسي !
فقالوا : إنك شاعرٌ ونحافٌ أن تهجونا ، فعقد لهم الألف ، فأطلقوا لسانه ،
فقال قصيدته التي أولها :

(١) قال أبو على القائل في أماليه (ج ٣ ص ١٣٤ طبع دار الكتب المصرية) : « قال الأخفش :
رواية أهل الكوفة : كان لم ترن قبلي ، وهذا عندنا خطأ ، والصواب : ترى بحذف النون علامة للجزم » .
وهذا مبنى على أن الفعل مستد ليا . المخاطبة على معنى كان لم ترى أنت ، فيكون فيه إنقاص من الغيبة
الى الخطاب ولم يحكم أحد من النعاة ، بل الذي ذكره صاحب المغني أن أبا عليّ خرج البيت على أن أصل
الفعل رأى بهززة بعدها ألف ثم حذفت الألف للجازم ، ثم أبدلت الهمزة ألفا ، وعلل بما يطول فانظرو
في مبعث « لم » .

أَلَا لَا تَلُومَانِي كَفَى اللَّوْمَ مَا بَيَا * فَآ لَكُمْ فِي اللَّوْمِ خَيْرٌ وَلَا لِيَا

ومنها :

(١) أقولُ وقد شدوا لساني بنسعة * أمعشر تيمم أطلقوا لي لسانيا
(٢) أمعشر تيمم قد ملكتم فاسبحوا * فإن أسارى لم يكن من توانييا
(٣) وقد علمت عرسى مليكة أني * أنا الليث معدبا عليه وعاديا

ومنها :

(٤) كأتى لم أركب جوادا ولم أقل * نحلي كرى قاتلي عن رجاليا
(٥) ولم أسب الزرق الروي ولم أقل * لأيسار صديق أعظموا ضوءا تاريا
(٦) قال : فلما ضربت عنقه قالت أبنة مصاد : بؤ بمصاد ! فقال بنو النعمان :

يا لكاع ! نحن نشتريه بأموالنا ونبؤ بمصاد ، فوقع بينهم في ذلك الشر ، ثم أصطلحوا .

(١) ذكر أبو علي القالي في أماليه (ج ٣ ص ١٣٣ طبع دارالكتب المصرية) ما نصه : «وقوله : وقد شدوا لساني بنسعة ، قال : هذا مثل ، لأن انسان لا يشد ، بنسعة ، وإنما أراد : افعلوا بي خيرا ينطلق لساني بشركم ، فإن لم تفعلوا فللساني مشدود لا يقدر على مدحكم » .

(٢) أسبحوا : أى سهلوا ويسروا فى أمرى .

(٣) رواية الأمامى :

* فإن أخاكم لم يكن من بوائيا *

قال : البواء : السواء ، يريد إن أخاكم لم يكن نظيرا لي فأكون بواء له .

(٤) كرى : قسى .

(٥) السباء : اشتراء الخمر .

(٦) بؤ بفلان ، أى اذهب به ، يقال ذلك نفقوتل بمن قتل .

(١)

يَوْمُ طَخْفَةَ

(٢)

قال : كانت الرِّفَادَةُ ، وقيل الرِّدَاةُ ، ردافة الملك لعتاب بن هَرَمِيٍّ بن رِيَّاحٍ ، ثم كانت لقيس بن عتاب ، فسأل حاجبُ بن زُرارة النعمانَ أن يجعلها للحارث بن مرط بن سفيان بن مجاشع ، فسألها النعمانُ بنى يربوع وقال : أعقبوا إخوانكم في الرفاة ، قالوا : إنهم لا حاجة لهم فيها ، وإنما سألها حاجبٌ جسداً لنا وأبوا عليه ، فقال الحارث بن شهاب وهو عند النعمان : إن بني يربوع لا يسلمون رداقتهم إلى غيرهم . وقال حاجب : إن بعث الملك إليهم جيشاً لم يمنعوه ولم يمتنعوا . فبعث النعمانُ إليهم قابوساً ابنه ، وحسان بن المنذر ؛ فكان قابوس على الناس ، وحسان على المقدمة ، وبعث معهم الصنائع والوضائع — فالصنائع : من كان يأتيه من العرب ، والوضائع : المقيمون بالحيرة — فالتقوا بطخفة ، فأنهزم قابوس ومن معه ، وضرب طارق بن عميرة فرس قابوس فمقره ، وأخذه ليجز ناصيته ، فقال قابوس : إن الملك لا تجز نواصيها ، فجهره وأرسله إلى أبيه ، وأما حسان بن المنذر فأسره بشر ابن عمرو الرياحي ، ثم من عليه وأرسله ، ففى ذلك يقول مالك بن نويرة :

وَنَحْنُ عَقْرَنًا مَهْرَ قَابُوسَ بَعْدَ مَا * رَأَى الْقَوْمُ مِنْهُ الْمَوْتَ وَالْخَيْلَ تَلْحَبُ (٣)

عَلَيْهِ دِلَاصٌ ذَاتُ نَسِجٍ وَسَيْفِهِ * جَرَّازٌ مِنَ الْهِنْدِيِّ أَيْبُضٌ مِقْضَبُ (٤)

(١) طخفة : موضع في طريق البصرة إلى مكة .

(٢) الرداة : كانت الرداة بمنزلة الوزارة . وكان الرديف يجلس على يمين الملك إذا جلس ، ويردفه ورائه إذا ركب ، وإذا نزل جلس عن يمينه فتصرف إليه كأس الملك إذا شرب ، وله ربع غنمية الملك من كل غزوة يفترو ، وله إمارة على كل من في طاعة الملك .

(٣) تلحَب : تلهث .

(٤) الدلاص من الدروع : اللينة .

(١١)

يَوْمُ فَيْفِ الرِّيحِ

قال أبو عبيدة : تجمعت قبائل مذحج وأكثرها بنو الحارث بن كعب ، وقبائل من مراد وجُفَيْفٍ وزُبَيْدٍ وخَثَمٍ ، وعليهم أنس بن مُدْرِكٍ ، وعلى بنى الحارث الحَصِينُ ، فأغاروا على بنى عامر بن صعصعة بِفَيْفِ الرِّيحِ ، وعلى بنى عامر ، عامرُ بنُ مالكٍ مُلَاعِبُ الأَسْتَةِ .

قال : فأقتل القومُ ، فكسروهم ، وأرفضت قبائل من بنى عامر ، وصبرت بنو نعيم ، وأقبل عامرُ بنُ الطَّفِيلِ وخَلَفَهُ دَعِيُّ بنى جعفر فقال : يا معشرَ الفتيانِ ، من ضرب ضربة أو طعن طعنة فليشهدنى [فكان^(٢)] الفارس إذا ضرب ضربة أو طعن طعنة ، قال عند [ذلك] : أباعلى ، فيينا هو كذلك إذا تاه مسهر بن يزيد الحارثى^(٣) ، فقال له من ورائه : عندك يا عامر والريح عند أذنه فوهسه — أى طعنه — ، فأصاب عينه ، فوثب عامر عن فرسه ونجا على راحلته ، وأخذ مسهر ربح عامر ، ففى ذلك يقول عامرُ بنُ الطفيل من أبيات :

لعمري وما عمري على بهين * لقد شان حر الوجه طعنة مسهر

وقال مسهر — وقد زعم أنهم أخذوا امرأة عامر — :

وهضت بحرص الرمح مقلة عامر^(٤) * فأضحى نحيفا في الفوارس أعورا

وغادر فينا رُمحه وسلاحه * وأذرب يدعو في الموالك جعفرأ

وكنا إذا قيسية ذهبنا بنا * جرى دمعا من عينها فتحدرأ

مخافة ما لاقت حليلة عامر * من الشر إذا سربا لها قد تعفرا

(١) فيف الريح : موضع بأعلى نجد . (٢) التكمة من العقد الفريد .

(٣) فى أمالى القالى (ج ٣ ص ١٤٧ طبع دار الكتب المصرية) : « مسهر بن زيد » .

(٤) حرص الريح : سناه .

قال : وكانت هذه الوقعة وقد بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ،
وأدرك مُسهرُ بنُ يزيد الإسلام فأسلم .

يَوْمُ زُرُودِ الْأَوَّلِ

غزا الحَوْفَرَانُ حتى انتهى إلى زُرُودٍ خلف جبل من جبالها ، فأغارُوا على نَعِيمٍ
كثيرٍ لبني عَبَسَ فَأَجْتَازُوهَا ، وَأَتَى الصَّرِيحُ^(١) لِبْنِي عَبَسَ فَرَكِبُوا ، وَلَحِقَ عِمَارَةُ بْنُ زِيَادِ
الْعَبْسِيُّ الحَوْفَرَانِ فَعَرَفَهُ — وَكَانَتْ أُمُّ عِمَارَةَ قَدْ أَرْضَعَتْ مُضَرَ بْنَ شَرِيكَ ، وَهُوَ
أَخُو الحَوْفَرَانِ — فَقَالَ : يَا بَنِي شَرِيكَ ، قَدْ عَلِمْتُمْ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ، قَالَ الحَوْفَرَانُ —
وَهُوَ الحَارِثُ بْنُ شَرِيكَ — : صَدَقْتَ يَا عِمَارَةَ ، فَانظُرْ كُلَّ شَيْءٍ هُوَ لَكَ نَفْعُهُ ، فَقَالَ
عِمَارَةُ : لَقَدْ عَلِمْتُ نِسَاءَ بَنِي بَكْرِ بْنِ وَاثِلِ أَيْ لَنْ أَمْلَأَ أَيْدِيَ أَزْوَاجِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ
شَفَقَةً طَلِيهًا مِنَ المَوْتِ ، فَخَلَّ عِمَارَةَ لِيَعَارِضَ النَّعْمَ لِيَرُدَّهُ ، وَحَالَ الحَوْفَرَانُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
النَّعْمِ ، فَعَثَرَتْ بِعِمَارَةَ فَرُسُهُ فَطَعَنَهُ الحَوْفَرَانُ ، وَطَعَنَهُ نَعَامَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَرِيكَ :
وَأَسْرَأْنَا عِمَارَةَ : سِنَانٌ وَشَدَادٌ ، وَكَانَ فِي بَنِي عَبَسَ رَجُلَانِ مِنْ طِيءٍ : أَبْنَانُ لِأَوْسِ
ابْنِ حَارِثَةَ ، مجاورين لهم ، وَكَانَ لَهَا أَخٌ أُسَيْرٌ فِي بَنِي يَشْكُرَ ، فَلَمَّا فَقَدْتَهُ بَنُو شَيْبَانَ
نَادُوا : يَا نَارَاتِ مَعْدَانَ ! فَعِنْدَ ذَلِكَ قَتَلُوا أَبِي عِمَارَةَ وَهَرَبَ الطَّائِيَانِ بِأَسِيرِهِمَا .
فَلَمَّا بَرِئَ عِمَارَةَ مِنْ جِرَاحِهِ أَتَى طِيئًا فَقَالَ : ادْفَعُوا إِلَيَّ هَذَا الكَلْبَ الَّذِي قُتِلْنَا بِهِ ،
فَقَالَ الطَّائِيُّ لِأَوْسٍ : ادْفَعْ إِلَى بَنِي عَبَسَ صَاحِبَهُمْ ، فَقَالَ لَهُمْ : تَأْمُرُنِي أَنْ أُعْطِيَ
بَنِي عَبَسَ قَطْرَةً مِنْ دَمِي ، وَإِنْ أَبِي أُسَيْرِي فِي بَنِي يَشْكُرَ ؟ فَوَاللَّهِ مَا أَرْجُو فَكَاكِهِ

(١) زُرُودٌ : رِمَالٌ بِطَرِيقِ الحَاجِّ مِنَ الكُرُوقِ .

(٢) الصَّرِيحُ : المَسْتَعِيثُ .

الآ بهذا . فلما قفل الحوْفَزان من غزوه بعث الى بنى يشكر في ابن أوس ، فبعثوا به اليه ، فأفتدى به معدان ، وقال نعامَةٌ بنُ شريك :

اسْتَزَلَّتْ رِمَاحُنَا سِنَانًا * وَشَيْخُنَا بِطِطْخَفَةٍ عِنَانَا
ثم أخوه قد رأى هوأنا * لما فقدنا بيننا معدانا

يَوْمُ غَوْلِ الْأَوَّلِ

وهو يومُ كَنِهْلِ

قال أبو عبيدة : أقبل أبنا هجيمة - وهما من غسان - في جيش فترلا في بنى يربوع ، بجاورا طارق بن عوف بن حاصم بن ثعلبة بن يربوع ، فترلا معه على ماء يقال له : كَنِهْل ، فأغار عليهما أناس من ثعلبة بن يربوع ، فاستاقوا نَعْمَهما وأسروا من كان في النَّعَم ، فركب قيسُ بنُ هُجَيْمَةَ بجياله حتى أدرك بنى ثعلبة ، فكَرَّ عليه عُتَيْبَةُ بن الحارث ، فقال له قيس : هل لك يا عُتَيْبَةُ الى البراز؟ قال ؛ ما كنتُ لأَسْأَلَهُ وأدعه ، فبارزه ، قال عُتَيْبَةُ : فما رأيتُ فارسا أملا لعيني منه ، فطعنتي فأصاب قربوسَ سَرَجِي ، حتى وجدتُ مَسَّ السَّنَانِ في باطن نخذي ، ثم أرسل الرِّحَّ وهو يرى أن قد أثبتني [وأنصرف ^(١)] فأتبعته الفرس ، فلما سمع زَجْلَهَا رجع جانحا على قربوس سَرَجِه ، وبدأ لي فرج الدَّرْعِ فطعنته بالرح ، فقتلته وأنصرفتُ فلاحقتُ النَّعَم ، وأقبل الهِرْمَاسُ بنُ هُجَيْمَةَ فوقف على أخيه قتيلا ، ثم أتبعني فقال : هل لك في البراز ؟ فقلت : لعل الرجعة خيرُ لك ، قال : أبعده قيس ؟ ثم شدَّ على وضر بني على البيضة ، فخلص السيف الى رأسى ، فضربته فقتلته ، فقال جرير :

وساقَ أبى هُجَيْمَةَ يَوْمَ غَوْلِ * الى أسيافنا قَدْرَ الحِمَامِ

(١) التكلمة من القعد الفريد .

(٢) الزجل : الصوت .

(١)
يوم الجبابات

قال أبو عبيدة: خرج بنو ثعلبة بن يربوع فرؤا بناس من طوائف بكر بن وائل بالجبابات، خرجوا سفارا، فزلوا وسرحوا إبلهم ترى، وفيها نفر منهم يرعونها، منهم: سواده بن يزيد بن بيجر العجلي، ورجل من بني شيبان، وكان مجوما، فمّرت بنو ثعلبة بن يربوع بالإبل فأطردوها وأخذوا الرجّين من بني شيبان، فسألوهما: من معكما؟ قالوا: معنا شيخ من يزيد بن بيجر العجلي في عصابة من بكر بن وائل خرجوا سفارا يريدون البحرين، فقال الربيع ودعموص أبنا عتبة بن الحارث بن شهاب: انذهب بهذين الرجّين وهذه الإبل ولم يعلموا من أخذها، ارجعوا بنا حتى يعلموا من أخذ إبلهم وصاحبهم لتعنيهم بذلك، فقال عميرة لها: ما وراءك إلا شيخ ابن يزيد قد أخذتما أحاه وأطردتما إبله، دعاه، فأبيا ورجعا إليه وأخبراهم وتسميا لهم، فركب شيخ ابن يزيد فأتبعهما وقد وليا، فليحق دَعْموصا فأسره، ومضى ربيع حتى أتى عميرة فأخبره أن أحاه قد قُتل، فرجع على فرس له يقال لها الخنساء حتى لحق القوم، فأفنت منهم دَعْموصا على أن يرد عليهم أخاهم وإبلهم، فردّها إليهم، فكفّر بنو عتبة ولم يشكروا عميرة: فقال عميرة في ذلك:

الم تر دَعْموصا يصد بوجهه * إذا ما رأني مُقبِلا لم يسلم
الم تعلمَا يا أبنَى عتبة مَقْدَمِي * على ساقط بين الأسيّة مُسلم
فما رضتُ فيه القوم حتى آتَرَعْتُهُ * جهارا ولم أنظر له بالتلوم

يوم الشعب

غزا قيس بن شرفاء التغلبي، فأغار على بني يربوع بالشعب، فأقتلوا، فانهزمت بنو يربوع، فأسرهم بنو وئيل الرياحي، فقال سحيم في ذلك:

(١) الجبابات: موضع بين ديار بكر والبحرين.

أقول لهم بالشَّعْبِ إِذْ يَأْسِرُونَنِي * أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنِّي أَبْنُ فَارِسٍ زَهْدَمٍ
فَفَدَيْتَنِي نَفْسَهُ ، وَأَسْرَأَيْضاً مُنَمَّ بْنَ نُورِيَّةَ ، فَوَفَدَ مَالِكُ بْنُ نُورِيَّةَ عَلَى قَيْسِ بْنِ شَرْقَاءَ
فِي قَدَائِهِ فَقَالَ :

هَلْ أَنْتَ يَا قَيْسُ بْنُ شَرْقَاءَ مُنَمَّمٌ * أَوِ الْجَهْدَ إِذَا أُعْطِيَتْهُ أَنْتَ قَابِلَةٌ
فَلَمَّا رَأَى وَسَامَتَهُ قَالَ : بَلْ مُنَمَّمٌ ، فَأَطْلَقَهُ لَهُ .

يَوْمُ غَوْلِ الثَّانِي

فِيهِ قَتَلَ طَرِيفُ شَرَاخِيلَ وَعَمْرُو بْنُ مَرْثَدَةَ الْمُحَلَّمِيَّ
غَزَا طَرِيفُ بْنُ هَشِيمٍ فِي بَنِي الْعَنْبَرِ بْنِ تَمِيمٍ ، فَأَغَارَ عَلَى بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ بِغَنَاقِلٍ ،
فَأَقْتَتَلُوا ، ثُمَّ إِنَّ بَكْرًا أَنْهَزَمَتْ ، فَقَتَلَ طَرِيفُ شَرَاخِيلَ أَحَدَ بَنِي رِبِيعَةَ ، وَقَتَلَ
أَيْضاً عَمْرُو بْنَ مَرْثَدَةَ ، وَقَتَلَ الْمُجَشَّرَ .

(١) يَوْمُ الْخَنْدَمَةِ

كَانَ رَجُلٌ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ يُحَدِّثُ حَرْبَةَ يَوْمِ فَتْحِ مَكَّةَ ، فَقَالَتْ لَهُ أَمْرَأَتُهُ :
مَا تَصْنَعُ بِهَذِهِ ؟ قَالَ : أَعَدَدْتُهَا لِمُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ ! [فَقَالَتْ لَهُ : مَا أَرَى أَنَّهُ يَقُومُ
لِمُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ شَيْءٌ] (٢) فَقَالَ : وَاللَّهِ إِنِّي لِأَرْجُو أَنْ أُخْدِمَكَ بِبَعْضِ نِسَائِهِمْ ، وَأَنْسَأُ
يَقُولُ :

إِنْ يَقْبَلُوا الْيَوْمَ فَمَا لِي بِعِلَّةٍ * هَذَا سِلَاحٌ كَامِلٌ وَاللَّهِ
* وَذُو غَمْرَارِينَ سَرِيعُ السَّلَّةِ *

(١) الخندمة : اسم جبل بمكة .

(٢) النكبة من العقد الفريد ومعجم ما استعجم للبكري في كلامه على الخندمة .

(١)
فلما لقيهم خالد [بن الوليد] يوم الحنْدَمَة أنهزم الرجل لا يلوي على شيء ،
فلامته أمرأته في ذلك ، فقال :

إِنَّكَ لَوْ شِهِدْتَ يَوْمَ الْحَنْدَمَةِ * إِذْ فَرَّ صَفْوَانٌ وَفَرَّ عِزْمَةٌ
وَلَقَيْنَا بِالسُّيُوفِ الْمُسْلِمَةَ * يَفْلِقْنَ كُلَّ سَاعِدٍ وَجُمَّةً
ضَرْبًا فَلَا تُسْمَعُ إِلَّا عَمَّغَمَةٌ * لَمْ تَنْطِقِي فِي الْيَوْمِ أَدْنَى كَلِمَةٍ

وهذه القصة نذكرها - إن شاء الله - في أثناء السيرة النبوية في يوم فتح مكة .

(٢)
يَوْمَ اللَّهْمَاءِ

قال أبو عبيدة : كان سبب الحرب التي كانت بين [عمرو بن الحارث بن تميم
ابن سعد بن هذيل ، وبين عمرو] بن عدى بن الدئل بن بكر بن عبد مناة ، أت
قيس بن عامر بن غريب أخا بني عمرو بن عدى وأخاه سالما ، خرجا يريدان
بني عمرو بن الحارث ، على فرسين ، يقال لأحدهما : اللعاب ، والآخر : عَفْزَر ، فباتا
عند رجل من بني نُفَّاثَة ، فقال النُفَّاثِي لقيس وأخيه : أطيعاني وارجمًا ، لأعرفن
رماحكما تُكسر في قتاد نِعمان ، قالا : إِنَّ رِمَاحَنَا لَا تُكْسَرُ إِلَّا فِي صُدُورِ الرِّجَالِ !
قال : لا يضركما ؛ وستحمدان أمرى ، فأصبحا غاديين . فلما شارفا متن اللَّهْمَاءِ
من نِعمان ، وبنو عمرو بن الحارث فَوَيْقِ ذلك بموضع يقال له أُدَيْمَةٌ ، وأغارا على
غم لحندب بن أبي أعيس ، وفيها جندب ، ففقدتم إليه قيس ، فرماه جندب على
حلمة ثديه وبعجه قيس بالسيف فأصابت ضبةُ السيف وجه جندب ، وخر قيس

(١) التكلة من العقد الفريد .

(٢) التكلة من العقد الفريد .

(٣) كذا في معجم ما استمع للبركي على لفظ التصغير معدودا . وفي الأصول ورد مقصورا .

ونفرت الغنم نحو الدار فتبعها وحمل سالم على جندب بفرسه عفزر، فضرب جندب
خطم الفرس بالسيف فقطعه، وضربه سالم بالسيف فقطع إحدى يديه، فخر
جندب ووقف عليه سالم، وأدرك العشي سالماً، فخرج وترك سيفه في المعركة وثوبه
بجذويه، ولم ينج إلا بجفن سيفه ومتره فقال حذيفة بن أنيس في ذلك من
أبيات:

كشفت غطاء الحرب لما رأيتها * تعيل على صفو من الأيل أعسراً
أخو الحرب إن عصت به الحرب عصماً * وإن شممت عن ساقها الحرب شمراً
ويمشى إذا ما الموت كان أمامه * كذا الشبل يحمي الأنف أن يتأخراً
نجاً سالم والنفس منه بشرقة * ولم ينج إلا جفن سيف ومترأ
وطاب عن اللعاب نفساً ورمة * وغادر قيساً في المكر وعفزرأ

يوم خزاز

قال أبو عبيدة: تنازع عامر ومسمع أبنا عبد الملك، وخالد بن جبلة،
وإبراهيم بن محمد بن نوح العطاردي، وغسان بن عبد الحميد، وعبد الله بن
سالم الباهلي، ونفر من وجوه أهل البصرة كانوا يجالسون يوم الجمعة ويتفخرون
ويتنازعون في الرياسة يوم خزاز. فقال خالد بن جبلة: كان الأحوص
ابن جعفر الرئيس. وقال عامر ومسمع: كان الرئيس كليب وائل. وقال
ابن نوح: كان الرئيس زرار بن عدس، وهذا في مجلس أبي عمرو بن العلاء،
فتحاكوا إليه فقال: ما شهدها عامر بن صعصعة، ولا دارم بن مالك، ولا جشم بن
بكر، اليوم أقدم من ذلك، غير أن أهل اليمن كان الرجل منهم يحمي ومعه
كاتب وطنفسه يقعد عليها، فيأخذ من أموال نزار ما شاء، كمال صدقاتهم اليوم،

وكان أول يوم أمتنعت معدن^(١) عن [الملوك] : ملوك حمير، وكانت نزار لم تكثر بعد، فأوقدوا نارا على خراز ثلاث ليال، ودخنوا ثلاثة أيام، فقبل له : وما خراز؟ قال : هو جبل [قريب من أمرة على يسار الطريق] خلفه صحراء منيع^(٢)، ففي ذلك اليوم أمتنعت نزار من أهل اليمن، قال عمرو بن كلثوم :

ونحن غداة أوقد في خراز * رقدنا فوق رفد الرافدين
فكنا الأيمنين إذا ألقينا * وكان الأيسرين بنو أبننا
فصألوا صولة فيمن يليهم * وصلنا صولة فيمن يلينا
فأبوا بالنهاب والسبايا * وأبنا بالملوك مصفدين

قال أبو عمرو بن العلاء : ولو كان جدّه كليب وأهل قائدهم ورئيسهم ما أذعى الرفاة وترك الرياسة .

يوم النّسار

قال أبو عبيدة : تحالفت أسد وطبي وغطفان ، ولحقت بهم ضبة وعدي ، فغزوا بني عامر فقتلوهم قتلا شديدا ، فغضبت بنو تميم لمقتل بني عامر ، فاجتمعوا حتى لحقوا طيبا وغطفان وحلفاءهم من ضبة وعدي يوم الفجار ، فقتلت تميم^(١) [طيبا] أشد مما قتلت عامر يوم النّسار ، فقال بشر بن أبي خازم :

غضبت تميم أن تقتل عامر * يوم النّسار فأعقبوا بالصيلم

يوم ذات الشقوق

قال : خلف ضمرة بن ضمرة النهشلي وقال : الخمر على حرام حتى يكون لنا يوم يكافئه ، فأغار عليهم يوم ذات الشقوق فقتلهم وقال في ذلك :

(١) الذكلة من العقد الفريد . (٢) منيع : على مقربة من حمى ضرية .

الآن سَاعَ لِي الشَّرَابُ وَلَمْ أَكُنْ * آتَى الفِجَارَ وَلَا أَشَدُّ تَكَلُّمِي
 حَتَّى صَبَحْتُ عَلَى الشُّقُوقِ بَغَارِي * كَالثَّمَرِ تُنْثَرُ فِي جَرِينِ الحَرَمِ^(١)
 وَأَنَا تُ يَوْمًا بِالْفِجَارِ بِمَثَلِهِ * وَأَجَزْتُ نَصْفًا مِنْ حَدِيثِ المَوْسَمِ
 وَمَشَّتْ نِسَاءً كَالنِّسَاءِ عَوَاطِلًا * مِنْ بَيْنِ عَارِفَةِ النِّسَاءِ وَأَيِّمِ
 ذَهَبَ الرَّمَاحُ بِزُوجِهَا فَرَكْنَهُ * فِي صَدْرٍ مُعْتَدِلِ القَنَاءِ مُقَوِّمِ

يَوْمَ خَوْ

قال أبو عبيدة : أغارت بنو أسد على بني يربوع فاكتسحوا إبلهم ، فأتى الصريح الحلي فلم يتلاحقوا إلا مساءً بموضع يقال له خو ، وكان ذؤاب بن ربيعة^(٢) الأسيدي على فرس أنثى ، وكان عتيبة بن الحارث بن شهاب على حصان يستنسى ريح الأنثى في سواد الليل ويتبعها ، فلم يعلم عتيبة إلا وقد أحم فرسه على ذؤاب ابن ربيعة ، وعتيبة غافل لا يبصر ما بين يديه ، فرآه ذؤاب قطعنه في نحره فقتله ، ولحق الربيع بن عتيبة فشد على ذؤاب فأسره وهو لا يعلم أنه قاتل أبيه ، فلم يزل عنده أسيراً حتى فاداه أبوه ربيعة بلابل قاطعه عليها ، وتواعدا بسوق عكاظ في الأشهر الحرم أن يأتي هذا بالإبل وهذا بالأسير ، فأقبل أبو ذؤاب بالإبل ، وشغل الربيع بن عتيبة فلم يحضر سوق عكاظ ، فظن ربيعة أبو ذؤاب أن ذؤابا قتل بعتيبة ، فقال يرثيه :

أبلغ قبائل جعفرٍ مخصوصةً * ما إن أحاول جعفر بن كلاب
 إن المودة والهودة بيننا * خلق كسحق الربطة المنجاب
 ولقد علمت على التجلد والأسى * أن الرزية كان يوم ذؤاب

(١) الجرين : موضع العز الذي يجفف فيه . (٢) خو : كتيب معروف بجهد بين ديار

بني أسد وديار بني يربوع .

إِنْ يَقْتُلُوكَ فَقَدْ هَتَكَ بُيُوتَهُمْ * يُعْتَبَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ شَهَابٍ
بِأَحْبَبِهِمْ فَقَدَا عَلَى أَعْدَائِهِ * وَأَشَدَّهُمْ فَقَدَا عَلَى الْأَشْحَابِ^(١)
فلما بلغ إليهم الشعر قتلوا ذؤاب بن ربيعة .

أَيَّامُ الْفِجَارِ^(٢) الْفِجَارُ الْأَوَّلُ

قال أبو عبيدة : أَيَّامُ الْفِجَارِ عِدَّةٌ ، وَأَوَّلُهَا بَيْنَ كَثَانَةَ وَهَوَازِنَ . وَكَانَ الَّذِي هَاجَهُ
أَتُ بَدْرَ بْنَ مَعْشَرٍ أَحَدَ بَنِي عَقَالِ بْنِ مَلِيكَ بْنِ صَمْرَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كَثَانَةَ
جَعَلَ لَهُ مَجْلِسًا بِسُوقِ عَكَاظَ ، وَكَانَ مِنْهَا فِي نَفْسِهِ ، فَقَامَ فِي الْمَجْلِسِ وَقَامَ عَلَى رَأْسِهِ
قَائِمٌ وَأَنَسَا يَقُولُ :

تَحْنُ بَسُو مُدْرِكَةَ بْنَ خِنْدِفٍ * مَنْ يَطْمَنُوا فِي عَيْنِهِ لَا يَطْرِفُ
وَمَنْ يَكُونُوا قَوْمَهُ يَطْرِفُ^(٣) * كَأَنَّهُمْ لِحِجَّةٍ بَحْرٍ مُسْدِفٍ^(٤)

قال : ومدّ رجله وقال : أنا أعزّ العرب ، فمن زعم أنه أعزّ مني فليضربها ،
فضربها الأحمير بن مازن أحد بني دهمان بن نصر بن معاوية ، فأندرها من الركبة^(٥)

(١) كذا في العقد الفريد . وفي الأصول : « الى » .

(٢) سميت الفجار لأنها كانت في الأشهر الحرم ، وهي الشهور التي يحرمونها فحجروا فيها ، وهي
فجاران ، الفجار الأول ثلاثة أيام ، والفجار الثاني خمسة أيام في أربع سنين ، وقد جسر النبي صلى الله
عليه وسلم يوم عكاظ مع أعمامه وكان يناولهم النبل ، وانتهت سنة ٥٨٩ م .

(٣) الطريف والطارف : السيد الشريف السخي الكثير الخير .

(٤) مسدف : مظل .

(٥) أندرها : قطعها .

وقال : خذها إليك أيها المخدِفُ ! قال أبو عبيدة : إنما خرصها خريصبة يسيرة
وقال في ذلك :

نَحْنُ بَنُو دُهْمَانَ ذُو النَّظْرِفِ * بِحَرِّ لِبَحْرِ زَانِحٍ لَمْ يُسْتَرْفِ
[* نَبَى عَلَى الْأَحْيَاءِ بِالْمُعْرِفِ *]^(١)

- قال أبو عبيدة : فتحاور الحيان عند ذلك حتى كاد يكون بينهم قتال، ثم
تراجعوا ورأوا أن الخطب يسير .

الفَجَارُ الثَّانِي

- قال : كان الفجار الثاني بين قُرَيْشٍ وَهَوَازِنَ ، وكان الذي هاجه أن فتية من
قريش قعدوا الى امرأة من بني عامر بن صعصعة وضيئة بسوق عكاظ . وقالوا :
بل أطاف بها شباب من بني كنانة وعليها برقع [فأعجبهم ما رأوا من هيئتها]^(١) ،
فسألوها أن تسفر عن وجهها ، فأبت عليهم ، فأتى أحدهم من خلفها فشد دبرِ دُرْعِهَا
بسوكة إلى ظهرها وهي لا تدري ، فلما قامت تقلص الدرع عن دبرها ، فضحكوا
وقالوا : منعنا النظر الى وجهها فقد رأينا دبرها ، فنادت المرأة : يا آل عامر !
فتحاور الناس ، وكان بينهم قتال ودماء يسيرة ، فحملها حرب بن أمية وأصلح بينهم .

الفَجَارُ الثَّالِثُ وَهُوَ بَيْنَ كِنَانَةَ وَهَوَازِنَ

وكان الذي هاجه أن رجلا من بني كنانة كان عليه دين لرجل من بني نضر بن
معاوية ، فأعدم الكناني ، فوافى النضري بسوق عكاظ بقرد ، فأوقفه في سوق
عكاظ فقال : من يبعني مثل هذا بما لي على فلان حتى أكثر في ذلك . وإنما
فعل ذلك تعمييرا للكناني ولقومه ، فتربه رجل من بني كنانة فضرب القرد بالسيف

فقتله ، فهتف النضرى : يا آل هوازن ! وهتف الكنانى : يا آل كنانة ! فهاج
الناس حتى كاد أن يكونَ بينهم قتالٌ ، ثم رأوا الخطبَ سيرا فتراجعوا .
قال أبو عبيدة : إنما سُميت هذه الأيام بالفجَار لأنها كانت في الأشهر الحُرْمِ ،
وهي الشهور التي يحزُمونها ، وهذه يقال لها أيامُ الفِجَارِ الأوَّلِ .

الفجار الآخر وهو بين قريش وكنانة كلها وبين هوازن
وإنما هاجها البراضُ بقتله عُروَةَ الرِّحَالِ بنِ عُتْبَةَ بنِ جَعْفَرِ بنِ كِلَابِ ، فأبت
أن تقتل بعُروَةَ البراضُ لأنَّ عُروَةَ سيِّدُ هوازن ، والبراضُ خَلِيعٌ من بنى كِنَانَةَ ،
وأرادوا أن يقتلوا به سيِّداً من قريش .

وهذه الحربُ كانت قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بستَ وعشرين سنةً ،
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كُنْتُ أُنبِلُ عَلَى أَعْمَامِي يَوْمَ الْفِجَارِ وَأَنَا ابْنُ
أَرْبَعِ عَشْرَةَ سَنَةً " يعنى أَنَا وَلِهُمُ النَّبَلُ .

وكان سببُ هذه الحربِ أنَّ النعمانَ بنَ المنذرِ الخنمى ملكَ الحيرة كان يبعث
إلى سوقِ عكاظِ في كلِّ عامٍ لطيمةً في جوارِ رجلٍ شريفٍ من أشرفِ العربِ
يُجِيرُهَا لَهُ ، حتى تباعَ هنالك ويشتري له بها من أدم الطائف ما يحتاج إليه . وكانت
سوقُ عكاظِ تقومُ في أوَّلِ يومٍ من ذى القعدة ، فيتسوقون إلى حضورِ الحجِّ ، ثم
يُحجُّون ، فتهزُّ النعمانُ عيرَ اللطيمةِ ثم قال : مَنْ يُجِيرُهَا ؟ فقال البراضُ بنُ قيسِ
الضمري : أَنَا أُجِيرُهَا عَلَى بَنِي كِنَانَةَ ، فقال النعمانُ : مَا أُرِيدُ إِلَّا رَجُلًا يُجِيرُهَا عَلَى
أَهْلِ نَجْدٍ وَتِهَامَةَ ، فقال عُروَةُ الرِّحَالِ — وهو يومئذ رجل هوازن — أَكَلَبٌ
خَلِيعٌ يُجِيرُهَا لَكَ ؟ أَيَّتَ اللَّعْنِ ! أَنَا أُجِيرُهَا لَكَ عَلَى أَهْلِ الشَّيْحِ وَالْقَيْصُومِ مِنْ أَهْلِ

نحمد وتمامة! فقال البراض: أصل بني كنانة تُجِيرها يا عُرْوَةُ؟ قال: وعلى الناس
كلهم! فدفعها النعمان إلى عُرْوَةَ، فخرج بها وتبعه البراض، وعُرْوَةُ لا يحشى منه
شيئا، إلى أن نزل بارض يقال لها أُوَارَةٌ، فشرِب من الخمر وغتته قَيْنَةٌ، ثم نام،
فجاء البراض فدخل عليه، فناشده عُرْوَةُ وقال: كانت مني زَلَةٌ، وكانت للعقبلة
مني ضَلَةٌ، فقتله وخرج وهو يرتجز ويقول:

قَدْ كَانَتِ الْعَقْبَلَةُ مِنِّي ضَلَّةٌ * هَلَّا عَلَى غَيْرِي جَعَلَتِ الزَّلَّةُ
* فَسَوْفَ أَطْلُبُ بِالْحُسَامِ الْقَلَّةُ *

وقال:

وَدَاهِيَةٌ يَهَالُ النَّاسُ مِنْهَا * شَدَدْتُ لَهَا بَنِي بَكْرِ ضُلُوعِي
هَتَكْتُ بِهَا بِيوتَ بَنِي كَلَابِ * وَأَرْضَعْتُ الْمَوَالِي بِالضُّرُوعِ
جَمَعْتُ لَهُ يَدَيَّ وَيَنْضِلُ سَيْفِ * أَفَلْ نَحَرَ كَالْحَيْدِجِ الصَّرِيحِ

وأستاق اللطيمة إلى خيبر، وأتبعه المساور بن مالك الغطفاني، وأسد بن خيثم
الغنوي حتى دخلا خيبر، فكان البراض أول من لقيهما، فقال لهما: من الرجلان؟
قالا: من غطفان وغني. قال البراض: ما شأن غطفان وغني بهذا البلد؟ قال:
ومن أنت؟ قال: من أهل خيبر. قال: ألك علم بالبراض؟ قال: دخل علينا
طريدا خليعا فلم يؤوه أحدٌ بخير ولا أدخله بيتا. قال: فأين يكون؟ قال: وهل
لكا [به] طاقة إن دللتكا عليه؟ قال: نعم. قال: فأنزلا، فنزلا وعقلا
راحتيهما. قال: أيتكا أجزأ عليه وأمضى مقدما وأحد سيفا؟ قال الغطفاني:
أنا. قال: فأنطلق أدلك عليه، فأنطلقا حتى أتيا إلى خربة في جانب خيبر خارجة
عن البيوت، فقال البراض: هو في هذه الخربة وإليها ياوي، فأنظرنى حتى أنظر

(١) أواراة (بضم أوله وبالراء المهملة): ماء دون الحريب لبني تميم.

(٢) التكة من المقد الفريد.

أثم هو أم لا ، فوقف له ودخل البراض ثم خرج إليه وقال : هو قائم في البيت الأقصى خلف هذا الحدار ، فهل عند سيفك صرامة؟ قال : نعم . قال : هات سيفك أنظر إليه أصارم هو؟ فأعطاه سيفه ، فهزه البراض ثم ضربه فقتله ، ووضع السيف خلف الباب وأقبل إلى الغنوي فقال : ما وراءك؟ قال : آجبن من صاحبك ، تركته قائما في البيت الذي فيه الرجل ، والرجل قائم لا يتقدم إليه ولا يتأخر عنه ، قال الغنوي : يا لهفاه ! لو كان لي من ينظر راحلتينا ، قال البراض : هما عليّ إن ذهبنا ، فأطلق الغنوي والبراض خلفه حتى إذا جاور الغنوي باب الخربة أخذ البراض السيف من خلف الباب ثم ضربه حتى قتله وأخذ سلاحيهما وراحليهما وأطلق .

٩٩
٣

وبلغ قريشا خبر البراض بسوق عكاظ ، فخلصوا نجيا ، وآتبعتهم قيس لما بلغهم أن البراض قتل عمروة الرحال ، وعلى قيس أبو براء عامر بن مالك ، فأدركوهم وقد دخلوا الحرم ، فنادوهم : يا معشر قريش ، إنا نعاهد الله ألا نبطل دم عمروة أبدا ، أو نقتل به عظيما منكم ، وميعادنا معكم هذه الليلة من العام القابل ، فقال حرب بن أمية لأبي سفيان أبته : قل لهم : إنا موعدكم قابل في هذا اليوم ، فقال خدّاش بن زهير في هذا اليوم ، وهو يوم نخلة ، من أبيات أولها :

يا شدة ما شددنا غير كاذبة * على سخينة لولا الليل والحرم

وكانت العرب تسمى قريشا سخينة لأكلها السخن .

(١)
يوم شمظة وهو يوم نخلة من الفجر الانحر

قال : فجمعت كنانة قريشها وعبد منانها والأحابيش ومن لحق بهم من بني أسد بن خزيمة ، وألبس يومئذ عبد الله بن جدعان مائة كمي السلاح بأداة

(١) شمظة (بفتح أوله وإسكان ثانيه بعده ظا . معجمة) : موضع قريب من عكاظ .

(٢) الكمي : الشجاع .

- كاملة، سوى ما ألبس من قومه، والأحابيش بنو الحارث بن عبد مائة بن كنانة .
قال: وجمعت سليم وهوازن وجموعهما وأخلافهما، غير كلاب وبني كعب، فإنهما
لم يشهدا يوماً من أيام الفجار غير يوم نخلة، فأجتمعوا بسمطة من عكاظ في هذه
الأيام التي تواعدوا فيها على قرن الحول، وعلى كل قبيلة من قريش وكنانة سيدها،
وكذلك على قبائل قيس، غير أن أمر كنانة كلها إلى حرب بن أمية، وعلى إحدى
مخبتيا عبد الله بن جدعان، وعلى الأخرى كرز بن ربيعة، وحرب بن أمية
في القلب، وأمر هوازن كلها إلى مسعود بن معتب الثقفي، فزحف بعضهم إلى
بعض، فكانت الدائرة في أول النهار لكانة على هوازن، حتى إذا كان من آخر
النهار تداعت هوازن وصابرت، وانكشفت كنانة فاستحزقت القتل فيهم، فقتل منهم
تحت رايتهم مائة رجل، ويقال ثمانون، ولم يقتل من قريش أحد يذكر، فكان
هذا اليوم لهوازن على كنانة .

يوم العباء

- قال: ثم رجع هؤلاء وأولئك فالتقوا على قرن الحول من يوم عكاظ،
والرؤساء عليهم الذين ذكراهم في يوم سمطة، فكان هذا اليوم أيضاً لهوازن على
كنانة . وفي هذا اليوم قُتل العوام بن حويلد والد الزبير، قتلته مرة بن معتب
الثقفي، وقال رجلٌ من ثقيف:

منا الذي ترك العوام مجندلاً * تنسبه الطير لحمايين أحجار

يوم شرب^(١)

- ثم جمع هؤلاء وأولئك فالتقوا على قرن الحول في اليوم الثالث من أيام عكاظ،
فالتقوا بشرب، وهو أعظم أيامهم والرؤساء عليهم وعلى المجنبتين من ذكرا، وحمل
(١) شرب (بفتح أوله وثانيه بعده باء بواحدة، هكذا ثبتت الرواية عن أبي الحسن الطوسي فيه،
ورواه ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي بكسر الراء): موضع قرب مكة .

أَبْنُ جَدْعَانَ يَوْمَئِذٍ مِائَةٌ رَجُلٌ عَلَى مِائَةٍ بَعِيرٍ مِمَّنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حِمْلَةٌ ، فَالْتَقَوْا ، وَقَدْ كَانَ لَهُوَازِنٌ عَلَى كِنَانَةِ يَوْمَانَ مِتْوَالِيَانِ : يَوْمَ شَمْطَةِ وَالْعَبْلَاءِ ، فَحَمَشَتْ قَرِيشٌ وَكِنَانَةٌ ، وَصَابَرَتْ بَنُو مَخْزُومٍ وَبَنُو بَكْرِ ، فَأَهْزَمَتْ هَوَازِنٌ وَقَتَلَتْ قَتْلًا ذَرِيعًا ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّبْعَرِيِّ يَمْدَحُ بَنِي الْمَغِيرَةِ :

أَلَا لِلَّهِ قَوْمٌ * يَلَدَتْ أُخْتُ بَنِي سَهْمٍ
هَشَامٌ وَأَبُو عَبْدِ * مَنَافٍ يَذُرُّهُ الْخَصِمُ^(١)
وَذُو الرَّحْمَيْنِ أَشْبَاكَ * مَنِ الْقُوَّةُ وَالْحَزْمُ^(٢)
فَهَذَانِ يَدُودَانِ * وَذَا مِنْ كَثَبٍ يَرْمِي

وَأَبُو عَبْدِ مَنَافٍ : هَاشِمُ بْنُ الْمَغِيرَةِ . وَذُو الرَّحْمَيْنِ : أَبُو رَبِيعَةَ بْنُ الْمَغِيرَةِ ، قَاتَلَ يَوْمَ شَرَبِ بَرْمِجِينَ . وَأَمَّهُمْ رَيْطَةُ بِنْتُ سَعْدِ بْنِ سَهْمٍ ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ جَذَلُ الطَّعَانِ :

جَاءَتْ هَوَازِنٌ أَرْسَالًا وَإِخْوَتُهَا * بَنُو سَلِيمٍ فَهَابُوا الْمَوْتَ وَأَنْصَرَفُوا
فَأَسْتَقْبَلُوا بِضْرَابٍ فَضَّ جَمْعَهُمْ * مِثْلَ الْحَرِيقِ فَمَا عَاجُوا وَلَا عَطَفُوا

يَوْمُ الْحُرَيْرَةِ^(٣)

ثُمَّ جَمَعَ هَؤُلَاءِ وَأَوْلَئِكَ وَالْتَقَوْا عَلَى رَأْسِ الْحَوْلِ بِالْحُرَيْرَةِ ، وَهِيَ حَرَّةٌ إِلَى جَنْبِ عَكَاظٍ ، وَالرُّؤَسَاءِ عَلَى هَؤُلَاءِ [وَأَوْلَئِكَ] هُمُ الَّذِينَ كَانُوا فِي سَائِرِ الْأَيَّامِ ، وَكَذَلِكَ عَلَى الْمُجْتَبِئِينَ إِلَّا أَنَّ أَبَا مُسَاحِقَ بْنَ قَيْسِ الْيَعْمُرِيَّ قَدْ كَانَ مَاتَ ، فَكَانَ بَعْدَهُ عَلَى بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاءَ ابْنِ كِنَانَةَ أَخُوهُ جُنَّامَةُ بْنُ قَيْسٍ ، فَكَانَ يَوْمُ الْحُرَيْرَةِ لَهُوَازِنٌ عَلَى كِنَانَةٍ ، وَهُوَ آخِرُ الْأَيَّامِ الْخَمْسَةِ الَّتِي تَرَاخَفُوا فِيهَا ، فَتَبَلَّ يَوْمَئِذٍ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ أُمَيَّةَ أَخُو حَرْبِ بْنِ

(١) المدرة : زعيم القوم وخطيبهم والمتكلم عنهم ، وقد أطلق تجوزاً الآن على المخامى .

(٢) يقال : أشباك لفلان ، كما يقال : حسبك لفلان .

(٣) الحريرة : موضع بين الأبواء ومكة قرب نخلة . (٤) تنكة من العقد الفريد .

أمية ، وقُتِلَ من بني كنانة ثمانية نفرًا ، قتلهم عثمان بن أُسَيْد بن مالك من بني عامر
ابن صعصعة ، وقُتِلَ جماعة أخرى ، فقال خِدَاش بن زُهَيْر :

١٤٠
١٣

إِنِّي مِنَ النَّفْرِ الْمُحْمَرِّ أَعْيُنُهُمْ * أَهْلِ السَّوَامِ وَأَهْلِ الصَّخْرِ وَاللُّوبِ
الطَّاعِينَ نَحُورَ الْحَيْلِ مُقْبِلَةً * يَكُلُّ سَمْرَاءَ لَمْ تُغَلَّبْ وَمَغْلُوبِ
وَقَدْ بَلَوْتُمْ وَأَبْلَوْتُمْ بِلَاءَهُمْ * يَوْمَ الْحُرَيْرَةِ ضَرْبًا غَيْرَ تَكْذِيبِ
لَأَقِيمَنَّ مِنْهُمْ آسَادُ مَلْحَمَةٍ * لَيْسُوا بِزُرَاعَةِ عُوجِ الْعَرَاقِيبِ
فَالآنَ إِنْ تَقَبَّلُوا نَاخِدُ نَحُورَكُمْ * وَإِنْ تَبَاهُوا فَإِنِّي غَيْرُ مَغْلُوبِ

وقال الحارثُ بنُ كَلْدَةَ النَّقْفِيِّ :

تَرَكْتُ الْفَارِسَ الْبِدَاخَ مِنْهُمْ * تَمَّجَّ عُرُوقُهُ عُلَقًا عَيْطًا
دَعَسَتْ لُبَّانُهُ بِالرَّمَجِ حَتَّى * سَمِعْتُ لِمَتْنِهِ فِيهِ أَطِيطًا
لَقَدْ أَرَدَيْتُ قَوْمَكَ يَا بَنَ صَخْرٍ * وَقَدْ جَسَّمْتُهُمْ أَمْرًا سَلِيطًا
وَكَمْ أَسَمْتُ مِنْكُمْ مِنْ كَيْي * جَرِيحًا قَدْ سَمِعْتُ لَهُ غَطِيطًا

مَضَّتْ أَيَّامَ الْفِجَارِ الْآخِرِ ، وَهِيَ خَمْسَةُ أَيَّامٍ فِي أَرْبَعِ سِنِينَ .

قال أبو عبيدة : ثم تداعى الناس إلى السلم على أن يذروا الفضل ويتعاهدوا

ويتواثقوا .

(١)
يَوْمَ عَيْنِ أَبَاغٍ

قال أبو عبيدة : كان ملك العرب المنذر الأكبر بن ماء السماء ، ثم مات فملك

أبنته عمرو ، ثم هلك فملك بعده أخوه قابوس ، ثم مات فملك أخوه المنذر بن المنذر

(١) أباغ الذي تنسب إليه عين أباغ (بضم الهزرة وفتح المعجمة وفتح الهزرة أيضا) : بطرف

أرض العراق مما يلي الشام .

ابن ماء السماء . وذلك في مملكة كسرى بن هرمز، فغزاه الحارث الغساني، وكان بالشام من جهة قيصر، فالتقوا بعين أباغ، فقتل المنذر، فولى كسرى النعمان بن المنذر، ثم سعى إلى كسرى في النعمان فقتله، وقد تقدم ذكر سبب ولايته ومقتله .

وكان النعمان لما تحقق غضب كسرى عليه هرب، ثم علم أنه لا منجى له من يد كسرى فقدم إليه فقتله . وأستعمل كسرى على العرب إياس بن قبيصة الطائي . وكان النعمان لما شخّص إلى كسرى أودع حلقته، وهي ثمانمائة درع وسلاحا كثيرا، هانيء بن مسعود الشيباني، وجعل عنده أبنته هندًا التي تُسمى حرقة، فلما قتل النعمان قالت فيه الشعراء، فقال زهير بن أبي سلمى من أبيات :

ألم تر للنعمان كان بنجوة * من الشرلوأت أمراً كان ناجياً
فلم أرَ مخلولاً له مثل ملكه * أقلّ صديقاً باذلاً أو مواسياً

يوم ذى قار

قال أبو عبيدة : يوم ذى قار هو يوم الحنو، ويوم قرآقر، ويوم الجبابات، ويوم ذات العجرم، ويوم بطحاء ذى قار، وكلها حول ذى قار .

قال أبو عبيدة : لم يكن هانيء بن مسعود المستودع حلقه النعمان، وإنما هو ابن أبيه، وأسمه هانيء بن قبيصة بن هانيء بن مسعود، لأن وقعة ذى قار كانت وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم وخبر أصحابه بها فقال : " اليوم أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم، وبي نصروا " .

ولما قُتل النعمان كتب كسرى إلى إياس بن قبيصة يأمره أن يضم ما كان للنعمان، فأبى هانيء بن قبيصة أن يسلم ذلك إليه، فغضب كسرى وأراد استئصال بكر بن وائل، فقدم عليه النعمان بن زرعة الثقلي فقال : يا خير الملوك، ألا أدلك

وسار إياس بن معه من الجند وغيرهم ، فلما دنوا من بكر أقبال قيس بن مسعود الى قومه ليلا ، فأمرهم بالصبر ثم رجع .

فلما أتى الزحفان وتقرب القوم ، قام حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلي فقال : يا معشر بكر ، إن نساب الأعاجم يفرقكم ، فعاجلوهم الى اللقاء وابدعواهم بالشدة ، وقال هانيء بن مسعود : يا قوم ، مهلك مقدر ، خير من منجى مغرور .
 إن الجزع لا يرد القدر ، وإن الصبر من أسباب الظفر ، المنية خير من الدنية ، وأستقبال المنية خير من أستبارها ، فالخذ الخد ، فما من الموت بد .

ثم قام حنظلة بن ثعلبة ففقطع ووضن النساء فسقطن الى الأرض وقال : ليقاتل كل رجل عن خليلته ، فسمى مقطع الوضن .

قال : وقطع يومئذ سبعائة من بني شيبان أيدي أقيمتهم من مناكبها لتخف أيديهم لضرب السيوف فتجالد القوم ، وقتل يزيد بن حارثة اليشكري الهامري مبارزة ، ثم قتل يزيد بعد ذلك . فضرب الله وجوه الفرس فأنهزموا ، وأتبعهم بكر حتى دخلوا السواد في طلبهم ، وأسر النعمان بن زُرعة التغلبي . ونجا إياس بن قبيصة على فرسه الحمامة ، فكان أول من أنصرف إلى كسرى بالهزيمة هو . وكان لا يأتيه أحدٌ بهزيمة جيش إلا نزع كتفيه . فلما أتاه إياس بن قبيصة سأله عن الجيش فقال : هزمتنا بكر بن وائل وأتيناك ببناتهم . فأعجب ذلك كسرى وأمر له بكسوة ، ثم استأذنه إياس فقال : أئني قيس بن قبيصة مريض بعين النمر ، فأردت أن آتيه ، فأذن له .

ثم أتى كسرى رجلاً من أهل الحيرة وهو بالخورتق فسأل : هل دخل على الملك أحد ؟ فقالوا : إياس ، فظن أنه قد حدثه الخبر ، فدخل عليه وأخبره بهزيمة القوم

(١) الوضن : حزم الرجال .

وقتلهم، فأمر به فترعت كفه . وقد أكثر الشعراء في يوم ذي قار . فن ذلك ما قاله أعشى بكر من قصيدة له :

لَوَأَنَّ كُلَّ مَعَدٍّ كَانَ شَارِكًا * فِي يَوْمِ ذِي قَارٍ مَا أَخْطَأَمُ الشَّرْفُ
لَمَّا آمَلُوا إِلَى النَّشَابِ أَيْدِيَهُمْ * مِنَّا يَبِيضُ لِنَيْلِ الْمَاءِ تَحْتَطِفُ
بَطَارِقُ وَيَسُو مَلِكُ مَرَازِيَةٍ * مِنَ الْأَعَاجِمِ فِي آتَانِهَا التُّطْفُ
كَأَمَّا الْأَلُّ فِي حَاقَاتِ جَمْعِهِمْ * وَالْيَيْضُ بَرَقَ بَدَا فِي عَارِضِ يَكْفُ
مَا فِي الْخُلُودِ صُلُودٌ عَنْ سِيوفِهِمْ * وَلَا عَنِ الطَّنِّ فِي الْبَيَاتِ مُنْحَرِفُ
وقال الأَعشى يوم قيسا من أبيات :

أَقْبَسَ بِنَ مَسْعُودِ بْنِ قَيْسِ بْنِ خَالِدٍ * وَأَنْتَ أَمْرٌ تَرْجُو شَبَابَكَ وَأَتْلُ
رَحَّتْ وَلَمْ تَنْظُرْ وَأَنْتَ عَمِيدٌ * فَلَا يَلْغِي عَنْكَ مَا أَنْتَ فَاعِلُ
فَعَرَّيْتَ مِنْ أَهْلِ وَمَالٍ جَمْعُهُ * كَمَا عُرَّيْتَ مِمَّا تُعْرَأُ الْمَنَازِلُ
شَقَى النَّصْرَ قَتْلُ لَمْ تُؤَسِّدْ خُلُودَهَا * وَسَادَا وَلَمْ تُضَمَّضْ عَلَيْهَا الْأَنَامِلُ
لَكَ يَوْمَ الْحِنُولِ إِذْ صَبَّحْتَهُمْ * كَاتِبٌ لَمْ تَمِصْكَ بَيْنَ الْعَوَائِلِ

١٤٢
١٣

قال : ولما بلغ كسرى خير قيس بن مسعود بما فعل مع قومه حبسه حتى مات في حبسه، فيه قال الأَعشى :

* وَعُرَّيْتَ مِنْ أَهْلِ وَمَالٍ جَمْعُهُ *

صورة ما ورد بأخر الجزء الثالث عشر في أحد

الأصليين القنوغرافيين المرموز له بنسخة (١)

[انتهت أيام العرب على وجه الاختصار وحذف التكرار من كتاب « نهاية

الأرب في فنون الأدب » مؤلفه أحمد بن عبد الوهاب القرشي المعروف بالتورثي

(١) رواية القنوغرافيين : * كاتب موت لم تمسك العوائل *

رحمة الله تعالى عليه وُغفرانه على يد كاتبه فقير رحمة ربه الشامل نور الدين بن شرف الدين العالمى ، فى اليوم السابع والعشرين من شهر رجب الفرد من شهر سنة سبع وستين وتسعمائة من الهجرة النبوية ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً دائماً أبداً الى يوم الدين، وطلبه الجزء الرابع عشر من نسخة الأصل وأوله : (القسم الخامس من الفن الخامس فى أخبار الملة الإسلامية) .

صورة ما ورد بآخر الجزء الثالث عشر أيضاً
فى الأصل الثانى الفتوغرافى المرموز له بنسخة (ب)

[انتهت أيلم العرب على وجه الاختصار، وحذف التكرار، بعون الله تعالى وتوفيقه ويمنه ، وبتمامها كل الجزء الثالث عشر من كتاب « نهاية الأرب فى فنون الأدب » يتلوه إن شاء الله تعالى فى أول الجزء الرابع عشر من الكتاب ، وهو الجزء الرابع من التاريخ : القسم الخامس من الفن الخامس فى أخبار الملة الإسلامية . وحسبنا الله ونعم الوكيل] .

« وكتب بالهامش ما نصه : بلغ مؤلفه مقابلة بأصله والمحمد لله » .

أتمت - بعون الله وحسن توفيقه - تصحيح وتحقيق الجزء الخامس عشر من كتاب « نهاية الأرب فى فنون الأدب » من تجزئة طبعة دار الكتب المصرية فى يوم الأحد ١٧ من تى الحجة سنة ١٣٦٨ هـ (٩ أكتوبر سنة ١٩٤٩ م) .
ويطه الجزء السادس عشر وأوله : « القسم الخامس من الفن الخامس فى أخبار الملة الإسلامية » .

محمد عبد الجواد الأصمعى

المصحح بالقسم الأدبى بدار الكتب المصرية

كَمَل طبع "الجزء الخامس عشر من (نهاية الأرب في فنون الأدب)"
بمطبعة دار الكتب المصرية في يوم الأربعاء ١١ محرم سنة ١٣٦٩
(٢ نوفمبر سنة ١٩٤٩) ما
محمد نديم
مدير المطبعة بدار الكتب
المصرية

(مطبعة دار الكتب المصرية ١٥/١٩٤٢/١٥٠٠)

دار الكتب المصرية

القسم الأدبي

نهاية الآداب

في

فنون الآداب

تأليف

شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن النون

السفر الخامس عشر

نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب

مع استدراقات وفهارس جامعة

القاهرة

مطبعة دار الكتب المصرية

١٣٦٩ هـ - ١٩٤٩ م

الطبعة الأولى بمطبعة دارالكتب المصرية

جميع الحقوق محفوظة لدارالكتب المصرية

فهرس آهان

السفر الخامس عشر

من

كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب

صفحة

١	من الأخبار مصر ومن ملكها من الملوك قبل الطوفان وبعده، وما بنوه من المدن، وما أقاموه من المنارات والأهرام والبرابي وغير ذلك من المباني، وما وضعوه بها من العجائب والطلسات والحكم، وما أناروا من المعادن وما دبروه من الصنعة، وما شقوه وأنبطوه من الأنهار وغير ذلك من عجائبها وأخبارها
١	ملوكها قبل الطوفان
٢٢	ذكر خبر بناء الأهرام وسبب بنائها وثنى من عجائبها
٤٠	ذكر خبر كهان مصر وحالهم مع الملوك
٤٣	ذكر من ملك مصر بعد الطوفان من الملوك
٥٢	ذكر خبر هاروت وماروت
٦٩	ذكر أخبار أشمون ومن ملك من بنيه
٧٥	ذكر أخبار أتريب الملك
٨١	ذكر أخبار صابن قبطيم بن مصرم بن بصر بن حام بن نوح عليه السلام
١١٥	ذكر خبر عون وما فعله في غيبة الوليد وخبر المدينة التي بناها
١١٩	ذكر عود الوليد الى مصر وهرب عون الى مدينته
١٣٨	ذكر نبذة من أخبار من ملك مصر بعد غرق فرعون

صفحة

١٤٢	والتوكرد والإفرنجية والجلالقة وطوائف السودان
١٤٢	ذكر أخبار ملوك الفرس وهم ملوك الفرس الأول ، وملوك الطوائف من الفرس ،
١٥٨	والمملوك الساسانية واليونان والسريان والكلوانيين والروم والصقالبة
١٦٤	والتوكرد والإفرنجية والجلالقة وطوائف السودان
١٦٦	ذكر أخبار الملوك الساسانية
١٩٥	ذكر قطعة من سير كسرى أنو شروان وسياسته
٢٠٧	ذكر خطبة أنو شروان
٢٢٣	ذكر حيلة لأبرويز على ملك الروم
٢٢٦	ذكر سبب هلاك أبرويز وقتله
٢٣٤	ذكر أخبار ملوك اليونان وأنسابهم
٢٣٨	ذكر شيء من مكاييد الإسكندر وحيله في حروبه
٢٤٣	ذكر شيء من أخبار الإسكندر وما أتفق له مع ملكي الهند والصين
٢٥٢	كلام الحكماء عند وفاة الإسكندر
٢٥٥	ذكر أخبار ملوك السريان
٢٥٨	ذكر أخبار ملوك الكلوانيين وهم ملوك النبط ملوك بابل
٢٦٣	ذكر أخبار ملوك الروم وأنسابهم
٢٦٦	ذكر خبر أصحاب الكهف
٢٧٣	ذكر أخبار ملوك الروم المنتصرة وهم ملوك القسطنطينية
٢٧٩	ذكر ملوك الروم بعد ظهور الإسلام
٢٨٤	ذكر أخبار ملوك الصقالبة والتوكرد
٢٨٥	ذكر خبر ملوك الإفرنجية والجلالقة

صفحة

- ٢٨٧ ذكر طوائف السودان وثنىء من أخبارهم ونسبهم
- الباب الرابع من القسم الرابع من الفن الخامس فى أخبار ملوك العرب
- ٢٩١ ويتصل بهذا الباب خبر سبل العرم
- ٢٩١ ذكر أخبار ملوك قحطان
- ٣٠٩ ذكر خبر سيف بن ذى يزن وعود الملك الى حمير
- ٣١١ ذكر أخبار ملوك الشام من ملوك قحطان
- ٣١٥ ذكر أخبار ملوك الحيرة وهم من آل قحطان
- ٣٣٢ ذكر خبر سدة مارب وسبل العرم
- الباب الخامس من القسم الرابع من الفن الخامس فى أيام العرب ووقائعها
- فى الجاهلية
- ٣٣٨
- ٣٣٩ ذكر واقعة طسم وجديس
- ٢٤٤ ذكر حروب قيس فى الجاهلية . يوم منعج لفتى على عيس
- ٣٤٦ يوم التفراوات لبني عامر على بنى عيس
- ٣٤٨ يوم بطن عاقل لذبيان على بنى عامر
- ٣٤٩ يوم ررحان لعامر على تميم
- ٣٥٠ يوم شعب جبلة لعامر وعيس على ذبيان وتميم
- ٣٥٣ يوم الحربية وفيه قتل الحارث بن ظالم
- ٣٥٦ ذكر حرب داحس والغبراء، وهى من حروب قيس
- ٣٥٨ يوم المريقب لبني عيس على بنى ذبيان
- ٣٥٩ يوم ذى حسي لذبيان على عيس
- ٣٦٠ يوم اليعمرية لعيس على ذبيان
- ٣٦٠ يوم الهباءة لعيس على ذبيان
- ٣٦٢ يوم الفروق لبني عيس
- ٣٦٣ يوم قطن

صفحة	
٣٦٣	يوم غدیر قلبی
٣٦٤	يوم الرقم لظفان على بنی عامر
٣٦٤	يوم التساء لعبس على بنی عامر
٣٦٥	يوم شواخط لبني محارب على بنی عامر
٣٦٥	يوم حوزة الأول لسليم على غطفان
٣٦٧	يوم حوزة الثاني
٣٦٨	يوم ذات الإيثل
٣٦٩	يوم اللوى لظفان على هوازن
٣٧٠	يوم الظعينة بين دريد بن الصمة وربيعة بن مکدم
٣٧٣	يوم الصلحاء لهوازن على غطفان
٣٧٣	ذکر حرب قيس وکثانة . يوم الکديد لسليم على کثانة
٣٧٤	يوم فزارة لکثانة على سليم
٣٧٤	يوم الفيفاء لسليم على کثانة
٣٧٥	ذکر حرب قيس وتميم . يوم السؤبان لبني عامر على بنی تميم
٣٧٧	يوم أقرن لبني عبس على بنی دارم
٣٧٧	يوم المتزوت لبني العنبر على بنی قشير
٣٧٨	يوم دارة مأسل لتميم على قيس
٣٧٩	أيام تميم على بكر . يوم الوقيط
٣٨١	يوم النباح وئيل لبكر على تميم
٣٨٣	يوم زرود الثاني لبني يربوع على بنی تغلب
٣٨٣	يوم ذی طلوح لبني يربوع على بكر
٣٨٥	يوم الحائر وهو يوم ملهم لبني يربوع على بنی بكر
٣٨٥	يوم القححق وهو يوم ماله لبني يربوع على بكر
٣٨٦	يوم رأس العين لبني يربوع على بكر

صفحة

- ٣٨٦ يوم العظالي لبني يربوع على بكر
- ٣٨٨ يوم الغيظ لبني يربوع على بكر
- ٣٨٩ يوم مخطط لبني يربوع على بكر
- ٣٨٩ يوم جلود
- ٣٩٠ يوم سفوان
- ٣٩١ يوم نقا الحسن وهو يوم الشقيقة لبني ضبة على بنى شيان
- ٣٩١ أيام بكر على تميم . يوم الزويرين
- ٣٩٣ يوم الشيطان لبكر على تميم
- ٣٩٣ يوم صعفوق لبكر على تميم
- ٣٩٤ يوم مبايض لبكر على تميم
- ٣٩٥ يوم فيحان لبكر على تميم
- ٣٩٥ يوم ذى قار الأول لبكر على تميم
- ٣٩٦ يوم الحاجز لبكر على تميم
- ٣٩٦ يوم الشقيق لبكر على تميم
- ٣٩٦ ذكر حرب البسوس . وهى حرب بكر وتغلب أبى وائل
- ٣٩٨ ذكر مقتل كليب وائل
- ٤٠٠ يوم النهى
- ٤٠٠ يوم الذنائب
- ٤٠١ يوم واردات
- ٤٠١ يوم عنيزة
- ٤٠٢ يوم فضة
- ٤٠٤ يوم تحلاق اللحم
- ٤٠٦ الكلاب الأول
- ٤٠٧ يوم الصفقة وهو يوم الكلاب الثانى

صفحة	
٤١٣	يوم طخفة
٤١٤	يوم فيف الريح
٤١٥	يوم زرود الأوقل
٤١٦	يوم غول الأوقل وهو يوم كنهل
٤١٧	يوم الجبابات
٤١٧	يوم الشعب
٤١٨	يوم غول الثانى
٤١٨	يوم الخندمة
٤١٩	يوم اللهياء
٤٢٠	يوم خزاز
٤٢١	يوم النसार
٤٢١	يوم ذات الشقوق
٤٢٢	يوم خقو
٤٢٣	أيام الفجار - الفجار الأوقل
٤٢٤	الفجار الثانى
٤٢٤	الفجار الثالث وهو بين كانة وهوازن
٤٢٥	الفجار الآخر وهو بين قريش و كانة كلها وبين هوازن
٤٢٧	يوم شمطة وهو يوم نخلة من الفجار الآخر
٤٢٨	يوم العباء
٤٢٨	يوم شرب
٤٢٩	يوم الحرية
٤٣٠	يوم عين أباغ
٤٣١	يوم ذى قار